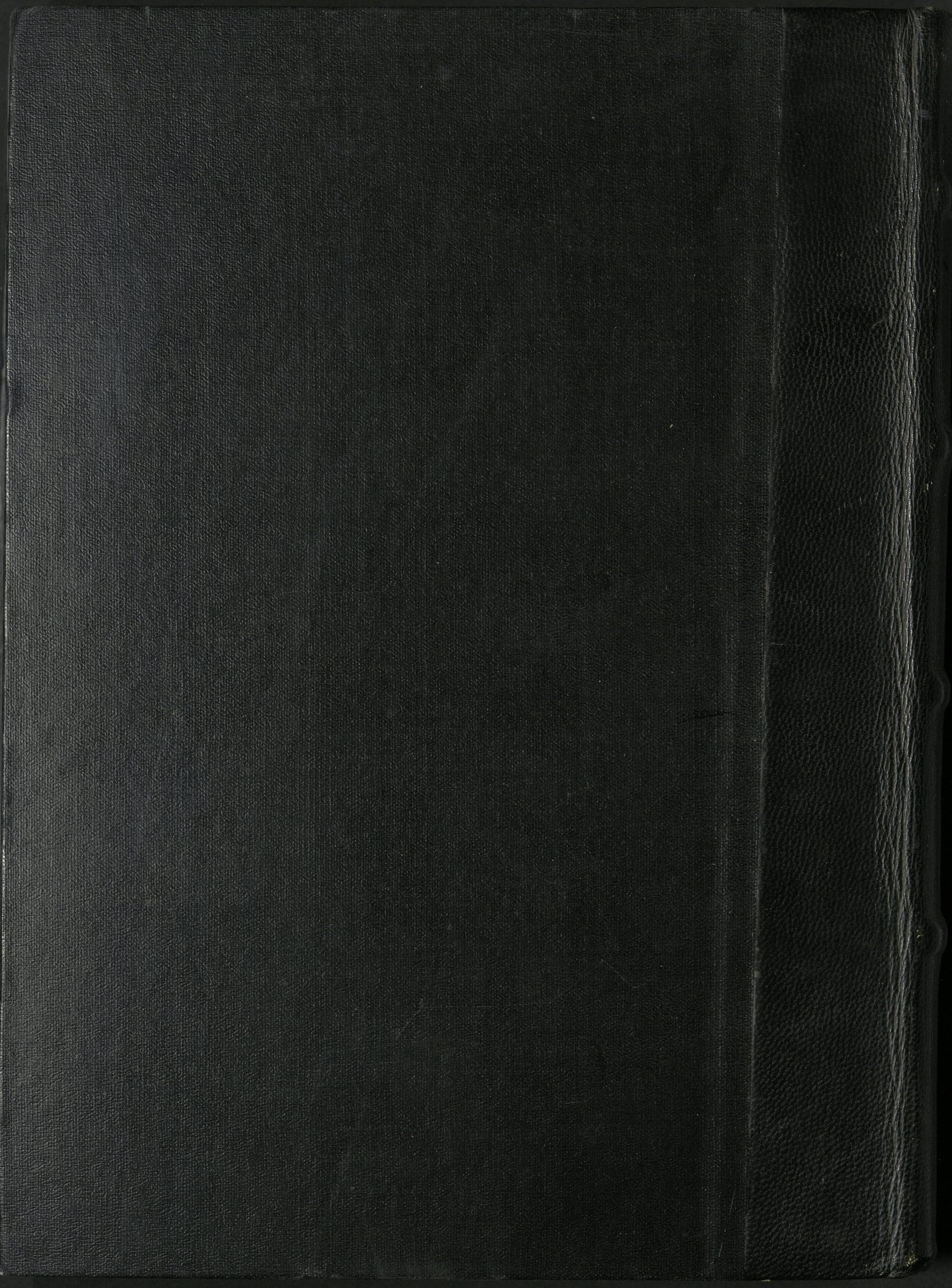
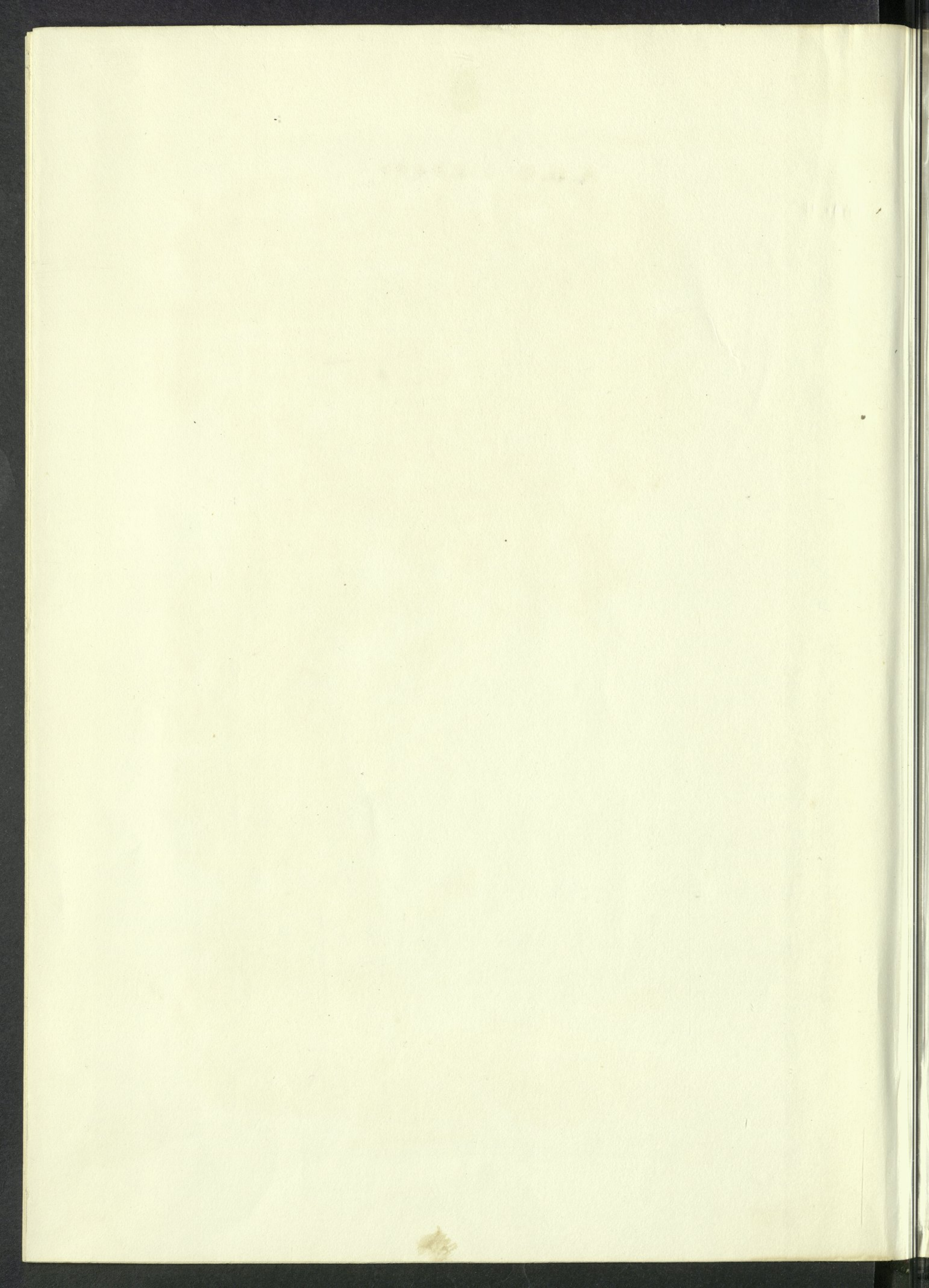
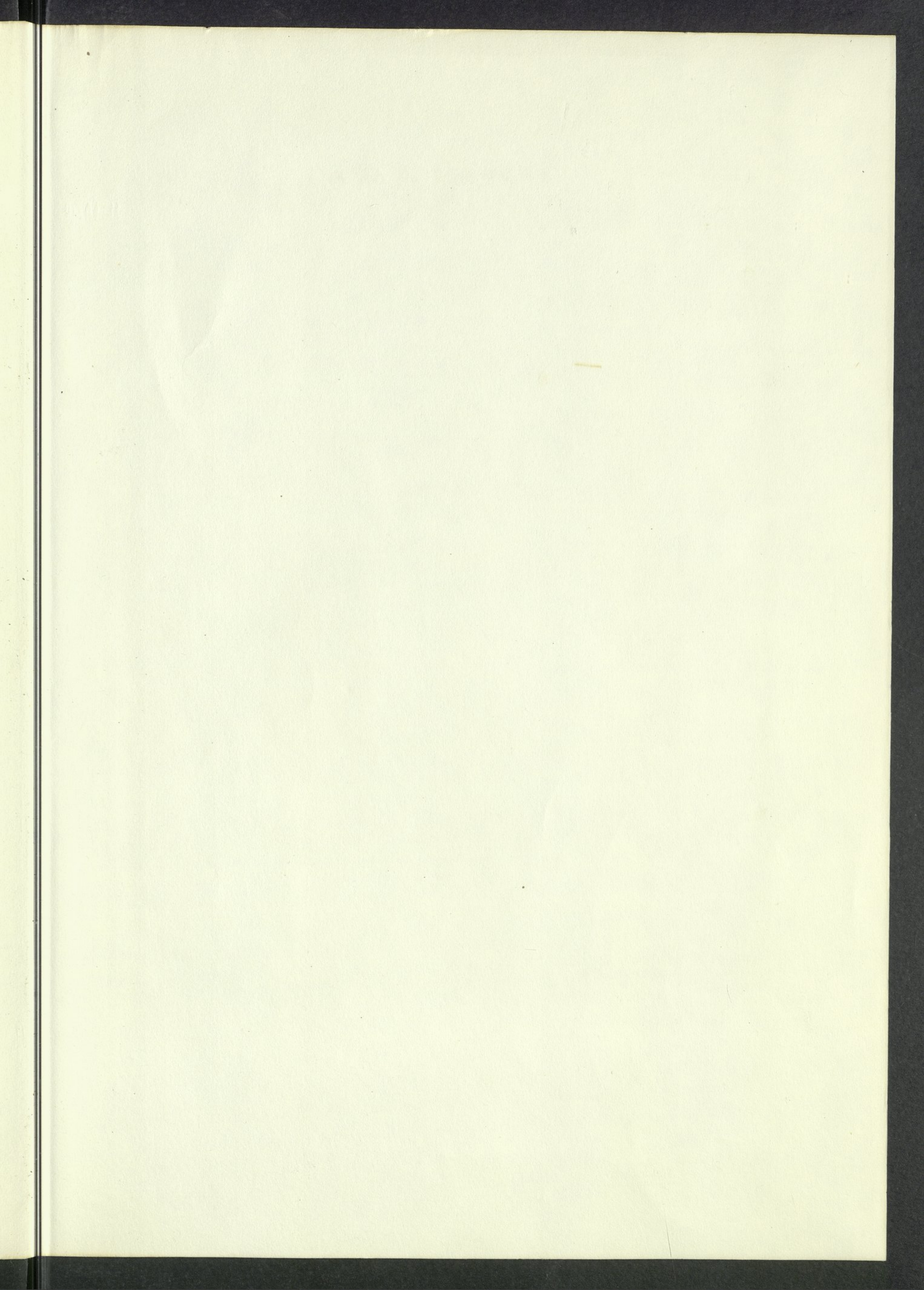
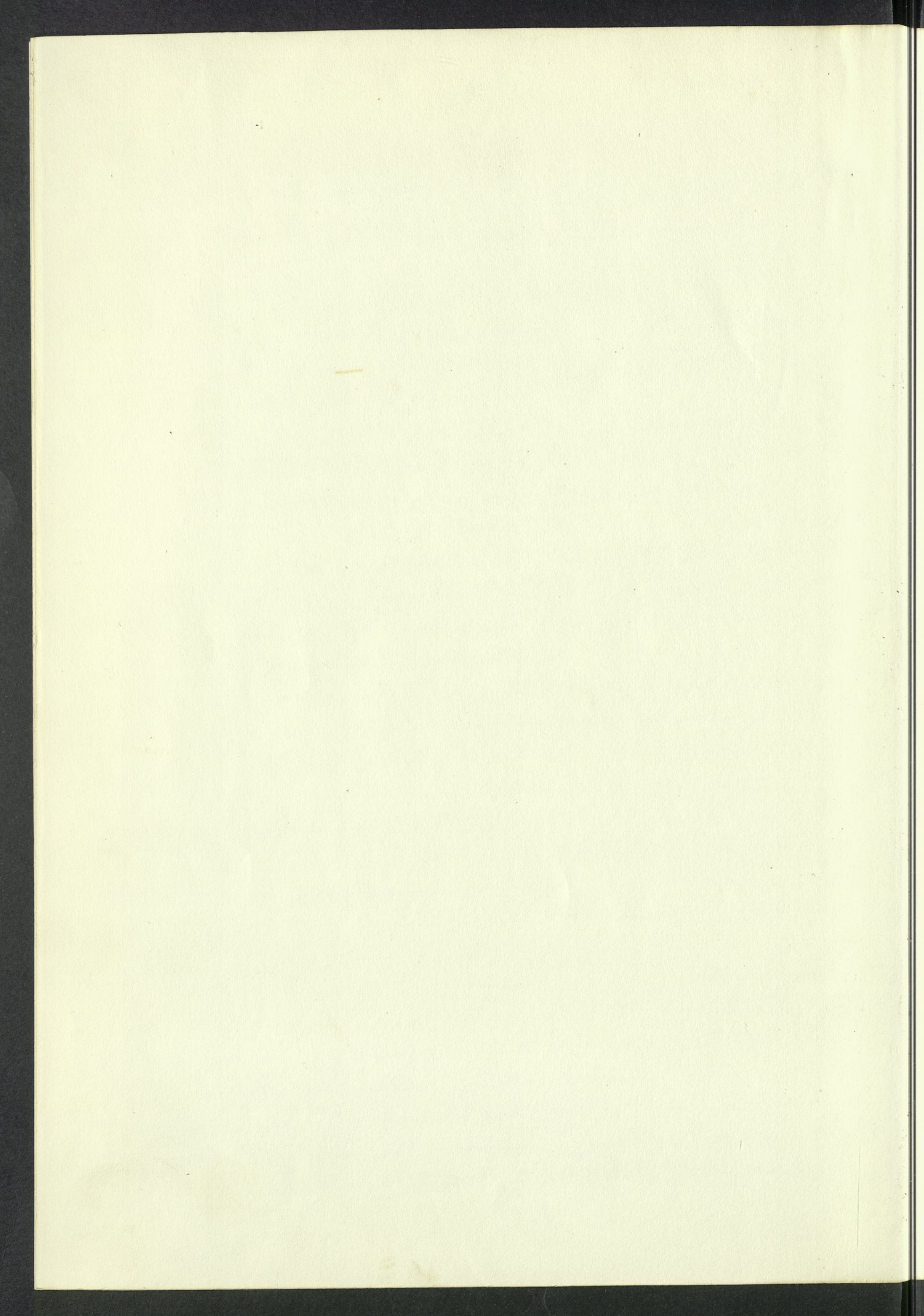
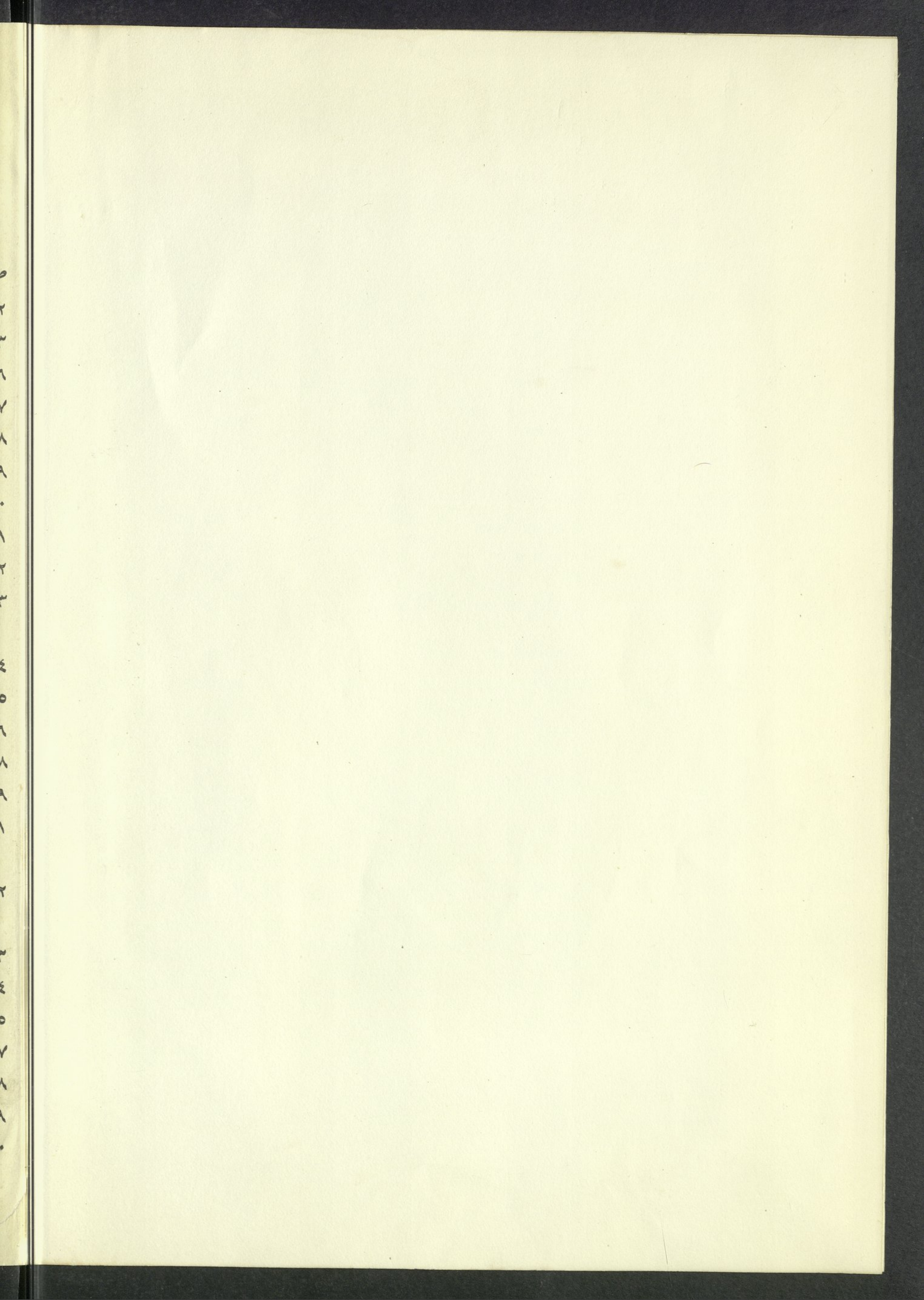










فهرس المسائل المهمة في الجزء الرابع من تفسيري ابن كثير والبغوي

صفحة

صفحة

سورة التوبة

صفحة

صفحة





الجزء الرابع

من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المصححة على نسخة المؤلف .وعلى نسخة مكتبة الجامع الازهر

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوى المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية: الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «محيي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل. . . كان اماماً جليلا ورعا زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، سالكا سبيل السلف

طبع على نفقة صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الامام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٦ هـ

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد الرابع من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

تفسير سورة الأنفال

وهي مدنية آياتها سبعون وست آيات كلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة واحدى وثلاثون كلمة حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفا والله أعلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١)

قال البخاري :قال ابن عباس الانفال المغانم ، حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سلمان أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الانفال

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد الرابع من تفسير ناصر السنة البغوي ﴾

تفسير سورة الانفال

مدنية وهي خمس وسبعون آية قيل الا سبع آيات من قوله (واذ يمكر بك الذين كفروا) الى آخر سبع آيات فانها نزلت بمكة والأصح أنها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يسألونك عن الانفال﴾ الآية قال أهل التفسير سبب نزول هذه الآية هو أن النبي ﷺ

قال نزلت في بدر أما ماعلقه عن ابن عباس فكذلك رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال الانفال الغنائم كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لاحدمنها شيء ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد أنها المغانم ، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال : الانفال الغنائم قال فيها لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل　　وباذن الله ريثي وعجل

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم ابن محمد قال سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن الانفال فقال ابن عباس رضي الله عنهما : الفرس من النفل والسلب من النفل . ثم عاد لمسألته فقال ابن عباس ذلك أيضاً ثم قال الرجل : الانفال التي قال الله في كتابه ماهي ؟ قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه ، فقال ابن عباس أتدرون مامثل هذا؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اذا سئل عن شيء قال لا آمرك ولا أنهاك ، ثم قال ابن عباس والله مابعث الله نبيه ﷺ إلا زاجراً آمراً محللا محرما . قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل فسأله عن الانفال فقال ابن عباس : كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم أعاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس : أتدرون مامثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب حتى سالت الدماء على عقبيه أو على رجليه ، فقال الرجل أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك . وهذا اسناد صحيح إلى ابن عباس أنه فسر النفل بما ينفله الامام لبعض الاشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل والله أعلم

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد إنهم سألوا رسول الله ﷺ عن الخمس بعد الاربعة من الاخماس فنزلت (يسألونك عن الانفال) وقال ابن مسعود ومسروق لانفل يوم الزحف انما النفل قبل التقاء

قال يوم بدر « من أتى مكان كذا فله من النفل كذا ، ومن قتل قتيلا فله كذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا » فلما التقوا تسارع اليه الشبان وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات . فلما فتح الله على المسلمين جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ فقال الاشياخ كنا ردءاً لكم ولو انهزمتم لا نحرفتم الينا فلا تذهبوا بالغنائم دوننا . وقام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري أخو بني سلمة فقال يارسول الله إنك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا ، ومن أسر اسيراً فله كذا ،وانا قد قتلنا منهم سبعين وأسرنا منهم سبعين ، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال والله يارسول الله ما منعنا أن نطلب ما يطلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا أن تعرى مصافك ، فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبوك فاعرض عنهما رسول الله ﷺ فقال سعد يارسول الله : ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذي ذكرت لايبقى لاصحابك كثير شيء فنزلت (يسألونك عن الانفال)

الصفوف رواه ابن أبي حاتم عنهما ، وقال ابن المبارك وغير واحد عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في الآية (يسألونك عن الانفال) قال يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد أو أمة أو متاع فهو نفل للنبي ﷺ يصنع به مايشاء ، وهذا يقتضي أنه فسر الأنفال بالفيء وهو ماأخذ من الكفار من غير قتال . قال ابن جرير وقال آخرون: هي أنفال السرايا حدثني الحارث حدثنا عبدالعزيز حدثنا علي بن صالح بن حي" قال بلغني في قوله تعالى (يسألونك عن الانفال) قال السرايا ومعنى هذا ماينفله الامام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش . وقد صرح بذلك الشعبي.واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم ويشهد لذلك ماورد في سبب نزول الآية وهو مارواه الامام أحمد حيث قال : حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو اسحاق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر وقتل أخي عمير قتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فأتيت به النبي ﷺ فقال « اذهب فاطرحه في القبض » قال فرجعت وبي مالا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي قال فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله (ص) « اذهب فخذ سلبك »

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك قال: قلت يارسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين فهب لي هذا السيف، فقال «إن هذا السيف لا لك ولا لي ضعه» قال فوضعته ثم رجعت فقلت عسى أن يعطى هذا السيف من لا يبلي بلائي ، قال فاذا رجل يدعوني من ورائي قال قلت قد أنزل الله في شيئاً ؟ قال كنت سألتني السيف وليس هو لي وانه قد وهب لي فهو لك قال وأنزل الله هذه الآية (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن أبي بكر بن عياش به وقال الترمذي حسن صحيح وهكذا رواه

وقال ابن اسحاق أمر رسول الله ﷺ بما في العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه و لنا فقد كان رسول الله ﷺ نفل كل امريء ما أصاب ، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما أصبتموه، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ لقد رأينا ان نقتل العدو ونأخذ المتاع ولكنا خفنا على رسول الله ﷺ كرة العدو وقمنا دونه فما انتم باحق به منا ، وروى مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال قال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بيننا عن بواء . يقول على السواء وكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله، وصلاح ذات البين ، وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما كان يوم بدر قتل أخي عمير ، وقتلت سعيد بن العاص بن امية وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فأعجبني فجئت به الى النبي ﷺ فقلت يارسول الله : ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال « ليس هذا لي، ولا لك اذهب فاطرحه في القبض»

أبو داود الطيالسي أخبرنا شعبة أخبرنا سماك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال نزلت في أربع آيات أصبت سيفا يوم بدر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنيه، فقال «ضعه من حيث أخذته» مرتين ثم عاودته فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ضعه من حيث أخذته» فنزلت هذه الآية (يسألونك عن الانفال) الآية وتمام الحديث في نزول (ووصينا الانسان بوالديه حسناً) وقوله تعالى (انما الخمر والميسر) وآية الوصية وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة به، وقال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة قال: سمعت أبا أسيد مالك ابن ربيعة يقول أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر وكان السيف يدعى بالمرزبان، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا مافي أيديهم من النفل أقبلت به فألقيته في النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمنع شيئاً يسئله فرآه الارقم بن أبي الارقم المخزومي فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياه، ورواه ابن جرير من وجه آخر

(سبب آخر في نزول الآية)

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن سلمة عن ابن اسحاق عن عبد الرحمن عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال سألت عبادة عن الانفال فقال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء، يقول عن سواء. وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية بن عمر أخبرنا أبو اسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدراً فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأقبلت طائفة على العسكر

فطرحته ورجعت وبي مالا يعلمه الا الله من قتل اخي، واخذ سلاحي. وقلت: عسى أن يعطي هذا السيف من لم يبل بلائي، فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول رسول الله ﷺ وقد أنزل الله عز وجل (يسألونك عن الانفال) الآية فخفت أن يكون قد نزل في شيء فلما انتهيت الى رسول الله ﷺ قال «ياسعد إنك سألتني السيف وليس لي، وانه قد صار لي الآن فاذهب فخذه فهو لك» وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المغانم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لاحد فيها شيء، وما اصاب سرايا المسلمين من شيء آتوه به فمن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غلول قوله (يسألونك عن الانفال) أى عن حكم الانفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب. وقيل هو سؤال طلب قاله الضحاك وعكرمة. وقوله (عن الانفال) أي من الانفال عن بمعنى من وقيل عن صلة أي يسألونك الانفال، وهكذا قراءة ابن مسعود بحذف عن. والانفال الغنائم واحدها نفل واصله الزيادة يقال نفلتك وأنفلتك أي زدتك. سميت الغنائم أنفالا لانها زيادة من الله لهذه الامة

يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى اذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض . قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين وكان رسول الله ﷺ اذا أغار في أرض العدو نفل الربع ، فاذا أقبل راجعاً نفل الثلث، وكان يكره الانفال ، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث به بنحوه قال الترمذي هذا حديث صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن الحارث وقال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه . وروى أبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه واللفظ له وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا » فتسارع في ذلك شبان القوم وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت المغانم جاؤا يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا ردءاً لكم لو انكشفتم لفئتم الينا. فتنازعوا فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الانفال — إلى قوله — وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)

وقال الثوري عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « من قتل قتيلا فله كذا وكذا ، ومن أتى بأسير فله كذا وكذا » فجاء أبو اليسر بأسيرين فقال يارسول الله صلى الله عليك أنت وعدتنا فقام سعد بن عبادة فقال يارسول الله : انك لوأعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء ، وانه لم يمنعنا من هذا زهادة في الاجر، ولا جبن عن العدو ، وانما قمنا هذا المقام محافظة عليك مخافة أن يأتوك من ورائك، فتشاجروا ونزل القرآن (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) قال ونزل القرآن (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه) إلى آخر الآية .

وقال الامام أبو عبيد الله القاسم ابن سلام رحمه الله في كتاب الاموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها. أما الانفال فهي المغانم وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب فكانت الانفال الاولى لرسول الله ﷺ يقول الله تعالى (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) فقسمها يوم بدر على ما أراه الله من غير أن يخمسها على ما ذكرناه في حديث سعد ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس فنسخت الاولى، قلت هكذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس سواء ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي ، وقال

على الخصوص، واكثر المفسرين على ان الآية في غنائم بدر ، وقال عطاء هي ماشذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو امة او متاع فهو للنبي ﷺ يصنع به ما شاء ﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ يقسمانها كما شاءا واختلفوا فيه فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الآية منسوخة بقوله

ابن زيد ليست منسوخة بل هي محكمة ، قال أبو عبيد وفي ذلك آثار والانفال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لاهله على مانزل به الكتاب وجرت به السنة ،ومعنى الانفال في كلام العرب كل احسان فعله فاعل تفضلا من غير أن يجب ذلك عليه ، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وانما هو شيء خصهم الله به تطولا منه عليهم بعد أن كانت المغانم محرمة على الامم قبلهم فنفلها الله تعالى هذه الامة فهذا أصل النفل، قلت شاهد هذا مافي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي — فذكر الحديث إلى أن قال — وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي » وذكر تمام الحديث ، ثم قال أبو عبيد ولهذا سمي ماجعل الامام للمقاتلة نفلا وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم يفعل ذلك بهم على قدر الغناء عن الاسلام والنكاية في العدو ، وفي النفل الذي ينفله الامام سنن أربع لكل واحدة منهن موضع غير موضع الاخرى (فاحداهن) في النفل لاخمس فيه وذلك السلب (والثانية) النفل الذي يكون من الغنيمة بعد اخراج الخمس وهو أن يوجه الامام السرايا في أرض الحرب فتأتي بالغنائم فيكون للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث بعد الخمس (والثالثة) في النفل من الخمس نفسه وهو أن تحاز الغنيمة كلها ثم تخمس فاذا صار الخمس في يدي الامام نفل منه على قدر مايرى (والرابعة) في النفل في جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء وهو أن يعطي الادلاء ورعاة الماشية والسواق لها وفي كل ذلك اختلاف

قال الربيع : قال الشافعي الانفال أن لايخرج من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء غير السلب. قال أبو عبيد والوجه الثاني من النفل هو شيء زيدوه غير الذي كان لهم وذلك من خمس النبي ﷺ فان له خمس الخمس من كل غنيمة فينبغي للامام أن يجتهد ، فاذا كثر العدو واشتدت شوكتهم وقل من بازائه من المسلمين نفل منه اتباعا لسنة رسول الله ﷺ واذا لم يكن ذلك لم ينفل (والوجه الثالث) من النفل اذا بعث الامام سرية أو جيشاً فقال لهم قبل اللقاء من غنم شيئاً فهو له بعد الخمس فهو لهم على ماشرط الامام لانهم على ذلك غزوا وبه رضوا انتهى كلامه، وفيما تقدم من كلامه وهو قوله ان غنائم بدر لم تخمس نظر ، ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في شارفيه اللذين حصلا له من الخمس يوم بدر وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بيانا شافياً ولله الحمد والمنة

وقوله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أي اتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه (وأطيعوا

عز وجل (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) الآية كانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ فنسخها الله عز وجل بالخمس وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هي ثابتة غير منسوخة ومعنى الآية قل الانفال لله في الدنيا والآخرة ، وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى أي الحكم فيها لله ورسوله . وقد بين الله مصارفها في قوله عز وجل (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه) الآية ﴿ فاتقوا الله

الله ورسوله) أي في قسمه بينكم على ما أراده الله، فانه إنما يقسمه كما أمره الله من العدل والانصاف وقال ابن عباس هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم وكذا قال مجاهد ،وقال السدي (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أي لا تستبوا . ولنذكر ههنا حديثاً أورده الحافظ أبو يعلى احمد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله في مسنده فانه قال : حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا عبدالله بن بكير حدثنا عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما أضحكك يارسول الله بابي أنت وأمي ؟ فقال « رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة تبارك وتعالى فقال أحدهما . يارب خذ لي مظلمتي من أخي ؛ قال الله تعالى أعط أخاك مظلمته قال : يارب لم يبق من حسناتي شيء قال : رب فليحمل عني أوزاري » قال : ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال « إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب ارفع بصرك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يارب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ . لاي نبي هذا ؟ لاي صديق هذا ؟ لاي شهيد هذا ؟ قال هذا لمن أعطى ثمنه، قال يارب ومن يملك ثمنه؟ قال أنت تملكه قال ماذا يارب؟ قال تعفو عن أخيك، قال يارب فاني قد عفوت عنه، قال الله تعالى خذ بيد أخيك فادخلا الجنة» ثم قال رسول الله ﷺ «فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة»

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين

واصلحوا ذات بينكم ﴾ أي اتقوا الله بطاعته، واصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة، وتسليم امر الغنيمة الى الله والرسول ﷺ ﴿ واطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين . إنما المؤمنون ﴾ يقول ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في إيمانهم ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ خافت وفرقت قلوبهم وقيل إذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ تصديقا ويقينا، وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا قيل فما زيادته قال اذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه فذلك زيادته، واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، وكتب عمر

ثم وصف الله المؤمنين فقال (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) يقول زادتهم تصديقاً (وعلى ربهم يتوكلون) يقول لايرجون غيره وقال مجاهد (وجلت قلوبهم) فرقت أي فزعت وخافت ، وكذا قال السدي وغير واحد ، وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي خاف منه ، ففعل أوامره ، وترك زواجره كقوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله؟ ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) وكقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فان الجنة هي المأوى) ولهذا قال سفيان الثوري سمعت السدي يقول في قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال هو الرجل يريد أن يظلم أو قال يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيجل قلبه ، وقال الثوري أيضاً عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء في قوله (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة ؟ قال بلى قالت إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك فان الدعاء يذهب ذلك، وقوله (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) كقوله واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) وقد استدل البخاري وغيره من الائمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الايمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الامة بل قد حكى الاجماع عليه غير واحد من الائمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد كما بينا ذلك مستقصى في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة (وعلى ربهم يتوكلون) أي لايرجون سواه ولا يقصدون إلا اياه ولا يلوذون الا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج الا منه ، ولا يرغبون الا اليه ، ويعلمون أنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف فى الملك لاشريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير التوكل على الله جماع الايمان

وقوله (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ينبه تعالى بذلك على أعمالهم بعد ماذكر اعتقادهم وهذه الاعمال تشمل أنواع الخير كلها ، وهو اقامة الصلاة وهو حق الله تعالى وقال قتادة اقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها ، وقال مقاتل بن حيان اقامتها المحافظة على

ابن عبدالعزيز الى عدي بن عدي: إن للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي يفوضون اليهم أمورهم، ويثقون به ولا يرجون غيره ولايخافون سواه ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقا﴾ يعني يقينا قال ابن عباس برؤا من الكفر قال مقاتل حقاً لاشك في إيمانهم ، وفيه دليل على انه ليس لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمنا حقاً لان الله تعالى إنما وصف بذلك قوما مخصوصين على أوصاف مخصوصة. وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه، وقال ابن أبي نجيح سأل رجل الحسن فقال

مواقيتها واسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ هذا اقامتها والانفاق مما رزقهم الله يشمل اخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب، والخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه. قال قتادة في قوله (ومما رزقناهم ينفقون) فانفقوا مما أعطاكم الله فانما هذه الاموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم أو شكت أن تفارقها.

وقوله (أولئك هم المؤمنون حقاً) أي المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الايمان. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن محمد ابن أبي الجهم عن الحارث بن مالك الانصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له «كيف أصبحت يا حارث؟» قال: أصبحت مؤمنا حقاً. قال «انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتضاغون فيها. فقال «يا حارث عرفت فالزم» ثلاثا وقال عمرو بن مرة في قوله تعالى (أولئك هم المؤمنون حقاً) انما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك فلان سيد حقاً وفي القوم سادة، وفلان تاجر حقاً وفي القوم تجار. وفلان شاعر حقاً وفي القوم شعراء. وقوله (لهم درجات عند ربهم) أي منازل ومقامات ودرجات في الجنات كما قال تعالى (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) ومغفرة أي يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات. وقال الضحاك في قوله (لهم درجات عند ربهم) أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذي هو فوق فضله على الذي هو أسفل منه، ولا يرى الذي هو أسفل منه انه فضل عليه أحد، ولهذا جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «ان أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق من آفاق السماء» قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا ينالها غيرهم فقال «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» وفي الحديث الآخر الذي رواه الامام احمد وأهل السنن من

أمؤمن انت؟ فقال ان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مؤمن، وان كنت تسألني عن قوله (انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الآية فلا أدري أمنهم انا أم لا، وقال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم؟ قالوا نحن المؤمنون حقاً فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال أفلا قلتم أمن اهل الجنة أنتم؟ ان المؤمنين أهل الجنة، وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقاً او عند الله ثم لم يشهد انه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ قال عطاء يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم، وقال الربيع بن أنس سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين خريفاً ﴿ومغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ حسن

حديث ابن أبي عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ «ان أهل الجنة ليتراءون أهل الدرجات العلى كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء وان أبابكر وعمر منهم وأنعما»

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)

قال الامام أبو جعفر الطبري اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه الكاف في قوله (كما أخرجك ربك) فقال بعضهم شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم واصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله ثم روى عن عكرمة نحو هذا ، ومعنى هذا أن الله تعالى يقول كما انكم لما اختلفتم في المغانم وتشاححتم فيها فانتزعها الله منكم وجعلها الى قسمه وقسم رسوله ﷺ فقسمها على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم وكذلك لما كرهتم الخروج الى الاعداء من قتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم واحراز عيرهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بان قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشدا وهدى ، ونصراً وفتحاً ، كما قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق)

يعني ما أعد لهم في الجنة .

قوله تعالى ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله (كما أخرجك ربك) قال المبرد تقديره الانفال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل تقديره امض لامر الله في الانفال وإن كرهوا كما أمضيت لامر الله في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون ، وقال عكرمة معناه : فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم) كما أن اخراج محمد ﷺ من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم ، وقال مجاهد معناه كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلون فيه وقيل هو راجع الى قوله (لهم درجات عند ربهم) تقديره وعد الدرجات لهم حق حتى ينجزه الله عز

على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه بعد ماتبين لهم . ثم روي عن مجاهد نحوه أنه قال (كما أخرجك ربك) قال كذلك يجادلونك في الحق . وقال السدي أنزل الله في خروجه الى بدر ومجادلتهم اياه فقال (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون) لطلب المشركين يجادلونك في الحق بعد ماتبين ، وقال بعضهم يسألونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له . قلت رسول الله ﷺ انما خرج من المدينة طالبا لعير أبي سفيان التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام فيها أموال جزيلة لقريش فاستنهض رسول الله ﷺ المسلمين من خف منهم فخرج في ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، وطلب نحو الساحل من على طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ في طلبه فبعث ضمضم بن عمرو نذيراً الى أهل مكة فنهضوا في قريب من الف مقنع مابين التسعمائة الى الالف ، وتيامن أبو سفيان بالعير الى سيف البحر فنجا وجاء النفير فوردوا ماء بدر وجمع الله بين المسلمين والكافرين على غير ميعاد لما يريد الله تعالى من اعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم والتفرقة بين الحق والباطل كما سيأتي بيانه ، والغرض أن رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير أوحى الله اليه يعده احدى الطائفتين اما العير واما النفير ورغب كثير من المسلمين إلى العير لانه كسب بلا قتال كما قال تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن احمد الطبراني حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الانصاري يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة « اني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله أن يغنمناها » فقلنا نعم ، فخرج وخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال لنا « ماترون في قتال القوم فانهم قد أخبروا بخروجكم؟ » فقلنا لا والله مالنا طاقة بقتال العدو ولكنا أردنا العير ثم قال « ماترون في قتال القوم؟ » فقلنا مثل ذلك فقال المقداد بن عمرو اذا لا نقول لك يارسول الله كما قال قوم موسى لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قال فتمنينا معشر الانصار أن لو قلنا كما قال المقداد أحب الينا من أن يكون لنا مال عظيم . قال : فأنزل الله على رسوله ﷺ (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون) وذكر تمام الحديث ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن لهيعة بنحوه ، وروى ابن مردويه أيضا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ الى بدر حتى اذا كان بالروحاء خطب الناس

وجل (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) فانجز الوعد بالنصر والظفر ، وقيل الكاف بمعنى على تقديره أمض على الذي أخرجك ربك ، وقال أبو عبيدة هي بمعنى القسم مجازها والذي اخرجك لان مافي موضع الذي وجوابه يجادلونك وعليه يقع القسم تقديره يجادلونك والله الذي أخرجك من بيتك

فقال « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر يارسول الله بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا قال : ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون؟ » فقال سعد بن معاذ يارسول الله ايانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ماسلكتها قط ولا لي بها علم ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما متبعون ، ولعلك أن تكون خرجت لامر وأحدث الله اليك غيره فانظر الذي أحدث الله اليك فامض له، فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ماشئت. فنزل القرآن على قول سعد (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون) الآيات ، وقال العوفي عن ابن عباس لما شاور النبي ﷺ في لقاء العدو وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس أن يتهيئوا للقتال وأمرهم بالشوكة فكره ذلك أهل الايمان فأنزل الله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون* يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) وقال مجاهد يجادلونك في الحق : في القتال ، وقال محمد بن اسحاق (يجادلونك في الحق) أي كراهية للقاء المشركين ، وانكاراً لمسير قريش حين ذكروا له

وقال السدي (يجادلونك في الحق بعد ماتبين) أي بعد ماتبين لهم انك لا تفعل الا ما أمرك الله به قال ابن جرير وقال آخرون عنى بذلك المشركين . حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى (يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون)قال هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون الى الموت حين يدعون الى الاسلام وهم ينظرون . قال وليس هذا من صفة الآخرين هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر ، ثم قال ابن جرير ولا معنى لما قاله لان الذي قبل قوله (يجادلونك في الحق) خبر عن أهل الايمان والذي يتلوه خبر عنهم ، والصواب قول ابن عباس وابن اسحاق انه خبر عن المؤمنين وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق وهو الذي يدل عليه سياق الكلام والله أعلم .

وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن بكير وعبد الرزاق قالا حدثنا اسرائيل عن سماك عن

بالحق . وقيل الكاف بمعنى إذ تقديره واذكر إذ أخرجك ربك ،وقيل المراد بهذا الاخراج هو اخراجه من مكة الى المدينة والاكثرون على أن المراد منه إخراجه من المدينة إلى بدر أي كما أمرك ربك بالخروج من (بيتك)المدينة (بالحق)قيل بالوحي لطلب المشركين ﴿وان فريقا من المؤمنين﴾ منهم ﴿لكارهون يجادلونك في الحق﴾ أي في القتال ﴿بعد ماتبين﴾ وذلك ان المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا للعير فذلك جدالهم بعد ماتبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله ، وتبين صدقك في الوعد ﴿كأنما يساقون الى الموت﴾ لشدة كراهيتهم للقتال ﴿وهم ينظرون﴾

عكرمة عن ابن عباس قال : قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس بن عبد المطلب قال عبد الرزاق وهو أسير في وثاقه إنه لايصلح لك ، قال ولم ؟ قال لان الله عز وجل انما وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك الله ماوعدك اسناد جيد ولم يخرجه[1] ومعنى قوله تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) أي يحبون أن الطائفة التي لاحد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهي العير (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) أي هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم ، ويظهر دينه ويرفع كلمة الاسلام ويجعله غالباً على الاديان وهو أعلم بعواقب الامور وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره ، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم كقوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم)

وقال محمد بن اسحاق رحمه الله حدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله ابن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله ﷺ بابي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم ، وقال هـذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ، ويسأل من لقي من الركبان تخوفا على أمر الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر اصحابه

[1] وفي الازهرية: ولم يخرجوه يعني الشيخين وأصحاب السنن

فيه تقديم وتأخير تقديره وان فريقاً من المؤمنين لكارهون (كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون) (يجادلونك في الحق بعد ماتبين) قال ابن زيد هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كانما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الاسلام لكراهيتهم إياه وهم ينظرون

قوله تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ قال ابن عباس وابن الزبير ومحمد بن اسحاق والسدي أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش في أربعين راكبا من كبار قريش فيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ، وفيها تجارة كثيرة وهي اللطيمة حتى إذا كانوا قريباً من بدر فبلغ النبي ﷺ ذلك فندب أصحابه اليه ، واخبرهم بكثرة المال وقلة العدد ، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله تعالى أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم ابن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي : والله لقد رأيت

لك واعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى أهل مكة وأمره أن يأتي

الليلة رؤيا أفزعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم علي ما أحدثك فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكبا أقبل على بعيرله حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فأرى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينماهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها باعلا صوته ألا انفروا يا آل غدر في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا رأيت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال ياأبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا قال فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لى أبو جهل يابني عبد المطلب متي حدثت هذه النبية فيكم ؟ قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة قلت وما رأت قال يابني عبد المطلب أما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قدزعمت عاتكة في رؤياهاانه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت في العرب، فقال العباس والله ماكان مني اليه كثير الا اني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبقِ امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت؟ قال قلت والله قد فعلت ما كان مني اليه من كبير وأيم الله لأتعرضن له فان عاد لأكفيكنه، قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى ان قد فاتني منه أمر أحب ان أدركه منه، قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله اني لامشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ماقال فأقع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرقا مني ان أشاتمه؟ قال فاذا هو قد سمع مالم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع أنف بعيره وحول رحله وشق قميصه وهويقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث ، قال فشغلني عنه وشغله عني ما جاء به من الامر، فتجهز الناس سراعا فلم يتخلف من أشراف قريش أحد. الا ان أبا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني

قريشاً فيستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم ان محمداً قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذَفِران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام المقداد ابن عمرو فقال يارسول الله امض لما أراك الله به فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى (برك الغماد) يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ثم قال رسول الله ﷺ «أشيروا علي أيها الناس» وإنما يريد الانصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا براء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة

بكر بن عبد مناف بن كنانة بن الحارث فقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعا وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه في ليال مضت من شهر رمضان حتى إذا بلغ واديا يقال له ذَفِران فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فأخبره بهم، وبعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له من جهينة حليفاً للانصار يدعى عبد الله بن أريقط فأتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله ﷺ فنزل جبريل وقال: ان الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشا، وكانت العير أحب اليهم فاستشار النبي ﷺ أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبوبكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يارسول الله امض لما أراك الله فنحن معك فوالله ما نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير. ثم قال رسول الله ﷺ «أشيروا علي أيها الناس» وانما يريد الانصار وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يارسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى

من عدوه ، وان ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال له سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال أجل فقال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما امرك الله فوالذى بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر عند الحرب[1] صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا ، وكذلك قال السدى وقتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف والخلف اختصرنا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن اسحاق .

١) صبر وصدق كل منهما بضمتين جمع صبور وصدوق

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملئكة مردفين (٩)

عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ، قال « أجل » قال فانا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئتنا به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلف منا رجل واحد ومانكره ان تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر عند الحرب صدق في اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا يارسول الله على بركة الله . فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك قال « سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم » قال ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « هذا مصرع فلان » وهذا مصرع فلان قال ويضع يده على الارض ههنا وههنا قال فما ماط أحد عن موضع يد رسول الله ﷺ فذلك قوله تعالى (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) أي الفريقين احداهما أبو سفيان مع العير والاخرى أبو جهل مع النفير ﴿وتودون﴾ أي تريدون ﴿ أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ يعني العير التي ليس فيها قتال والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ﴿ ويريد الله أن يحق الحق ﴾ أي يظهره ويعليه ﴿بكلماته﴾ بأمره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت من اظهاره الدين واعزازه ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ أي يستأصلهم حتى لايبقى منهم أحد يعني كفار العرب ﴿ ليحق الحق ﴾ ليثبت الاسلام ﴿ ويبطل الباطل ﴾ أي يفنى الكفر ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ المشركون، وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان
قوله تعالى ﴿ اذ تستغيثون ربكم ﴾ تستجيرن به من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر روي

وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم (١٠)

قال الامام أحمد : حدثنا أبو نوح قراد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ الى أصحابه وهم ثلثمائة ونيف ونظر الى المشركين فاذا هم الف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وازاره ثم قال « اللهم أنجزلي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد في الارض أبدا » قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين) فلما كان يومئذ التقوا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلا، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليا فقال أبو بكر : يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » قال : قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان فقلت : ما يبكيك أنت وصاحبك؟ فان وجدت بكاء بكيت، وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. قال النبي ﷺ «للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة » لشجرة قريبة من النبي ﷺ وأنزل الله عز وجل (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض — الى قوله — فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فأحل لهم الغنائم .فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا

عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا دخل العريش هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه واستقبل القبلة ومد يديه فجعل يهتف بربه عز وجل «اللهم انجزلي ماوعدتنى اللهم انك ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد في الارض» فما زال يهتف بربه عز وجل مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ماوعدك. فأنزل الله عز وجل ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم

بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه فأنزل الله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير) بأخذكم الفداء ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طرق عن عكرمة بن عمارية وصححه علي بن المديني والترمذي وقالا لا يعرف الا من حديث عكرمة بن عمار اليماني وهكذا روى علي ابن أبي طالحة والعوفي عن ابن عباس أن هذه الآية الكريمة قوله (اذ تستغيثون ربكم) في دعاء النبي ﷺ و كذا قال يزيد بن تبيع والسدي وابن جريج وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح قال: لما كان يوم بدر جعل النبي ﷺ يناشد ربه أشد المناشدة يدعو فاتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يارسول الله: بعض مناشدتك فوالله ليفين الله لك بما وعدك قال البخاري في كتاب المغازي . باب قول الله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم — إلى قوله — فان الله شديد العقاب) حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان أكون صاحبه أحب الي مما عدل به: أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : لا نقول كما قال قوم موسى (اذهب أنت وربك فقاتلا) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره يعني قوله . حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد » فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك فخرج وهو يقول « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ورواه النسائي عن بندار عن عبد الوهاب عن عبد المجيد الثقفي وقوله تعالى (بالف من الملائكة مردفين) أي يردف بعضهم بعضا كما قال هارون ابن هبيرة عن ابن عباس (مردفين) متتابعين ويحتمل أن المراد (مردفين) لكم أي نجدة لكم كما

أني ممدكم ﴾ مرسل اليكم مددا وردءاً لكم ﴿ بألف من الملائكة مردفين ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال أي أردف الله المسلمين وجاء بهم مددا ، وقرأ الآخرون بكسر الدال أي متتابعين بعضهم في إثر بعض يقال أردفته وردفته بمعنى تبعته يروى انه نزل جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه عز وجل، وقال أبو بكر ان الله منجز لك ماوعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال ياأبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا

قال العوفي عن ابن عباس (مردفين) يقول المدد كما تقول أنت للرجل زده كذا وكذا وهكذا . قال مجاهد وابن كثير القاري، وابن زيد (مردفين) ممدين ، وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس (يمددكم ربكم بألف من الملائكة مردفين) قال وراء كل ملك ملك ، وفي رواية بهذا الاسناد (مردفين) قال بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا اسحق حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربعي عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي رضي الله عنه قال : نزل جبريل في الف من الملائكة عن ميمنة النبي ﷺ وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل في الف من الملائكة عن ميسرة النبي ﷺ وأنا في الميسرة . وهذا يقتضي إن صح اسناده ان الالف مردفة بمثلها ولهذا قرأ بعضهم (مردَفين) بفتح الدال والله أعلم .

والمشهور مارواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : وأمدّ الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة ، وروى الامام أبو جعفر ابن جرير ومسلم من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن وليد الحنفي عن ابن عباس عن عمر الحديث المتقدم ثم قال أبو زميل : حدثني ابن عباس قال : بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً قال فنظر اليه فاذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك أجمع فجاء الانصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين

وقال البخاري (باب شهود الملائكة بدرا) حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال « من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها » قال « وكذلك من شهد بدرا من الملائكة » انفرد باخراجه البخاري وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ، والصواب رواية البخاري والله أعلم ، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة « انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم »

عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » وقال عبد الله بن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا ، وروي عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ماذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة

وقوله تعالى (وما جعله الله إلا بشرى) الآية . أي وما جعل الله بعث الملائكة واعلامه اياكم بهم إلا بشرى (ولتطمئن به قلوبكم) وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله أي بدون ذلك ولهذا قال (وما النصر إلا من عند الله) كما قال تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها * ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقال تعالى (وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فهذه حكم شرع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها وقد كان تعالى انما يعاقب الامم السالفة المكذبة للانبياء بالقوارع التي تعم تلك الامم المكذبة كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وعاداً الاولى بالدبور ، وثمود بالصيحة ، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل ، وقوم شعيب بيوم الظلة ، فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليم ثم أنزل على موسى التوراة شرع فيها قتال الكفار واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك كما قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر) وقتل المؤمنين للكافرين أشد اهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الامة (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين) ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون اليهم بأعين ازدرائهم أنكى لهم وأشفى لصدور حزب الايمان، فقتل أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى أشد اهانة له من موته على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك كما مات أبو لهب لعنه الله بالعدسة بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، وانما غسلوه بالماء قذفا من بعيد، ورجموه حتى دفنوه ، ولهذا قال تعالى (إن الله عزيز) أي له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة كقوله (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) ﴿ حكيم ﴾ فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم واهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى

﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطن وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام (١١) إذ يوحي ربك إلى الملئكة أني

قوله تعالى ﴿ وما جعله الله ﴾ يعني الامداد بالملائكة ﴿ الا بشرى ﴾ أي بشارة ﴿ ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم * اذ يغشيكم النعاس ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يغشاكم) بفتح الياء (النعاس) رفع على ان الفعل له لقوله تعالى في سورة آل عمران (أمنة نعاسا يغشى

معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان (١٢) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب (١٣) ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار (١٤)

يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أمانا أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد كما قال تعالى (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) الآية . قال أبو طلحة : كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ، ولقد سقط السيف من يدي مراراً يسقط وآخذه ، ويسقط وآخذه ولقد نظرت اليهم يميدون وهم تحت الجحف

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا ابن مهدي عن شعبة عن أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح . وقال سفيان الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : النعاس في القتال أمنة من الله ، وفي الصلاة من الشيطان ، وقال قتادة النعاس في الرأس ، والنوم في القلب ، قلت أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد وأمر ذلك مشهور جداً ، وأما الآية الشريفة انما هي[1] في سياق قصة بدر ، وهي دالة على وقوع ذلك أيضاً وكأن ذلك كائن للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله ، وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمته عليهم وكما قال تعالى (فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه وهما يدعوان أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع » ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر)

وقوله (وينزل عليكم من السماء ماء) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : نزل النبي

«١» الوجه ان يقال فانما هي الخ وفي الازهرية واما يوم بدر فهذه الآية الشريفة انما هي في سياق قصة بدر

طائفة منكم) وقرأ أهل المدينة (يغشيكم) بضم الياء وكسر الشين خفيف (النعاس) نصب لقوله تعالى (كانما أغشيت وجوههم) وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الشين مشدد ، النعاس نصب على أن الفعل لله عز وجل لقوله تعالى (فغشاها ماغشى) والنعاس النوم الخفيف ﴿أمنة﴾ امنا ﴿منه﴾ مصدر أمنت أمنا وأمنة وأمانا ، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب

ﷺ حين سار الى بدر والمشركون بينهم وبين الماء رملة دعصة وأصاب المسلمين ضعف شديد والقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فامطر الله عليهم مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان وثبت الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم، وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة . وكذا قال العوفي عن ابن عباس إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه فاصاب المؤمنين الظمأ فجعلوا يصلون مجنبين محدثين حتى تعاطوا ذلك في صدرهم فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي فشرب المؤمنون وملؤا الاسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة فجعل الله في ذلك طهورا وثبت به الاقدام وذلك انه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله المطر عليها فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الاقدام . ونحو ذلك روي عن قتادة والضحاك والسدي ، وقد روي عن سعيد بن المسيب والشعبي والزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه طش أصابهم يوم بدر. والمعروف أن رسول الله ﷺ لما سار الى بدر نزل على أدنى ماء هناك أي أول ماء وجده فتقدم اليه الحباب بن المنذر فقال يارسول الله هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلك الله إياه فليس لنا أن نجاوزه أو منزل نزلته للحرب والمكيدة فقال « بل منزل نزلته للحرب والمكيدة » فقال يارسول الله ان هذا ليس بمنزل ولكن سر بنا حتى ننزل على أدنى ماء يلي القوم ونغور ماوراءه من القلب ، ونستقي الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء فسار رسول الله ﷺ ففعل كذلك ، وفي مغازي الاموي أن الحباب لما قال ذلك نزل ملك من السماء وجبريل جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الملك : يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول لك ان الرأي ما أشار به الحباب بن المنذر فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل فقال « هل تعرف هذا ؟ » فنظر اليه فقال : ما كل الملائكة أعرفهم وانه ملك وليس بشيطان . وأحسن مافي هذا مارواه الامام محمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازي رحمه الله حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : بعث الله السماء وكان الوادي دهسا فاصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبد لهم الارض ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشا مالم يقدروا على أن يرحلوا معه وقال مجاهد : أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس فاطفأ بالمطر الغبار وتلبدت به الارض وطابت نفوسهم وثبتت به

أعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر وأصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم مجنبين وأصابهم الظمأ ، ووسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون أن تظهروا عليهم ، فأرسل الله عز وجل عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المؤمنون واغتسلوا

أقدامهم ، وقال ابن جرير : حدثنا هارون بن اسحق حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا اسرائيل حدثنا أبو اسحق عن جارية عن علي رضي الله عنه قال : أصابنا من الليل طش من المطر يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله ﷺ وحرض على القتال . وقوله (ليطهركم به) أي من حدث أصغر أو أكبر وهو تطهير الظاهر (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي من وسوسة أو خاطر سيء وهو تطهير الباطن كما قال تعالى في حق أهل الجنة (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة) فهذا زينة الظاهر (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أي مطهرا لما كان من غل أو حسد أو تباغض وهو زينة الباطن وطهارته (وليربط على قلوبكم) أي بالصبر والاقدام على مجالدة الاعداء وهو شجاعة الباطن (ويثبت به الاقدام) وهو شجاعة الظاهر والله أعلم ،

وقوله (اذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتمجد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحي اليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا قال ابن اسحق : وازروهم ، وقال غيره : قاتلوا معهم ، وقيل كثروا سوادهم ، وقيل كان ذلك بان الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ فيقول سمعت هؤلاء القوم يعنى المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم حكاه ابن جرير وهذا لفظه بحروفه ، وقوله (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) أي ثبتوا أنتم المؤمنين وقووا أنفسهم على أعدائهم عن أمري لكم بذلك ، سألقي الرعب والذلة والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أي، اضربوا الهام ففلقوها ، واحتزوا الرقاب

وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الأسقية وأطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الاحداث والجنابة ﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ ووسوسته ﴿ وليربط على قلوبكم ﴾ باليقين والصبر ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض. وقيل يثبت به الاقدام بالصبر وقوة القلب ﴿ إذ يوحي ربك الى الملائكة ﴾ الذين أمدّ بهم المؤمنين ﴿ اني معكم ﴾ بالعون والنصرة ﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ أي قووا قلوبهم . قيل ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم أي ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين . وقال مقاتل : أي بشروهم بالنصر ، وكان الملك يمشي أمام الصف في صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم ﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ قال عطاء : يريد الخوف من أوليائي ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ قيل هذا خطاب مع المؤمنين ، وقيل هذا خطاب مع الملائكة وهو متصل بقوله (فثبتوا الذين آمنوا) وقوله (فوق الاعناق) قال عكرمة يعني الرءوس

نقطعوها ، وقطعوا الاطراف منهم وهي أيديهم وأرجلهم ، وقد اختلف المفسرون في معنى (فوق الاعناق) فقيل معناه اضربوا الرءوس قاله عكرمة وقيل معناه أى على الاعناق وهي الرقاب قاله الضحاك وعطية العوفي ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق) وقال وكيع عن المسعودي عن القاسم قال : قال النبي ﷺ « إني لم أبعث لاعذب بعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الرقاب وشد الوثاق » واختار ابن جرير أنها قد تدل على ضرب الرقاب وفلق الهام، قلت وفي مغازي الاموي أن رسول الله ﷺ جعل يمر بين القتلى يوم بدر فيقول « يفلق هاما » فيقول أبو بكر[1] :

... من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فيبتدىء رسول الله ﷺ باول البيت ويستطعم أبا بكر رضي الله عنه إنشاد آخره لانه كان لا يحسن إنشاد الشعر كما قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وقال الربيع بن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به ، وقوله (واضربوا منهم كل بنان) قال ابن جرير معناه واضربوا من عدوكم أيها المؤمنون كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم ، والبنان جمع بنانة كما قال الشاعر

ألا ليتني قطعت مني بنانة * ولا قيته في البيت يقظان حاذرا(*)

[1] (١) أى يقول متمما للبيت

لانها فوق الاعناق ، وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق و (فوق) صلة كما قال تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) وقيل معناه فاضربوا على الاعناق ، فوق بمعنى على ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ قال عطية يعنى كل مفصل . وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعنى الاطراف ، والبنان جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين . قال ابن الانباري ما كانت الملائكة تعلم كيف يقتل الآدميون فعلمهم الله عز وجل ، أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا زهير ابن حرب ثنا عمرو بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار ثنا أبو زميل هو سماك الحنفي ثنا عبد الله بن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر اليه فاذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك أجمع فجاء الانصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال « صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين . وروي عن أبي داود المازني وكان شهد بدراً قال إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه

(*) كذا والبيت عزاه في لسان العرب وتبعه التاج الى عباس بن مرداس بهذا الضبط :

ألا ليتني قطعت منه بنانة   ولاقيته يقظان في البيت حاذرا

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (واضربوا منهم كل بنان) يعني بالبنان الاطراف وكذا قال الضحاك وابن جرير ، وقال السدي البنان الاطراف ويقال كل مفصل ، وقال عكرمة وعطية العوفي والضحاك في رواية أخرى كل مفصل ، وقال الاوزاعي في قوله تعالى (واضربوا منهم كل بنان) قال اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار فاذا أخذته حرم ذلك كله عليك ، وقال العوفي عن ابن عباس فذكر قصة بدر إلى أن قال فقال أبو جهل لا تقتلوهم قتلا ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرفوهم الذي صنعوا من طعنهم في دينكم ورغبتهم عن اللات والعزى ، فأوحى الله إلى الملائكة (أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) الآية . فقُتل أبوجهل لعنه الله في تسعة وستين رجلا ، وأُسر عقبة بن أبي معيط فقتل صبراً فوفى ذلك سبعين يعني قتيلا ، ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي خالفوهما

سيفي فعرفت انه قد قتله غيري . وروى أبو أمامة سهل بن حنيف عن أبيه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف ، وقال عكرمة قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل القداح وأنحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس أنحت القداح وعندي أم الفضل جالسة اذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري ، فبيناهو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم ، فقال أبو لهب إليّ يا ابن أخي فعندك الخبر ، فجلس اليه والناس قيام عليه قال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال لا شيء والله ان كان الا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا ، وايم الله مع ذلك مالمت الناس لقينا رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والارض لا والله ماتليق شيئاً ولا يقوم لها شيء ، قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فساورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك عليّ يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت أم الفضل الى عمود من عمود الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة وقالت تستضعفه أن غاب عنه سيده ، فقام موليا ذليلا فوالله ماعاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ، وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سلمة ، وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر « كيف أسرت العباس ؟ » قال يارسول الله لقد أعانني عليه رجل مارأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ « لقد أعانك عليه ملك كريم » (ذلك

فساروا في شق وتركوا الشرع والايمان به واتباعه في شق ، ومأخوذ أيضاً من شق العصا وهو جعلها فرقتين (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) أي هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه لا يفوته شيء ولا يقوم لغضبه شيء تبارك وتعالى لا اله غيره ولا رب سواه (ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) هذا خطاب للكفار أي ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا، واعلموا أيضا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولّوهم الادبار (١٥) ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (١٦)

يقول تعالى متوعدا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أي تقاربتم منهم ودنوتم اليهم (فلا تولوهم الادبار) أي تفروا وتتركوا أصحابكم (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال) أي يفر بين يدي قرنه مكيدة ليريه انه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه في ذلك نص عليه سعيد بن جبير والسدي وقال الضحاك أن يتقدم عن أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها (أو متحيزاً إلى فئة) أي فر من ههنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فيجوز له ذلك حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إلى الامام الاعظم دخل في هذه الرخصة قال الامام احمد : حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص

بأنهم شاقوا الله ﴾ خالفوا الله ﴿ ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العذاب * ذلكم ﴾ أي هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكم أيها الكفار ببدر ﴿ فذوقوه ﴾ عاجلا ﴿ وأن للكافرين ﴾ أي واعلموا وأيقنوا ان للكافرين أجلا في المعاد ﴿عذاب النار ﴾ وروى عكرمة عن ابن عباس قال قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو أسير في وثاقه لا تسلح فقال رسول الله ﷺ « لمه ؟ » قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ﴾ أي مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التداني في القتال ، والزحف مصدر ولذلك لم يجمع كقولهم قوم عدل ورضا . قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدوهم بمرة فهم الزحف والجمع الزحوف ﴿فلا تولوهم الادبار﴾ يقول فلا تولوهم ظهوركم أي لا تنهزموا فان المنهزم يولي دبره ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ ظهره ﴿الا متحرفا لقتال﴾ أي منعطفا يري من نفسه الانهزام ، وقصده طلب الغرة ، وهو يريد الكرة ﴿أو متحيزاً الى فئة ﴾ أي منضما صائراً الى جماعة من المؤمنين يريد العود الى القتال. ومعنى الآية: النهي عن الانهزام من

الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة ثم بتنا، ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فان كانت لنا توبة والا ذهبنا، فاتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال «من القوم ؟» فقلنا نحن الفرارون فقال «لا بل أنتم العكارون أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين» قال فاتيناه حتى قبلنا يده، وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن يزيد بن أبي زياد، وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زياد ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد، وزاد في آخره وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (أو متحيزاً إلى فئة) قال أهل العلم معنى قوله «العكارون» أي العطافون، وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أبي عبيدة لما قتل على الجسر بارض فارس لكثرة الجيش من ناحية المجوس فقال عمر لو تحيز إليّ لكنت له فئة هكذا رواه محمد بن سيرين عن عمر، وفي رواية أبي عثمان النهدي عن عمر قال لما قتل أبو عبيدة قال عمر أيها الناس أنا فئتكم، وقال مجاهد قال عمر أنا فئة كل مسلم، وقال عبد الملك بن عمير عن عمر أيها الناس لا تغرنكم هذه الآية فانما كانت يوم بدر وأنا فئة لكل مسلم، وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله المصري حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمي حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر قلت إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا، ولا ندري من الفئة امامنا أو عسكرنا فقال ان الفئة رسول الله ﷺ فقلت إن الله يقول (إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) الآية . فقال إنما أنزلت هذه الآية في يوم بدر لا قبلها ولا بعدها، وقال الضحاك في قوله (أو متحيزاً إلى فئة) المتحيز الفار إلى النبي وأصحابه، وكذلك من فر اليوم إلى أميره وأصحابه، فأما ان كان الفرار لا عن سبب من هذه الاسباب فانه حرام وكبيرة من الكبائر لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل يارسول الله وما هن ؟ قال «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» وله شواهد من وجوه أخر، ولهذا قال تعالى (فقد باء) أي رجع (بغضب من الله ومأواه) أى مصيره ومنقلبه يوم ميعاده (جهنم وبئس المصير)

الكفار والتولي عنهم الا على نية التحرف للقتال، أو الانضمام الى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعودون الى القتال فمن ولى ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد كما قال تعالى ﴿فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ اختلف العلماء في هذه الآية فقال أبو سعيد الخدري هذا في أهل بدر خاصة ما كان يجوز لهم الانهزام لان النبي ﷺ كان معهم، ولم يكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي ﷺ ولو انحازوا لانحازوا إلى المشركين . فأما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض فيكون الفار متحيزاً الى فئة فلا يكون فراره كبيرة، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب

وقال الامام أحمد حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبد الله بن عمر الرقي عن زيد بن أبي أنيسة حدثنا جبلة بن سحيم عن أبي المثنى العبدي سمعت السدوسي يعنى ابن الخصاصية وهو بشير بن معبد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبايعه فاشترط عليّ شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدي الزكاة ، وأن أحج حجة الاسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وان أجاهد في سبيل الله . فقلت يارسول الله أما اثنتان فوالله لا أطيقهما (الجهاد) فانهم زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت (والصدقة) فوالله مالي الا غنيمة وعشر ذود هن رسل أهلي وحمولتهم ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال « فلا جهاد ولا صدقه فبم تدخل الجنة إذاً ؟ » قلت يارسول الله أنا أبايعك فبايعته عليهن كلهن ، هذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن محمد بن يحيى بن حمزة حدثنا اسحاق بن ابراهيم أبو النضر حدثنا يزيد بن ربيعة حدثنا أبو الاشعث عن ثوبان مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » وهذا أيضا حديث غريب جداً ، وقال الطبراني أيضا حدثنا العباس بن مفضل الاسفاطي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حفص بن عمر السني حدثني عمرو بن مرة قال سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت أبي يحدث عن جدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب اليه - غفر له وان كان قد فر من الزحف » وهكذا رواه أبو داود عن موسى بن اسماعيل به وأخرجه الترمذي عن البخاري عن موسى بن اسماعيل به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، قلت ولا يعرف لزيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم عنه سواه ، وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار انما كان حراما على الصحابة لانه[1] كان فرض عين عليهم ، وقيل على الانصار خاصة لانهم بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، وقيل المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة يروى هذا عن عمر وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وأبي نضرة ونافع مولى ابن عمر وسعيد بن جبير والحسن

(١) كذا والمراد لان الجهاد

أوجب الله النار لمن فرّ يوم بدر فلما كان يوم أحد بعد ذلك . قال (إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا . ولقد عفا الله عنهم) ثم كان يوم حنين بعده فقال (ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء)وقال عبدالله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا يارسول الله نحن الفرارون قال « بل أنتم الكرارون انا فئة المسلمين » وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر فقال لو انحاز اليّ كنت له فئة فانا فئة كل مسلم ، وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولى منهزما جاء في الحديث « من الكبائر الفرار من الزحف » وقال عطاء بن أبى رباح هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل (الآن خفف الله عنكم) فليس لقوم أن يفروا

البصري وعكرمة وقتادة والضحاك وغيرهم ، وحجتهم في هذا انه لم تكن عصابة لها شوكة يفيئون اليها إلا عصابتهم تلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض » ولهذا قال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله (ومن يولهم يومئذ دبره) قال ذلك يوم بدر فاما اليوم فان انحاز الى فئة أو مصر أحسبه قال فلا بأس عليه ، وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب قال أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار قال (ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله) فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان — إلى قوله — ولقد عفا الله عنهم) ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين قال (ثم وليتم مدبرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وفي سنن أبي داود والنسائي ومستدرك الحاكم وتفسير ابن جرير وابن مردويه من حديث داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية (ومن يولهم يومئذ دبره) انما أنزلت في أهل بدر ، وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراما على غير أهل بدر ، وان كان سبب نزول الآية فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجماهير والله أعلم

(فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم (١٧) ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين (١٨)

يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد وأنه المحمود على جميع ماصدر منهم من خير لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم ولهذا قال (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) أي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم ، أي بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) الآية ، وقال تعالى (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) يعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس على

من مثليهم فنسخت تلك الا في هذه العدة ، وعلى هذا اكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا ويولوا ظهورهم ، الا متحرفا لقتال أو متحيزاً الى فئة ، وان كانوا أقل من ذلك جاز لهم أن يولوا ظهورهم وينحازوا عنهم . قال ابن عباس : من فر من ثلاثة فلم يفر ، ومن فر من اثنين فقد فر

قوله تعالى ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ قال مجاهد سبب نزول هذه الآية أنهم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل يقول أنا قتلت فلانا ، ويقول الآخر مثله فنزلت الآية ومعناه (فلم تقتلوهم

كثرة العدد ولا بلبس اللأمة والعدد ، وإنما النصر من عنـده تعالى كما قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ثم قال تعالى لنبيه ﷺ أيضاً في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته فرماهم بها وقال « شاهت الوجوه » ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم الا ناله منها ماشغله عن حاله ولهذا قال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) أي هو الذي بلغ ذلك اليهم وكبتهم بها لا أنت ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رفع رسول الله ﷺ يديه يعني يوم بدر فقال « يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبداً » فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم ، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين . وقال السدي قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه يوم بدر « أعطني حصباً من الارض » فناوله حصبا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقال أبو معشر المدني عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قالا لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال « شاهت الوجوه » فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقال عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصبات

أنتم بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصرته إياكم، وتقويته لكم وقيل (ولكن الله قتلهم) بامداد الملائكة ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ قال أهل التفسير والمغازي ندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ووردت عليهم روايا قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فأتوا بهما رسول الله ﷺ فقال لهما « أين قريش ؟ » قالا هم وراء هـذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما « كم القوم ؟ » قالا كثير، قال « ماعدتهم ؟ » قالا لا ندري قال « ماينحرون كل يوم ؟ » قالا يوماعشرة ويوماتسعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القوم بين التسعمائة الى الالف » ثم قال لهما « فمن فيهم من أشراف قريش ؟ » قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبوالبختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعيمة ابن عدى والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل ابن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها » فلما أقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل ـ وهو الكثيب الذي جاءوا منه ـ الى الوادي

فرمى بحصبات ميمنة القوم ، وحصبات في ميسرة القوم ، وحصبات بين أظهرهم وقال « شاهت الوجوه » فانهزموا ، وقد روي في هذه القصة بن عروة ومجاهد وعكرمه وقتادة وغير واحد من الائمة أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين أيضا ، وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا أحمد بن منصور حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا موسى بن يعقوب بن عبدالله بن ربيعة عن يزيد بن عبدالله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمنا . غريب من هذا الوجه ، وههنا قولان آخران غريبان جداً (أحدهما) قال ابن جرير حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمر حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم ابن أبي الحقيق بخيبر دعا بقوس فأتي بقوس طويلة وقال « جيؤوني بقوس غيرها » فجاءوه بقوس كبداء فرمى النبي ﷺ الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه فأنزل الله عز وجل (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهذا غريب واسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ولعله اشتبه عليه أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله ، والا فسياق الآية في سورة الانفال في قصة بدر لامحالة وهذا مما لايخفى على أئمة العلم والله أعلم (والثاني) روى ابن جرير أيضا والحاكم في مستدركه باسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهري أنهما قالا : أنزلت في رمية النبي ﷺ يوم أحد أبيّ بن خلف بالحربة وهو في لأمته فخدشه في ترقوته فجعل يتدأدأ عن فرسه مراراً حتى كانت وفاته بعد أيام قاسى فيها العذاب الاليم موصولا بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة ، وهذا القول عن هذين الامامين غريب أيضاً جداً ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها لاأنها نزلت فيه خاصة كما تقدم والله أعلم ، وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ابن الزبير في قوله (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) أي ليعرف

قال « اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني » فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم، وقال « شاهت الوجوه » فلم يبق منهم مشرك الا دخل في عينيه وفمه ومنخريه منها شيء. فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم، وبحصاة في ميسرة القوم، وبحصاة بين أظهرهم، وقال « شاهت الوجوه » فانهزموا فذلك قوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) إذ ليس في وسع أحد من البشر أن يرمي كفا من الحصى الى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين إلا ويصيبها منه شيء ، وقيل معناه وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ ، وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم إذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا (وليبلي

المؤمنين نعمته عليهم من اظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه وبشكروا بذلك نعمته . وهكذا فسره ابن جرير أيضا ، وفي الحديث « وكل بلاء حسن ابلانا » وقوله (إن الله سميع عليم) أي سميع الدعاء عليم بمن يستحق النصر والغلب ، وقوله (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) هذه بشارة أخرى مع ماحصل من النصر أنه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل مصغر أمرهم وأنهم كل مالهم في تبار ودمار ولله الحمد والمنة

إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين (١٩)

يقول تعالى للكفار (إن تستفتحوا) أي تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم ماسألتم كما قال محمد بن اسحاق وغيره عن الزهري عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتانا بما لا يعرف [1] فاحنه الغداة . وكان استفتاحا منه فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) الى آخر الآية . وقال الامام أحمد حدثنا يزيد يعني ابن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق حدثني الزهري عن عبدالله بن ثعلبة ان أبا جهل قال حين التقى القوم اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف [1] فأحنه الغداة . فكان المستفتح ، وأخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان عن الزهري به ، وكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق الزهري به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وروي نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة ويزيد بن رومان وغير واحد ، وقال السدي كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) يقول قد نصرت ماقلتم وهو محمد ﷺ . وقال

[1] في الازهرية: «بما لا نعرف» بالنون

المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ أي ولينعم على المؤمنين منه نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ﴿ ان الله سميع ﴾ لدعائكم ﴿ عليم ﴾ بنياتكم ﴿ ذلكم ﴾ الذي ذكرت من القتل والرمي والبلاء الحسن ﴿ وان الله ﴾ قيل فيه اضمار أي واعلموا أن الله ﴿ موهن ﴾ مضعف ﴿ كيد الكافرين ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة موهن بالتشديد والتنوين كيد نصب ، وقرأ الآخرون بالتخفيف والتنوين الا حفصا فانه يضيفه ولا ينون ويخفض كيد .

قوله تعالى ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ وذلك ان أبا جهل لعنه الله قال يوم بدر لما التقى الناس اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه . أخبرنا عبد الواحد ابن احمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يعقوب بن

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو قوله تعالى اخباراً عنهم (وإذ قالوا اللهم إن كان هو الحق من عندك)

ابراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال قال عبد الرحمن بن عوف اني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه ياعم أرني أبا جهل فقلت يا ابن أخي وما تصنع به ؟ فقال : عاهدت الله عز وجل ان رأيته ان أقتله أو اموت دونه فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله فما سرني اني بين رجلين بمكانهما فاشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا ابن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «يوم بدر من ينظر لنا ما صنع أبوجهل» قال فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال أنت ابوجهل ؟ فقال وهل فوق رجل قتله قومه أو قتلتموه . قال محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر . قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه أمر بأبي جهل بن هشام أن يلتمس في القتلى، وقال «اللهم لا يعجزنك» قال فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه . قال فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها. ثم مر بابي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه ، وبه رمق فمر عبدالله بن مسعود قال عبدالله بن مسعود وجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت : هل أخزاك الله ياعدو الله قال : وبماذا أخزاني أعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة ؟ قلت: لله ولرسوله ، وروي عن ابن مسعود أنه قال قال لي أبوجهل لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صعبا ثم احتززت رأسه ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هـذا رأس عدو الله أبي جهل فقال « آللهِ الذي لا إله غيره » قلت: نعم والذي لا إله غيره ؟ ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله عز وجل

وقال السدي والكلبي : كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين ، وأهدى الفئتين ، وأكرم الحزبين ، وأفضل الدينين ، ففيه نزلت (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر . وقال عكرمة : قال المشركون والله لا نعرف ماجاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فأنزل الله عز وجل (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أي إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء . وقال أُبيّ بن كعب هذا خطاب لأصحاب رسول الله ﷺ قال الله تعالى للمسلمين (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أي ان تستنصروا فقد جاءكم الفتح والنصر. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا

الآية ، وقوله (وإن تنتهوا) أي عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله (فهو خير لكم) أي في الدنيا والآخرة ، وقوله تعالى (وإن تعودوا نعد) كقوله (وإن عدتم عدنا) معناه وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة نعد لكم بمثل هذه الواقعة . وقال السدي (وإن تعودوا) أي إلى الاستفتاح (نعد) أي إلى الفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم والنصر له وتظفيره على أعدائه والاول أقوى (ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت) اي ولو جمعتم من الجموع ماعسى أن تجمعوا، فان من كان الله معه فلا غالب له (إن الله مع المؤمنين) وهم الحزب النبوي والجناب المصطفوي

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٢٠) ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (٢١) إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢٢) ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له ولهذا قال (ولا تولوا عنه) أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره (وأنتم تسمعون) أي بعد ما علمتم ما دعاكم اليه (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) قيل المراد

عبد الرحيم بن منيب ثنا الفضل بن موسى ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن خباب رضي الله عنه قال شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه وقال « كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين فما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »

قوله ﴿ وان تنتهوا ﴾ يقول للكفار ان تنتهوا عن الكفر بالله وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فهو خير لكم ، وإن تعودوا ﴾ لحربه وقتاله ﴿ نعد ﴾ بمثل الواقعة التي أوقعت بكم يوم بدر . وقيل وان تعودوا الى الدعاء والاستفتاح (نعد) للفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ولن تغني عنكم فئتكم ﴾ جماعتكم ﴿ شيئا ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين ﴾ قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص (وأن الله) بفتح الهمزة أي ولان الله مع المؤمنين لذلك لن تغني عنكم فئتكم شيئا . وقيل هو عطف على قوله (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) وقرأ الآخرون (وإن الله) بكسر الالف على الابتداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه ﴾ أي لا تعرضوا عنه ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ القرآن ومواعظه ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ أي يقولون بألسنتهم سمعنا بآذاننا (وهم لا يسمعون) أي لا يتعظون ولا ينتفعون بسماعهم فكأنهم لم يسمعوا

المشركون واختاره ابن جرير، وقال ابن اسحاق هم المنافقون فانهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا وليسوا كذلك، ثم أخبر تعالى أن هذا الضرب من بنى آدم سيء الخلق والخليقة فقال (إن شر الدواب عند الله الصم) أي عن سماع الحق (البكم) عن فهمه[1] ولهذا قال (الذين لايعقلون) فهؤلاء شر البرية لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما خلقها له وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا، ولهذا شبههم بالانعام في قوله (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء) الآية، وقال في الآية الاخرى (أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقيل المراد بهؤلاء المذكورين نفر من بني عبد الدار من قريش. روي عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير. وقال محمد بن اسحاق هم المنافقون، قلت ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا لان كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح، ثم أخبر تعالى بأنهم لافهم لهم صحيح ولا قصد لهم صحيح لو فرض أن لهم فهما فقال (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) أي لأفهمهم وتقدير الكلام (و) لكن لاخير فيهم فلم يفهمهم لأنه يعلم أنه (لو أسمعهم) أي أفهمهم (لتولوا) عن ذلك قصداً وعناداً بعد فهمهم ذلك (وهم معرضون) عنه

1) هذا غلط ظاهر بل المراد بالبكم الذين يقولون الحق اي فقدوا مزية اللسان حتى كأنهم بكم عاجزون عن النطق. وقوله تعالى (الذين لايعقلون) وصف ثالث لهم لاتعليل لما قبله كما زعم المصنف

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون (٢٤)

قال البخاري (استجيبوا) أجيبوا (لما يحييكم) لما يصلحكم حدثني اسحاق حدثنا روح حدثنا

قوله تعالى ﴿ان شر الدواب﴾ أي شر من دب على وجه الارض من خلق الله ﴿عند الله الصم البكم﴾ عن الحق فلا يسمعونه ولا يقولونه ﴿الذين لايعقلون﴾ أمر الله عز وجل، سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم كما قال تعالى (أولئك كالانعام بل هم أضل) قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار ابن يعلى ابن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد، فقتلوا جميعاً بأحد، وكانوا أصحاب اللواء لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ أي لأسمعهم سماع التفهم والقبول ﴿ولو أسمعهم﴾ بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك ﴿لتولوا وهم معرضون﴾ لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره. وقيل انهم كانوا يقولون للنبي ﷺ أحي لنا قصياً فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن بك، فقال الله عز وجل (ولو أسمعهم) كلام قصي (لتولوا وهم معرضون)

قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾ يقول أجيبوهما بالطاعة ﴿إذا دعاكم﴾ الرسول ﷺ ﴿لما يحييكم﴾ أي الى ما يحييكم. قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا

شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن قال : سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعد بن المعلى رضي الله عنه قال كنت أصلي فمرّ بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال « مامنعك أن تأتيني ؟ [1] ألم يقل الله (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) ثم قال « لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج » فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له . وقال معاذ : حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن سمع حفص بن عاصم سمع أبا سعيد رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وقال (الحمد لله رب العالمين) السبع المثاني . هذا لفظه بحروفه وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقه في أول تفسير الفاتحة . وقال مجاهد في قوله (لما يحييكم) قال للحق ، وقال قتادة (لما يحييكم) قال هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة وقال السدي (لما يحييكم) ففي الاسلام احياؤهم بعد موتهم بالكفر

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم . وقوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان ، رواه الحاكم في مستدركه موقوفا ، وقال صحيح ولم يخرجاه ، ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعا ، ولا يصح لضعف إسناده والموقوف أصح ، وكذا قال مجاهد وسعيد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وعطية ومقاتل بن حيان والسدي ، وفي رواية عن مجاهد في قوله (يحول بين المرء وقلبه) أي حتى يتركه لا يعقل ، وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا باذنه

وقال قتادة هو كقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقد وردت الاحاديث عن رسول الله ﷺ بما يناسب هذه الآية ، وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على

[1] ينظر الحديث في البغوي

بالايمان ، وقال قتادة هو القرآن فيه الحياة وبه النجاة والعصمة في الدارين ، وقال مجاهد هو الحق ، وقال إسحاق هو الجهاد أعزكم الله به بعد الذل ، وقال القتيبي بل الشهادة قال الله تعالى في الشهداء (بل أحياء عند ربهم يرزقون) وروينا أن النبي ﷺ مر على أبي بن كعب رضي الله عنه وهو يصلي فدعاه فعجل أبي في صلاته ثم جاء فقال رسول الله ﷺ « ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ؟ » قال كنت في الصلاة قال « أليس يقول الله عز وجل (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) » فقال لاجرم يارسول الله لاتدعوني إلا أجبت وان كنت مصليا

قوله تعالى ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ قال سعيد بن جبير وعطاء يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان ، وقال الضحاك يحول بين الكافر والطاعة ويحول بين المؤمن والمعصية

دينك » قال فقلنا يارسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها » وهكذا رواه الترمذي في كتاب القدر من جامعه عن هناد بن السري عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير عن الاعمش واسمه سليمان بن مهران عن أبي سفيان واسمه طلحة بن نافع عن أنس ثم قال حسن ، وهكذا روي عن غير واحد عن الاعمش ، ورواه بعضهم عنه عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح

﴿ حديث آخر ﴾ وقال الامام احمد في مسنده حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن بلال رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » هذا حديث جيد الاسناد إلا أن فيه انقطاعا ، وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ولم يخرجوه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت ابن جابر يقول : حدثني بشر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا ادريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه يقول : سمعت النبي ﷺ يقول « مامن قلب الا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين إذا شاء أن يقيمه أقامه واذا شاء أن يزيغه أزاغه » وكان يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قال « والميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه » وهكذا رواه النسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر فذكر مثله

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا حماد بن زيد عن المعلى بن زياد عن الحسن أن عائشة قالت دعوات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بها « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت فقلت يارسول الله انك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فقال « ان قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله فاذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا هاشم حدثنا عبد الحميد حدثني شهر سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه يقول « اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت فقلت يارسول الله أو ان القلوب لتقلب ؟ قال « نعم ماخلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فان شاء أقامه وإن شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب » قالت فقلت يا رسول الله

وقال مجاهد (يحول بين المرء وقلبه) فلا يعقل ولا يدري مايعمل ، وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا باذنه ، وقيل هو ان القوم لما دعوا الى القتال في حالة الضعف ساءت ظنونهم ، واختلجت صدورهم ، فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) فيبدل الله الخوف أمنا ، والجبن جرأة وشجاعة ﴿ وأنه اليه تحشرون ﴾ فيجزيكم

ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال « بلى قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني أبو هاني أنه سمع أبا عبدالرحمن الحبلى أنه سمع عبدالله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف شاء » ثم قال رسول الله ﷺ « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك » انفرد باخراجه مسلم عن البخاري فرواه مع النسائي من حديث حيوة بن شريح المصري به

(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب (٢٥)

يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة أي اختباراً ومحنة يعم بها المسيء وغيره لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب بل يعمها لم تدفع وترفع ، كما قال الامام احمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد بن سعيد حدثنا غيلان بن جرير عن مطرف قال : قلنا للزبير يا أبا عبد الله ماجاء بكم ضيعتم الخليفة الذي قتل ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ فقال الزبير رضي الله عنه : إنا قرأنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) لم نكن نحسب انا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت ، وقدرواه البزار من حديث مطرف عن الزبير وقال : لا نعرف مطرفا روى عن الزبير غير هذا الحديث ، وقد روى النسائي من حديث جرير بن حازم عن الحسن عن الزبير نحو هذا ، وروى ابن جرير . حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا مبارك بن فضالة عن الحسن . قال قال الزبير لقد خوفنا يعني قوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظننا أنا خصصنا بها

بأعمالكم ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاطب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالوا يارسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال « القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء » ﴿ واتقوا فتنة ﴾ اختبارا وبلاء ﴿ لا تصيبن ﴾ وقوله لا تصيبن ليس بجزاء محض ولو كان جزاء لم تدخل فيه النون ولكنه نفي وفيه طرف من الجزاء كقوله تعالى (ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده) وتقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم فهو كقول القائل انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك فهذا جواب الامر بلفظ النفي معناه ان تنزل لا تطرحك ، قال المفسرون نزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله

خاصة وكذا رواه حميد عن الحسن عن الزبير رضي الله عنه ، وقال داود بن أبي هند عن الحسن في هذه الآية قال نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، وقال سفيان الثوري عن الصلت بن دينار عن عقبة بن صهبان سمعت الزبير يقول : لقد قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) وقد روي من غير وجه عن الزبير بن العوام ، وقال السدي : نزلت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) يعني أصحاب النبي ﷺ خاصة ، وقال في رواية له عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب ، وهذا تفسير حسن جداً ، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هي أيضاً لكم ، وكذا قال الضحاك ويزيد بن أبي حبيب ، وغير واحد وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة إن الله تعالى يقول (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن رواه ابن جرير ، والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم وإن كان الخطاب معهم هو الصحيح ، ويدل عليه الاحاديث الواردة في التحذير من الفتن ، ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء الله تعالى كما فعله الأئمة وأفردوه بالتصنيف ، ومن أخص ما يذكر ههنا ما رواه الامام احمد حيث قال : حدثنا احمد بن الحجاج أخبرنا عبدالله يعني ابن المبارك . أنبأنا سيف بن أبي سليمان سمعت عدي بن عدي الكندي يقول : حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يعني عدي بن عميرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرون فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » فيه رجل مبهم ولم يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا سليمان الهاشمي حدثنا إسماعيل يعني ابن جعفر أخبرني

صلى الله عليه وسلم ومعناه اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم ، قال الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان يوم الجمل . وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابتهم الفتنة يوم الجمل . وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم . أخبرنا محمد بن عبدالله ابن أبي توبة أنا أبو طاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا ابراهيم ابن عبدالله الخلال حدثنا عبدالله بن المبارك عن سيف بن سليمان قال سمعت عدي بن عدي الكندي يقول حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله

عمرو بن أبي عمر عن عبد الله بن عبدالرحمن الاشهل عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعُنَّه فلا يستجيب لكم » ورواه عن أبي سعيد عن اسماعيل بن جعفر وقال « أو ليبعثن الله عليكم قوما ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »

وقال الامام احمد : حدثنا عبد الله بن نمير قال حدثنا زر بن حبيب الجهني حدثني أبو الرقاد قال : خرجت مع مولاي فدفعت إلى حذيفة وهو يقول: ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير منافقاً ، وإني لاسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات ، لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتحاضن على الخير أو ليسحتكم الله جميعاً بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (١)

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد أيضاً : حدثنا يحي بن سعيد عن زكريا حدثنا عامر رضي الله عنه قال : سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنه يخطب يقول ـ وأومأ باصبعيه إلى أذنيه يقول مثل القائم على حدود الله والواقع فيها والمدهن فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها وأصاب بعضهم أعلاها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فآذوهم فقالوا لو خرقنا في نصيبنا خرقا فاستقينامنه ولم نؤذ من فوقنا : فان تركوهم وأمرهم هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً. انفرد باخراجه البخاري دون مسلم فرواه في الشركة والشهادات، والترمذي في الفتن من غير وجه عن سليمان بن مهران الاعمش عن عامر بن شراحيل الشعبي به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا حسين حدثنا خلف بن خليفة عن ليث عن علقمة بن مرثد عن المعرور بن سويد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا ظهرت المعاصى في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده » فقلت يارسول الله أما فيهم أناس صالحون ؟ قال « بلى » قالت فكيف يصنع أولئك ؟ قال « يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا حجاج بن محمد حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن المنذر ابن جرير عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ « ما من قوم يعملون بالمعاصي وفيهم رجل أعز منهم

(١) وفي الازهرية: لهم وهو الظاهر

لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة » وقال ابن زيد أراد بالفتنة افتراق الكلمة ، ومخالفة بعضهم بعضا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا أبو اليمان انا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من

وأمنع لا يغيره إلا عمهم الله بعقاب أو أصابهم العقاب » ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي الاحوص عن أبي إسحاق به

وقال الامام احمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا إسحق يحدث عن عبيدالله ابن جرير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعملون ثم لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب » ثم رواه أيضا عن وكيع عن اسرائيل ، وعن عبدالرزاق عن معمر وعن أسود عن شريك ويونس كلهم عن أبي اسحاق السبيعي به وأخرجه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع به ، وقال الامام احمد حدثنا سفيان حدثنا جامع بن أبي راشد عن منذر عن الحسن بن محمد عن امرأته عن عائشة تبلغ به النبي ﷺ « اذا ظهر السوء في الارض أنزل الله بأهل الارض بأسه » فقالت وفيهم أهل طاعة الله ؟ قال « نعم ثم يصيرون الى رحمة الله »

واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآونكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبت لعلكم تشكرون (٢٦)

ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم، واحسانه اليهم ، حيث كانوا قليلين فكثرهم ، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم ، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات واستشكرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم. وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسي ورومي كلهم ، أعداء لهم لقلتهم وعدم قوتهم ، فلم يزل ذلك دأبهم حتي أذن الله لهم في الهجرة الى المدينة فآواهم اليها وقيض لهم أهلها آووا ونصروا يوم بدر وغيره وواسوا باموالهم وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله في قوله تعالى (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض) قال كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلوداً وأبينه ضلالا . من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات منهم ردي في النار ، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الارض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم ، حتى جاء الله بالاسلام فمكن به في

الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به » قوله ﴿ لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ يعني العذاب ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب ﴾ قوله تعالى ﴿ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض ﴾ يقول اذكروا يامعاشر المهاجرين اذ أنتم قليل في العدد مستضعفون في ارض مكة في ابتداء الاسلام ﴿ تخافون ان يتخطفكم الناس ﴾ يذهب بكم الناس يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب فارس والروم ﴿ فآواكم ﴾ الى المدينة ﴿ وأيدكم بنصره ﴾ أي قواكم يوم بدر بالانصار وقال الكلبي قواكم يوم بدر بالملائكة ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ يعني

البلاد ووسع به في الرزق ، وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس ، وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله

يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمانتكم وأنتم تعلمون (٢٧) واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم (٢٨)

قال عبد الرزاق بن أبي قتادة والزهري أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله فحلف لا يذوق ذواقا حتى يموت أو يتوب الله عليه ، وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يخر مغشيا عليه من الجهد حتى أنزل الله توبته على رسوله فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحلوه من السارية فحلف لا يحله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فحله ، فقال يارسول الله : اني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة فقال « يجزيك الثلث أن تصدق به »

وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا يونس بن الحارث الطائفي حدثنا محمد ابن عبد الله بن عون الثقفي عن المغيرة بن شعبة قال نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) الآية

وقال ابن جرير أيضا حدثنا القاسم بن بشر بن معروف حدثنا شبابة بن سوار حدثنا محمد بن المحرم قال لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني قال حدثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال : إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ « إن

الغنائم التي أحلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ وقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ قال السدي كانوا يسمعون الشيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في أبي لبابة هارون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف ابن مالك . وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى أذرعات واريحاء من أرض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك إلا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا أبا لبابة ماترى؟ أننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده على حلقه انه الذبح فلا تفعلوا ، قال أبو لبابة والله

أبا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا » فكتب رجل من المنافقين اليه إن محمداً يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل (لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) الآية ، هذا حديث غريب جداً وفي سنده وسياقه نظر . وفي الصحيحين قصة حاطب بن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عام الفتح فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث في أثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطباً فأقر بما صنع ، فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله : ألا أضرب عنقه فانه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ؟ فقال «دعه فانه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » قلت والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص[1] فالاخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء . والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وتخونوا أماناتكم) الامانة الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفريضة يقول لاتخونوا لاتنقضوها وقال في رواية لاتخونوا الله والرسول يقول بترك سنته وارتكاب معصيته

وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في هذه الآية أي لاتظهروا له من الحق مايرضى به منكم ثم تخالفوه في السر إلى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم، وخيانة لأنفسكم. وقال السدي : اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم . وقال أيضاً كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين ، وقال عبد الرحمن بن زيد نهاكم أن تخونوا الله والرسول كما

مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أبرح ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتي أموت أو يتوب الله علي، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال أما لو جاءني لاستغفرت له فأما اذ فعل مافعل فاني لا أطلقه حتي يتوب الله عليه فمكث سبعة أيام لايذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تاب الله عليك فقال لا والله لاأحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلني بيده فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة يارسول الله ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التى أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي كله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث فتصدق به فنزلت فيه ﴿ لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾ أي ولا تخونوا أماناتكم ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ انها أمانة وقيل وأنتم تعلمون ما فعلتم من الاشارة الى الحلق خيانة قال السدي اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم وقال ابن عباس لاتخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سننه وتخونوا أمانتكم قال ابن عباس هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله والاعمال التى ائتمن العباد عليها قال قتادة اعلموا أن دين الله أمانة فأدوا الى الله عز وجل ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ، ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها

[1] والحق ان كل ما ذكره من الاسباب قد وقع بعد نزول الآية فحملت عليه ولم يكن هو سببا لنزولها وكتبه محمد رشيد رضا

صنع المنافقون ، وقوله (واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة) أي اختبار وامتحان منه لكم اذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها أو تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه كما قال تعالى (انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) وقال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) الآية ، وقوله (وأن الله عنده أجر عظيم) أي ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الاموال والاولاد فانه قد يوجد منهم عدو[1] وأكثرهم لا يغني عنك شيئاً والله سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة وفي الأثر يقول الله تعالى « يا ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء » وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان أن يلقى في النار أحب اليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » بل حب رسول الله ﷺ مقدم على الاولاد والاموال والنفوس كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين »

[1] كان أكثر ازواج المؤمنين وأولادهم الذين تركوهم بمكة عند الهجرة والى وقت نزول هذه الآية وما في معناها لا يزالون على الشرك ومنهم من أسلم بعد ذلك ومنهم من مات على شركه. وكتبه محمد رشيد رضا

---

(٢٨) يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (٢٩)

قال ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان (فرقاناً) مخرجاً زاد مجاهد في الدنيا والآخرة ، وفي رواية عن ابن عباس (فرقانا) نجاة ، وفي رواية عنه نصراً وقال محمد بن اسحاق (فرقانا) أي فصلا بين الحق والباطل وهذا التفسير من ابن اسحاق أعم مما

﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ قيل هذا أيضاً في أبي لبابة . وذلك أن أمواله وأولاده كانوا في بني قريظة فقال ما قال خوفا عليهم ، وقيل هذا في جميع الناس ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي املاء وأبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي قالا حدثنا أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الاسفرائي أنبأنا محمد بن محمد بن رومويه حدثنا يحيى بن محمد بن غالب حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ أتي بصبي فقبله وقال « أما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله عز وجل » ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ لمن نصح لله ورسوله وأدى أمانته

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله ﴾ بطاعته وترك معصيته ﴿ يجعل لكم فرقانا ﴾ قال مجاهد مخرجا في الدنيا والآخرة ، وقال مقاتل بن حيان مخرجاً في الدين من الشبهات ، وقال

تقدم وهو يستلزم ذلك كله فان من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محوها، وغفرها سترها عن الناس، وسبباً لنيل ثواب الله الجزيل كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير المـكرين (٣٠)

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة (ليثبتوك) ليقيدوك، وقال عطاء وابن زيد: ليحبسوك، وقال السدي الاثبات هو الحبس والوثاق وهذا يشمل ماقاله هؤلاء وهؤلاء وهو مجمع الاقوال وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء، وقال سنيد عن حجاج عن ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبي ﷺ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه، قال له عمه أبو طالب هـل تدري ماائتمروا بك؟ قال «يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني» فقال من أخبرك بهذا؟ قال «ربي» قال نعم الرب ربك استوص به خيراً، قال «أنا أستوصي به؟ بل هو يستوصي بي»

وقال أبوجعفر ابن جرير حدثني محمد بن اسماعيل المصري المعروف بالوساوسي أخبرنا عبدالحميد بن أبي داود عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ مايأتمر بك قومك؟ قال «يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني» فقال من أخبرك بهذا؟ قال «ربي» قال نعم الرب ربك فاستوص به خيراً، قال «أنا أستوصي به؟ بل هو يستوصي بي» قال فنزلت (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) الآية وذكر أبي طالب

عكرمة نجاة أي يفرق بينكم وبين ماتخافون، وقال الضحاك بيانا، وقال ابن إسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم، ويطفىء بطلان من خالفكم، والفرقان مصدر كالرجحان والنقصان ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ يمح عنكم ماسلف من ذنوبكم ﴿ ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾

قوله تعالى ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ هذه الآية معطوفة على قوله (واذكروا إذ أنتم قليل) واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا (وإذ قالوا اللهم) لان هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله) وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير أن قريشا فرقوا [1] لما أسلمت الانصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ وكانت رءوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوجهل بن هشام وأبو سفيان وطعيمة بن عدي وشيبة بن ربيعة والنضر

[1] اي خافوا

في هذا غريب جداً بل منكر لان هذه الآية مدنية ، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الاثبات أو النفي أو القتل انما كان ليلة الهجرة سواء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترؤا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم باعبائه ، والدليل على صحة ماقلنا ماروى الامام محمد بن اسحاق بن يسار صاحب المغازي عن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : وحدثني الكلبي عن باذان مولى أم هانىء عن ابن عباس أن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ قال شيخ من أهل نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي ، قالوا أجل ادخل فدخل معهم فقال انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره ، فقال قائل منهم احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كأحدهم ، قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال والله ماهذا لكم برأي والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم ، قالوا صدق الشيخ فانظروا في غير هذا ، قال قائل منهم أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه ، فانه اذا خرج لن يضركم ماصنع وأين وقع اذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم ، فقال الشيخ النجدي والله ماهذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتين اليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم ، قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا ، قال فقال أبو جهل لعنه الله : والله لأشيرن عليكم برأي ماأراكم أبصرتموه بعد لاأرى غيره ، قالوا وما هو ؟ قال تأخذون من كل قبيلة غلاماشابا

ابن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية ابن خلف فاعترضهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من أنت ؟ قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء ، قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم ، قالوا صدق الشيخ النجدي ، فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي : أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع ولا أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه ، فقال ابليس لعنه الله : ماهذا لكم برأي تعتمدون عليه ، تعمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى

وسطاً نهداً ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فما أظن هذا الحي من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها ، فانهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه ، قال فقال الشيخ النجدي هذا والله الرأي ، القول ماقال الفتى لا رأى غيره ، قال فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له ، فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الانفال يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وأنزل في قولهم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) فكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأي ، وعن السدي نحو هذا السياق وأنزل الله في ارادتهم اخراجه

قوله تعالى (وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا)

و كذا روى العوفي عن ابن عباس وروى عن مجاهد وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقتادة ومقسم وغير واحد نحو ذلك ، وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره ان لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رءوسهم وأخذ الله بابصارهم عن نبيه محمد ﷺ وهو يقرأ (يس والقرآن

غيركم فيفسدهم ، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه ؟ والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميلن قلوب قوم ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم ، قالوا صدق الشيخ النجدي ، فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأي ماأرى غيره ، اني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فتيا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته ، فقال ابليس صدق هذا الفتى وهو أجودكم رأيا ، القول ما قال لا أرى رأيا غيره . فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون له ، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي يبيت فيه فأذن الله له عند ذلك بالخروج الى المدينة فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه وقال له « اتشح ببردتي هذه فانه لن يخلص اليك منهم أمر تكرهه ، ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم

الحكيم — الى قوله — فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : روي عن عكرمة مايؤكد هذا ، وقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهي تبكي فقال « ما يبكيك يابنية ؟ » قالت يا أبت وما لي لا أبكي وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد رأوك لقاموا اليك فيقتلونك وليس منهم الا من قد عرف نصيبه من دمك فقال « يابنية ائتني بوضوء » فتوضأ رسول الله ﷺ ثم خرج الى المسجد فلما رأوه قالوا هاهوذا فطأطؤا رءوسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال « شاهت الوجوه » فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافرا ، ثم قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا اعرف له علة

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجريري عن مقسم مولى ابن عباس أخبره ابن عباس في قوله (وإذ يمكر بك) قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا اليه فلما رأوا عليا رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا ؟ قال لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال ، وقال محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) أي فمكرت بهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم .

عنه فجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يقرأ (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ـ الى قوله ـ فهم لا يبصرون) ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته ، وبات المشركون يحرسون عليا في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه فرأوا عليا رضي الله عنه فقالوا أين صاحبك ؟ قال لا أدرى ، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا : لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة فذلك قوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا) ﴿ ليثبتوك ﴾ ليحبسوك ويسجنوك ويوثقوك ﴿ أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ﴾ قال الضحاك يصنعون ويصنع الله ، والمكر التدبير

وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين (٣١)

وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (٣٢)

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (٣٣)

يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته إذا تتلى عليهم أنهم يقولون (قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذا منهم قول بلا فعل والا فقد تحدوا غير مامرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون الى ذلك سبيلا وانما هذا القول منهم يغرون به انفسهم ومن تبعهم على باطلهم ، وقد قيل ان القائل لذلك هو النضر بن الحارث لعنه الله كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم فانه لعنه الله كان قد ذهب الى بلاد فارس وتعلم من اخبار ملوكهم رستم واسفنديار ، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن فكان عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلس جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول بالله أينا أحسن قصصا أنا او محمد ؟ ولهذا لما امكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الاسارى أمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبته صبراً بين يديه ففعل ذلك ولله الحمد، وكان الذي أسره المقداد ابن الاسود رضي الله عنه كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرا عقبة بن ابي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يارسول الله أسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في كتاب الله عز وجل مايقول فامر رسول

وهو من الله التدبير بالحق وقيل يجازيهم جزاء المكر ﴿ والله خير الماكرين * واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا ﴾ يعني النضر بن الحارث ﴿ قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ وذلك أنه كان يختلف تاجراً الى فارس والحيرة فيسمع أخبار رستم واسفنديار وأحاديث العجم ، ويمر باليهود والنصارى فيراهم يركعون ويسجدون ويقرءون التوراة والانجيل فجاء الى مكة فوجد رسول الله ﷺ يصلي ويقرأ القرآن فقال النضر : قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ أخبار الامم الماضية وأسماؤهم وما سطر الاولون في كتبهم . والاساطير جمع أسطورة وهي المكتوبة ، من قولهم سطرت أي كتبت

قوله تعالى ﴿ واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك ﴾ الآية . نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار . قال ابن عباس لما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النضر لو شئت لقلت مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين ، أي ماهذا الا ماسطره الاولون في كتبهم فقال له عثمان ابن مظعون رضي الله عنه : اتق الله فان محمداً يقول الحق ، قال فأنا أقول الحق ، قال عثمان فان محمداً يقول

الله صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد يارسول الله أسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم اغن المقداد من فضلك» فقال المقداد هذا الذي أردت قال وفيه أنزلت هذه الآية (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الاولين) وكذا رواه هشيم عن أبي بشر جعفر بن ابي دحية عن سعيد بن جبير أنه قال المطعم بن عدى بدل طعيمة وهو غلط لان المطعم بن عدي لم يكن حيا يوم بدر، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لو كان المطعم ابن عدى حيا ثم سألني في هؤلاء النتنى لوهبتهم له يعني الاسارى لانه كان قد أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجع من الطائف، ومعنى (أساطير الاولين) وهو جمع أسطورة أي كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس، وهذا هو الكذب البحت كما أخبر الله عنهم في الآية الاخرى (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض إنه كان غفوراً رحيما) أي لمن تاب اليه وأناب فانه يتقبل منه ويصفح عنه وقوله (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) هذا من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوهم، وهذا مما عيبوا به وكان الاولى لهم أن يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه، ولكن استفتحوا على أنفسهم واستعجلوا العذاب وتقديم العقوبة كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون * وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) وقوله (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج) وكذلك قال الجهلة من الامم السالفة كما قال قوم شعيب له (فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين) وقال هؤلاء (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) قال شعبة عن عبد الحميد صاحب الزيادى عن أنس بن مالك

لا اله الا الله، قال وأنا أقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله - يعني الاصنام - ثم قال اللهم ان كان هذا الذي يقول محمدا هو الحق من عندك، والحق نصب بخبر كان وهو عماد وصلة ﴿فامطر علينا حجارة من السماء﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أو ائتنا بعذاب أليم﴾ أي ببعض ما عذبت به الامم. وفيه نزل (سأل سائل بعذاب واقع) وقال عطاء لقد نزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر. قال سعيد بن جبير: قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة صبرا من قريش: طعيمة بن عدي، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث - وروى أنس رضي الله عنه ان الذي قاله أبو جهل لعنه الله. أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن النضر ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن عبد الحميد صاحب الزيادي سمع أنس بن مالك قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله) الآية

قال هو أبو جهل بن هشام قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) فنزلت (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) رواه البخاري عن احمد ومحمد بن النضر كلاهما عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به واحمد هذا هو احمد بن النضر بن عبد الوهاب قاله الحاكم أبو احمد والحاكم أبو عبد الله النيسابوري والله أعلم

وقال الاعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) قال هو النضر بن الحارث ابن كلدة قال: فأنزل الله (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) وكذا قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي انه النضر بن الحارث زاد عطاء فقال الله تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب - وقال - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة - وقال - سأل سائل بعذاب واقع للكافرين) قال عطاء ولقد أنزل الله فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل

وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا الحسن بن احمد بن الليث حدثنا أبو غسان حدثنا أبو نميلة حدثنا الحسين عن ابن بريدة عن أبيه قال: رأيت عمرو بن العاص واقفاً يوم أحد على فرس وهو يقول. اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فاخسف بي وبفرسي. وقال قتادة في قوله (واذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية قال قال ذلك سفهة هذه الامة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الامة وجهلتها وقوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك الحنفي عن ابن عباس قال كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، فيقول النبي ﷺ «قد قد» ويقولون لبيك اللهم

قوله تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحاق هذا حكاية عن المشركين انهم قالوها وهي متصلة بالآية الاولى وذلك أنهم كانوا يقولون ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ولا يعذب أمة نبيها معها، فقال الله تعالى لنبيه (ص) يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم (وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) الآية وقالوا (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ ثم قال تعالى رداً عليهم (وما لهم أن لا يعذبهم الله) وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام. وقال الآخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل إخباراً عن نفسه (وما كان الله ليعذبهم) واختلفوا في تأويلها فقال الضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، مقيم بين أظهرهم. قالوا نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) وهو مقيم بمكة ثم خرج من بين أظهرهم

لبيك لبيك لاشريك لك، إلا شريكا هولك، تملكه وما ملك، ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية قال ابن عباس كان فيهم أمانان النبي ﷺ والاستغفار فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار، وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثني عبدالعزيز حدثنا أبومعشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا قالت قريش بعضها لبعض محمد أكرمه الله من بيننا (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك) الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم. فأنزل الله (وما كان الله معذبهم - الى قوله - ولكن أكثرهم لا يعلمون)

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) يقول ما كان الله ليعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وهو الاستغفار يستغفرون يعني يصلون يعنى بهذا أهل مكة، وروي عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفي وسعيد بن جبير والسدي نحو ذلك، وقال الضحاك وأبو مالك (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يعني المؤمنين الذين كانوا بمكة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا النضر بن عدي قال قال ابن عباس ان الله جعل في هذه الامة أمانين لايزالون معصومين مجارين من قوارع العذاب ماداما بين أظهرهم فأمان قبضه الله اليه وأمان بقي فيكم قوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال أبو صالح عبدالغفار حدثني بعض أصحابنا أن النضر بن عدي حدثه هذا الحديث مجاهد عن ابن عباس، وروى ابن مردويه وابن جرير عن أبي موسى الاشعري نحواً من هذا وكذا روي عن قتادة وأبي العلاء النحوي المقري، وقال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن

وبقيت بها بقية من المسلمين يستغفرون فأنزل الله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال رداً عليهم (ومالهم ألا يعذبهم الله) وأنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام ثم خرج أولئك من بينهم فعذبوا وأذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم الله، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا ويلحق بحيث أمر فقال (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله تعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم) الآية فعذبهم الله يوم بدر. وقال أبوموسى الاشعري: كان فيكم أمانان (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فأما النبي ﷺ فقد مضى والاستغفار كائن فيكم إلى يوم القيامة. وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع إلى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد الطواف: غفرانك غفرانك. وقال يزيد بن رومان قالت قريش (ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) فلما أصبحوا ندموا على ما قالوا فقالوا

أبيه قال قال رسول الله ﷺ « أنزل الله علي أمانين لامتي (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة» ويشهد لهذا مارواه الامام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه

وقال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا راشد هو ابن سعد حدثني معاوية بن سعد التجيبي عمن حدثه عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال «العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل»

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)

يخبر تعالى أنهم أهل لان يعذبهم ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول ﷺ بين أظهرهم ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر فقتل صناديدهم وأسر سراتهم وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد ، وقال قتادة والسدي وغيرهما لم يكن القوم يستغفرون ولو كانوا يستغفرون لما عذبوا ، واختاره ابن جرير فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين لوقع بهم البأس الذي لا يرد ولكن دفع عنهم بسبب اولئك كما قال تعالى في يوم الحديبية (الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي

غفرانك اللهم. فقال الله عز وجل (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال قتادة والسدي (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أي لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ، ولو أنهم أقروا بالذنب واستغفروا لكانوا مؤمنين . وقيل هذا دعاء الى الاسلام ، والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لغيره لا أعاقبك وأنت تطيعني . أي أطعني حتى لا أعاقبك ، وقال مجاهد وعكرمة (وهم يستغفرون) أي يسلمون ، يقول لو أسلموا لما عذبوا ، وروى الوالبي عن ابن عباس ومنهم من سبق له من الله أن يسلم ويؤمن ويستغفر وذلك مثل أبي سفيان وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم ، وروى عبد الوهاب عن مجاهد (وهم يستغفرون) أي وفي أصلابهم من يستغفر

قال الله تعالى ﴿ ومالهم ألا يعذبهم الله ﴾ أي وما يمنعهم من أن يعذبوا ؟ يريد بعد خروجك من بينهم ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ أي يمنعون المؤمنين من الطواف بالبيت وقيل أراد بالعذاب الاول

معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما)

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن ابزى قال كان النبي ﷺ بمكة فأنزل الله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) قال فخرج النبي ﷺ إلى المدينة فأنزل الله (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قال وكان اولئك البقيةمن المسلمين الذين بقوا فيها مستضعفين يعنى بمكة (يستغفرون) فلما خرجوا أنزل الله (ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه) قال فأذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم، وروي عن ابن عباس وأبي مالك والضحاك وغير واحد نحو هذا ، وقد قيل إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم

قال ابن جرير: حدثنا حميد ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا قال في الانفال (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فنسختها الاية التي تليها (ومالهم ألا يعذبهم الله - إلى قوله - فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فقاتلوا بمكة فأصابهم فيها الجوع والضر ، وكذا رواه ابن ابي حاتم من حديث أبي نميلة يحيى بن واضح

وقال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم استثنى أهل الشرك فقال (ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام - وقوله - وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون) اي وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم اهله عن الصلاة فيه والطواف به ، ولهذا قال (وما كانوا اولياءه إن اولياؤه إلا المتقون) اي هم ليسوا اهل المسجد الحرام ، وإنما اهله النبي ﷺ واصحابه كما قال تعالى (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين - وقال تعالى - وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) الاية

عذاب الاستئصال وأراد بقوله (ومالهم أن لا يعذبهم الله) أي بالسيف وقيل أراد بالاول عذاب الدنيا وبهذه الآية عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهي قوله(وما كان الله ليعذبهم) منسوخة بقوله تعالى (ومالهم ألا يعذبهم الله) ﴿ وما كانوا أولياءه ﴾ قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله (وما كانوا أولياءه) أى أولياء البيت ﴿ ان أولياؤه ﴾ أي ليس أولياء البيت ﴿ الا المتقون ﴾ يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية: حدثنا سليمان بن أحمد هو الطبراني حدثنا جعفر بن الياس بن صدقة المصري حدثنا نعيم بن حماد حدثنا نوح بن أبي مريم عن يحيى بن سعيد الانصاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ من آلك؟ قال «كل تقي» وتلا رسول الله ﷺ (إن أولياؤه إلا المتقون)

وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو بكر الشافعي حدثنا اسحاق بن الحسن حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن عبد الله بن خيثم عن اسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده قال: جمع رسول الله ﷺ قريشاً فقال «هل فيكم من غيركم؟» فقالوا فينا ابن أختنا وفينا حليفنا وفينا مولانا فقال «حليفنا منا وابن أختنا منا ومولانا منا إن أوليائي منكم المتقون» ثم قال هذا صحيح ولم يخرجاه

وقال عروة والسدي ومحمد بن اسحاق في قوله تعالى (إن أولياؤه إلا المتقون) قال هم محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. وقال مجاهد هم المجاهدون من كانوا وحيث كانوا

ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام وما كانوا يعاملونه به فقال (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال عبد الله بن عمرو وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو رجاء العطاردي ومحمد بن كعب القرظي وحجر بن عنبس ونبيط بن شريط وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم: هو الصفير وزاد مجاهد وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم، وقال السدى المكاء الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء ويكون بارض الحجاز (وتصدية) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الله الاشعري حدثنا جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال كانت قريش تطوف بالبيت عراة تصفر وتصفق، والمكاء الصفير والتصدية التصفيق. وهكذا روى علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس، وكذا روي عن ابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب وأبي سلمة بن عبد الرحمن والضحاك وقتادة وعطية العوفي وحجر بن عنبس وابن أبزى نحو هذا. وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن عطية عن ابن عمر في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق

قوله تعالى ﴿وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية﴾ قال ابن عباس والحسن المكاء الصفير وهي في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير كانه قال الا صوت مكاء والتصدية التصفيق قال ابن عباس كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون قال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي ﷺ في الطواف ويستهزئون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون فذلك المكاء والتصدية التصفيق ومنه الصدى والمكاء جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفر ومنه الصدا الذي يسمعه المصوت في الجبل قال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن

قال قرة وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر ابن عمر وأمال خده وصفق بيديه ، وعن ابن عمر أيضاً أنه قال إنهم كانوا يضعون خدودهم على الارض ويصفقون ويصفرون رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عنه ، وقال عكرمة : كانوا يطوفون بالبيت على الشمال قال مجاهد وانما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي ﷺ صلاته ، وقال الزهري يستهزئون بالمؤمنين ، وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد (وتصدية) قال صدهم الناس عن سبيل الله عز وجل. قوله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قال الضحاك وابن جريج ومحمد بن اسحاق هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي ، واختاره ابن جرير ولم يحك غيره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عذاب أهل الاقرار بالسيف وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة

إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (٣٦) ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخسرون (٣٧)

قال محمد بن اسحاق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد بن معاذ قالوا لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يامعشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ففعلوا قال ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم - الى قوله - هم الخاسرون) وكذا روي عن

عن قوله عز وجل (الامكاء وتصدية) فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا قال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى فى المسجد قام رجلان عن يمينه فيصفران ، ورجلان عن شماله فيصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار قال سعيد بن جبير التصدية صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة وهي على هذا التأويل التصددة بدالين فقلبت احدى الدالين ياء كما يقال تظنيت من الظن ومنه تقضيض البازي اذا البازي كسر قال ابن الانبارى انما سماه صلاة لانهم أمروا بالصلاة في المسجد الحرام فجعلوا ذلك صلاتهم ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾

قوله تعالى ﴿ ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ أى ليصرفوا عن دين

مجاهد وسعيد بن جبير والحكم بن عيينة وقتادة والسدي وابن أبزى أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الاموال في أحد لقتال رسول الله ﷺ وقال الضحاك: نزلت في أهل بدر وعلى كل تقدير فهي عامة، وإن كان سبب نزولها خاصاً فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ثم تكون عليهم حسرة أي ندامة حيث لم تجد شيئاً لانهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون وناصر دينه ومعلن كلمته ومظهر دينه على كل دين فهذا الخزي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع باذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات فالى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي، ولهذا قال (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون - وقوله تعالى - ليميز الله الخبيث من الطيب) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ليميز الله الخبيث من الطيب) فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء، وقال السدي يميز المؤمن من الكافر، وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة كقوله (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم) الآية وقوله (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) وقال في الآية الاخرى (يومئذ يصدعون - وقال تعالى - وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين، وتكون اللام معلة لما جعل الله للكافرين من مال ينفقونه في الصد عن سبيل الله أي إنما أقدرناهم على ذلك (ليميز الله الخبيث من الطيب) أي من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين، أو يعصيه بالنكول عن ذلك كقوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) الاية وقال تعالى ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) الاية وقال تعالى ﴿أم حسبتم أن تدخلوا

الله قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال الحكم ابن عيينة نزلت في أبي سفيان انفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية قال الله تعالى ﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة﴾ يريد ماانفقوا في الدنيا يصير حسرة عليهم في الآخرة ﴿ثم يغلبون﴾ ولا يظفرون ﴿والذين كفروا﴾ منهم ﴿الى جهنم يحشرون﴾ خص الكفار لان منهم من أسلم ﴿ليميز الله الخبيث﴾ في سبيل الشيطان ﴿من الطيب﴾ يعني الكافر من المؤمن فينزل المؤمن الجنان والكافر النيران وقال الكلبي العمل الخبيث من العمل الصالح الطيب فيثيب على الاعمال الصالحة الجنة وعلى الاعمال

الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ونظيرتها في براءة أيضا فمعنى الاية على هذا إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم وأقدرناهم على انفاق الاموال وبذلها في ذلك (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه) أي يجمعه كله وهو جمع الشيء بعضه على بعض كما قال تعالى في السحاب (ثم يجعله ركاما) أي متراكما متراكبا (فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون) أي هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والاخرة

قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين (٣٨)

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير (٣٩)

وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ (قل للذين كفروا إن ينتهوا) أي عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ، ويدخلوا في الاسلام والطاعة والانابة يغفر لهم ما قد سلف أي من كفرهم ، وذنوبهم وخطاياهم كما جاء في الصحيح من حديث أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الاسلام أخذ بالاول والآخر » وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال « الاسلام يجبُّ ما قبله والتوبة تجبُّ ما كان قبلها »وقوله « وإن يعودوا » أي يستمروا على ماهم فيه « فقد مضت سنة الاولين » أي فقد مضت سنتنا في الاولين : انهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة . قال مجاهد في قوله (فقد مضت سنة الاولين) أي في قريش يوم بدر وغيرها من الامم ، وقال السدي ومحمد بن اسحاق أي يوم بدر وقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال البخاري حدثنا الحسن ابن عبد العزيز حدثنا عبدالله بن يحيي حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمر عن بكير عن نافع عن

الخبيثة النار ، وقيل يعني الانفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الانفاق الطيب في سبيل الله ﴿ ويجعل الخبيث بعضه على بعض ﴾ اي فوق بعض ﴿ فيركمه جميعا ﴾ أي يجمعه ومنه السحاب المركوم وهو المجتمع الكثيف ﴿ فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ رده إلى قوله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم أولئك هم الخاسرون الذين خسرت تجارتهم لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الآخرة ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا ﴾ عن الشرك ﴿ يغفر لهم ماقد سلف ﴾ أي مامضى من ذنوبهم قبل الاسلام ﴿ وأن يعودوا فقد مضت سنة الاولين ﴾ في نصر الله أنبياءه وأولياءه وإهلاك أعدائه ، قال يحيى بن معاذ الرازي : توحيد لم يعجز عن هدم ماقبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ أي شرك ، قال الربيع حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ أي

ابن عمر أن رجلا جاء فقال : ياأبا عبدالرحمن ألا تصنع ماذ كر الله في كتابه (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الآية فما يمنعك أن لاتقاتل كما ذكر الله في كتابه ؟ فقال : ياابن أخي أعير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول الله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمداً) إلى آخر الآية قال: فان الله تعالى يقول (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) قال ابن عمر قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الاسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه إما أن يقتلوه واما أن يوثقوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة ، فلما رأى أنه لايوافقه فيما يريد قال : فما قولكم في علي وعثمان ؟ قال ابن عمر أما قولي في علي وعثمان أما عثمان فكان الله قد عفا عنه وكرهتم أن يعفو الله عنه ، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون ، وحدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا بيان أن ابن وبرة حدثه قال حدثني سعيد بن جبير قال : خرج علينا أو الينا ابن عمر رضي الله عنهما فقال : كيف ترى في قتال الفتنة ؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة ؟ . كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم على الملك . هذا كله سياق البخاري رحمه الله تعالى ، وقال عبيدالله عن نافع عن ابن عمر أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا : ان الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله ﷺ فما يمنعك أن تخرج ؟ قال يمنعني ان الله حرم علي دم أخي المسلم . قالوا أو لم يقل الله (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله ، وكذا روى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أيوب بن عبدالله اللخمي قال كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال إن الله يقول (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله . وكذا رواه حماد بن سلمة فقال ابن عمر قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله ، وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله رواهما ابن مردويه . وقال أبو عوانة عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال ذو البطين يعني اسامة بن زيد لا أقاتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً . فقال سعد بن مالك وأنا والله لا أقاتل رجلا يقول لا اله الا الله أبداً فقال رجل ألم يقل الله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) فقالا قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله رواه ابن مردويه ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) يعني لايكون شرك ، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم ، وقال محمد بن اسحاق بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا حتى لاتكون فتنة حتى لا يفتن مسلم عن دينه

ويكون الدين خالصا لله لاشرك فيه ﴿ فان انتهوا ﴾ عن الكفر ﴿ فان الله بما يعملون بصير ﴾ قرأ يعقوب

وقوله (ويكون الدين كله لله) قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال يخلص التوحيد لله ، وقال الحسن وقتادة وابن جرير (ويكون الدين كله لله) أن يقال لا اله الا الله وقال محمد بن اسحاق ويكون التوحيد خالصاً لله ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ويكون الدين كله لله) لايكون مع دينكم كفر ويشهد لهذا ماثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الاالله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » وفيهما عن أبي موسى الاشعري قال سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله عز وجل فقال ؟ « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل »

وقوله (فان انتهوا) أي بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنه وان لم تعلموا بواطنهم (فان الله بما يعملون بصير) كقوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) الآية . وفي الآية الاخرى (فاخوانكم في الدين) وقال (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لاسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف فقال لااله الا الله فضربه فقتله فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لاسامة « أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ؟ وكيف تصنع بلا اله الا الله يوم القيامة ؟ » فقال يارسول الله انما قالها تعوذاً قال « هلا شققت عن قلبه ؟ » وجعل يقول ويكرر عليه « من لك بلا اله الا الله يوم القيامة » قال اسامة حتى تمنيت أني لم أكن اسلمت الا يومئذ

وقوله (وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) اي وان استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا ان الله مولاكم وسيدكم وناصركم على اعدائكم فنعم المولى ونعم النصير . وقال محمد بن جرير حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا ابي حدثنا ابان العطار حدثنا هشام بن عروة عن عروة أن عبد الملك بن مروان كتب اليه يسأله عن أشياء فكتب اليه عروة : سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فانك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول الله ﷺ من مكة وسأخبرك به ولاحول ولا قوة إلا بالله كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أن الله أعطاه النبوة فنعم النبي ونعم السيد ونعم العشيرة فجزاه الله خيراً وعرفنا وجهه في الجنة وأحيانا على ملته وأماتنا وبعثنا عليها ، وانه لما دعا قومه لما بعثه الله به من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعدوا منه أول ما دعاهم اليه وكانوا يسمعون له حتى اذا ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال ، وأغروا به من أطاعهم فانعطف عنه عامة الناس فتركوه الا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ماقدر الله أن يمكث ثم ائتمرت رءوسهم بان يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم واخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة

(تعملون) بالتاء وقرأ الآخرون بالياء ﴿ وان تولوا ﴾ عن الايمان وعادوا إلى قتال أهله ﴿ فاعلموا ان الله

الزلزال فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه وكان يثني عليه مع ذلك ، وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها وكانت مساكن لتجارهم يجدون فيها رفاغا من الرزق ، وأمنا ومتجراً حسنا ، فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم فذهب اليها عامتهم لما قهروا بمكة وخافوا عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم إنه فشا الاسلام فيها ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وكانت الفتنة الاولى هي (التي) أخرجت من خرج من اصحاب رسول الله ﷺ قبل ارض الحبشة مخافتها وفراراً مما كانوا فيه من الفتن والزلزال فلما استرخي عنهم ودخل في الاسلام من دخل منهم تحدث باسترخائهم عنهم فبلغ من كان بارض الحبشة من اصحاب رسول الله ﷺ أنه قد استرخي عمن كان منهم بمكة وانهم لا يفتنون فرجعوا الى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون ويكثرون وانه أسلم من الانصار بالمدينة ناس كثير وفشا الاسلام بالمدينة وطفق اهل المدينة يأتون رسول الله ﷺ بمكة فلما رأت قريش ذلك توامروا على ان يفتنوهم ويشتدوا فأخذوهم فحرصوا على ان يفتنوهم فأصابهم جهد شديد فكانت الفتنة الآخرة فكانت فتنتان فتنة اخرجت من خرج منهم الى ارض الحبشة حين امرهم النبي ﷺ بها واذن لهم في الخروج اليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من اهل المدينة ثم انه جاء رسول الله ﷺ من المدينة سبعون نقيبا رءوس الذين اسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه عهودهم ومواثيقهم على أنا منك وأنت منا وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فأمر رسول الله ﷺ اصحابه ان يخرجوا الى المدينة وهي الفتنة الآخرة التي اخرج فيها رسول الله ﷺ اصحابه وخرج هو . وهي التي أنزل الله عز وجل فيها (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ثم رواه عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن ابيه عن عروة بن الزبير انه كتب الى الوليد يعني ابن عبد الملك بن مروان بهذا فذكر مثله وهذا صحيح الى عروة رحمه الله

واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمسٰكين

وابن السبيل ان كنتم ءامنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (٤١)

مولاكم ﴾ ناصركم ومعينكم ﴿ نعم المولى ونعم النصير ﴾ أي الناصر

قوله تعالى ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فان الله خمسه ﴾ الآية الغنيمة والفيء اسمان لما يصيبه

يبين تعالى تفصيل ما شرعه مخصصا لهذه الامة الشريفة من بين سائر الامم المتقدمة باحلال الغنائم. والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بايجاف الخيل والركاب، والفيء ما أخذ منهم بغير ذلك كالاموال التي يصالحون عليها أو يتوفون عنها ولا وارث لهم، والجزية والخراج ونحو ذلك هذا مذهب الامام الشافعي في طائفة من علماء السلف والخلف، ومن العلماء من يطلق الفيء على ما تطلق عليه الغنيمة وبالعكس أيضا، ولهذا ذهب قتادة إلى أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى) الآية قال فنسخت آية الانفال تلك وجعلت الغنائم أربعة أخماس للمجاهدين وخمسا منها لهؤلاء المذكورين، وهذا الذي قاله بعيد لان هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر وتلك نزلت في بني النضير ولا خلاف بين علماء السير والمغازي قاطبة أن بني النضير بعد بدر وهذا أمر لا يشك فيه ولا يرتاب فمن يفرق بين معنى الفيء والغنيمة يقول تلك نزلت في أموال الفيء وهذه في الغنائم، ومن يجعل أمر الغنائم والفيء راجعاً الى رأي الامام يقول لا منافاة بين آية الحشر وبين التخميس إذا رآه الامام والله أعلم. فقوله تعالى (واعلموا إنما غنتم من شيء فان لله خمسه) توكيد لتخميس كل قليل وكثير حتى الخيط والمخيط قال الله تعالى (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقوله (فان لله خمسه وللرسول) اختلف المفسرون ههنا فقال بعضهم لله نصيب من الخمس يجعل في الكعبة قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية الرياحي قال كان رسول الله ﷺ يؤتى بالغنيمة فيخمسها على خمسة تكون أربعة اخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم مابقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل، وقال آخرون ذكر الله ههنا استفتاح كلام للتبرك وسهم لرسوله عليه السلام. قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ (واعلموا أنما غنتم من شيء فان لله خمسه وللرسول) (فان لله خمسه) مفتاح كلام (لله ما في السموات وما في الارض) فجعل سهم الله وسهم الرسول ﷺ واحداً وهكذا قال ابراهيم النخعي والحسن بن محمد بن الحنفية والحسن البصري والشعبي وعطاء ابن أبي رباح وعبد الله بن أبي بريدة وقتادة ومغيرة وغير واحد أن سهم الله ورسوله واحد ويؤيد هذا ما رواه الامام الحافظ أبو بكر البيهقي باسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال أتيت النبي ﷺ وهو بوادي القرى وهو يعرض فرسا فقلت يارسول ما تقول في الغنيمة؟ فقال «لله خمسها وأربعة أخماسها للجيش» قلت فما أحد أولى به من أحد؟ قال «لا ولا السهم تستخرجه من

المسلمون من أموال الكفار فذهب جماعة الى أنهما واحد، وذهب قوم الى أنهما يختلفان فالغنيمة ما أصابه المسلمون منهم عنوة بقتال والفيء ما كان عن صلح بغير قتال فذكر الله عز وجل في هذه

جيبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم »

وقال ابن جرير: حدثنا عمران بن موسى حدثنا عبد الوارث حدثنا أبان عن الحسن قال أوصى الحسن بالخمس من ماله وقال ألا أرضى من مالي بما رضي الله لنفسه ثم اختلف قائلو هذا القول فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كانت الغنيمة تخمس على خمسة أخماس فأربعة منها بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة أخماس فربع لله وللرسول ﷺ فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي ﷺ ولم يأخذ النبي ﷺ من الخمس شيئا

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا أبو معمر المنقري ثنا عبد الوارث بن سعيد عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة في قوله (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) قال الذي لله فلنبيه والذي للرسول لأزواجه ، وقال عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال خمس الله والرسول واحد يحمل منه ويصنع فيه ما شاء يعني النبي ﷺ وهذا أعم وأشمل وهو أنه صلى الله عليه وسلم يتصرف في الخمس الذي جعله الله له بما شاء ويرده في أمته كيف شاء ، ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد حيث قال: حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنا اسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن أبي سلام الاعرج عن المقدام بن معديكرب الكندي أنه جلس مع عبادة ابن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن معاوية الكندي رضي الله عنهم فتذاكروا حديث رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء لعبادة ياعبادة كلمات رسول الله ﷺ في غزوة كذا وكذا في شأن الاخماس فقال عبادة إن رسول الله ﷺ صلى بهم في غزوة إلى بعير من المغنم فلما سلم قام رسول الله ﷺ فتناول وبرة بين أنملتيه فقال « ان هذه من غنائمكم وانه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخيط والمخيط وأكبر من ذلك وأصغر ولا تغلوا فان الغلول عار ونار على أصحابه في الدنيا والآخرة وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد ولا تبالوا في الله لومة لائم وأقيموا حدود الله في السفر والحضر فان الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجي الله به من الهم والغم »

الآية حكم الغنيمة فقال: فان لله خمسه وللرسول فذهب أكثر المفسرين والفقهاء الى أن قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك واضافة هذا المال الى نفسه لشرفه وليس المراد منه أن سهما من الغنيمة لله منفرداً فان الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل ، وهو قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم والشعبي قالوا سهم الله وسهم الرسول واحد ، والغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل ﴿ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ قال بعضهم يقسم الخمس على ستة أسهم ، وهو قول أبي العالية سهم لله فيصرف الى الكعبة والاول أصح أن خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم كان لرسول الله ﷺ في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام ، وهو قول الشافعي رحمه الله ، وروى الاعمش عن ابراهيم . قال كان

هذا حديث حسن عظيم ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه ، ولكن روى الامام أحمد أيضاً وأبو داود والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو عن رسول الله ﷺ نحوه في قصة الخمس والنهي عن الغلول . وعن عمرو بن عنبسة أن رسول الله ﷺ صلى بهم إلى بعير من المغنم فلما سلم أخذ وبرة من هذا البعير ثم قال « ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم » رواه أبو داود والنسائي ، وقد كان للنبي ﷺ من الغنائم شيء يصطفيه لنفسه عبد أو أمة أو فرس أو سيف أو نحو ذلك كما نصّ عليه محمد بن سيرين وعامر الشعبي وتبعهما على ذلك أكثر العلماء . وروى الامام أحمد والترمذي وحسنه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت صفية من الصفيّ رواه أبو داود في سننه وروى أيضاً باسناده والنسائي أيضا عن يزيد بن عبد الله قال : كنا بالمربد إذ دخل رجل معه قطعة أديم فقرأناها فاذا فيها « من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيس انكم ان شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي ﷺ وسهم الصفي أنتم آمنون بأمان الله ورسوله » فقلنا من كتب هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ فهذه أحاديث جيدة تدل على تقرير هذا وثبوته ، ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه ،

أو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة بعده وقال بعضهم سهم رسول الله ﷺ مردود في الخمس والخمس لاربعة أصناف، قوله (ولذي القربى) أراد ان سهما من الخمس لذوي القربى وهم أقارب النبي ﷺ واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لاتحل لهم الصدقة ، وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم ، وقال الشافعي هم بنو هاشم وبنو المطلب ، وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء ، وان كانوا اخوة والدليل عليه ما أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أنبأنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا الثقة عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن جبير بن مطعم عن أبيه قال قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب ولم يعط منه احداً من بني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا ، وأخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا أبوالعباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مطرف بن مازن عن معمر بن راشد عن ابن شهاب أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب أتيته أنا وعثمان بن عفان فقلنا يارسول الله هؤلاء اخواننا من بني هاشم لاننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا ومنعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله ﷺ « انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا » وشبك بين أصابعه

وقال آخرون: ان الخمس يتصرف فيه الامام بالمصلحة للمسلمين كما يتصرف في مال الفيء وقال شيخنا الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله وهذا قول مالك وأكثر السلف وهو أصح الاقوال. فاذا ثبت هذا وعلم فقد اختلف أيضا في الذي كان يناله عليه السلام من الخمس ماذا يصنع به من بعده فقال قائلون يكون لمن يلي الامر من بعده روي هذا عن أبي بكر وعلي وقتادة وجماعة، وجاء فيه حديث مرفوع، وقال آخرون يصرف في مصالح المسلمين[1] وقال آخرون بل هو مردود على بقية الاصناف ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختاره ابن جرير، وقال آخرون بل سهم النبي ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل قال ابن جرير وذلك قول جماعة من أهل العراق، وقيل ان الخمس جميعه لذوي القربى كما رواه ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا عبد الغفار حدثنا المنهال بن عمر سألت عبد الله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي فان الله يقول (واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقالا يتامانا ومساكيننا، وقال سفيان الثوري وأبو نعيم وأبو أسامة عن قيس بن مسلم سألت الحسن ابن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى عن قول الله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) فقال هذا مفتاح كلام الله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال قائلون سهم النبي ﷺ تسليما[2] للخليفة من بعده، وقال قائلون لقرابة النبي

(١) حكمته والله أعلم ان من المصالح المهمة ما يعرض للامام ويتوقف على المال ولهذا تجعل جميع الحكومات المنظمة للدولة مالا احتياطيا زائداً على جميع النفقات المقدرة لها فيما يسمونه ميزانية الدولة

«٢» كذا في الاصول أي يسلم له تسليما

واختلف أهل العلم في سهم ذوي القربى. هل هو ثابت اليوم؟ فذهب أكثرهم الى أنه ثابت وهو قول مالك والشافعي، وذهب أصحاب الرأي الى أنه غير ثابت، وقالوا سهم رسول الله ﷺ وسهم ذوي القربى مردودان في الخمس وخمس الغنيمة لثلاثة أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل وقال بعضهم يعطى للفقراء منهم دون الاغنياء، والكتاب والسنة يدلان على ثبوته والخلفاء بعد الرسول ﷺ كانوا يعطونه ولا يفضل فقير على غني لان النبي ﷺ والخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله فألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير أنه يعطى القريب والبعيد وقال يفضل الذكر على الانثى فيعطي الرجل سهمين والانثى سهما واحدا، قوله (واليتامى) وهو جمع اليتيم واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا أب له اذا كان فقيرا والمساكين هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة للفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد لما أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبدالله بن يوسف أنا أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا سعدان بن نصر حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي وأحمد واسحاق وقال أبو حنيفة رضي

وقال آخرون سهم القرابة لقرابة الخليفة ، واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال الاعمش عن ابراهيم كان أبو بكر وعمر يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح فقلت لابراهيم ما كان علي يقول فيه ؟ قال : كان أشدهم فيه . وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء رحمهم الله ، وأما سهم ذوي القربى فانه يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب لان بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية وفي أول الاسلام ودخلوا معهم في الشعب غضبا لرسول الله ﷺ وحماية له مسلمهم طاعة لله ولرسوله وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة وطاعة لابي طالب عم رسول الله ﷺ وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل ، وإن كانوا بني عمهم فلم يوافقوهم على ذلك بل حاربوهم ونابذوهم ومالؤا بطون قريش على حرب الرسول ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم لشدة قربهم ولهذا يقول في أثناء قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجل غير آجل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والعياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الاوائل

وقال جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل مشيت أنا وعثمان بن عفان يعني ابن أبي العاص بن

الله عنه للفارس سهمان وللراجل سهم واحد ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول ، وعند أبي حنيفة يتخير الامام في العقار بين أن يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا على المصالح ، وظاهر الآية لا يفرق بين العقار والمنقول . ومن قتل مشركا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روي عن أبي قتادة ان النبي ﷺ قال يوم حنين « من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح وفرسه الذي هو راكبه ، ويجوز للامام أن ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصه به من بين سائر الجيش ويجعله أسوة الجماعة في سهمان الغنيمة ، أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيي بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش . وروي عن حبيب بن سلمة الفهري قال شهدت النبي ﷺ نفل الربع في البدأة والثلث في الرجعة ، واختلفوا في ان النفل من اين يعطى ؟ فقال قوم من خمس الخمس سهم النبي ﷺ وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي ﷺ « مالي مما افاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم » وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد إفراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول أحمد وإسحاق ، وذهب بعضهم إلى أن النفل من رأس الغنيمة

أمية بن عبد شمس إلى رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد» رواه مسلم[١]، وفي بعض روايات هذا الحديث «إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام » وهذا قول جمهور العلماء انهم بنو هاشم وبنو المطلب ، قال ابن جرير وقال آخرون هم بنو هاشم ثم روي عن خصيف عن مجاهد قال : علم الله أن في بني هاشم فقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة ، وفي رواية عنه قال هم قرابة رسول الله ﷺ الذين لا تحل لهم الصدقة ثم روي عن علي بن الحسين نحو ذلك ، قال ابن جرير وقال آخرون بل هم قريش كلها حدثني يونس بن عبد الاعلى حدثني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال : كتب نجدة الى عبد الله بن عباس يسأله عن ذوي القربى فكتب اليه ابن عباس كنا نقول : إنا هم فأبى علينا ذلك قومنا وقالوا قريش كلها ذوو قربى وهذا الحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد المقبري عن يزيد بن هرمز ان نجدة كتب الى ابن عباس يسأله عن ذوي القربى فذكره الى قوله فأبى ذلك علينا قومنا والزيادة من أفراد أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني وفيه ضعف ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن مهدي المصيصي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حبيش عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «رغبت لكم عن غسالة الايدي لان لكم من خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفيكم » هذا حديث حسن الاسناد

(١) كذا في جميع النسخ وانما رواه البخاري في عدة ابواب قليلة سهوا أو سبق قلم من المؤلف

قبل الخمس كالسلب للقاتل ، وأما الفيء وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب بأن صالحهم على مال يؤدون ومال الجزية وما يؤخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت واحد منهم في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فيء ، ومال الفيء كان خالصا لرسول الله ﷺ في حياته . قال عمر رضي الله عنه : ان الله قد خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره ثم قرأ (وما أفاء الله على رسوله منهم – الى قوله – قدير) وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ كان ينفق على أهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله عز وجل ، واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ فقال قوم هو للأئمة بعده ، وللشافعي فيه قولان [أحدهما] للمقاتلة الذين اثبتت اساميهم في ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبي (ص) في إرهاب العدو [والقول الثاني] انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالأهم فالأهم من المصالح ، واختلف أهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي الى أنه يخمس فخمسه لأهل الغنيمة على خمسة اسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح ، وذهب الاكثرون إلى أن الفيء لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق ، أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العذافري انا إسحاق الديري ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم إلا له في هذا

وابراهيم بن مهدي هذا وثقه أبو حاتم ، وقال يحيى بن معين يأتي بمناكير والله اعلم. وقوله (واليتامى) أي أيتام المسلمين ، واختلف العلماء هل يختص بالايتام الفقراء أو يعم الاغنياء والفقراء؟ على قولين والمساكين هم المحاويج الذين لا يجدون مايسد خلتهم ومسكنتهم (وابن السبيل) هو المسافر أو المريد للسفر الى مسافة تقصر فيها الصلاة وليس له ما ينفقه في سفره ذلك وسيأتي تفسير ذلك في آية الصدقات من سورة براءة ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان

وقوله (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) أي امتثلوا ماشرعنا لكم من الخمس في الغنائم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما أنزلنا على رسوله . ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن عباس في حديث وفد عبد القيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم « وآمركم باربع وأنهاكم عن أربع . آمركم بالايمان بالله - ثم قال - هل تدرون ما الايمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا الخمس من المغنم » الحديث بطوله فجعل أداء الخمس من جملة الايمان ، وقد بوب البخاري على ذلك في كتاب الايمان من صحيحه فقال (باب أداء الخمس من الايمان) ثم أورد حديث ابن عباس هذا ، وقد بسطنا الكلام عليه في شرح البخاري ولله الحمد والمنة ، وقال مقاتل بن حيان (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) أي في القسمة وقوله (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) ينبه تعالى على نعمته واحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدر ، ويسمى الفرقان لان الله أعلى فيه كلمة الايمان على كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه ، قال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس ، يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل رواه الحاكم . وكذا قال مجاهد ومقسم وعبيد الله بن عبدالله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنه يوم

الفيء حق الا ماملكت أيمانكم ، وأخبرنا أبو سعيد الطاهري أنبأنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنبأنا محمد بن زكريا العذافري أنبأنا اسحاق الديري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب (إنما الصدقات للفقراء والمساكين - حتى بلغ عليم حكيم) فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه - حتى بلغ - وابن السبيل) ثم قال هذه لهؤلاء ، ثم قرأ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى - حتى بلغ - للفقراء . . . والذين جاءوا من بعدهم) ثم قال : هذه استوعبت المسلمين عامة فلئن عشت فليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه

قوله تعالى ﴿ ان كنتم آمنتم بالله ﴾ قيل أراد اعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول يأمر الله فيه بما يريد فاقبلوه ان كنتم آمنتم بالله ﴿وما انزلنا على عبدنا﴾ اي إن كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا يعني قوله (يسألونك عن الانفال) ﴿ يوم الفرقان ﴾ يعني يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل

بدر وقال عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير في قوله (يوم الفرقان) يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة[1] أو سبع عشرة مضت من رمضان وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلاء والمشركون مابين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين وأسر منهم مثل ذلك ، وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن ابن مسعود قال في ليلة القدر : تحروها لاحدى عشرة يبقين فان في صبيحتها يوم بدر وقال على شرطهما ، وروى مثله عن عبد الله بن الزبير أيضا من حديث جعفر ابن برقان عن رجل عنه ، وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله ثقفي عن أبي عبدالرحمن السلمي قال قال الحسن ابن علي كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من رمضان ، إسناد جيد قوي ورواه ابن مردويه عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن حبيب عن علي قال . كانت ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان في صبيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان ، وهو الصحيح عند أهل المغازي والسير ، وقال يزيد بن أبي حبيب امام أهل الديار المصرية في زمانه : كان يوم بدر يوم الاثنين ولم يتابع على هذا وقول الجمهور مقدم عليه والله أعلم

إذ أنتم بالعُدْوة الدنيا وهم بالعُدْوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولـكن ليقضيَ الله أمراً كانَ مفعولا . ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإنَّ الله لسميع عليم (٤٢)

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفرقان (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) أي إذ أنتم نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة (وهم) أي المشركون نزول[1] بالعدوة القصوى) أي البعيدة من المدينة الى ناحية مكة (والركب) أي العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة (أسفل منكم) أي مما يلي سيف البحر (ولو تواعدتم) أي أنتم والمشركون الى مكان (لاختلفتم في الميعاد) قال محمد بن اسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن

وهو ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ حزب الله وحزب الشيطان وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان ﴿والله على كل شيء قدير﴾ على نصركم مع قلتكم وكثرتهم ﴿ اذ انتم ﴾ اي اذ انتم نزول يامعشر المسلمين ﴿بالعدوة الدنيا﴾ أي بشفير الوادي الادنى الى المدينة ، والدنيا تأنيث الادنى ﴿ وهم ﴾ يعني عدوكم من المشركين ﴿ بالعدوة القصوى ﴾ بشفير الوادي الاقصى من المدينة ، والقصوى تأنيث الاقصى قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿ بالعدوة ﴾ بكسر العين فيهما والباقون بضمها وهما لغتان كالـكسوة والكسوة والرشوة والرشوة ﴿ والركب ﴾ يعني العير يريد أبا سفيان وأصحابه ﴿ أسفل منكم ﴾ أي في موضع أسفل منكم الى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ﴾

---

(١) هذا هو الذي يوافق الحساب الفلكي اذا كان ذلك اليوم يوم الجمعة كما عليه الجمهور وذلك ان اول رمضان السنة الثانية من الهجرة بحسب التقويم الدقيق لحساب مصر كان يوم الاحد ٢٦ فبراير (شباط) الموافق لاول برمهات القبطي فيوافق يوم الجمعة منه ٢٠ رمضان في حساب مصر ولا عجب اذا صادف بحساب المدينة ١٩ منه بحسب اختلاف المطالع

عبد الله بن الزبير عن أبيه في هذه الآية قال ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم مالقيتموهم (ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا) أي ليقضي الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله من غير ملأ منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ، وفي حديث كعب بن مالك قال انما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن علية عن ابن عون عن عمير بن اسحاق قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله ﷺ وأصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقى السقاة ونهد الناس بعضهم لبعض ، وقال محمد بن اسحاق في السيرة ومضى رسول الله ﷺ على وجهه ذلك حتى اذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين يلتمسان الخبر عن أبي سفيان فانطلقا حتى اذا وردا بدراً فأناخا بعيريهما الى تل من البطحاء فاستقيا في شن لهما من الماء فسمعا جاريتين يختصمان تقول احداهما لصاحبتها اقضيني حقي ، وتقول الاخرى انما تأتي العير غداً او بعد غد فأقضيك حقك ، فخلص بينهما مجدي بن عمرو وقال صدقت فسمع بذلك بسبس وعدي فجلسا على بعيرهما حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه الخبر وأقبل ابو سفيان حين وليا وقد حذر فتقدم امام عيره وقال لمجدي بن عمرو هل أحسست على هذا الماء من احد تنكره ؟ فقال لا والله الا اني قد رأيت راكبين اناخا الى هذا التل فاستقيا من شن لهما ثم انطلقا فجاء ابو سفيان الى مناخ بعيريهما فأخذ من ابعارهما ففته فاذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب ، ثم رجع سريعاً فضرب وجه عيره فانطلق بها فساحل حتى اذا رأى أنه قد احرز عيره بعث الى قريش فقال: ان الله قد نجى عيركم واموالكم ورجالكم فارجعوا : فقال : ابو جهل والله لانرجع حتى نأتي بدرا - وكانت بدر سوقا من اسواق العرب - فنقيم بها ثلاثا فنطعم بها الطعام وننحر بها الجزر ونسقي بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا بعدها أبداً. فقال الاخنس بن شريق: يامعشر بني زهرة إن الله قد أنجى أموالكم ونجى صاحبكم فارجعوا فرجعت بنو زهرة فلم يشهدوها ولا بنو عدي . قال محمد بن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : وبعث رسول الله ﷺ حين دنا من بدر علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في نفر من أصحابه يتجسسون له الخبر فأصابوا سقاة لقريش غلاما لبني سعيد بن العاص وغلاما لبني الحجاج فأتوا بهما رسول الله ﷺ فوجدوه يصلي فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يسألونهما لمن أنتما ؟ فيقولان نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم

وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها فالتقوا على غير ميعاد فقال تعالى ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد﴾ لقلتكم وكثرة عدوكم ﴿ ولكن ﴾ الله جمعكم على غير ميعاد ﴿ ليقضي

خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أزلقوهما قالا نحن لابي سفيان فتركوهما وركم رسول الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلم وقال « إذا صدقا كم ضربتموهما ، وإذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبراني عن قريش » قالاهم وراء هذا الـكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، والـكثيب العقنقل ، فقال لهما رسول الله ﷺ « كم القوم ؟ » قالا كثير قال « ماعدتهم ؟ » قالا ماندري قال « كم ينحرون كل يوم ؟ » قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال رسول الله ﷺ « القوم مابين التسعمائة الى الالف » ثم قال لهما « فمن فيهم من أشراف قريش ؟ » قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها » قال محمد بن اسحاق رحمه الله تعالى وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن حزم ان سعد بن معاذ قال لرسول الله ﷺ لما التقى الناس يوم بدر يارسول الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونُنيخ اليك ركائبك، ونلقى عدونا فان أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب، وإن تكن الاخرى فتجلس على ركائبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا فقد والله تخلف عنك أقوام مانحن بأشد لك حبا منهم لو علموا أنك تلقى حربا ماتخلفوا عنك ويوازرونك وينصرونك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له به فبني له عريش فكان فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر مامعهما غيرهما . قال ابن اسحاق وارتحلت قريش حين أصبحت فلما أقبلت ورآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي جاؤا منه الى الوادي فقال « اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم أحنهم الغداة » وقوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) قال محمد بن اسحاق أي ليكفر من كفر بعد الحجة لما رآى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهذا تفسير جيد . وبسط ذلك انه تعالى يقول إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد لينصركم عليهم ويرفع كلمة الحق على الباطل ليصير الامر ظاهراً والحجة قاطعة والبراهين ساطعة ولا يبقى لاحد حجة ولا شبهة فحينئذ يهلك من هلك أي يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من امره أنه مبطل لقيام الحجة عليه (ويحيى من حي) أي يؤمن من آمن (عن بينة) أي حجة وبصيرة والايمان هو حياة

الله أمرا كان مفعولا ﴾ من نصر أوليائه واعزاز دينه واهلاك أعدائه ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ﴾ أي ليموت من يموت على بينة رآها، وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ﴿ ويحيى من حي عن بينة ﴾ ويعيش من يعيش على بينة لوعده (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه، ويؤمن من آمن على مثل ذلك فالهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان، وقال قتادة ليضل من ضل عن بينة ويهتدي من اهتدى على بينة. قرأ أهل الحجاز وأبو بكر ويعقوب حي

القلوب قال الله تعالى (أو من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) وقالت عائشة في قصة الافك فهلك في من هلك أي قال فيها ما قال من البهتان والافك وقوله (وان الله لسميع) أي لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به (عليم) أي بكم وانكم تستحقون النصر على أعدائكم الكفرة المعاندين

إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور(٤٣) وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضيَ الله أمراً كان مفعولا وإلى الله تُرجع الامور (٤٤)

قال مجاهد أراهم الله إياه في منامه قليلا وأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك فكان تثبيتاً لهم، وكذا قال ابن اسحق وغير واحد وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رآهم بعينه التي ينام بها ، وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو قتيبة عن سهل السراج عن الحسن في قوله (إذ يريكهم الله في منامك قليلا) قال بعينك وهذا القول غريب ، وقد صرح بالمنام ههنا فلا حاجة الى التأويل الذي لادليل عليه وقوله (ولو أراكهم كثيراً لفشلتم) أي لجبنتم عنهم واختلفتم فيما بينكم (ولكن الله سلم) أي من ذلك بان أراكهم قليلا (إنه عليم بذات الصدور) أي بما تجنه الضمائر وتنطوي عليه الاحشاء (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) وقوله (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا) وهذا أيضا من لطفه تعالى بهم إذ أراهم إياهم قليلا في رأي العين فيجرئهم عليهم ويطمعهم فيهم قال أبو اسحاق السبيعي عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين ؟ قال لا بل هم مائة حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه فقال كنا ألفاً رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقوله (ويقللكم في اعينهم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي

بيائين مثل خشي وقرأ الآخرون بياء واحدة مشددة لانه مكتوب بياء واحدة ﴿وان الله لسميع﴾ لدعائكم ﴿عليم﴾ بنياتكم

قوله تعالى ﴿اذ يريكهم الله﴾ يريك يامحمد المشركين ﴿في منامك﴾ أي في نومك وقال الحسن في منامك أي في عينك لان العين موضع النوم ﴿قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم﴾ لجبنتم ﴿ولتنازعتم﴾ أي اختلفتم ﴿في الامر﴾ أي في الاحجام والاقدام ﴿ولكن الله سلم﴾ أي سلمكم من المخالفة والفشل ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ قال ابن عباس علم مافي صدوركم من الحب لله عز وجل ﴿واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا﴾ قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان العدو قليل قبل لقاء العدو وأخبر أصحابه بما رأى فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أتراهم سبعين؟ قال أراهم مائة فأسرنا رجلا فقلنا له كم كنتم قال ألفا ﴿ويقللكم﴾ يامعشر المؤمنين ﴿في أعينهم﴾ قال السدي

حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن عكرمة (واذ يريكموهم إذ التقيتم) الآية قال حضض بعضهم على بعض اسناد صحيح ، وقال محمد بن اسحاق حدثني يحيي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في قوله تعالى (ليقضي الله أمراً كان مفعولا) أي ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر ، وقلله في عينه ليطمع فيه وذلك عند المواجهة فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين بقي حزب الكفار يرى حزب الايمان ضعفيه كما قال تعالى (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار) وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فان كلا منهما حق وصدق ولله الحمد والمنة

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (٤٥)

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين (٤٦)

هذا تعليم من الله لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الاعداء فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى ان رسول الله ﷺ انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال « يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قام النبي ﷺ وقال « اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الاحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم » وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله فان صخبوا وصاحوا فعليكم بالصمت » وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا ابراهيم بن هاشم البغوي حدثنا أمية بن بسطام حدثنا معتمر بن سليمان حدثنا ثابت بن زيد عن رجل عن زيد ابن ارقم عن النبي ﷺ مرفوعا قال « ان الله يحب الصمت عند ثلاث عند تلاوة القرآن، وعند الزحف

قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم انما محمد وأصحابه أكلة جزور فلا تقتلوهم واربطوهم بالحبال يقوله من القدرة على نفسه ، قال الكلبي استقل بعضهم بعضا ليجترئوا على القتال فقلل المشركين في أعين المؤمنين لكيلا يجبنوا وقلل المؤمنين في أعين المشركين لكيلا يهربوا ﴿ليقضي الله أمراً﴾ من اعلاء الاسلام واعزاز أهله واذلال الشرك وأهله ﴿ كان مفعولا ﴾ كائنا ﴿والى الله ترجع الامور ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنو اذا لقيتم فئة ﴾ اي جماعة كافرة ﴿ فاثبتوا ﴾ لقتالهم ﴿ واذكروا

وعند الجنازة » وفي الحديث الآخر المرفوع يقول الله تعالى «إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه» أي لا يشغله ذلك الحال عن ذكري ودعائي واستعانتي . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في هذه الآية ، قال افترض الله ذكره عند اشغل ما يكون عند الضرب بالسيوف. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء : قال وجب الانصات وذكر الله عند الزحف ثم تلا هذه الآية قلت يجهرون بالذكر ؟ قال نعم وقال أيضاً قرأ عليّ يونس بن عبد الاعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عبد الله بن عباس عن يزيد بن قوذر عن كعب الاحبار قال ما من شيء أحب الى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) قال الشاعر :

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت فينا المثقفة السمر

وقال عنترة ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

فأمر تعالى بالثبات عند قتال الاعداء والصبر على مبارزتهم فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا وان يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم وان يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا . وما نهاهم عنه انزجروا ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم (وتذهب ريحكم) أي قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الاقبال (واصبروا إن الله مع الصابرين) وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما ارشدهم اليه مالم يكن لاحد من الامم والقرون

الله كثيرا ﴾ أي ادعوا الله بالنصر والظفر بهم ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي كونوا على رجاء الفلاح ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا ﴾ لا تختلفوا ﴿ فتفشلوا ﴾ أي تجبنوا وتضعفوا ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ قال مجاهد نصرتكم وقال السدي جرأتكم وجدكم وقال مقاتل بن حيان حدتكم . وقال النضر بن شميل قوتكم وقال الاخفش دولتكم والريح ههنا كناية عن نفاذ الامر ، وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا أقبل أمره على مايريد قال قتادة وابن زيد هو ريح النصر لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو ، ومنه قول النبي ﷺ « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » وعن النعمان بن مقرن قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح . وينزل النصر

قوله عز وجل ﴿ واصبروا ان الله مع الصابرين ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد ابن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابو اسحاق عن موسى بن عقبة عن سالم بن ابي النضر مولى عمر بن عبيدالله

قبلهم ولا يكون لاحد ممن بعدهم فانهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والاقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة ، مع قلة عددهم بالنسبة الى جيوش سائر الاقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم قهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الاديان ، وامتدت الممالك الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين وحشرنا في زمرتهم انه كريم تواب

ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديٰرهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط (٤٧) وإذ زين لهم الشيطٰن أعمٰلهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب (٤٨) إذ يقول المنٰفقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم .ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم (٤٩)

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالاخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره ناهياً لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطراً أي دفعاً للحق (ورئاء الناس) وهو المفاخرة والتكبر عليهم كما قال أبو جهل لما قيل له إن العير قد نجا فارجعوا ، فقال لا والله لانرجع حتى نرد ماء بدر وننحر الجزر ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبداً فانعكس ذلك عليه أجمع لانهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحمام ، وركموا في أطواء بدر مهانين أذلاء ، صغرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدي ولهذا قال (والله بما يعملون محيط) أي عالم بما جاؤا به وله ، ولهذا جازاهم عليه شر الجزاء لهم . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي في قوله تعالى (ولا تكونوا

وكان كاتبا له قال كتب اليه عبد الله بن ابي اوفى فقرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال « يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال « اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الاحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم »

قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ﴾ فخرا وأشرا ﴿ ورئاء الناس ﴾ قال الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها ، والرياء اظهار الجميل ليرى وابطان القبيح ﴿ ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴾ نزلت في المشركين حين أقبلوا الى بدر ولهم بغي وفخر فقال رسول الله ﷺ « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك ، وتكذب رسولك . اللهم

كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس) قالوا هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر . وقال محمد بن كعب لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس، ويصدون عن سبيل الله، والله بما يعملون محيط) وقوله تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) الآية ، حسن لهم لعنه الله ماجاؤا له وما هموا به وأطمعهم أنه لاغالب لهم اليوم من الناس ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال اني جار لكم، وذلك أنه تبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج كبير تلك الناحية وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) قال ابن جرير قال ابن عباس في هذه الآية لما كان يوم بدر سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم، واني جار لكم ، فلما التقوا ونظر الشيطان إلى امداد الملائكة (نكص على عقبيه) قال رجع مدبراً وقال اني أرى مالا ترون . الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من مدلج فقال الشيطان المشركين لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى ابليس ، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبراً وشيعته فقال الرجل ياسراقة أتزعم أنك لنا جار فقال: اني أرى مالا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقال محمد بن اسحاق حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن ابليس خرج مع قريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم

فنصرك الذي وعدتني » قالوا ولما رأى أبو سفيان انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا - وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام - فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلايزالون يهابوننا أبدا فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم باخلاص النية والحسبة في نصر دينه وموازرة نبيه ﷺ

قوله تعالى ﴿ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك أن يثنيهم فجاء ابليس في جند من الشياطين معه رايته فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ﴿ وقال ﴾ لهم ﴿ لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ﴾ أي مجير لكم من كنانة ﴿ فلما تراءت الفئتان ﴾ أي التقى الجمعان رأى ابليس أثر الملائكة نزلوا من السماء، وعلم انه لا طاقة له بهم ﴿ نكص على عقبيه ﴾ قال الضحاك ولى مدبرا وقال

فلما حضر القتال ورأى الملائكة نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم فتشبث به الحارث بن هشام فنخر في وجهه فخر صعقا فقيل له ويلك ياسراقة على هذه الحال تخذلنا وتبرأ منا فقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب

وقال محمد بن عمر الواقدي أخبرني عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال لما تواقف الناس أغمي على رسول الله ﷺ ساعة ثم كشف عنه فبشر الناس بجبريل في جند من الملائكة ميمنة الناس، وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس، واسرافيل في جند آخر ألف، وابليس قد تصور في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي يدبر المشركين ويخبرهم أنه لاغالب لهم اليوم من الناس فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه، وقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون فتشبث به الحارث بن هشام وهو يرى أنه سراقة لما سمع من كلامه فضرب في صدر الحارث فسقط الحارث وانطلق ابليس لايرى حتى سقط في البحر ورفع ثوبه وقال يارب موعدك الذي وعدتني . وفي الطبراني عن رفاعة بن رافع قريب من هذا السياق وأبسط منه ذكرناه في السيرة، وقال محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : لما اجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال أنا جار لكم أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا، قال محمد بن اسحاق فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة بن مالك لاينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذي رآه حين نكص الحارث بن هشام أو عمير بن وهب فقال أين سراقة ؟ أين ويل عدو الله فذهب قال فأوردهم ثم أسلمهم، قال ونظر عدو الله إلى جنود الله قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين فنكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون وصدق عدو الله وقال إني أخاف الله والله شديد العقاب، وهكذا روي عن السدي والضحاك والحسن البصري ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم رحمهم الله، وقال قتادة وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه الملائكة فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة فقال إني أرى مالا ترون إني أخاف الله وكذب عدو الله والله مابه مخافة الله ولكن علم أنه لاقوة له ولا منعة وتلك عادة

النضر بن شميل رجع القهقرى على قفاه هاربا . قال الكلبي لما التقوا كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة آخذا بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث افرارا من غير قتال؟ فجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فقالوا ماأتيتنا في يوم ؟ كذا فحلف لهم فلما أسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان، قال الحسن في قوله ﴿ وقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون ﴾ قال رأى ابليس جبريل معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي

عدو الله لمن أطاعه واستقاد له حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك قلت يعني بعادته لمن أطاعه قوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) وقوله تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ماأنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن بعض بني ساعدة قال: سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ماكف بصره يقول: لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لاأشك ولا أتمارى فلما نزلت الملائكة ورآها ابليس وأوحى الله اليهم أني معكم فثبتوا الذين آمنوا، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشر فانهم ليسوا بشيء والله معكم فكروا عليهم فلما رأى ابليس الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون وهو في صورة سراقة وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول لايهولنكم خذلان سراقة إياكم فانه كان على موعد من محمد وأصحابه. ثم قال واللات والعزى لانرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه في الحبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذاً وهذا من أبي جهل لعنه الله كقول فرعون للسحرة لما أسلموا (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) وكقوله (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهو من باب البهت والافتراء، ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الامة.

وقال مالك بن أنس عن ابراهيم بن أبي علية عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال «مارأى ابليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك مما

ﷺ وفي يده اللجام يقود الفرس ماركب بعد وقال قتادة كان ابليس يقول اني أرى مالا ترون وصدق وقال ﴿اني أخاف الله﴾ وكذب والله مابه مخافة الله ولكن علم أنه لاقوة به ولا منعة فأوردهم وأسلمهم وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم، وقال عطاء اني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك، وقال الكلبي خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام ويعرف حاله فلا يطيعوه، وقيل معناه اني أخاف الله أي أعلم صدق وعده لاوليائه لانه كان على ثقة من أمره ﴿والله شديد العقاب﴾ وقيل معناه اني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب قيل انقطع الكلام عند قوله (أخاف الله) ثم يقول الله (والله شديد العقاب) أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابراهيم بن أبي علية عن طلحة بن عبد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال «مارؤي الشيطان يوماهو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام إلا ما كان من يوم

يرى من نزول الرحمة والعفو عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر » قالوا يارسول الله وما رأى يوم بدر ؟ قال « أما انه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة » هذا مرسل من هذا الوجه

وقوله (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقلل المشركين في أعين المسلمين فقال المشركون غرَّ هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم فظنوا أنهم سيهزمونهم لايشكون في ذلك فقال الله (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) وقال قتادة رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لامر الله ، وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد ﷺ وأصحابه قال : والله لايعبد الله بعد اليوم — قسوة وعتواً . وقال ابن جريج في قوله (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) هم قوم كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر ، وقال عامر الشعبي كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالاسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غرَّ هؤلاء دينهم . وقال مجاهد في قوله عز وجل (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) قال فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ماقدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم وهكذا قال محمد بن اسحاق بن يسار سواء . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن في هذه الآية قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين ، قال معمر وقال بعضهم هم قوم كانوا أقروا بالاسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم ، وقوله (ومن يتوكل على الله) أي يعتمد على جنابه (فان الله عزيز) أي لايضام من التجأ اليه فان الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان [حكيم] في افعاله لايضعها إلا في مواضعها ، فينصر من يستحق النصر ، ويخذل من هو اهل لذلك

بدر » فقيل وما رأى يوم بدر ؟ قال « أما انه قد رأى جبريل عليه السلام وهو يزع الملائكة » هذا حديث مرسل

قوله تعالى ﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾ شك ونفاق ﴿ غر هؤلاء دينهم ﴾ يعني غر المؤمنين دينهم . هؤلاء قوم كانوا مستضعفين بمكة وقد أسلموا وحبسهم أقرباؤهم من الهجرة فلما خرجت قريش إلى بدر أخرجوهم كرها ، فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم فقتلوا جميعاً منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان ، والحارث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف الجمحي والعاص بن منبه بن الحجاج ، قال الله تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ اي ومن يسلم امره الى الله ويثق به ﴿ فان الله عزيز ﴾ قوي

ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يضربون وجوههم وأدبٰرهم وذوقوا عذاب الحريق (٥٠) ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (٥١)

يقول تعالى ولو عاينت يا محمد حال توفى الملائكة ارواح الكفار لرايت امراً عظيما هائلا فظيعاً منكراً إذ يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق . قال ابن جريج عن مجاهد (أدبارهم) أستاههم ، قال يوم بدر قال ابن جريج قال ابن عباس اذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدركتهم الملائكة يضربون أدبارهم ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (إذ يتوفي الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) يوم بدر، وقال وكيع عن سفيان الثوري عن أبي هاشم اسماعيل بن كثير عن مجاهد ، وعن شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله يكني وكذا قال عمر مولى عفرة وعن الحسن البصري قال : قال رجل يارسول الله : اني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشوك ، قال « ذاك ضرب الملائكة » رواه ابن جرير وهو مرسل ، وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر ، ولهذا لم يخصصه تعالى بأهل بدر بل قال تعالى (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) وفي سورة القتال مثلها ، وتقدم في سورة الانعام قوله تعالى (ولو ترى إذ المجرمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم) أي باسطو أيديهم بالضرب فيهم بأمر ربهم اذا استصعبت أنفسهم وامتنعت من الخروج من الاجساد أن تخرج قهراً وذلك اذا بشروهم بالعذاب والغضب من الله كما في حديث البراء أن ملك الموت اذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة المنكرة يقول :اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سموم وحميم وظل

يفعل بأعدائه ما يشاء ﴿ حكيم ﴾ لا يسوي بين وليه وعدوه ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون ﴾ اي يقبضون أرواحهم . اختلفوا فيه قيل هذا عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار. وقيل أراد الذين قُتلوا من المشركين ببدر كانت الملائكة يضربون ﴿ وجوههم وأدبارهم ﴾ قال سعيد بن جبير ومجاهد يريد أستاههم ولكن الله حي يكني .قال ابن عباس : كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف ، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم. وقال ابن جريج يريد ما أقبل منهم وما أدبر، أي يضربون أجسادهم كلها ، والمراد بالتوفي القتل ﴿ وذوقوا عذاب الحريق ﴾ أي وتقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق . وقيل كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم فذلك قوله تعالى (وذوقوا عذاب الحريق) وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الحريق . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ويقولون لهم ذلك بعد الموت ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك

من يحموم فتتفرق في بدنه فيستخرجونها من جسده كما يخرج السفود من الصوف المبلول فتخرج معها العروق والعصب ، ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم ذوقوا عذاب الحريق ، وقوله تعالى (ذلك بما قدمت أيديكم) أي هذا الجزاء بسبب ماعملتم من الاعمال السيئة في حياتكم الدنيا، جازاكم الله بها هذا الجزاء (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي لا يظلم أحداً من خلقه ، بل هو الحكم العدل الذي لايجور تبارك وتعالى وتقدس وتنزه الغني الحميد ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول « ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، ياعبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ولهذا قال تعالى

(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيتِ الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب (٥٢)

يقول تعالى فعل هؤلاء من المشركين المكذبين بما أرسلت به يا محمد كما فعل الامم المكذبة قبلهم ففعلنا بهم ماهو دأبنا أي عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الامم المكذبة بالرسل الكافرين بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) أي بسبب ذنوبهم أهلكهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر (إن الله قوي شديد العقاب) أي لايغلبه غالب ولا يفوته هارب

(ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم (٥٣) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيتِ ربهم فأهلكنهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين (٥٤)

يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لايغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب

الضرب الذي وقع بكم ﴿ بما قدمت أيديكم ﴾ أي بما كسبت أيديكم ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد * كدأب آل فرعون﴾ كفعل آل فرعون وصنيعهم وعادتهم. معناه ان عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون قال ابن عباس هو أن آل فرعون أيقنوا ان موسى نبي من الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد ﷺ بالصدق فكذبوه فأنزل الله بهم عقوبة كما أنزل بآل فرعون ﴿والذين من قبلهم﴾ أي كعادة الذين من قبلهم ﴿ كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ، ان الله قوي شديد العقاب * ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ أراد أن الله تعالى لايغير ما أنعم به على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بالكفران وترك الشكر فاذا فعلوا ذلك غير الله مابهم فسلبهم النعمة ، وقال السدي : نعمة الله محمد ﷺ أنعم

ارتكبه كقوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وقوله (كدأب آل فرعون) أي كصنيعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلكهم بسبب ذنوبهم وسلبهم تلك النعم التي أسداها اليهم من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين

(ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون (٥٥) الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون (٥٦) فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون (٥٧)

أخبر تعالى أن شر ما دب على وجه الارض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين كلما عاهدوا عهداً نقضوه ، وكلما أكدوه بالايمان نكثوه ،(وهم لا يتقون) أي لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام (فاما تثقفنهم في الحرب) أي تغلبهم وتظفر بهم في حرب (فشرد بهم من خلفهم) أي نكل بهم . قاله ابن عباس والحسن البصري والضحاك والسدي وعطاء الخراساني وابن عيينة ومعناه غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلا ليخاف من سواهم من الاعداء من العرب وغيرهم ويصيروا لهم عبرة (لعلهم يذكرون) وقال السدى يقول لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك

الله به على قريش وأهل مكة فكذبوه وكفروا به فنقله الله إلى الانصار ﴿ وأن الله سميع عليم * كدأب آل فرعون ﴾ كصنيع آل فرعون ﴿ والذين من قبلهم ﴾ من كفار الامم ﴿ كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالريح وبعضهم بالغرق فكذلك أهلكنا كفار بدر بالسيف لما كذبوا بآيات ربهم ﴿ وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ يعني الاولين والآخرين ﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ قال الكلبي ومقاتل يعني يهود بني قريظة منهم كعب بن الاشرف وأصحابه ﴿ الذين عاهدت منهم ﴾ أي عاهدتهم وقيل عاهدت معهم ، وقيل أدخل من لان معناه أخذت منهم العهد ﴿ ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ﴾ وهم بنو قريظة نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ومالؤا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف إلى مكة فوافقهم على مخالفة النبي ﷺ ﴿ وهم لا يتقون ﴾ لا يخافون الله تعالى في نقض العهد ﴿ فإما تثقفنهم ﴾ تجدنهم ﴿ في الحرب ﴾ قال مقاتل ان أدركتهم بالحرب وأسرتهم ﴿ فشرد بهم من خلفهم ﴾ قال ابن عباس فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير أنذر بهم من خلفهم ، وأصل التشريد التفريق والتبديد ، معناه فرق بهم جمع كل ناقض أي افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهدك وجاءوا لحربك فعلا من القتل والتنكيل يفرق منك ويخافك من خلفهم من أهل مكة واليمن ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ يتذكرون ويتعظون ويعتبرون فلا ينقضون العهد

(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين (٥٨)

يقول تعالى لنبيه ﷺ (واما تخافن من قوم) قد عاهدتهم (خيانة) أي نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود (فانبذ اليهم) أي عهدهم على سواء ، أي أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك وأنه لاعهد بينك وبينهم على السواء ، أي تستوى أنت وهم في ذلك قال الراجز

فاضرب وجوه الغدر للاعداء حتى يجيبوك إلى السواء

وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالى (فانبذ اليهم على سواء) أى على مهل (إن الله لايحب الخائنين) أى حتى ولو في حق الكفار لايحبها أيضاً

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى الفيض عن سليم بن عامر قال : كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد فأراد أن يدنو منهم فاذا انقضى الامد غزاهم فاذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر الله أكبر وفاء لاغدراً ان رسول الله ﷺ قال « ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ اليهم على سواء » قال فبلغ ذلك معاوية فرجع فاذا بالشيخ عمرو بن عنبسة رضي الله عنه ، وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة ، وأخرجه أبو داود والترمذى والنسائي وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبة به، وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الامام احمد أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله الزبيرى حدثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن أبي البخترى عن سلمان يعنى الفارسي رضي الله عنه أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم فقال انما كنت رجلا منكم فهداني الله عز وجل للاسلام فان أسلمتم فلكم مالنا وعليكم ماعلينا ، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون ، وإن أبيتم نابذناكم على سواء (إن الله لايحب الخائنين) يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس اليها ففتحوها بعون الله

﴿ وإما تخافن ﴾ أي تعلمن يامحمد ﴿ من قوم ﴾ معاهدين ﴿ خيانة ﴾ نقض عهد بما يظهر لكم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير ﴿ فانبذ اليهم ﴾ فاطرح اليهم عهدهم ﴿ على سواء ﴾ يقول اعلمهم قبل حربك إياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت العهد بنصب الحرب معهم ﴿ ان الله لايحب الخائنين ﴾ أخبرنا محمد بن الحسن المروزي انا ابو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي انا ابو سليمان الخطابي أنا أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق عن داسة التمار ثنا أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني ثنا حفص بن عمر النمري ثنا شعبة عن أبي الفيض ابن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ولا تحسبن) يا محمد (الذين كفروا سبقوا) أي فاتونا فلا نقدر عليهم بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا كقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون) أي يظنون . وقوله تعالى (ولا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير — وقوله تعالى — لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) ثم أمر تعالى باعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والامكان والاستطاعة [1] فقال (وأعدوا لهم ما استطعتم) أي مهما أمكنكم (من قوة ومن رباط الخيل) قال الامام أحمد : حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن شفي أخي عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي [2] رواه مسلم عن هارون بن معروف وأبو داود عن سعيد بن منصور وابن ماجه عن يونس بن عبد الاعلى ثلاثتهم عن عبد الله بن وهب به . ولهذا الحديث طرق أخر عن عقبة بن عامر منها ما رواه الترمذي من حديث صالح بن كيسان عن رجل عنه ، وروى الامام احمد وأهل السنن عنه قال قال رسول الله ﷺ « ارموا واركبوا وان ترموا

إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدراً ، فنظروا فاذا هو عمرو بن عنبسة فأرسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ اليهم عهدهم على سواء » فرجع معاوية رضي الله عنه

قوله ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص يحسبن بالياء وقرأ الآخرون بالتاء سبقوا أي فاتوا نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين فمن قرأ بالياء يقول لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب قرأ ابن عامر ﴿ أنهم لا يعجزون ﴾ بفتح الالف أي لأنهم لا يعجزونني ولا يفوتونني وقرأ الآخرون بكسر الالف على الابتداء

قوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة من قوة أي من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج

---

(١) القوة والاستطاعة تختلفان باختلاف الزمان والمكان فالآية تدل على وجوب صنع الآلات الحربية المستعملة في هذا الزمان كالمدافع والدبابات والطيارات والسفن المدرعة والغواصة ، وعلى وجوب العلوم والفنون والصناعات التي يتوقف عليها ذلك

(٢) كان المراد به رمي النبل وهو لا ينفع في هذا العصر مع رماة الرصاص وقذائف المدافع وهي تدخل في معنى الرمي

خير من أن تركبوا » وقال الامام مالك عن زيد بن اسلم عن ابي صالح السمان عن ابى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « الخيل لثلاثة : لرجل اجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر . فاما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وارواثها حسنات له،ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له فهي لذلك الرجل أجر ، ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ، ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء فهي على ذلك وزر » وسئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال « ما أنزل الله علي فيها شيئا الا هذه الآية الجامعة الفاذة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) » رواه البخاري وهذا لفظه ومسلم كلاهما من حديث مالك

وقال الامام احمد : حدثنا حجاج أخبرنا شريك عن الربيع بن الدكين عن القاسم بن حسان عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « الخيل ثلاثة : ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للانسان » فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله فعلفه وروثه وبوله وذكر ما شاء الله ، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليها ، وأما فرس الانسان فالفرس يربطها الانسان يلتمس بطنها فهي له ستر من الفقر » وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل، وذهب الامام مالك إلى أن الركوب أفضل من الرمي، وقول الجمهور أقوى للحديث والله أعلم[1]

حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن شفي انه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر « وأعدوا لهم ما ستطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي » وبهذا الاسناد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبي أسيد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا فقال « اذا أكثبوكم فعليكم بالنبل » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان حدثنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا هشام الدستوائي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح السلمي قال حاصرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الطائف فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة » قال فبلغت يومئذ ستة عشر سهما وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي

(١) الافضل هو الانكى للعدو وهو في هذا الزمان غير ما كان في عهد النبي (ص)

وقال الامام احمد : حدثنا حجاج وهشام قالا حدثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة أن معاوية بن خديج مر على أبي ذر وهو قائم عند فرس له فسأله ما تعاني من فرسك هذا ؟ فقال إني أظن ان هذا الفرس قد استجيب له دعوته . قال وما دعاء بهيمة من البهائم ؟ قال والذي نفسي بيده ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر فيقول اللهم أنت خولتني عبداً من عبادك وجعلت رزقي بيده فاجعلني أحب اليه من أهله وماله وولده . قال وحدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الحميد بن جعفر حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « انه ليس من فرس عربي إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول اللهم إنك خولتني من خولتني من بني آدم فاجعلني من أحب أهله وماله اليه ، أو أحب أهله وماله اليه » رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان به . وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن اسحاق التستري حدثنا هشام بن عمار حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا المطعم بن المقدام

ابن محمد بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الله بن زيد بن الازرق عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة : صانعه والممد به والرامي به في سبيل الله » وروي عن خالد بن زيد عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة : صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله ، وارموا واركبوا وان ترموا أحب اليّ من أن تركبوا ، كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فانهن من الحق، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانه نعمة تركها أو قال كفرها » قوله ﴿ ومن رباط الخيل ﴾ يعني ربطها واقتناءها للغزو وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل الاناث وروي عن خالد بن الوليد انه كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن أبي محيريز قال كان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا عن عامر حدثنا عروة البارقي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والمغنم » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا علي بن حفص حدثنا ابن المبارك حدثنا طلحة بن أبي سعيد قال سمعت سعيداً المقبري يحدث انه سمع أبا هريرة يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم « من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو اسحاق الهاشمي أنبأنا أبو مصعب عن مالك عن زيد

الصنعاني عن الحسن بن أبي الحسن انه قال لابن الحنظلية يعني سهلا حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها ، ومن ربط فرسا في سبيل الله كانت النفقة عليه كالماد يده بالصدقة لا يقبضها » والاحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة ، وفي صحيح البخاري عن عروة بن أبي الجعد البارقي أن رسول الله ﷺ قال « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الاجر والمغنم »

وقوله (ترهبون) أي تخوفون (به عدو الله وعدوكم) أي من الكفار (وآخرين من دونهم) قال مجاهد يعني بني قريظة ، وقال السدي فارس ، وقال سفيان الثوري قال ابن يمان هم الشياطين التي في الدور ، وقد ورد حديث بمثل ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحمصي حدثنا أبو حيوة يعني شريح بن يزيد المقري حدثنا سعيد بن سنان عن ابن غريب يعني يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تعالى (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم) قال هم الجن ورواه الطبراني عن ابراهيم بن دحيم عن أبيه عن محمد بن شعيب عن سنان بن سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن غريب به وزاد قال رسول الله ﷺ « لا يخبل بيت فيه عتيق من الخيل » وهذا الحديث منكر لا يصح اسناده ولا متنه ، وقال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المنافقون ، وهذا أشبه الاقوال ويشهد له قوله تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) وقوله (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) أي مهما أنفقتم في الجهاد فانه يوفي اليكم على التمام والكمال ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود ان الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف كما تقدم في قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)

ابن اسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « الخيل ثلاثة هي لرجل أجر وهي لرجل ستر وهي لرجل وزر فاما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فاطال لها في مرج او روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له حسنات ولو انها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا او شرفين كانت آثارها واروائها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقي به كان ذلك له حسنات فهي لذلك اجر ، واما التي هي له ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر ، واما التي هي له وزر فرجل ربطها فخرا ورياء ونواء على أهل الاسلام فهي على ذلك وزر » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال « ما انزل علي فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ﴿ ترهبون به ﴾ تخوفون به ﴿ عدو الله وعدوكم وآخرين ﴾ اي وترهبون آخرين ﴿ من

وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن القاسم بن عطية حدثنا احمد بن عبد الرحمن الدستكي حدثنا أبي عن أبيه حدثنا الاشعث بن اسحاق عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه كان يأمر أن لا يتصدق الا على أهل الاسلام حتى نزلت (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم) فامر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين وهذا أيضا غريب

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)

يقول تعالى إذا خفت من قوم خيانة فانبذ اليهم عهدهم على سواء فان استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم (وإن جنحوا) أي مالوا (للسلم) أي المسالمة والمصالحة والمهادنة (فاجنح لها) أي فمل اليها واقبل منهم ذلك ، ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين أجابهم الى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الاخر

وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثني فضيل بن سليمان يعني النميري حدثنا محمد بن أبي يحيى عن إياس بن عمرو الاسلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إنه سيكون اختلاف أو أمر فان استطعت أن يكون السلم فافعل » وقال مجاهد نزلت في بني قريظة وهذا فيه نظر لان السياق كله في وقعة بدر وذكرها مكتنف لهذا كله ، وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني وعكرمة والحسن وقتادة ان هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) الآية وفيه نظر أيضا لان آية براءة فيها الامر بقتالهم إذا أمكن ذلك ، فاما ان كان العدو كثيفا فانه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا

دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ قال مجاهد ومقاتل وقتادة هم بنو قريظة وقال السدي هم اهل فارس وقال الحسن وابن زيد هم المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا اله الا الله ، وقيل هم كفار الجن ﴿ وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم ﴾ يوفر لكم أجره ﴿ وأنتم لا تظلمون ﴾ لا ينقص أجوركم

قوله تعالى ﴿ وان جنحوا للسلم ﴾ أي مالوا إلى الصلح ﴿ فاجنح لها ﴾ أي مل اليها وصالحهم ،

تخصيص والله أعلم . وقوله (وتوكل على الله) أي صالحهم وتوكل على الله فان الله كافيك وناصرك ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا (فان حسبك الله) أي كافيك وحده ثم ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والانصار فقال (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم) أي جمعها على الايمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم) أى لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فان الانصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية بين الاوس والخزرج وأمور يلزم منها التسلسل في الشر حتى قطع الله ذلك بنور الايمان كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خطب الانصار في شأن غنائم حنين قال لهم « يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي » كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن ، ولهذا قال تعالى (ولكن الله الف بينهم إنه عزيز حكيم) أي عزيز الجناب فلا يخيب رجاء من توكل عليه حكيم في أفعاله واحكامه ، وقال الحافظ ابو بكر البيهقي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ انبأنا علي بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا انبأنا ابو عبد الله محمد بن الحسين القنديلي الاسترابادى حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن النعمان الصفار حدثنا ميمون بن الحكم حدثنا بكر ابن الشرود عن محمد بن مسلم الطائفي عن ابراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس قال قرابة الرحم تقطع ومنة النعمة تكفر ولم ير مثل تقارب القلوب يقول الله تعالى (لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم) وذلك موجود في الشعر

اذا بت ذو قربى اليك بزلة ... فغشك واستغنى فليس بذى رحم
ولكن ذا القربى الذي ان دعوته ... أجاب وأن يرمي العدو الذي ترمي

قال ومن ذلك قول القائل :

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم ... وبلوت ماوصلوا من الاسباب
فاذا القرابة لاتقرب قاطعاً ... واذا المودة أقرب الاسباب

قال البيهقي لا أدري هذا موصول بكلام ابن عباس أو هو من قول من دونه من الرواة ، وقال أبو إسحاق السبيعي عن أبي الاحوص عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه سمعه يقول (لو انفقت

روي عن قتادة والحسن ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ﴿ وتوكل على الله ﴾ ثق بالله ﴿ انه هو السميع العليم * وان يريدوا أن يخدعوك ﴾ يغدروا ويمكروا بك قال مجاهد : يعني بني قريظة ﴿ فان حسبك الله ﴾ كافيك الله ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ أي بالانصار ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ أي بين الاوس والخزرج كانت بينهم احن وترات في الجاهلية

مافي الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) الآية قال هم المتحابون في الله. وفي رواية نزلت في المتحابين في الله رواه النسائي والحاكم في مستدركه، وقال صحيح وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال: ان الرحم لتقطع، وان النعمة لتكفر، وان الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ثم قرأ (لو أنفقت مافي الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) رواه الحاكم أيضاً، وقال أبو عمرو الاوزاعي حدثني عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد ولقيته فأخذ بيدي فقال: إذا التقى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما تحات ورق الشجر. قال عبدة فقلت له إن هذا ليسير فقال لاتقل ذلك فان الله يقول (لو أنفقت مافي الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) قال عبدة فعرفت أنه أفقه مني، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان عن ابراهيم الجزري عن الوليد بن أبي مغيث عن مجاهد قال إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما، قال قلت لمجاهد بمصافحة يغفر لهما؟ قال مجاهد أما سمعته يقول (لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) فقال الوليد لمجاهد أنت أعلم مني، وكذا روى طلحة بن مصرف عن مجاهد، وقال ابن عون عن عمير بن اسحاق قال: كنا نتحدث أن أول مايرفع من الناس الالفة، وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني رحمه الله حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا عبدالله بن عمر القواريري حدثنا سالم بن غيلان سمعت جعداً أبا عثمان حدثني أبو عثمان النهدي عن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قال «إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحار»

يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (٦٤) يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين (٦٥)

يحرض تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين على القتال ومناجزة الاعداء ومبارزة الاقران ويخبرهم أنه

فصيرهم الله اخوانا بعد ان كانوا أعداءاً ﴿لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله، ألف بينهم، انه عزيز حكيم﴾

قوله تعالى ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ قال سعيد بن جبير أسلم مع رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر بن الخطاب فتم به الاربعون فنزلت هذه الآية واختلفوا في محل (من) فقال أكثر المفسرين محله خفض عطفا على الكاف في قوله (حسبك) معناه حسبك

حسبهم أي كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين . قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبيدالله بن موسى أنبأنا سفيان عن ابن شوذب عن الشعبي في قوله (يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) قال حسبك الله وحسب من شهد معك قال وروي عن عطاء الخراساني وعبدالرحمن بن زيد مثله ، ولهذا قال : (يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي حثهم أوصهم عليه ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو كما قال لاصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم قوموا إلى جنة عرضها السموات والارض . فقال عمير بن الحمام عرضها السموات والارض ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم » فقال بخ بخ فقال « مايحملك على قولك بخ بخ ؟ » قال رجاء أن أكون من أهلها قال « فانك من أهلها » فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم ألقى بقيتهن من يده وقال : لئن أنا حييت حتى آكلهن انها لحياة طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ، وقد روي عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر ابن الخطاب وكمل به الاربعون ، وفي هذا نظر لان هذه الآية مدنية واسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة والله أعلم ، ثم قال تعالى مبشرا للمؤمنين وآمرا (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الامر وبقيت البشارة . قال عبد الله بن المبارك حدثنا جرير بن حازم حدثني الزبير بن الحريث عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) شق ذلك على المسلمين حتى فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخفيف فقال (الآن خفف الله عنكم) إلى قوله (يغلبوا مائتين) قال خفف الله عنهم من العدة ونقص من الصبر بقدر ماخفف عنهم ، وروى البخاري من حديث ابن المبارك نحوه ، وقال سعيد بن منصور حدثنا

الله وحسب من اتبعك . وقال بعضهم هو رفع عطفا على اسم الله معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين

قوله تعالى ﴿ يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ﴾ أي حثهم على القتال ﴿ إن يكن منكم عشرون ﴾ رجلا ﴿ صابرون ﴾ محتسبون ﴿ يغلبوا مائتين ﴾ من عدوهم يقهروهم ﴿ وإن يكن منكم مائة ﴾ صابرة محتسبة ﴿ يغلبوا الفا من الذين كفروا ﴾ ذلك ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ أي ان المشركين يقاتلون على غير احتساب ، ولا طلب ثواب ، ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشية أن يقتلوا ، وهذا خبر بمعنى الامر وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المؤمنين فخفف الله عنهم فنزل ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ﴾ أي ضعفا في الواحد عن قتال العشرة ، وفي المائة عن قتال الالف . وقرأ أبو جعفر (ضعفاء) بفتح العين والمد على الجمع ، وقرأ الآخرون بسكون العين ﴿ فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ﴾ من الكفار ﴿ وإن يكن منكم

سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في هذه الآية قال : كتب عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم خفف الله عنهم فقال (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين ، وروى البخاري عن علي بن عبد الله عن سفيان به نحوه ، وقال محمد بن إسحاق حدثني ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الاخرى فقال (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) الآية فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم ، وروى علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحو ذلك

قال ابن أبي حاتم وروي عن مجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والضحاك وغيرهم نحو ذلك ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث المسيب بن شريك عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) قال نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ ، وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) رفع ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم (٦٧) لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (٦٨) فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم (٦٩)

قال الامام احمد حدثنا علي بن هاشم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال استشار النبي ﷺ

الف يغلبوا الفين باذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ فرد من العشرة إلى الاثنين ، فان كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا . وقال سفيان قال ابن شبرمة: وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا . قرأ أهل الكوفة (وان يكن منكم مائة) بالياء فيهما وافق أهل البصرة في الاول والباقون بالتاء فيهما . وقرأ عاصم وحمزة (ضعفا) بفتح الضاد ههنا وفي سورة الروم والباقون بضمها

قوله تعالى ﴿ ماكان لنبي أن يكون له أسرى ﴾ قرأ أبو جعفر وأهل البصرة (تكون) بالتاء والباقون بالياء . وقرأ أبو جعفر (أسارى) والآخرون (أسرى) وروى الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال : لما كان يوم بدر جيء بالاسرى فقال رسول الله ﷺ « ماتقولون في هؤلاء ؟» فقال أبو بكر يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل

الناس في الاسارى يوم بدر فقال « ان الله قد أمكنكم منهم » فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس » فقام عمر فقال : يارسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يارسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك ، وقال الاعمش عن عمر بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتقولون في هؤلاء الاسارى ؟ » فقال أبو بكر يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستتبهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله أنت في واد كثير الحطب فاضرم الوادي عليهم ناراً ثم ألقهم فيه قال فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك ياأبا بكر كمثل ابراهيم عليه السلام قال (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) وإن مثلك ياأبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك ياعمر كمثل موسى عليه السلام قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) وان مثلك ياعمر

الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار . وقال عمر رضي الله عنه يارسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم ، مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، ومكني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر . وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم اضرم عليهم ناراً فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله ﷺ فقال « ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة . وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال (ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وان مثلك ياعمر مثل نوح قال (رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً) ومثلك مثل موسى قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) »

كمثل نوح عليه السلام قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) أنتم عالة فلا ينفكن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق » قال ابن مسعود قلت : يارسول الله الا سهيل بن بيضاء فانه يذكر الاسلام فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ الا سهيل بن بيضاء فانزل الله عز وجل (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) الى آخر الآية رواه الامام أحمد والترمذي من حديث أبي معاوية عن الاعمش به والحاكم في مستدركه ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحوه .

وفي الباب عن أبي أيوب الانصاري ، وروى ابن مردويه أيضا واللفظ له والحاكم في مستدركه من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال لما أسر الاسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر أسره رجل من الانصار . قال وقد أوعدته الانصار ان يقتلوه فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ « اني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس وقد زعمت الانصار أنهم قاتلوه » فقال له عمر أفآتيهم ؟ فقال « نعم » فاتى عمر الانصار فقال لهم ارسلوا العباس فقالوا لا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى قالوا فان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فخذه فأخذه عمر فلما صار في يده قال له ياعباس اسلم فوالله لئن تسلم أحب الي من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه اسلامك قال واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فيهم فقال أبو بكر عشيرتك فارسلهم فاستشار عمر فقال اقتلهم ففاداهم رسول الله ﷺ فانزل الله (ما كان لنبي أن يكون

الآية . ثم قال رسول الله ﷺ « أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق » قال عبد الله بن مسعود إلا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتني في يوم أخوف من ان تقع علي الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ « إلا سهيل بن بيضاء » قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوي رسول الله ﷺ ماقال أبو بكر ولم يهو ماقلت، فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت يارسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله (ص) « أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة من رسول الله (ص) - وأنزل الله تعالى (ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض - إلى قوله - فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) » فأحل الله الغنيمة لهم . قوله أسرى جمع أسير مثل قتلى وقتيل. قوله ﴿ حتى يثخن في الارض ﴾ أي يبالغ في قتل المشركين وأسرهم ﴿ تريدون ﴾ أيها المؤمنون ﴿ عرض الدنيا ﴾ بأخذكم الفداء ﴿ والله يريد الآخرة ﴾

له أسرى) الآية قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي ﷺ يوم بدر فقال خير أصحابك في الاسارى ان شاءوا الفداء وان شاءوا القتل على ان يقتل عاما مقبلا منهم مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به ، وهذا حديث غريب جداً ، وقال ابن عون عن عبيدة عن علي قال قال رسول الله ﷺ في أسارى يوم بدر « إن شئتم قتلتموه وإن شئتم فاديتموه واستمتعتم بالفداء واستشهد منكم بعدتهم » قال فكان آخر السبعين ثابت بن قيس قتل يوم اليمامة رضي الله عنه ، ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلا فالله أعلم ، وقال محمد بن اسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس ما كان لنبي أن يكون له أسرى فقرأ حتى بلغ عذاب عظيم . قال غنائم بدر قبل ان يحلها لهم يقول لولا اني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم اليه لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وقال الاعمش سبق منه ان لا يعذب أحدا شهد بدراً ، وروى نحوه عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء ، وقال شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد (لولا كتاب من الله سبق) أي لهم بالمغفرة ونحوه عن سفيان الثوري رحمه الله ، وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله (لولا كتاب من الله سبق) يعني في أم الكتاب الاول أن المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم قال الله

يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم دين الله عز وجل ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ وكان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاوقية أربعون درهما ، قال ابن عباس رضي الله عنهما كان يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الاسارى (فإما منا بعد وإما فداء) فجعل الله عز وجل نبيه (ص) والمؤمنين في أمر الاسارى بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا أعتقوهم ، وان شاؤا فادوهم

قوله تعالى ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ قال ابن عباس كانت الغنائم حراما على الانبياء والامم وكانوا اذا أصابوا شيئا من الغنائم جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء فأنزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم ، وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا مع النبي ﷺ وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون الآية وانه لا يأخذ قوما فعلوا أشياء بجهالة ﴿ لمسكم ﴾ لنالكم وأصابكم ﴿ فيما أخذتم ﴾ من الفداء قبل أن تؤمروا به ﴿ عذاب عظيم ﴾ قال ابن اسحاق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر الا أحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله ﷺ بقتل الاسرى وسعد بن معاذ قال يارسول الله كان الاثخان في القتل أحب الي من استبقاء

تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً) الآية .وكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وروي مثله عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصري وقتادة والاعمش أيضاً أن المراد (لولا كتاب من الله سبق) لهذه الامة باحلال الغنائم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ،ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر ،وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ،وأعطيت الشفاعة ،وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة » وقال الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لم تحل الغنائم لسود الرءوس غيرنا » ولهذا قال تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً) الآية فعند ذلك أخذوا من الاسارى الفداء ، وقد روى الامام أبو داود في سننه حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العبسي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن أبي العنبس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وقد استمر الحكم في الاسرى عند جمهور العلماء أن الامام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل ببني قريظة ،وإن شاء فادى بمال كما فعل باسرى بدر ،أو بمن اسر من المسلمين كما فعل رسول الله ﷺ في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الاكوع حيث ردهما واخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين ، وان شاء استرق من اسر . هذا مذهب الامام الشافعي وطائفة من العلماء ، وفي المسألة خلاف آخر بين الائمة مقرر في موضعه من كتب الفقه

يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم (٧٠) وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم (٧١)

الرجال فقال رسول الله ﷺ « لو نزل عذاب السماء مانجا منهم غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ» فقال الله تعالى ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ﴾ روي انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزل فكلوا مما غنمتم الاية . وروينا عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ « قال أحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي » أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان حدثنا أحمد بن يوسف السلمي حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن هشام حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا»

قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ﴾ قرأ أبو عمرو وأبو جعفر من الاساري

قال محمد بن اسحاق حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل عن بعض اهله عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال يوم بدر « إني قد عرفت ان اناسا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً منهم أي من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقى ابا البختري بن هشام فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فانه انما اخرج مستكرها» فقال ابو حذيفة بن عتبة انقتل آباءنا وابناءنا واخواننا وعشائرنا ونترك العباس والله لئن لقيته لالجمنه بالسيف فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب «يا اباحفص - قال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (اباحفص)- أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف؟» فقال عمر يارسول الله ائذن لي فأضرب عنقه فوالله لقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك والله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت ولا أزال منها خائفا الا أن يكفرها الله تعالى عني بشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه . وبه عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والاسارى محبوسون بالوثاق بات رسول الله ﷺ ساهراً أول الليل فقال له أصحابه يارسول الله مالك لا تنام؟ وقد أسر العباس رجل من الانصار فقال رسول الله ﷺ « سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فاطلقوه » فسكت فنام رسول الله ﷺ قال محمد ابن اسحاق وكان أكثر الاسارى يوم بدر فداء العباس بن عبد المطلب وذلك أنه كان رجلا موسرا فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهبا ، وفي صحيح البخاري من حديث موسى ابن عقبة قال ابن شهاب حدثنا أنس بن مالك ان رجالا من الانصار قالوا يارسول الله ائذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداءه . قال لا والله لاتذرون منه درهما ، وقال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن الزهري عن جماعة سماهم قالوا بعثت قريش الى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا ، وقال العباس يارسول الله قد كنت مسلما فقال رسول الله ﷺ «الله أعلم باسلامك فان يكن كما تقول فان الله يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو اخي بني الحارث بن فهر » قال ماذاك عندي يارسول الله؟ قال « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ قلت لها ان أصبت في سفري هذا فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقثم » قال والله يا رسول الله اني لاعلم انك رسول الله ان هذا لشيء ماعلمه احد غيري وغير ام الفضل فاحسب لي يارسول

بالالف والباقون بلا ألف . نزلت في العباس بن عبد المطلب وكان أسر يوم بدر وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر وكان يوم بدر نوبته وكان قد خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم بها الناس فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون أوقية معه فأخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتسب العشرين أوقية من فدائه فأبى ،وقال «أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث» فقال العباس يامحمد

الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي فقال رسول الله ﷺ «لا، ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك» ففدى نفسه وابني اخويه وحليفه فانزل الله عز وجل (ياأيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) قال العباس فأعطاني الله مكان العشرين الاوقية في الاسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل، وقد روى ابن اسحاق ايضا عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية بنحو مما تقدم، وقال ابو جعفر بن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا بن ادريس عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس في نزلت (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) فأخبرت النبي ﷺ باسلامي وسألته ان يحاسبني بالعشرين الاوقية التي أخذت مني فأبى فأبدلني الله بها عشرين عبداً كلهم مالي في يده، وقال ابن اسحاق أيضا حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول فيّ نزلت والله حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامي ثم ذكر نحو الحديث كالذي قبله. وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس (ياايها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى) عباس واصحابه قال قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت ونشهد انك رسول الله لننصحن لك على قومنا. فانزل الله (إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) إيمانا وتصديقا يخلف لكم خيراً مما أخذ منكم (ويغفر لكم) الشرك الذي كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وان لي الدنيا لقد قال (يؤتكم خيراً مما أخذ منكم) فقد أعطاني خيراً مما أخذ مني مائة ضعف وقال (ويغفر لكم) وأرجو أن يكون قد غفر لي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية كان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه باربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين قرئت هذه الآية لقد أعطاني الله عز وجل خصلتين ما أحب ان لي بهما الدنيا: اني اسرت يوم بدر ففديت نفسي باربعين أوقية فآتاني أربعين عبداً واني لارجو المغفرة التي وعدنا الله عز وجل فقال قتادة في تفسير هذه الآية ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد توضأ لصلاة الظهر فما اعطى يومئذ شاكيا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه، فأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي فكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا وارجو المغفرة، وقال يعقوب بن سفيان

تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله ﷺ «فأين الذهب الذي دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها انى لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بى حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم» يعني بنيه الاربعة فقال له العباس وما يدريك قال أخبرني به ربى عز وجل فقال العباس أشهد أنك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ولم يطلع عليه احد الا الله عز وجل فذلك قوله تعالى (ياايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى) الذين أخذت منهم الفداء

حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال بعث ابن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين ثمانين الفا ما أتاه مال اكثر منه لا قبل ولا بعد . قال فنثرت على حصير ونودي بالصلاة . قال وجاء رسول الله ﷺ فمثل قائما على المال وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عدد ولا وزن ما كان الا فيضا وجاء العباس بن عبدالمطلب فحثا في خميصة عليه وذهب يقوم فلم يستطع قال فرفع رأسه الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ارفع علي . قال فتبسم رسول الله ﷺ حتى خرج ضاحكه أو نابه وقال له « أعد من المال طائفة وقم بما تطيق » قال ففعل وجعل العباس يقول : وهو منطلق اما احدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا ، وما ندري ما يصنع في الاخرى (ياأيها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى) الآية ثم قال هذا خير مما أخذ منا وما أدري ما يصنع الله في الاخرى فما زال رسول الله ﷺ ماثلا على ذلك المال حتى ما بقي منه درهم وما بعث الى أهله بدرهم ثم أتى الصلاة فصلى .

﴿حديث آخر في ذلك﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا ابو عبد الله الحافظ أخبرني ابوالطيب محمد بن محمد بن عبدالله السعيدي حدثنا محمس بن عصام حدثنا حفص بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في مسجدي قال وكان اكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى احداً الا أعطاه إذ جاءه العباس فقال يارسول أعطني فاني فاديت نفسي ، وفاديت عقيلاً فقال له رسول الله ﷺ خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفي عنه عجبا من حرصه فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم ، وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه تعليقا بصيغة الجزم يقول : وقال ابراهيم بن طهمان ويسوقه وفي بعض السياقات أتم من هذا

وقوله (وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل) اي (وان يريدوا خيانتك) فيما أظهروا لك من الاقوال (فقد خانوا الله من قبل) أي من قبل بدر بالكفر به (فامكن منهم) أي بالاسارى يوم بدر (والله عليم حكيم) اي عليم

﴿ان يعلم الله في قلوبكم خيرا﴾ اي ايمانا ﴿يؤتكم خيرا مما اخذ منكم﴾ من الفداء ﴿ويغفر لكم﴾ ذنوبكم ﴿والله غفور رحيم﴾ قال العباس رضي الله عنه : فأبدلني الله منها عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان عشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي عز وجل .

قوله ﴿وان يريدوا خيانتك﴾ يعنى الاسارى ﴿فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم﴾ ببدر ﴿والله عليم حكيم﴾ قال ابن جريج أراد بالخيانة الكفر أي ان كفروا بك فقد كفروا بالله من قبل

بفعله حكيم فيه قال قتادة نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا لننصحن لك على قومنا وفسرها السدي على العموم وهو اشمل واظهر والله أعلم

إن الذين آمنوا وهاجروا وجٰهدوا بأموٰلهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض. والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولٰيتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثٰق والله بما تعملون بصير (٧٢)

ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك، وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء (بعضهم أولياء بعض) أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد، ولهذا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار كل اثنين اخوان فكانوا يتوارثون بذلك ارثا مقدما على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث. ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس، ورواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عنه، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد. قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير هو ابن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المهاجرون والانصار بعضهم أولياء بعض، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض الى يوم القيامة» تفرد به أحمد. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان حدثنا عكرمة يعني ابن ابراهيم الازدي حدثنا عاصم عن شقيق عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «المهاجرون والانصار، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء

فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم ان عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم

قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وهاجروا﴾ أي هجروا قومهم وديارهم يعني المهاجرين من مكة ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا﴾ رسول الله (ص) والمهاجرين معه أي أسكنوهم منازلهم ﴿ونصروا﴾ أي نصروهم على أعدائهم وهم الانصار رضي الله عنهم ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ دون أقربائهم من الكفار. قيل في العون والنصرة، وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوي الارحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطعت الهجرة وتوارثوا بالارحام حيثما كانوا

بعض في الدنيا والآخرة » هكذا رواه في مسند عبدالله بن مسعود. وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والانصار فى غير ما آية في كتابه فقال (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدلهم جنات تجري من تحتها الانهار) الآية وقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) الاية وقال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الآية وأحسن ماقيل في قوله (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) أي لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم فان ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الانصار ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء لايختلفون في ذلك ، ولهذا قال الامام أبو بكر احمد بن عمر بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن حذيفة قال : خيرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت الهجرة ثم قال لانعرفه الا من هذا الوجه وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم) قرأ حمزة ولايتهم بالكسر والباقون بالفتح وهما واحد كالدلالة والدلالة (من شيء حتى يهاجروا) هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب، ولا في خمسها الا ماحضروا فيه القتال كما قال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن يزيد عن أبيه عن يزيد بن الخصيب الاسلمي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وقال « اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى إحدى ثلاث خصال أوخلال، فأيتهن ما أجابوك اليها فاقبل منهم ، وكف عنهم . ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، وأعلمهم ان فعلوا ذلك أن لهم ماللمهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين، فان أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كاعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فادعهم الى اعطاء الجزية . فان أجابوا فاقبل منهم و كف عنهم

وصار ذلك منسوخا بقوله عز وجل (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء ﴾ يعني في الميراث ﴿ حتى يهاجروا ﴾ قرأ حمزة (ولايتهم) بكسر الواو والباقون بالفتح وهما واحد كالدلالة والدلالة ﴿ وان استنصروكم في الدين ﴾ أي استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا ﴿ فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ عهد فلا

فان أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » انفرد به مسلم وعنده زيادات أخر ، وقوله (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) الآية يقول تعالى وإن استنصركم هؤلاء الاعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم فانه واجب عليكم نصرهم لأنهم إخوانكم في الدين إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق أي مهادنة إلى مدة فلا تخفروا ذمتكم ، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه

والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير (٧٣)

لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالاة بينهم وبين الكفار كما قال الحاكم في مستدركه حدثنا محمد بن صالح بن هاني، حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور الهروي حدثنا محمد بن أبان حدثنا محمد بن يزيد وسفيان بن حسين عن الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة عن النبي ﷺ قال « لا يتوارث أهل ملتين ولا يرث مسلم كافراً ولا كافر مسلما. ثم قرأ (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . قلت الحديث في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتوارث أهل ملتين شتى » وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد عن معمر عن الزهري أن رسول الله ﷺ أخذ على رجل دخل في الاسلام فقال « تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان ، وانك لا ترى نار مشرك الا وأنت له حرب » وهذا مرسل من هذا الوجه وقد روى متصلا من وجه آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا بريء من كل مسلم بين ظهراني المشركين » ثم قال « لا يتراءى ناراهما » وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد حدثنا محمد بن داود بن سفيان أخبرني يحيى بن حسان أنبأنا سليمان ابن موسى (أبو داود) حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب أخبرني حبيب بن سليمان بن سمرة ابن جندب : أما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » وذكر الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حاتم بن اسماعيل عن عبدالله بن هرمز عن محمد وسعيد ابني

تنصروهم عليهم ﴿ والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ في العون والنصرة وقال ابن عباس: في الميراث ، أي يرث المشركون بعضهم من بعض ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض ﴾ قال ابن عباس : إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به . وقال ابن جريج : إلا تعاونوا وتناصروا ، وقال ابن إسحاق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم ، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض . ثم قال (إلا تفعلوه) وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن (تكن فتنة في

عبيد عن أبي حاتم المزني قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد عريض » قالوا يا رسول الله وان كان فيه قال « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه » ثلاث مرات أخرجه أبو داود والترمذي من حديث حاتم بن اسماعيل به بنحوه ثم روى من حديث عبدالحميد بن سليمان عن ابن عجلان عن أبي وثيمة النضري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد عريض » ومعنى قوله (الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) أي ان لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين ، والا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الامر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)

لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر مالهم في الآخرة ، فأخبر عنهم بحقيقة الايمان كما تقدم في أول السورة وانه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مستمر أبداً لا ينقطع ولا ينقضي ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه . ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الايمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة كما قال (والسابقون الاولون) الآية وقال (والذين جاؤا من بعدهم) الآية . وفي الحديث

الارض) ﴿ وفساد كبير ﴾ فالفتنة في الارض قوة الكفر ، والفساد الكبير ضعف الاسلام ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ لا مرية ولا ريب في ايمانهم . قيل حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال في الدين ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ الجنة . فان قيل أي معنى في تكرار هذه الآية ؟ قيل المهاجرون كانوا على طبقات فكان بعضهم أهل الهجرة الاولى وهم الذين هاجروا قبل الحديبية ، وبعضهم أهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية قبل فتح مكة ، وكان بعضهم ذا هجرتين - هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة - فالمراد من الآية الاولى الهجرة الاولى ومن الثانية الهجرة الثانية

قوله ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ أي معكم يريد أنتم منهم

المتفق عليه بل المتواتر من طرق صحيحة عن رسول الله ﷺ أنه قال « المرء مع من أحب » وفي الحديث الآخر « من أحب قوما فهو منهم » وفي رواية حشر معهم

وقال الامام احمد : حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير قال قال رسول الله ﷺ « المهاجرون والانصار بعضهم اولياء لبعض ، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض الى يوم القيامة » قال شريك فحدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير عن النبي ﷺ مثله تفرد به احمد من هذين الوجهين . وأما قوله تعالى (بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) أي في حكم الله وليس المراد بقوله (وأولوا الارحام) خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة الذين لا فرض لهم ولا هم عصبة بل يدلون بوارث كالخالة والخال والعمة وأولاد البنات وأولاد الاخوات ونحوهم كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية ويعتقد ذلك صريحا في المسئلة بل الحق ان الاية عامة تشمل جميع القرابات كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد على أنها ناسخة للارث بالحلف والاخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أولا ، وعلى هذا فتشمل ذوي الارحام بالاسم الخاص ، ومن لم يورثهم يحتج بادلة من أقواها حديث « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث » قالوا فلو كان ذا حق لكان ذا فرض في كتاب الله مسمى فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثا والله أعلم

آخر تفسير سورة الانفال ولله الحمد والمنة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

تفسير سورة التوبة مدنية

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين (١) فسيحوا في الارض أربعة

وهم منكم ﴿ وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ﴾ وهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث الى ذوي الارحام . قوله ﴿ في كتاب الله ﴾ أي في حكم الله عزوجل . وقيل أراد بكتاب الله القرآن يعني القسمة التي بينها في سورة النساء ﴿ ان الله بكل شيء عليم ﴾

﴿ سورة التوبة مدنية ﴾

قال مقاتل هذه السورة مدنية كلها إلا آيتين من آخر السورة . قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة التوبة قال هي الفاضحة مازالت تنزل فيهم حتى ظنوا انها لم تبق أحدا منهم إلا ذكر فيها . قال قلت سورة الانفال؟ قال تلك سورة بدر . قال قلت سورة الحشر قال : تلك سورة النضير . أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد بن الحسين الجرجاني أنبأنا أبو احمد عبدالله بن عدي الحافظ أنبأنا أحمد بن علي بن المثنى

أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين (٢)

هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت البراء يقول آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وآخر سورة نزلت براءة ، وانما لم يبسمل في أولها لان الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الامام بل اقتدوا في ذلك بامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه كما قال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن أبي جعفر وابن عدي وسهيل بن يوسف قالوا حدثنا عوف بن أبي جميلة أخبرني يزيد الفارسي أخبرني ابن عباس قال قلت لعثمان ابن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين وقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك فقال عثمان كان

ثنا عبيد الله القواريري ثنا يزيد بن زريع ثنا عوف بن أبي جميلة الاعرابي حدثني يزيد الفارسي حدثني ابن عباس رضي الله عنه قال قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ماحملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول ؟ فقال عثمان : ان رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فاذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول « ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الانفال مما نزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا انها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول

قوله تعالى ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ أي هذه براءة من الله وهي مصدر كالنشاة والدناءة . قال المفسرون : لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله عز وجل (وإما تخافن من قوم خيانة) الآية قال الزجاج (براءة) أي قد بريء الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء لهم بها إذا نكثوا ﴿ إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ الخطاب مع أصحاب النبي ﷺ وإن كان النبي ﷺ هو الذي عاهدهم وعاقدهم لانه عاهدهم وأصحابه راضون بذلك فكأنهم عاقدوا وعاهدوا ﴿ فسيحوا في الارض ﴾ رجع من الخبر إلى الخطاب أي قل لهم سيحوا أي سيروا في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين ﴿ أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله ﴾ أي غير فائتين ولا سابقين ﴿ وأن الله مخزي الكافرين ﴾ أي مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة . واختلف العلماء في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين بريء الله ورسوله اليهم من

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت أنها منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول ، وكذا رواه الامام احمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق أخر عن عوف الاعرابي به وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه[1] وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر ان المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك وانهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج تلك السنة ليقيم للناس مناسكهم ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا ، وأن ينادي في الناس (براءة من الله ورسوله) فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغا عن رسول الله ﷺ لكونه عصبة

العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ فقال جماعة هذا تأجيل من الله تعالى للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة أشهر ، ومن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر حطه إلى أربعة أشهر ، ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود حده بأربعة أشهر ثم هو حرب بعد ذلك لله ورسوله فيقتل حيث يدرك ويؤسر الا أن يتوب ، وابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من شهر ربيع الآخر ، فأما من لم يكن له عهد فانما أجله انسلاخ الأشهر الحرم وذلك خمسون يوما . وقال الزهري : الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الآية نزلت في شوال والاول هو الاصوب وعليه الاكثرون . وقال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان له عهد دون أربعة أشهر فأتم له أربعة أشهر فأما من كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) قال الحسن أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بقتال من قاتله من المشركين فقال (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الاجل . وقيل نزلت هذه قبل تبوك قال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك ان رسول الله ﷺ عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منها وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله ﷺ وقال

[1] قال الترمذي في حديث عوف عن يزيد الفارسي . اقول ويزيد هذا غير مشهور اختلفوا فيه وسئل عنه يحي بن معين فلم يعرفه وقال ابن أبي حاتم لا بأس به فلا يصح ان يكون ما انفرد به معتبرا في ترتيب القرآن الذي يطلب فيه التواتر كما بينته في تفسير المنار

له كما سيأتي بيانه فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) أي هذه براءة أي تبرؤ من الله ورسوله (الى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الارض أربعة أشهر) اختلف المفسرون ههنا اختلافا كثيراً فقال قائلون هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة أو من له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته مهما كان لقوله تعالى (فأتموا اليهم عهدهم إلى مدتهم) الآية ولما سيأتي في الحديث . ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته وهذا أحسن الاقوال وأقواها ، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله وروي عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الارض أربعة أشهر) الآية قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون في الارض حيث شاؤا وأجل أجل من ليس له عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم النحر إلى سلخ المحرم فذلك خمسون ليلة فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الاسلام وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر خلون من ربيع الآخر أن يضع فيهم السيف أيضا حتى يدخلوا في الاسلام وقال أبو معشر المدني حدثنا محمد

لاهم اني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنا أبا وكنا ولدا ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أبدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا في فيلق كالبحر يجري مزبدا
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا ان سيم خسفا وجهه تربدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالهجير هجدا وقتلونا ركعاً وسجدا
وزعموا أن لست ترعى أحدا وهم أذل وأقل عددا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نصرت ان لم أنصركم » وتجهز الى مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج ثم قال « انه يحضر المشركون فيطوفوا عراة » فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا كرم الله وجهه على ناقته العضباء ليقرأ علي الناس صدر براءة ، وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . فرجع أبو بكر فقال : يارسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء ؟ قال « لا ، ولكن لاينبغي لاحد أن يبلغ هذا الارجل من أهلي . أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض» قال بلى ؟ يارسول الله . فسار أبو بكر

ابن كعب القرظي وغيره قالوا بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع وبعث علي ابن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الارض فقرأها عليهم يوم عرفة أجلهم عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشراً من ربيع الآخر وقرأها عليهم في منازلهم وقال « لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا ولا يطوفن بالبيت عريان » وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (براءة من الله ورسوله) الى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد أو غيرهم فقفل رسول الله ﷺ من تبوك حين فرغ فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال « انما يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك » فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس في ذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بأن يؤمنوا أربعة أشهر فهي الاشهر المتواليات عشرون من ذي الحجة إلى عشر يخلون من ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا ، وهكذا روي عن السدي وقتادة وقال الزهري كان ابتداء التأجيل من شوال وآخره سلخ المحرم وهذا القول غريب وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها وانما ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولهذا قال تعالى

رضي الله عنه أميراً على الحاج ، وعلي رضي الله عنه ليؤذن ببراءة ، فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب أبو بكر الناس وحدثهم عن مناسكهم ، وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأذن في الناس بالذى أمر به وقرأ عليهم سورة براءة ، وقال زيد بن يثيع سألنا عليا بأي شيء بعثت في تلك الحجة ؟ قال : بعثت بأربع . لايطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له مدة فأجله أربعة أشهر ، ولايدخل الجنة الا نفس مؤمنة ، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا . ثم حج النبي ﷺ سنة عشر حجة الوداع

فان قال قائل كيف بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه ثم عزله وبعث عليا رضي الله عنه؟ قلنا: ذكر العلماء أن رسول الله ﷺ لم يعزل أبا بكر رضي الله عنه وكان أميراً ، وانما بعث عليا رضي الله عنه لينادي بهذه الآيات ، وكان السبب فيه أن العرب تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها أن لا يتولى ذلك الا سيدهم أو رجل من رهطه . فبعث عليا رضي الله عنه ازاحة للعلة لئلا يقولوا هذا خلاف مانعرفه فينا في نقض العهد ، والدليل على أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الامير ماأخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحاق ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن أخي ثنا ابن شهاب عن عمه أخبرني حميد بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر نؤذن بمنى ألا لايحج بعد العام مشرك ولا

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)﴾

يقول تعالى وإعلام (من الله ورسوله) وتقدم وانذار إلى الناس (يوم الحج الاكبر) وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها وأكبرها جميعاً (ان الله بريء من المشركين ورسوله) أي بريء منهم أيضاً، ثم دعاهم إلى التوبة اليه فقال (فان تبتم) أي مما أنتم فيه من الشرك والضلال (فهو خير لكم، وإن توليتم) أي استمررتم على ما أنتم عليه (فاعلموا أنكم غير معجزي الله) بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) أي في الدنيا بالخزي والنكال، وفي الآخرة بالمقامع والاغلال. قال البخاري رحمه الله: حدثنا عبدالله بن يوسف حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني حميد بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين الذين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، قال حميد ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ورواه البخاري أيضاً حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى الا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ويوم الحج الاكبر يوم النحر، وانما قيل الاكبر من أجل قول الناس الحج الاصغر فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذى حج فيه رسول الله ﷺ مشرك، هذا لفظ البخاري في كتاب الجهاد، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله (براءة من الله ورسوله) قال لما كان النبي ﷺ زمن حنين اعتمر من الجعرانة ثم أمَّر أبا بكر على تلك الحجة قال معمر قال الزهري وكان أبو هريرة يحدث أن أبا بكر أمر أبا هريرة أن يؤذن ببراءة في حجة أبي بكر، قال أبو هريرة ثم أتبعنا النبي ﷺ علياً وأمره أن يؤذن ببراءة وأبو بكر على الموسم كما هو أو قال على هيئته. وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج كان سنة عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن أسيد فأما أبو بكر انما كان أميراً سنة تسع

يطوف بالبيت عريان قال حميد بن عبدالرحمن ثم أردف رسول الله ﷺ عليا فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان

﴿وأذان﴾ عطف على قوله (براءة) أي إعلام، ومنه الاذان بالصلاة يقال: أذنته فأذن أي أعلمته فعلم وأصله من الأذن أي أوقعته في أذنه ﴿من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ اختلفوا

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن مغيرة عن الشعبي عن محرز بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ببراءة فقال « ماكنتم تنادون ؟ » قال كنا ننادي أنه لايدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فان أجله أو مدته إلى أربعة أشهر فاذا مضت الاربعة الاشهر فان الله بريء من المشركين ورسوله ، ولا يحج هذا البيت بعد عامنا هذا مشرك ، قال فكنت أنادي حتى صحل صوتي ، وقال الشعبي حدثني محرز بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادي فكان اذا صحل ناديت فقلت بأي شيء كنتم تنادون ؟ قال بأربع: لايطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهده إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك . رواه ابن جرير من غير وجه عن الشعبي ، ورواه شعبة عن مغيرة عن الشعبي به إلا أنه قال ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى أربعة أشهر وذكر تمام الحديث قال ابن جرير وأخشى أن يكون وهما من بعض نقلته لأن الاخبار متضافرة في الاجل بخلافه

وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن سماك عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ببراءة مع أبي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال لايبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي فبعث بها مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ورواه الترمذي في التفسير عن بندار عن عفان وعبد الصمد كلاهما عن حماد بن سلمة به ثم قال حسن غريب من حديث أنس رضي الله عنه ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن سليمان حدثنا لوين حدثنا محمد بن جابر عن سماك عن حنش عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال « أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم » فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله : نزل في شيء ؟ فقال « لا ولكن جبريل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك » هذا اسناد فيه ضعف ، وليس المراد أن أبا بكر رضي الله عنه رجع من فوره بل بعد قضائه للمناسك التي أمره عليها رسول الله ﷺ كما جاء مبيناً في الرواية الاخرى

وقال عبد الله أيضاً حدثني أبو بكر حدثنا عمر بن حماد عن اسباط بن نصر عن سماك عن حنش

في يوم الحج الاكبر روى عكرمة عن ابن عباس أنه يوم عرفة ، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب ، وقال جماعة هو يوم النحر روي عن يحيى بن الجزار قال : خرج علي رضي الله عنه يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة فجاءه رجل وأخذ بلجام دابته وسأله عن يوم الحج الاكبر فقال : يومك هذا خل سبيلها ، ويروى ذلك عن

عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه ببراءة قال يانبي الله إني لست باللسن ولا بالخطيب قال « لابد لي أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت » قال فان كان ولابد فسأذهب أنا ، قال « انطلق فان الله يثبت لسانك ويهدي قلبك » قال ثم وضع يده على فيه

وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن زيد بن يثيع رجل من همدان سألنا علياً بأي شيء بعثت ؟ يعني يوم بعثه النبي ﷺ مع أبي بكر في الحجة قال بعثت بأربع : لايدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته ، ولا يحج المشركون بعد عامهم هذا ، ورواه الترمذي عن قلابة عن سفيان بن عيينة وقال حسن صحيح كذا قال ، ورواه شعبة عن أبي اسحاق فقال زيد بن اثيل وهم فيه ، ورواه الثوري عن أبي اسحاق عن بعض أصحابه عن علي رضي الله عنه . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحاق عن يزيد بن يثيع عن علي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بأربع : أن لايطوف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الاعلى عن ابن ثور عن معمر عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي قال أمرت بأربع فذكره ، وقال اسرائيل عن أبي اسحاق عن زيد بن يثيع قال نزلت براءة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم أرسل علياً فأخذها فلما رجع أبو بكر قال نزل في شيء ؟ قال « لا ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي » فانطلق إلى أهل مكة فقام فيهم بأربع : لايدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته وقال محمد بن اسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر ليقيم الحج للناس فقيل يارسول الله : لو بعثت إلى أبي بكر فقال « لايؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي » ثم دعا علياً فقال « اذهب بهذه القصة من سورة براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى أنه لايدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مدته » فخرج علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله

عبدالله بن أبي أوفى والمغيرة بن شعبة ، وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي ، وروى ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج أيام منى كلها ، وكان سفيان الثوري يقول : يوم الحج الاكبر أيام منى كلها مثل يوم صفين ويوم الجمل ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لان هذه الحروب دامت أياما كثيرة ، وقال عبدالله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه

عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر في الطريق فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ فقال بل مأمور ثم مضيا فأقام ابو بكر للناس الحج إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام عليّ بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس: انه لايدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة الى الاجل المسمى

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابو زرعة وعبد الله بن راشد أخبرنا حيوة بن شريح أخبرنا ابن صخر انه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول: سألت علياً عن يوم الحج الاكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج وبعثني معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة، فلما قضى خطبته التفت إلي فقال قم ياعلي فأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا فأتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسي وعلمت أن أهل الجمعة لم يكونوا كلهم حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة فطفت أتتبع بها الفساطيط اقرأها عليهم فمن ثم اخال حسبتم انه يوم النحر الا وهو يوم عرفة، وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابي اسحاق سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الاكبر قال يوم عرفة، فقلت أمن عندك أم من أصحاب محمد ﷺ؟ قال كل في ذلك. وقال عبد الرزاق أيضاً عن ابن جريج عن عطاء قال: يوم الحج الاكبر يوم عرفة. وقال عمر بن الوليد الشني حدثنا شهاب بن عباد العصري عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: هذا يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر فلا يصومنه أحد. قال فحججت بعد أبي فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأتيته فقلت اني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال أخبرك عمن هو أفضل مني مائة ضعف عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الاكبر رواه ابن جرير وابن ابي حاتم، وهكذا روي عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعكرمة وطاووس أنهم قالوا يوم عرفة هو يوم الحج الاكبر وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جريج أخبرت عن محمد بن قيس عن ابن مخرمة أن رسول الله

رسول الله ﷺ وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى والمشركين ولم يجتمع قبله ولا بعده واختلفوا في الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران، والحج الاصغر افراد الحج، وقال الزهري والشعبي وعطاء: الحج الاكبر الحج، والحج الاصغر العمرة: قيل لها الأصغر لنقصان أعمالها

صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال « هذا يوم الحج الاكبر » وروي من وجه آخر عن ابن جريج عن محمد بن قيس عن المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خطبهم بعرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر » والقول الثاني أنه يوم النحر قال هشيم عن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي عن علي رضي الله عنه قال: يوم الحج الاكبر يوم النحر ، وقال اسحق السبيعي عن الحارث الاعور سألت عليا رضي الله عنه عن يوم الحج الاكبر فقال هو يوم النحر ، وقال شعبة عن الحكم سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن علي رضي الله عنه أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة فجاء رجل فأخذ بلجام دابته فسأله عن الحج الاكبر فقال هو يومك هذا خل سبيلها ، وقال عبد الرزاق عن سفيان عن شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أبي أوفى انه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر ، وروى شعبة وغيره عن عبد الملك بن عمير به نحوه ، وهكذا رواه هشيم وغيره عن الشيباني عن عبدالله بن أبي أوفى ، وقال الاعمش عن عبدالله ابن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحى على بعير فقال: هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر وقال حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الحج الاكبر يوم النحر ، وكذا روي عن أبي جحيفة وسعيد بن جبير وعبد الله بن شداد بن الهاد ونافع بن جبير بن مطعم والشعبي وابراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة وأبي جعفر الباقر والزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا يوم الحج الاكبر هو يوم النحر واختاره ابن جرير ، وقد تقدم الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري أن أبا بكر بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى وقد ورد في ذلك أحاديث أخر كما قال الامام أبو جعفر بن جرير حدثني سهل بن محمد الحساني حدثنا أبو جابر الحربي حدثنا هشام بن الغازي الجرشي عن نافع عن ابن عمر قال: وقف رسول الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال « هذا يوم الحج الاكبر » وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي جابر واسمه محمد بن عبد الملك به ، ورواه ابن مردويه أيضا من حديث الوليد بن مسلم عن هشام بن الغازي به ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز عن نافع به ، وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ على ناقة حمراء مخضرمة فقال « أتدرون أي يوم يومكم هذا ؟ » قالوا يوم النحر ، قال « صدقتم يوم الحج الاكبر »

وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: لما كان ذلك اليوم قعد رسول الله ﷺ على بعيره وأخذ الناس بخطامه أو زمامه فقال « أي يوم هذا ؟ » قال فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه فقال

قوله تعالى ﴿ إن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ أي ورسوله أيضا بريء من المشركين ، وقرأ يعقوب بنصب اللام أي إن الله ورسوله بريء ﴿ فان تبتم ﴾ رجعتم من كفركم وأخلصتم التوحيد

« أليس هذا يوم الحج الاكبر؟ » وهذا اسناد صحيح وأصله مخرج في الصحيح . وقال أبو الاحوص عن شبيب بن عروة عن سليمان بن عمرو بن الاحوص عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال « أي يوم هذا ؟ » فقالوا اليوم الحج الاكبر ، وعن سعيد بن المسيب أنه قال : يوم الحج الاكبر اليوم الثاني من يوم النحر . رواه ابن أبي حاتم ، وقال مجاهد أيضاً يوم الحج الاكبر أيام الحج كلها ، وكذا قال أبو عبيد قال سفيان يوم الحج ويوم الجمل ويوم صفين أى أيامه كلها ، وقال سهل السراج سئل الحسن البصرى عن يوم الحج الاكبر فقال مالكم وللحج الاكبر ؟ ذاك عام حج فيه أبو بكر الذى استخلفه رسول الله ﷺ فحج بالناس رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن ابن عون سألت محمداً يعني ابن سيرين عن يوم الحج الاكبر فقال كان يوما وافق فيه حج رسول الله ﷺ وحج أهل الوبر

إلا الذين عٰهدتم من المشركين ثم لم ينقُصوكم شيئا ولم يُظٰهروا عليكم أحداً فأتموا اليهم عهدهم إلىٰ مدّتهم إن الله يحب المتقين (٤)

هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس بموقت فأجله أربعة أشهر يسيح في الارض يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء إلا من له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها وقد تقدمت الاحاديث ، ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعهده إلى مدته وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده ولم يظاهر على المسلمين أحداً أي يمالىء عليهم من سواهم فهذا الذي يوفى له بذمته وعهده إلى مدته ولهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك فقال (ان الله يحب المتقين) أي الموفين بعهدهم

﴿ فهو خير لكم وإن توليتم ﴾ أعرضتم عن الايمان ﴿ فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم * إلا الذين عاهدتم من المشركين ﴾ هذا استثناء من قوله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم) الى الناس إلا من عهد الذين عاهدتم (من المشركين) وهم بنو ضمرة حي من كنانة أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم إلى مدتهم ، وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر ، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد

وهذا معنى قوله تعالى ﴿ثم لم ينقصوكم شيأ﴾ من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه ﴿ولم يظاهروا﴾ ولم يعاونوا ﴿ عليكم أحد ﴾ من عدوكم وقرأ عطاء بن يسار لم ينقضوكم بالضاد المعجمة من نقض العهد ﴿ فأتموا اليهم عهدهم ﴾ فأوفوا لهم بعهدهم ﴿ إلى مدتهم ﴾ إلى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه ﴿ إن الله يحب

فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلوٰة وآتوا الزكوٰة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم (٥)

اختلف المفسرون في المراد بالاشهر الحرم ههنا ماهي فذهب ابن جرير إلى أنها المذكورة في قوله تعالى (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الآية قاله أبو جعفر الباقر ولكن قال ابن جرير آخر الاشهر الحرم في حقهم المحرم وهذا الذي ذهب اليه حكاه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واليه ذهب الضحاك أيضاً وفيه نظر والذي يظهر من حيث السياق ماذهب اليه ابن عباس في رواية العوفي عنه ، وبه قال مجاهد وعمرو بن شعيب ومحمد بن اسحاق وقتادة والسدي وعبدالرحمن ابن زيد بن أسلم أن المراد بها أشهر التسيير الاربعة المنصوص عليها بقوله (فسيحوا في الارض أربعة أشهر) ثم قال (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) أي اذا انقضت الاشهر الاربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم لان عود العهد على مذكور أولى من مقدر ثم ان الاشهر الاربعة المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرى بعد في هذه السورة الكريمة ، وقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) أى من الارض وهذا عام والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم) وقوله (وخذوهم) أى وأسروهم إن شئتم قتلا وإن شئتم أسراً وقوله (واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) أى لاتكتفوا بمجرد وجدانكم

المتقين ﴾ قوله تعالى ﴿ فاذا انسلخ ﴾ انقضى ومضى ﴿ الأشهر الحرم ﴾ قيل هي الأشهر الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وقال مجاهد وابن إسحاق هي شهور العهد فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ، ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يوما ، وقيل لها حرم لان الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم ، فان قيل هذا القدر بعض الأشهر الحرم والله تعالى يقول (فاذا انسلخ الأشهر الحرم) قيل لما كان هذا القدر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع ومعناه مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم

قوله ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ في الحل والحرم ﴿ وخذوهم ﴾ وأسروهم ﴿ واحصروهم ﴾ أى احبسوهم قال ابن عباس رضي الله عنه يريد ان تحصنوا فاحصروهم أي امنعوهم من الخروج ، وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام ﴿ واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ أي على كل طريق والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو ، من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته يريد كونوا لهم رصدا لتأخذوهم من أي وجه توجهوا ، وقيل اقعدوا لهم بطريق مكة حتى

لهم ، بل اقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم والرصد في طرقهم ومسالكهم حتى تضيقوا عليهم الواسع وتضطروهم إلى القتل أو الاسلام ولهذا قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الافعال وهي الدخول في الاسلام والقيام باداء واجباته ونبه بأعلاها على أدناها فان أشرف أركان الاسلام بعد الشهادتين الصلاة التى هي حق الله عز وجل وبعدها اداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج وهي أشرف الافعال المتعلقة بالمخلوقين ، ولهذا كثيراً مايقرن الله بين الصلاة والزكاة ، وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة » الحديث ، وقال أبو اسحاق عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : أمرتم باقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة . وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق انبأنا عبدالله بن المبارك انبأنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فاذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، واستقبلوا قبلتنا ، وأكلوا ذبيحتنا ، وصلوا صلاتنا ، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم » ورواه البخاري في صحيحه وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به

وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي حدثنا عبيد الله بن موسى خبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئا فارقها والله عنه راض » قال وقال أنس هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل قال الله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) قال : توبتهم خلع الاوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ثم قال في آية أخرى (فان أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) ورواه ابن مردويه ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة له حدثنا اسحاق بن ابراهيم انبأنا حكام بن سلمة حدثنا أبو جعفر الرازي به سواء ، وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم إنها نسخت كل عهد بين النبي ﷺ وبين أحد من المشركين وكل عقد وكل مدة ، وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ

لا يدخلوها ﴿ فان تابوا ﴾ من الشرك ﴿ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ يقول دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة ﴿ ان الله غفور ﴾ لمن تاب ﴿ رحيم ﴾ به وقال الحسين بن

نزلت براءة ، وإنسلاخ الاشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة إلى عشر من أول شهر ربيع الآخر ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال أمره الله تعالى أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الاسلام، ونقض ما كان سمى لهم من العهد والميثاق ، وأذهب الشرط الاول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا اسحاق ابن موسى الانصاري قال : قال سفيان بن عيينة قال علي بن أبي طالب بعث النبي ﷺ بأربعة أسياف سيف في المشركين من العرب ، قال الله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) هكذا رواه مختصراً وأظن أن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب لقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (والسيف الثالث) قتال المنافقين في قوله (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) الآية (والرابع) قتال الباغين في قوله (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله) ثم اختلف المفسرون في آية السيف هذه فقال الضحاك والسدي هي منسوخة بقوله تعالى (فاما منا بعد واما فداء) وقال قتادة بالعكس

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (٦)

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (وان أحد من المشركين) الذين امرتك بقتاله وأحللت لك استباحة نفوسهم واموالهم (استجارك) اي استأمنك فأجبه الى طلبته حتي يسمع كلام الله أي القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئا من امر الدين تقيم به عليه حجة الله (ثم أبلغه مأمنه) أي وهو آمن مستمر الامان حتى يرجع الي بلاده وداره ومأمنه (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) أي انما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في تفسير هذه الآية قال انسان يأتيك ليسمع ماتقول وما انزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء ، ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الامان لمن جاءه مسترشداً أو في رسالة كما جاء يوم الحديبية جماعة من

الفضل هذه الآية نسخت كل آية في القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على أذى الاعداء

قوله تعالى ﴿ وان أحد من المشركين استجارك ﴾ أي وان استجارك أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم أي استأمنك بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله ﴿ فأجره ﴾ فاعذه وآمنه ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ فيما له وعليه من الثواب والعقاب ﴿ ثم أبلغه مأمنه ﴾ أي ان لم يسلم أبلغه مأمنه أي الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه فان قاتلك بعد ذلك فقدرت عليه فاقتله ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ أي لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون الى سماع كلام الله قال

الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود ومكرز بن حفص وسهيل بن عمرو وغيرهم واحداً بعد واحد يترددون في القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر فرجعوا الى قومهم واخبروهم بذلك وكان ذلك وأمثاله من اكبر أسباب هداية اكثرهم ، ولهذا أيضا لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ قال له أتشهد ان مسيلمة رسول الله؟ قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا ان الرسل لا تقتل لضربت عنقك» وقد قيض الله له ضرب العنق في امارة ابن مسعود على الكوفة ، وكان يقال له ابن النواحة ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة فأرسل اليه ابن مسعود فقال له انك الآن لست في رسالة وأمر به فضربت عنقه لا رحمه الله ولعنه . والغرض أن من قدم من دار الحرب الى دار الاسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب من الامام أو نائبه أمانا أعطي أمانا مادام متردداً في دار الاسلام ، وحتى يرجع الى مأمنه ووطنه لكن قال العلماء لا يجوز أن يمكن من الاقامة في دار الاسلام سنة ويجوز ان يمكن من إقامة أربعة أشهر ، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الامام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله .

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ؟ إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (٧)

يبين تعالى حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر ثم بعد ذلك السيف المرهف أين ثقفوا فقال تعالى (كيف يكون للمشركين عهد) اي امان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يعني يوم الحديبية كما قال تعالى (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله) الآية (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أي مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين

الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة

قوله تعالى ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ هذا على وجه التعجب ومعناه جحد أي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال جل وعلا ﴿ الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية قال الله تعالى ﴿ فما استقاموا لكم ﴾ أي على العهد ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ فلم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله

(فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين) وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك والمسلمون. استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد ومالؤا حلفاءهم وهم بنو بكر على خزاعة احلاف رسول الله ﷺ فقتلوهم معهم في الحرم أيضا فعند ذلك غزاهم رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثمان ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصيهم ولله الحمد والمنة فاطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء، وكانوا قريباً من ألفين، ومن استمر على كفره وفر من رسول الله ﷺ بعث اليه بالامان والتسيير في الارض أربعة أشهر يذهب حيث شاء ومنهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما، ثم هداهم الله بعد ذلك الى الاسلام التام، والله المحمود على جميع ما يقدره ويفعله.

كيف؟ وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمةً يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون (٨)

يقول تعالى محرضا للمؤمنين على معاداتهم والتبري منهم ومبينا أنهم لا يستحقون ان يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله ﷺ ولانهم لو ظهروا على المسلمين وأديلوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم الا ولا ذمة؛ قال علي بن أبي طلحة وعكرمة والعوفي عن ابن عباس الال القرابة والذمة العهد، وكذا قال الضحاك والسدي كما قال تميم بن مقبل

ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم ماشاءوا إما ان يسلموا واما ان يلحقوا بأي بلاد شاؤا فاسلموا قبل الا ربعة أشهر قال السدي والكلبي وابن اسحاق هم قبائل من بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بني بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وهذا القول أقرب الى الصواب لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة فكيف يقول لشيء قد مضى (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)؟ وانما هم الذين قال الله عز وجل الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ

قوله تعالى ﴿ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم﴾ هذا مردود على الآية الاولي تقديره كيف يكون لهم عهد عند الله وإن يظهروا عليكم ﴿لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة﴾ قال الاخفش كيف لا تقتلونهم وهم إن يظهروا عليكم أي يظفروا بكم (لا يرقبوا) لا يحفظوا، وقال الضحاك لا ينتظروا، وقال قطرب لا يراعوا فيكم إلاً قال ابن عباس والضحاك قرابة، وقال يمان رحما وقال قتادة الإل الحلف وقال السدي هو العهد، وكذلك الذمة إلا أنه كرر لاختلاف اللفظين، وقال أبو مجلز

أفسد الناس خلوف خلفوا　　قطعوا الإلّ وأعراق الرحم

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه

وجدناهم كاذبا إلّهم　　وذو الالّ والعهد لا يكذب

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرقبون في مؤمن الا قال الالّ الله، وفي رواية لا يرقبون الله ولا غيره، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سليمان عن أبي مجلز في قوله تعالى (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) مثل قوله جبريل ميكائيل اسرافيل كأنه يقول لا يرقبون الله والقول الاول أظهر وأشهر وعليه الاكثر، وعن مجاهد أيضا الالّ العهد، وقال قتادة الالّ الحلف

اشتروا بآيٰت الله ثمناً قليلا فصدّوا عن سبيله إنهم ساءما كانوا يعملون (٩) لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون (١٠) فان تابوا وأقاموا الصلوٰة وآتوُا الزكوٰة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيٰت لقوم يعلمون (١١)

يقول تعالى ذما للمشركين وحثا للمؤمنين على قتالهم (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) يعني أنهم اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة (فصدوا عن سبيله) أي منعوا المؤمنين من اتباع الحق (انهم ساء ما كانوا يعملون * لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) تقدم تفسيره وكذا الآية

ومجاهد الأل هو الله عز وجل، وقال عبيد بن عمير يقرأ جبرائلّ بالتشديد يعني عبدالله، وفي الخبر أن ناسا قدموا على أبي بكر من قوم مسيلمة الكذاب فاستقرأهم أبو بكر كتاب مسيلمة فقرءوا فقال أبو بكر رضي الله عنه إن هذا الكلام لم يخرج من إل. أي من الله عز وجل، والدليل على هذا التأويل قراءة عكرمة لا يرقبون في مؤمن إيلا بالياء يعنى الله عز وجل مثل جبرئيل وميكائيل ﴿ ولا ذمة ﴾ أي عهداً ﴿ يرضونكم بأفواههم ﴾ أي يطيعونكم بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم ﴿ وتأبى قلوبهم ﴾ الايمان ﴿ وأكثرهم فاسقون ﴾ فان قيل هذا في المشركين وكلهم فاسقون فكيف وقال أكثرهم فاسقون؟ قيل أراد بالفسق نقض العهد ههنا، وكان في المشركين من وفي بعهده وأكثرهم نقضوا فلهذا قال (وأكثرهم فاسقون) ﴿ اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ وذلك أنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان. قال مجاهد أطعم أبو سفيان حلفاءه ﴿ فصدوا عن سبيله ﴾ فمنعوا الناس من الدخول في دين الله، وقال ابن عباس رضي الله عنه. إن أهل الطائف أمدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله ﷺ ﴿ إنهم ساء ﴾ بئس ﴿ ما كانوا يعملون * لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ﴾ يقول لا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا ﴿ وأولئك هم

التي بعدها (فان تابوا وأقاموا الصلاة) إلى آخرها تقدمت ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيي بن أبي بكر حدثنا أبو جعفر الرازي حدثنا الربيع بن انس قال سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله ﷺ « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وعبادته لا يشرك به وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض» وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله (فان تابوا) يقول فان خلعوا الاوثان وعبادتها (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال في آية أخرى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) ثم قال البزار آخر الحديث عندي والله أعلم فارقها وهو عنه راض وباقيه عندي من كلام الربيع بن أنس

وإن نكثوا أيمـٰنهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقـٰتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمـٰن لهم لعلهم ينتهون (١٢)

يقول تعالى (وان نكث) هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم أي عهودهم

المعتدون﴾ بنقض العهد ﴿ فان تابوا ﴾ من الشرك ﴿ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم ﴾ أي فهم اخوانكم ﴿ في الدين ﴾ لهم مالكم وعليهم ماعليكم ﴿ ونفصل الآيات ﴾ نبين الآيات ﴿لقوم يعلمون﴾ قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة، قال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري ثنا عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قال لا اله الا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله » ؟ فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضي الله عنه فوالله ماهو إلا رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق، أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن إسماعيل ثنا عمرو بن عباس ثنا ابن مهدي ثنا منصور بن سعد عن ميمون بن سياه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله» قوله تعالى ﴿ وإن نكثوا أيمانهم ﴾ نقضوا عهودهم ﴿من بعد عهدهم﴾ عقدهم

ومواثيقهم (وطعنوا في دينكم) أي عابوه وانتقصوه ومن ههنا أخذ قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه أو من طعن في دين الاسلام أو ذكره بنقص، ولهذا قال (فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون) أي يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال ، وقد قال قتادة وغيره : أئمة الكفر كابي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف وعدد رجالا . وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال مر سعد برجل من الخوارج فقال الخارجي هذا من أئمة الكفر فقال سعد كذبت بل أنا قاتلت أئمة الكفر رواه ابن مردويه وقال الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال ماقوتل أهل هذه الآية بعد. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله ، والصحيح أن الآية عامة وان كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم والله اعلم ، وقال الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير ابن نفير انه كان في عهد أبي بكر رضي الله عنه الى الناس حين وجههم الى الشام قال إنكم ستجدون قوما مجوفة رءوسهم فاضربوا معاقد الشيطان منهم بالسيوف فوالله لأن أقتل رجلا منهم أحب إلي من ان اقتل سبعين من غيرهم وذلك بان الله يقول (فقاتلوا أئمة الكفر) رواه ابن أبي حاتم

أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)

وهذا أيضا تهييج وتحضيض وإغراء على قتال المشركين الناكثين بايمانهم الذين هموا باخراج

يعني مشركي قريش ﴿ وطعنوا ﴾ قدحوا ﴿ في دينكم ﴾ وعابوه فهذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الاسلام ظاهراً لا يبقى له عهد ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام أئمة بهمزتين حيث كان وقرأ الباقون بتليين الهمزة الثانية . وأئمة الكفر رءوس المشركين وقادتهم من أهل مكة قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد وهم الذين هموا باخراج الرسول ، وقال مجاهد هم أهل فارس والروم ، وقال حذيفة بن اليمان ماقوتل أهل هذه الآية ولم يأت أهلها بعد ﴿ إنهم لا أيمان لهم ﴾ أي لا عهود لهم جمع يمين . قال قطرب لا وفاء لهم بالعهد ، وقرأ ابن عامر لا إيمان لهم بكسر الالف أي لا تصديق لهم ولا دين لهم وقيل هو من الامان أي لا تؤمنوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴿ لعلهم ينتهون ﴾ أي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم ، وقيل عن الكفر ثم حض المسلمين على القتال فقال : جل ذكره ﴿ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ﴾ نقضوا عهدهم وهم الذين

الرسول من مكة كما قال تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقال تعالى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآية وقال تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) الآية وقوله (وهم بدءوكم أول مرة) قيل المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر عيرهم فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجههم طلبا للقتال بغيا وتكبراً كما تقدم بسط ذلك، وقيل المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة أحلاف رسول الله ﷺ حتى سار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وكان ما كان ولله الحمد والمنة . وقوله (أتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) يقول تعالى لا تخشوهم واخشون فانا أهل أن يخشى العباد من سطوتي وعقوبتي فبيدي الامر وما شئت كان وما لم أشأ لم يكن، ثم قال تعالى عزيمة على المؤمنين وبيانا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته على اهلاك الاعداء بامر من عنده (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) وهذا عام في المؤمنين كلهم، وقال مجاهد وعكرمة والسدي في هذه الآية (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني خزاعة وأعاد الضمير في قوله (ويذهب غيظ قلوبهم) عليهم أيضا ، وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة مؤذن لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن مسلم بن يسار عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا غضبت أخذ بانفها وقال « يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » ساقه من طريق أبي احمد الحاكم عن الباغندي عن هشام بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن أبي الجوزاء عنه (ويتوب الله على من يشاء) أي من عباده (والله عليم) أي بما يصلح عباده(حكيم)في أفعاله وأقواله الكونية والشرعية فيفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو العادل الحاكم الذي لا يجور أبداً ولا يضيع مثقال ذرة من خير وشر بل يجازي عليه في الدنيا والآخرة

نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة ﴿ وهموا باخراج الرسول ﴾ من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة ﴿ وهم بدؤكم ﴾ بالقتال ﴿ أول مرة ﴾ يعني يوم بدر وذلك أنهم قالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه، وقال جماعة من المفسرين أراد أنهم بدءوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ ﴿ أتخشونهم؟ ﴾ أتخافونهم فتتركون قتالهم ﴿ فالله أحق أن تخشوه ﴾ في ترك قتالهم ﴿ ان كنتم مؤمنين * قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ يقتلهم الله بأيديكم ﴿ ويخزهم ﴾ ويذلهم بالاسر والقهر ﴿ وينصركم عليهم ويشف صدور قوم ﴾ ويبريء داء قلوب قوم ﴿ مؤمنين ﴾ مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ، وقال مجاهد والسدي أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر عليهم حتى نكأوا فيهم فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي ﷺ وبالمؤمنين ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ كربها ووجدها بمعونة قريش بني بكر عليهم ثم قال مستأنفا ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ فيهديه الى الاسلام كما فعل بأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو ﴿ والله عليم حكيم ﴾ روي

أم حسبتم أن تُتركوا ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ؟ والله خبير بما تعملون (١٦)

يقول تعالى أم حسبتم أيها المؤمنين أن نترككم مهملين لا نختبركم بامور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب ولهذا قال (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله فاكتفى باحد القسمين كما قال الشاعر

وما أدرى إذا يممت أرضا   أريد الخير أيهما يليني

وقد قال الله تعالى في الآية الاخرى (الٓمٓ . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) وقال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ؟) الآية وقال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) الآية، والحاصل انه تعالى لما شرع لعباده الجهاد بين ان له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه وهو تعالى العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه على ما هو عليه لا اله إلا هو ولا رب سواه ، ولا راد لما قدره وأمضاه

ما كان للمشركين أن يعمروا مسٰجد الله شٰهدين على أنفسهم بالكفر أولٰئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خٰلدون (١٧) إنما يعمُر مسٰجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوٰة وآتى الزكوٰة ولم يخش إلا الله فعسى أولٰئك أن يكونوا من المهتدين (١٨)

يقول تعالى ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لاشريك

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة « ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر »

قوله تعالى ﴿ أم حسبتم ﴾ أظننتم ﴿ أن تتركوا ؟ ﴾ قيل هذا خطاب للمنافقين ، وقيل للمؤمنين الذين شق عليهم القتال فقال أم حسبتم ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ﴿ ولما يعلم الله ﴾ ولم ير الله ﴿ الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون اليهم أسرارهم ، وقال قتادة وليجة خيانة ، وقال الضحاك خديعة وقال عطاء أولياء وقال أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة ، والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة فوليجة الرجل من يختص بدخيلة أمره دون الناس يقال هو وليجتي وهم وليجتي للواحد والجمع ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾

قوله تعالى ﴿ ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله ﴾ الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما

له ،ومن قرأ مسجد الله فأراد به المسجد الحرام أشرف المساجد في الارض الذي بني من أول يوم على عبادة الله وحده لاشريك له وأسسه خليل الرحمن هذا وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر أي بحالهم وقالهم كما قال السدي لو سألت النصراني مادينك ؟ لقال نصراني ولو سألت اليهودي مادينك لقال يهودي والصابئي لقال صابئي والمشرك لقال مشرك (اولئك حبطت أعمالهم) أي بشركهم (وفي النار هم خالدون) وقال تعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولهذا قال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فشهد تعالى بالايمان لعمار المساجد كما قال الامام احمد : حدثنا شريح

لما أسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم وأغاظ علي رضي الله عنه له القول فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا ؟ فقال له علي رضي الله عنه ألكم محاسن ؟ فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فأنزل الله عز وجل ردا على العباس (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله) أي ماينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله وحده فمن كان كافرا بالله فليس من شأنه أن يعمرها فذهب جماعة الى أن المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد ومرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لايمتثل، وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والقعود فيه، قال الحسن ماكان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام، قرأ ابن كثير وأهل البصرة مسجد الله على التوحيد وأراد به المسجد الحرام لقوله تعالى وعمارة المسجد الحرام ولقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام، وقرأ الآخرون مساجد الله بالجمع والمراد منه أيضا المسجد الحرام، قال الحسن انما قال مساجد لانه قبلة المساجد كلها، قال الفراء ربما ذهبت العرب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد ألاترى أن الرجل يركب البرذون فيقول أخذت في ركوب البراذين؟ ويقال فلان كثير الدرهم والدينار يريد الدراهم والدنانير

قوله تعالى ﴿ شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴾ أراد وهم شاهدون فلما طرحت (وهم) نصبت قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر، وقال الضحاك عن ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى الا بعدا ، وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسأل من أنت؟ فيقول أنا نصراني واليهودي يقول أنا يهودي ويقال المشرك مادينك؟ فيقول مشرك . قال الله تعالى ﴿ أولئك حبطت أعمالهم ﴾ لأنها لغير الله عز وجل ﴿ وفي النار هم خالدون ﴾ وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه ما من بطن الا ولدته ثم قال تعالى ﴿ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ﴾ ولم

حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان . قال تعالى (انما يعمر مساجدالله من آمن بالله واليوم الآخر » ورواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب به. وقال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح المري عن ثابت البناني عن ميمون بن سياه وجعفر بن زيد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « إنما عمار المساجد هم أهل الله » ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الواحد بن غياث عن صالح بن بشير المري عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « إنما عمار المساجد هم اهل الله » ثم قال لا نعلم رواه عن ثابت غير صالح ، وقد روى الدارقطني في الافراد من طريق حكامة بنت عثمان بن دينار عن أبيها عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعا « إذا أراد الله بقوم عاهة نظر إلى أهل المساجد فصرف عنهم » ثم قال غريب ، وروى الحافظ البهائي في المستقصى عن أبيه بسنده إلى أبي أمية الطرسوسي حدثنا منصور بن صفير حدثنا صالح المري عن ثابت عن أنس مرفوعا يقول الله : وعزتي وجلالي اني لأهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتحابين فيّ وإلى المستغفرين بالاسحار صرفت ذلك عنهم . ثم قال ابن عساكر حديث غريب

وقال الامام احمد : حدثنا روح حدثنا سعيد عن قتادة حدثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل ان النبي ﷺ قال (ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد » وقال عبد الرزاق عن معمر عن أبي اسحاق عن عمرو ابن ميمون الاودي قال : أدركت أصحاب محمد ﷺ وهم يقولون ان المساجد بيوت الله في الارض وانه حق على الله أن يكرم من زاره فيها . وقال المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت وعدي بن ثابت

يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله لخشية غيره ﴿ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ وعسى من الله واجب أي فأولئك هم المهتدون والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عز وجل التي تؤدي الى الجنة أخبرنا أبو عمرو ومحمد بن عبد الرحمن النسوي حدثنا أحمد بن الحسن الحيري حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن الفرج الحجازي حدثنا بقية حدثنا أبو الحجاج المهدي عن عمرو بن الحارث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « اذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله قال (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) » أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب ولم يأت المسجد ويصلي فلا صلاة له وقد عصى الله ورسوله. قال الله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية رواه ابن مردويه. وقد روي مرفوعا من وجه آخر وله شواهد من وجوه أخر ليس هذا موضع بسطها. وقوله (وأقام الصلاة) أي التي هي أكبر عبادات البدن (وآتى الزكاة) اي التي هي أفضل الاعمال المتعدية إلى بر الخلائق وقوله (ولم يخش إلا الله) أي ولم يخف إلا من الله تعالى ولم يخش سواه (فعسى أولئك أن يكونوا ن المهتدين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) يقول من وحد الله وآمن باليوم الآخر يقول من آمن بما أنزل الله (وأقام الصلاة) يعني الصلوات الخمس (ولم يخش إلا الله) يقول لم يعبد إلا الله ثم قال (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) يقول تعالى ان أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه ﷺ (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وهي الشفاعة وكل عسى في القرآن فهي واجبة، وقال محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله وعسى من الله حق

أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجٰهد في سبيل الله؟ لا يستوُون عند الله والله لا يهدي القوم الظّٰلمين (١٩) الذين آمنوا وهاجروا وجٰهدوا في سبيل الله بأموٰلهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولٰئك هم الفائزون (٢٠) يبشّرهم ربُهم برحمة منه ورضوٰن وجنّٰت لهم فيها نعيم مقيم (٢١) خٰلدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم (٢٢)

قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال ان المشركين قالوا عمارة بيت

ابن سمعان حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر حدثني أبي عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا ان يدعه فقال عثمان سمعت النبي ﷺ يقول «من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا كهيئته في الجنة» أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسن القطان حدثنا علي بن محمد الداراجردي حدثنا أبو عاصم بهذا الاسناد وقال «بنى الله له بيتا في الجنة»

قوله تعالى ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي حدثنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي حدثنا عبدالله بن حامد بن محمد الوزان حدثنا أحمد

الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل انهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لاهل الحرم من المشركين (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون* مستكبرين به سامراً تهجرون) يعني انهم كانوا يستكبرون بالحرم قال (به سامراً) كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبي ﷺ فخير الله الايمان والجهاد مع النبي ﷺ على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به، وان كانوا يعمرون بيته ويحرمون به. قال الله تعالى (لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) يعنى الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئا

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال قد نزلت في العباس ابن عبد المطلب حين أسر ببدر قال لان كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي ونفك العاني، قال الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج - الى قوله - والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان ذلك كله كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك وقال الضحاك بن مزاحم أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأنزل الله (أجعلتم سقاية الحاج؟) الآية. وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن اسماعيل عن الشعبي قال نزلت في علي

ابن محمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المنادي حدثنا أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام عن أبي سلام حدثنا النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي ان لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج وقال الآخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتما فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام - الى قوله - والله لا يهدي القوم الظالمين) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبر أن عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا تنفعهم مع الشرك بالله، وان الايمان بالله والجهاد مع نبيه ﷺ خير مما هم عليه. وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما أدري

والعباس رضي الله عنهما بما تكلما في ذلك وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء بت فيه ، وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد ، فقال علي رضي الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج ؟) الآية كلها وهكذا قال السدي الا انه قال افتخر علي والعباس وشيبة بن عثمان وذكر نحوه ، وقال عبد الرازق أخبرنا معمر عن عمرو عن الحسن قال : نزلت في علي وعباس وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما أراني الا اني تارك سقايتنا فقال رسول الله ﷺ « أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيراً » ورواه محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فذكر نحوه ، وقد ورد فى تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلا بد من ذكره هنا قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيي بن أبي كثير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رجلا قال : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام إلا أن أسقي الحاج . وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ، ولكن إذا صلينا الجمعة

ماتقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (أجعلتم سقاية الحاج) وسقاية مصدر كالرعاية والحماية

قوله ﴿ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ﴾ فيه اختصار تقديره : أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله ؟ وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره : أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ هذا كقوله تعالى (والعاقبة للتقوى) اي للمتقين يدل عليه قراءة عبد الله ابن الزبير وأبيّ بن كعب (أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام) على جمع الساقي والعامر (كمن آمن بالله واليوم الآخر) ﴿ وجاهد في سبيل الله؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثني اسحاق بن ابراهيم ثنا أبو اسامة ثنا يحيي بن مهلب عن حسين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس : يافضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها فقال « اسقني » فقال يارسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه ، قال « اسقني » فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال « اعملوا فانكم على عمل صالح » ثم قال « لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه » وأشار إلى عاتقه ، أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا

دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه . فنزلت (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام — إلى قوله — لا يستوون عند الله)

﴿ طريق اخرى ﴾ قال الوليد بن مسلم حدثني معاوية بن سلام عن جده أبي سلام الاسود عن النعمان بن بشير الانصاري قال : كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل لله عملا بعد الاسلام إلا أن أسقي الحاج . وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام . وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم . فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . قال ففعل فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام — إلى قوله — والله لا يهدي القوم الظالمين) ورواه مسلم في صحيحه وأبوداود وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه

يٰأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوٰنكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمٰن ومن يتولهم منكم فأولٰئك هم الظٰلمون (٢٣) قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموٰل اقترفتموها وتجٰرة تخشون كسادها ومسٰكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفٰسقين (٢٤)

عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن منهال الضرير ثنا يزيد بن زريع ثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه أعرابي فقال: مالي أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل ؟ فقال ابن عباس: الحمد لله مابنا حاجة ولا بخل قدم رسول الله ﷺ على راحلته وخلفه أسامة بن زيد فاستسقى فأتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال « أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا » فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ

قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة ﴾ فضيلة ﴿ عند الله ﴾ من الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ﴿ وأولئك هم الفائزون ﴾ الناجون من النار ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم * يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ﴾ قال مجاهد هذه الآية

أمر تعالى بمباينة الكفار به وإن كانوا آباء أو أبناء ، ونهى عن موالاتهم إن استحبوا أي اختاروا الكفر على الايمان ، وتوعد على ذلك كقوله (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار) الاية . وروى الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن شوذب قال : جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الالهة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله فأنزل الله فيه هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية . ثم أمر تعالى رسوله ان يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله فقال (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها) أي اكتسبتموها وحصلتموها (وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها) أي تحبونها لطيبها وحسنها أي إن كانت هذه الاشياء (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) أي فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ولهذا قال (حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وقال الامام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن زهرة بن معبد عن جده قال :

متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وولده يقولون ننشدك بالله ان لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجره فأنزل الله عز وجل هذه الآيه . وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله عن ولايتهم فأنزل الله (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء) بطانة وأصدقاء فتفشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة والجهاد ﴿ ان استحبوا ﴾ اختاروا ﴿ الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم ﴾ فيطلعهم على عورة المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ وكان في ذلك الوقت لا يقبل الايمان إلا من مهاجر فهذا معنى قوله (فأولئك هم الظالمون) . ثم قال تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة ﴿ ان كان آباؤكم ﴾ وذلك انه لما نزلت الآية الاولى قال الذين أسلموا ولم يهاجروا : ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا ، وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا ، فنزل (قل ان كان آباؤكم) ﴿ وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم (عشيراتكم) بالالف على الجمع والآخرون بلا الف على التوحيد لان العشيرة واقعة على الجمع ، ويقوي هذه القراءة ان أبا الحسن الاخفش قال : لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات انما تجمعها على العشائر . ﴿ وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ﴾ اي تستطيبونها يعني القصور والمنازل ﴿ أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا ﴾ فانتظروا ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ قال عطاء :

كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال : والله يارسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه » فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي . فقال رسول الله « الآن يا عمر » انفرد باخراجه البخاري فرواه عن يحيى بن سليمان عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن أبي عقيل زهرة ابن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام عن النبي ﷺ بهذا . وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ انه قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب اليه من والده وولده والناس أجمعين » وروى الامام احمد وابو داود واللفظ له من حديث أبي عبد الرحمن الخراساني عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » وروى الامام أحمد أيضا عن يزيد بن هارون عن أبي حباب عن شهر بن حوشب انه سمع عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ بنحو ذلك. وهذا شاهد للذي قبله والله أعلم

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٥) ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكـفرين (٢٦) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم (٢٧)

بقضائه وقال مجاهد ومقاتل : بفتح مكة ، وهذا امر تهديد ﴿ والله لا يهدي ﴾ لايوفق ولا يرشد ﴿ القوم الفاسقين ﴾ الخارجين عن الطاعة

قوله تعالى ﴿ لقد نصركم الله في مواطن ﴾ أي مشاهد ﴿ كثيرة ويوم حنين ﴾ وحنين واد بين مكة والطائف ، وقال عكرمة إلى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على مانقله الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان ثم خرج إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثنى عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين وألفان من الطلقاء ، وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا ، وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ماكانوا قط والمشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف ، وعلى هوازن مالك بن عوف النضري ، وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل الثقفي ، فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلام بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله ﷺ كلامه ووكلوا إلى كلمة الرجل ، وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم إلى أنفسهم فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم نادوا ياحماة السواد اذكروا

قال ابن جريج عن مجاهد هذه اول آية نزلت من براءة يذكر تعالى المؤمنين فضله عليهم واحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله ، وأن ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره لا بعددهم ولا بعددهم ونبههم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر فان يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ومع هـذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين الا القليل منهم مع رسول الله ﷺ ثم انزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه كما سنبينه إن شاء الله تعالى مفصلا ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبامداده وان قل الجمع فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين .

وقد قال الامام احمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت يونس يحدث عن الزهري عن عبيدالله عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا اربعمائة ، وخير الجيوش اربعة آلاف ولن تغلب اثنا عشر الفا من قلة » وهكذا رواه ابو داود والترمذي ثم قال هذا حديث حسن غريب جداً لا يسنده أحد غير جرير بن حازم ، وإنما روي عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلا . وقد رواه ابن ماجه والبيهقي وغيره عن اكثم بن الجون عن رسول الله ﷺ بنحوه والله أعلم .وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة . وذلك لما فرغ ﷺ من فتح مكة وتمهدت أمورها و أسلم عامة أهلها واطلقهم رسول الله ﷺ فبلغه أن هوازن جمعوا له

الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون . قال قتادة : وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا . أخبرنا اسماعيل بن عبدالقاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى اخبرنا أبو خيثمة عن أبي اسحاق قال قال رجل للبراء بن عازب : يا أبا عمارة فررتم يوم حنين ؟ قال لا والله ماولى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن وبني نضير فرشقوهم رشقا مايكادون يخطؤن فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبـد المطلب

ثم صفهـم ، ورواه محمد بن اسماعيـل عن عبيدالله بن موسى عن اسرائيـل عن أبي اسـحاق وزاد فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه ﷺ ورواه زكريا عن أبي اسحاق وزاد قال البراء : كنا اذا احمر البأس نتقي به ﷺ وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ ، وروى شعبة عن أبي اسحاق قال: قال البراء : إن هوازن كانوا قوما رماة وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهام ، فأما رسول الله ﷺ فلم يفر ، قال الكلبي كان حول رسول الله ﷺ ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس ، وقال آخرون لم يبق مع النبي ﷺ يومئذ غير العباس بن عبد المطلب

ليقاتلوه وأن أميرهم مالك بن عوف النضري، ومعه ثقيف بكمالها وبنو جشم وبنو سعد بن بكر وأوزاع من بني هلال وهم قليل وناس من بني عمرو بن عامر وعون بن عامر وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاء والنعم وجاءوا بقضهم وقضيضهم فخرج اليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح وهو عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وقبائل العرب ومعه الذين أسلموا من أهل مكة وهم الطلقاء في الفين فسار بهم الى العدو فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حنين فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون الا بهم قد بادروهم، ورشقوا بالنبال وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد كما أمرهم ملكهم فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل، وثبت رسول الله ﷺ وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها الى نحر العدو، والعباس عمه آخذ بركابها الايمن، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها الايسر يثقلانها لئلا تسرع السير وهو ينوه باسمه عليه الصلاة والسلام ويدعو المسلمين الى الرجعة ويقول «إلي يا عباد الله الي أنا رسول الله» ويقول في تلك الحال «أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب» وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ومنهم من قال ثمانون فمنهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والعباس وعلي والفضل بن عباس وأبو سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد وغيرهم رضي الله عنهم ثم أمر ﷺ عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلا صوته يا أصحاب الشجرة

وأبي سفيان بن الحارث وأيمن بن أم أيمن فقتل يومئذ بين يدي رسول الله ﷺ

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا أبو طاهر احمد بن عمرو بن سرج ثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله ﷺ ولم نفارقه ورسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه فقال رسول الله ﷺ «أي عباس ناد أصحاب السمرة» فقال عباس وكان رجلا صيتاً فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يالبيك يالبيك، قال فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الانصار يقولون يامعشر الانصار يامعشر الانصار: قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج: يابني الحارث بن الخزرج: فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس. ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال «انهزموا ورب محمد» فذهبت أنظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى، قال فوالله ماهو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا، وأمرهم مدبراً

يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين والانصار تحتها على أن لا يفروا عنه فجعل ينادي بهم يا أصحاب السمرة ، ويقول تارة يا أصحاب سورة البقرة ، فجعلوا يقولون يالبيك يالبيك ، وانعطف الناس فتراجعوا الى رسول الله ﷺ حتى إن الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع لبس درعه ثم انحدر عنه وأرسله ورجع بنفسه الى رسول الله ﷺ فلما اجتمعت شرذمة منهم عند رسول الله ﷺ أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة وأخذ قبضة من التراب بعد ما دعا ربه واستنصره ، وقال « اللهم أنجز لي ماوعدتني » ثم رمى القوم بها فما بقى انسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ماشغله عن القتال ثم انهزموا فاتبع المسلمون اقفاءهم يقتلون ويأسرون وما تراجع بقية الناس إلا والاسرى مجندلة بين يدي رسول الله ﷺ

وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يعلى بن عطاء عن عبيد الله بن سيار عن أبي همام عن ابي عبد الرحمن الفهري واسمه يزيد بن اسيد ويقال يزيد بن انيس ويقال كرز قال : كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين فسرنا في يوم قائظ شديد الحر فنزلنا تحت ظلال الشجر فلما زالت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي فانطلقت الى رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه فقلت السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته حان الرواح؟ فقال « أجل » فقال يا بلال : فثار من تحت سمرة كأن ظلها ظل طائر فقال « لبيك وسعديك وأنا فداؤك » فقال « اسرج لي فرسي » فاخرج

وقال سلمة بن الاكوع غزونا مع رسول الله ﷺ حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم فقال « شاهت الوجوه » فما خلى الله منهم انسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل فقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين ، قال سعيد بن جبير أمد الله تعالى نبيه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وفي الخبر أن رجلا من بني نضير يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل الباق والرجال الذين عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة وما كنا قتلنا إلا بأيديهم وأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال « تلك الملائكة » قال الزهري وبلغني أن شيبة بن عثمان بن طلحة قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة كانا قد قتلا يوم أحد فأطلع الله رسوله ﷺ على مافي نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال « أعيذك بالله ياشيبة » فارتعدت فرائصي فنظرت اليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت أشهد أنك رسول الله وأن الله قد أطلعك على مافي نفسي ، فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله رجلا من الاشعريين يقال له أبو عامر وأمره على جيش المسلمين إلى أوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم ، وهرب أميرهم مالك بن عوف النضري فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله

سرجاً دفتاه من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فأسرج فركب وركبنا فصاففناهم عشيتنا وليلتنا فتشامت الخيلان فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى (ثم وليتم مدبرين) فقال رسول الله ﷺ «ياعباد الله أنا عبد الله ورسوله» ثم قال «يامعشر المهاجرين أنا عبد الله ورسوله» قال ثم اقتحم عن فرسه فاخذ كفا من تراب فأخبرني الذي كان أدنى اليه مني أنه ضرب به وجوههم وقال «شاهت الوجوه» فهزمهم الله تعالى. قال يعلى بن عطاء فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة بين السماء والارض كامرار الحديد على الطست الجديد، وهكذا رواه الحافظ والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة به، وقال محمد بن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال فخرج مالك بن عوف بمن معه الى حنين فسبق رسول الله ﷺ فاعدوا وتهيئوا في مضايق الوادي واحنائه وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول «أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله» فلاشيء وركبت الابل بعضها بعضا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس قال «ياعباس اصرخ يامعشر الانصار ياأصحاب السمرة» فاجابوه لبيك لبيك، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة

فيمن أخذ وقتل أمير المسلمين أبو عامر. قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم بقيـة ذلك الشهر، فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقسم فيها غنائم حنين وأوطاس وتألف أناسا منهم أبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم. أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو اليمان ثنا شعيب ثنا الزهري أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه أن أناساً من الانصار قالوا لرسول الله صلى الله عليـه وسلم حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ماأفاء فطفق يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويدعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس فحدث رسول الله صلى الله عليـه وسلم بمقالتهم فأرسل إلى الانصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم أحداً غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ما كان حديث بلغني عنكم؟» فقال له فقهاؤهم: أما ذوو رأينا يارسول الله فلم يقولوا شيئا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي

أول ما كانت بالانصار ثم جعلت آخرا بالخزرج وكانوا صبراء عند الحرب وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه فنظر الى مجتلد القوم فقال «الآن حمي الوطيس» قال فوالله ماراجعه الناس إلا والاسارى عند رسول الله ملقون فقتل الله منهم من قتل وانهزم منهم ما انهزم وافاء الله على رسوله أموالهم وابناءهم ، وفي الصحيحين من حديث شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رجلا قال له: ياأبا عمارة أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر إن هوازن كانوا قوما رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فاقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان ابن الحارث آخذ بلجام بغلته البيضاء وهو يقول «أنا النبي لاكذب، أنا ابن عبد المطلب» قلت وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة انه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة وليست سريعة الجري ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب وهو مع هذا أيضا يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين وما هذا كله إلا ثقة بالله وتوكلا عليه وعلما منه بأنه سينصره ويتم ما أرسله به ويظهر دينه على سائر الاديان ، ولهذا قال تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) أي طمأنينته وثباته على رسوله (وعلى المؤمنين) أي الذين معه (وأنزل جنودا لم تروها) وهم الملائكة كما قال الامام أبو جعفر ابن جرير حدثني الحسن بن عرفة قال حدثني المعتمر بن سليمان عن عوف هو ابن أبي جميلة الاعرابي قال سمعت عبد الرحمن مولى ابن برثن حدثني رجل كان مع المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا «شاهت الوجوه» ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت إياها

قريشا ويترك الانصار وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أما ترضون أن يذهب الناس بالاموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ماتنقلبون به خير مما ينقلبون به » قالوا بلى يارسول الله قد رضينا ، فقال لهم « انكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض » وقال يونس عن ابن شهاب «فاني أعطي رجالا حديثي عهد بالكفر أتألفهم ـ وقال ـ « فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الحوض » قالوا سنصبر

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي انا عبد الله بن أحمد النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى، عن عبادة بن تميم عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثني محمد بن احمد بن بالويه حدثنا اسحاق ابن الحسن الجرمي حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحارث بن حضيرة حدثنا القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال ابن مسعود رضي الله عنه كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار قدمنا ولم نولهم الدبر وهم الذين انزل الله عليهم السكينة قال ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء يمضي قدما فحادت بغلته فمال عن السرج فقلت : ارتفع رفعك الله قال « ناولني كفا من التراب » فناولته قال فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابا قال « أين المهاجرون والانصار ؟ » قلت : هم هناك قال « اهتف بهم » فهتفت فجاءوا وسيوفهم بايمانهم كأنها الشهب وولى المشركون أدبارهم ، ورواه الامام احمد في مسنده عن عفان به نحوه ، وقال الوليد بن مسلم حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عري ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة إياهما فقلت اليوم أدرك ثأري منه قال فذهبت لاجيئه عن يمينه فاذا أنا بالعباس ابن عبد المطلب قائما عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج فقلت : عمه ولن يخذله قال فجئته عن يساره فاذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت : ابن عمه ولن يخذله فجئته من خلفه فلم يبق الا أن أسوره سورة بالسيف إذ رفع لي شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفت أن يمحشني فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى فالتفت رسول الله ﷺ وقال « ياشيبة ياشيبة أدن مني اللهم اذهب عنه الشيطان » قال فرفعت اليه بصري ولهو أحب إلي من سمعي وبصري فقال

وجدوا إذ لم يصيبوا ماأصابه الناس فخطبهم فقال « يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وكنتم عالة فأغناكم الله بي » كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن ، قال « ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن ، قال « لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا وكان من الامر كذا وكذا » لأشياء عددها كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن ، قال « أما ترضون أن يذهب الناس بالشياه والغنم والبعير وتذهبوا بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، ولو سلك الناس واديا أو شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم ، الانصار شعار والناس دثار انكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن أبي عمرو المكي ثنا سفيان عن عمرو بن سعيد بن مسروق عن أبيه عن عباية بن رفاعة عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

«ياشيبة قاتل الكفار» رواه البيهقي من حديث الوليد فذكره ثم روى من حديث أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن ابيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجني اسلام ولا معرفة به ولكنني أبيت ان تظهر هوازن على قريش فقلت وانا واقف معه يارسول الله اني ارى خيلا بلقا فقال «ياشيبة انه لايراها إلا كافر» فضرب بيده على صدري ثم قال «اللهم اهد شيبة» ثم ضربها الثانية ثم قال «اللهم اهد شيبة» ثم ضربها الثالثة ثم قال «اللهم اهد شيبة» قال فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب الي منه وذكر تمام الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هزم الله المشركين ، قال محمد بن اسحاق حدثني أبي اسحاق بن يسار عمن حدثه عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال إنا لمع رسول الله صلى الله عليه يوم حنين والناس يقتتلون إذ نظرت الى مثل البجاد الاسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فاذا نمل منثور قد ملأ الوادي فلم يكن الا هزيمة القوم فما كنا نشك انها الملائكة ، وقال سعيد بن السائب بن يسار عن ابيه قال سمعت يزيد ابن عامر السوائي وكان شهد حنينا مع المشركين ثم اسلم بعد فكنا نسأله عن الرعب الذي القى الله في قلوب المشركين يوم حنين فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن فيقول كنا نجد في اجوافنا مثل هذا ، وقد تقدم له شاهد من حديث الفهري يزيد بن اسيد فالله اعلم ، وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق انبأنا معمر عن همام قال هذا ما حدثنا ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم» ولهذا قال تعالى (ثم انزل الله

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امريء منهما ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ، وفي الحديث أن ناسا من هوازن أقبلوا مسلمين بعد ذلك فقالوا يارسول الله : أنت خير الناس وأبر الناس وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا. اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انبأنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سعيد بن عفير حدثني الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن مروان والمسور ابن مخرمة اخبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد اليهم أموالهم وسبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي وإما المال» قالوا فانا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله ثم قال «أما بعد فان اخوانكم قد جاؤا تائبين ، وإني قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم ان يطيب ذلك فليفعل ؛ ومن أحب ان يكون على حظه

سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) وقوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) قد تاب الله على بقية هوازن فاسلموا وقدموا عليه مسلمين ولحقوه وقد قارب مكة عند الجعرانة وذلك بعد الوقعة بقريب من عشرين يوما فعند ذلك خيرهم بين سبيهم وبين اموالهم فاختاروا سبيهم وكانوا ستة آلاف اسير ما بين صبي وامرأة فرده عليهم وقسم الاموال بين الغانمين ونفل اناسا من الطلقاء ليتألف قلوبهم على الاسلام فاعطاهم مائة مائة من الابل وكان من جملة من اعطي مائة مالك بن عوف النضري واستعمله على قومه كما كان فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
اوفى واعطى للجزيل اذا اجتدى ... ومتى يشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عردت انيابها ... بالسمهري وضرب كل مهنّد
فكأنه ليث على اشباله ... وسط المباءة خادر في مرصد

يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا

وإن خفتم عَيلةً فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم (٢٨) قاتلوا الذين

حتى نعطيه اياه من اول مايفيء الله علينا فليفعل » فقال الناس قد طيبنا ذلك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انا لاندري من اذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم » فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه انهم قد طيبوا واذنوا فأنزل الله تعالى في قصة حنين (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين) ﴿إذ اعجبتكم كثرتكم﴾ حتى قلتم لن نغلب اليوم من قلة ﴿فلم تغن عنكم﴾ كثرتكم ﴿شيئا﴾ يعني ان الظفر لايكون بالكثرة ﴿وضاقت عليكم الارض بما رحبت﴾ اي برحبها وسعتها ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ منهزمين

قوله تعالى ﴿ثم أنزل الله﴾ بعد الهزيمة ﴿سكينته﴾ يعني الامنة والطمأنينة وهي فعيلة من السكون ﴿على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾ يعني الملائكة قيل لا للقتال ولكن لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين ، لانه يروى أن الملائكة لم يقاتلوا إلا يوم بدر ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل والاسر وسبي العيال وسلب الاموال ﴿وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ فيهديه إلى الاسلام ﴿والله غفور رحيم﴾

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ الآية قال الضحاك وأبو عبيدة نجس قذر وقيل خبيث وهو مصدر يستوي فيه الذكر والانثى والتثنية والجمع فاما النجس بكسر النون وسكون

لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ماحرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صٰغرون (٢٩)

أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين الذين هم نجس ديناً عن المسجد الحرام وأن لايقربوه بعد نزول هذه الآية وكان نزولها في سنة تسع ولهذا بعث رسول الله ﷺ علياً صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامئذ وأمره أن ينادي في المشركين. أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. فأتم الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً . وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله تعالى (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الذمة . وقد روي مرفوعا من وجه آخر فقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا شريك عن الاشعث يعني ابن سوار عن الحسن عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « لا يدخل مسجدنا بعد عامنا هذا مشرك إلا أهل

الجيم فلا يقال على الانفراد إنما يقال رجس نجس ، فاذا أفرد قيل نجس بفتح النون وكسر الجيم وأراد به نجاسة الحكم لانجاسة العين سموا نجسا على الذم ، وقال قتادة سماهم نجسا لأنهم يجنبون فلا يغتسلون، ويحدثون فلا يتوضؤن؛ قوله تعالى ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ أراد منعهم من دخول الحرم لأنهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام وأراد به الحرم وهذا كما قال الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام) وأراد به الحرم لانه أسري به من بيت أم هاني. .

قال الشيخ الامام الأجل وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام :

(أحدها) الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية ، وإذا جاء رسول من بلاد الكفار إلى الامام والامام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم ، وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم

(والقسم الثاني) من بلاد الاسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لايقيم فيها أكثر من مقام السفر وهو ثلاثة أيام ، لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لئن عشت إن شاء الله تعالى لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لاأدع فيها إلا مسلما » فمضى رسول الله ﷺ وأوصى فقال « اخرجوا المشركين من جزيرة العرب » فلم يتفرغ لذلك أبو بكر رضي الله عنه وأجلاهم عمر رضي الله عنه في خلافته وأجل لمن يقدم منهم تاجراً ثلاثا. وجزيرة العرب من أقصى عدن أبين الى ريف العراق في الطول ، وأما العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام

العهد وخدمهم » تفرد به الامام أحمد مرفوعا والموقوف أصح إسناداً . وقال الامام أبو عمرو الاوزاعي كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين وأتبع نهيه قول الله تعالى (إنما المشركون نجس) وقال عطاء : الحرم كله مسجد لقوله تعالى (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) ودلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما ورد في الصحيح «المؤمن لا ينجس» وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات لان الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب ، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم ، وقال أشعث عن الحسن من صافحهم فليتوضأ . رواه ابن جرير . وقوله (إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) قال محمد بن اسحاق وذلك أن الناس قالوا لتقطعن عنا الاسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن عنا ما كنا نصيب فيها من المرافق فانزل الله (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) من وجه غير ذلك (إن شاء) إلى قوله (وهم صاغرون) أي هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله مما قطع أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق اهل الكتاب من الجزية ، وهكذا روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وغيرهم (إن الله عليم) أي بما يصلحكم (حكيم)

(والقسم الثالث) سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان ، ولكن لايدخلون المساجد الا باذن مسلم

قوله ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعني العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس ونادى علي كرم الله وجهه (ببراءة)وهو سنة تسع من الهجرة

قوله ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم من التجارات ، وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر وضيق العيش ، وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى (وان خفتم عيلة) فقرا وفاقة يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ﴾ قال عكرمة فأغناهم الله عز وجل بان أنزل عليهم المطر مدراراً فكثر خيرهم ، وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون ، وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها وذلك قوله تعالى ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ﴾ قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك ، وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم وكانت أول جزية أصابها أهل الاسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين قال الله تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله) ﴿ ولا باليوم الآخر ﴾ فان قيل أهل الكتاب مؤمنون بالله واليوم الآخر قيل لايؤمنون كايمان المؤمنين فانهم إذا قالوا عزير بن الله والمسيح بن الله لايكون ذلك إيمانا بالله ﴿ ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ﴾ أي لا يدينون الدين الحق أضاف

أي فيما يأمر به وينهى عنه لانه الكامل في أفعاله وأقواله العادل في خلقه وأمره تبارك وتعالى ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب باموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة . وقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فهم في نفس الامر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح باحد من الرسل ولا بما جاءوا به وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه لا لانه شرع الله ودينه لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بايديهم إيمانا صحيحا لقادهم ذلك إلى الايمان بمحمد ﷺ لان جميع الانبياء بشروا به وأمروا باتباعه فلما جاء كفروا به وهو أشرف الرسل علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الانبياء الاقدمين لانه من عند الله بل لحظوظهم وأهوائهم فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الانبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم ، ولهذا قال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب) وهذه الآية الكريمة أول الامر بقتال أهل الكتاب بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجا واستقامت جزيرة العرب أمر الله

الاسم إلى الصفة ، وقال قتادة الحق هو الله أي لا يدينون دين الله ودينه الاسلام ، وقال أبو عبيدة معناه ولا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق ﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ وهي الخراج المضروب على رقابهم ﴿ عن يد ﴾ عن قهر وذل قال أبو عبيدة يقال لكل من أعطى شيئاً كرها من غير طيب نفس أعطاه عن يد ، وقال ابن عباس يعطونها بأيديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم ، وقيل عن يد أي نقد لا نسيئة ، وقيل عن اقرار بانعام المسلمين عليهم بقبول الجزية منهم ﴿ وهم صاغرون ﴾ أذلاء مقهورون . قال عكرمة يعطون الجزية عن قيام ، والقابض جالس وعن ابن عباس قال : تؤخذ منه ويوطأ عنقه ، وقال الكلبي اذا أعطى صفع في قفاه ، وقيل يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ، وقيل يلبب ويجر إلى موضع الاعطاء بعنف ، وقيل اعطاؤه إياها هو الصغار ، وقال الشافعي رحمه الله الصغار هو جريان أحكام الاسلام عليهم[1] واتفقت الامة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتابين وهم اليهود والنصارى إذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير أهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي إلى أن الجزية على الأديان لا على الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجما ، ولا تؤخذ من أهل الاوثان بحال ، واحتج بأن النبي ﷺ أخذها من أكيدر دومة وهو رجل من العرب يقال انه من غسان ، وأخذ من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب . وذهب مالك والاوزاعي الى أنها تؤخذ من جميع الكفار الا المرتد ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا ، وتؤخذ من العجمي كتابيا كان أو مشركا

(١) أي فقد عزة الملك والسلطان ، وهذا هو الحق

رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة تسع ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم ودعا الناس إلى ذلك وأظهره لهم وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم فأوعبوا معه واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفاً وتخلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من المنافقين وغيرهم وكان ذلك في عام جدب ووقت قيظ وحر وخرج رسول الله ﷺ يريد الشام لقتال الروم فبلغ تبوك فنزل بها وأقام بها قريباً من عشرين يوماً ثم استخار الله في الرجوع فرجع عامه ذلك لضيق الحال وضعف الناس كما سيأتي بيانه بعد إن شاء الله تعالى. وقد استدل بهذه الآية الكريمة من يرى أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب أو من أشبههم كالمجوس كما صح فيهم الحديث أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله: بل تؤخذ من جميع الاعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب. وقال الامام مالك: بل يجوز أن تضرب الجزية على جميع الكفار من كتابي ومجوسي ووثني وغير ذلك ولمأخذ هذه المذاهب وذكر أدلتها مكان غير هذا والله أعلم. وقوله (حتى يعطوا الجزية) أي إن لم يسلموا (عن يد) أي عن قهر لهم وغلبة (وهم صاغرون) أي ذليلون حقيرون مهانون فلهذا لا يجوز اعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء صغرة أشقياء كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه» ولهذا

وأما المجوس فاتفقت الصحابة رضي الله عنهم على أخذ الجزية منهم أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع بجالة يقول: لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن ابن عوف أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب من مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم. فقال عبدالرحمن بن عوف أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» وفي امتناع عمر رضي الله عنه عن أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن أن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر دليل على أن رأي الصحابة كان على أنها لا تؤخذ من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب، واختلفوا في أن المجوس هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ فروي عن علي رضي الله عنه قال: كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا يوما وقد أسري على كتابهم فرفع من بين أظهرهم. واتفقوا على تحريم ذبائح المجوس ومناكحتهم بخلاف أهل الكتابين اما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر إن دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم، وان دخلوا في دينهم بعد النسخ

اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط المعروفة في اذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم وذلك مما رواه الائمة الحفاظ من رواية عبد الرحمن بن غنم الاشعري قال: كتبت لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى من أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا و كذا إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي منها ما كان خططا للمسلمين وأن لا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من رأينا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركا ولا ندعو اليه أحداً ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام إن أرادوه وأن نوقر المسلمين وأن نقوم لهم من مجالسنا ان أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقاديم رؤوسنا وأن نلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنانير على أوساطنا وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا وان لا نظهر صلبنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا الا ضربا خفيفاً وأن لا نرفع اصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانين ولا بعوثا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين وان نرشد المسلمين ولا نطلع ليهم في منازلهم . قال فلما اتيت عمر بالكتاب زاد فيه ولا نضرب احداً من المسلمين شرطنا لكم

بمجيء محمد ﷺ لا يقرون بالجزية ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم ومن شككنا في أمرهم أنهم دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم، ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم تغليبا للتحريم[١] فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهراء وبني تغلب أقرهم عمر رضي الله عنه على الجزية وقال: لا تحل لنا ذبائحهم. وأما قدر الجزية فأقله دينار لا يجوز أن ينتقص منه ويقبل الدينار من الفقير والغني والوسط لما أخبرنا ابو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا ابو محمد عبدالجبار بن محمد الجراحي ثنا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الرزاق أنا معمر انا سفيان عن الاعمش عن ابي وائل عن مسروق عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ الى اليمن فأمره ان يأخذ من كل حالم ديناراً اوعدله مغافر فالنبي ﷺ امره ان يأخذ من كل حالم اي بالغ ديناراً ولم يفصل بين الغني والفقير والوسط وفيه دليل على أنها لا تجب على الصبيان وكذلك

(١) ينقض هذا أن الله أحل مناكحتهم في آخر سورة أنزلها وهي المائدة وكان شرعهم قد نسخ منذ بعث «ص»

ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم ووظفنا على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما يحل من اهل المعاندة والشقاق

(وقالت اليهود عُزَيرٌ ابن الله وقالت النصرى المسيحُ ابن الله ذلك قولهم بأفوٰههم يضٰهئون قول الذين كفروا من قبل قٰتلهم الله أنّىٰ يؤفكون (٣٠) اتخذوا أحبارهم ورهبٰنهم أربابا من دون الله والمسيحَ ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلٰهاً وٰحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (٣١)

وهذا اغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية على الله تعالى فأما اليهود فقالوا في العزير انه ابن الله تعالى الله عن

لا تجب على النساء انما تؤخذ من الاحرار العاقلين البالغين من الرجال ، وذهب قوم الى أنه على كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط ديناران ، وعلى كل فقير دينار ، وهو قول اصحاب الرأي

قوله تعالى ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود : سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشماس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله فأنزل الله عز وجل (وقالت اليهود عزير ابن الله) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب (عزير) بالتنوين والاخرون بغير تنوين فمن لم ينوّن قال لانه اسم أعجمي ويشبه اسما مصغراً ، ومن نون قال لانه اسم خفيف فوجهه أن يصرف وان كان أعجمياً مثل نوح وهود ولوط ، واختار أبو عبيدة التنوين وقال لان هذا ليس بمنسوب إلى أبيه انما هو كقولك زيد ابن الامير وزيد ابن أخينا فعزير مبتدأ وما بعده خبر له . وقال عبيد بن عمير إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء ، وهو الذي قال (ان الله فقير ونحن أغنياء) وروى عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انما قالت اليهود عزير ابن الله من أجل ان عزيراً كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه أن يرد اليه الذي نسخ من صدورهم فبينما هو يصلي مبتهلا إلى الله تعالى نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه التوراة فأذن في قومه وقال ياقوم ان الله تعالى قد آتاني التوراة وردها إليَّ فعلق به الناس يعلمهم فمكثوا ماشاء الله تعالى ، ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا : ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله . وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وقتل من قتل من قراء التوراة وكان عزير إذ ذاك صغيراً

ذلك علواً كبيرا ، وذكر السدي وغيره أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك أن العمالقة لما غلبت على بني اسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بقي العزير يبكي على بني اسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه فبينما هو ذات يوم إذ مر على جبانة واذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول وامطعماه وا كاسياه فقال لها : ويحك من كان يطعمك قبل هذا ؟ قالت الله قال : فان الله حي لا يموت . قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل ؟ قال : الله . قالت فلم تبكي عليهم ؟ فعرف أنه شيء قد وعظ به ثم قيل له اذهب الى نهر كذا فاغتسل منه وصلّ هناك ركعتين فانك ستلقى هناك شيخاً فما أطعمك فكله فذهب ففعل ما أمر به فاذا الشيخ فقال له افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شيئا كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مرات فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال يابني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة فقالوا ياعزير ما كنت كذابا فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلماوكتب التوراة بأصبعه كلها فلماتراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوه بها فوجدوا ماجاء به صحيحاً فقال بعض جهلتهم انما صنع هذا لانه ابن الله

وأما ضلال النصارى في المسيح فظاهر ، ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال (ذلك

(تنبيه) كل مافي هذين التفسيرين من الروايات في العزير واضاعة التوراة مأخوذ عن زنادقة اليهود أضلوا به المسلمين حتى عن المعتمد عندهم وقد بينا في تفسيرنا مافي تواريخهم المقدسة وغيرها في مسألة ضياع توراة موسى عند تخريب بيت المقدس واحراق الهيكل وان ما كتبه العزير (أو عزرا كما يقولون) بعضه من التوراة وبعضه من شريعة البابليين وفيه مالا يحصى من ألفاظ اللغة البابلية . وكتبه محمد رشيد رضا

فاستصغره فلم يقتله فلما رجع بنواسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله عزيراً ليجدد لهم التوراة وتكون لهم آية بعدما أماته مائة سنة، يقال أتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت التوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم ، ثم إن رجلا قال ان أبي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب رجل الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله ، وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وكان السبب فيه انهم كانوا على دين الاسلام احدى وثمانين سنة بعد مارفع عيسى عليه السلام يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص فقتل جملة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا به والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني أحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقال له النصارى من أنت ؟ قال بولص عدوكم نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تتنصر وقد تبت فأدخلوه الكنيسة ودخل بيتاً سنة لايخرج منه ليلا ولا نهاراً حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال : نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورا وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة ، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لم يكن عيسى بانس ولا بجسم ولكنه ابن الله وعلم ذلك رجلا يقال له يعقوب ، ثم دعا رجلا يقال له ملكان فقال له ان الاله

قولهم بأفواههم) أي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلافهم (يضاهئون) أي يشابهون (قول الذين كفروا من قبل) أي من قبلهم من الامم ضلوا كما ضل هؤلاء (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله (أنى يؤفكون ؟) أي كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون الى الباطل ؟ وقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم) روى الامام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم منّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ فتقدم عدي المدينة وكان رئيسا في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال فقلت إنهم لم يعبدوهم ، فقال « بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » وقال رسول الله ﷺ « يا عدي ما تقول ؟ أيضرك أن يقال الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئا أكبر من الله؟ ما يضرك أيضرك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلها غير الله؟ »

لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً وقال لكل واحد منهم أنت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني ، وقال لكل واحد منهم اني غداً أذبح نفسي فادع الناس إلى نحلتك ، ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى . فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نحلته فتبع كل واحد طائفة من الناس فاختلفوا واقتتلوا فقال الله عز وجل (وقالت النصارى المسيح ابن الله) ﴿ ذلك قولهم بأفواههم ﴾ يقولون بألسنتهم من غير علم . قال أهل المعاني : لم يذكر الله تعالى قولا مقرونا بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زوراً ﴿ يضاهئون ﴾ قرأ عاصم بكسر الهاء مهموزاً والآخرون بضم الهاء غير مهموز وهما لغتان يقال ضاهيته وضاهأته ومعناهما واحد . قال ابن عباس رضي الله عنه يشابهون والمضاهاة المشابهة . وقال مجاهد يواطئون . وقال الحسن يوافقون ﴿ قول الذين كفروا من قبل ﴾ قال قتادة والسدي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود من قبل عزير ابن الله . وقال مجاهد يضاهئون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله . وقال الحسن شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة كما قال في مشركي العرب (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) وقال القتيبي يريد أن من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود يقولون ما قال أولوهم ﴿ قاتلهم الله ﴾ قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج أي قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب ﴿ أنّى يؤفكون؟ ﴾ أي يصرفون عن الحق بعد قيام الادلة عليه ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ﴾ أي علماءهم وقراءهم ، والاحبار العلماء واحدها حبر وحبر بكسر الحاء وفتحها ، والرهبان من

ثم دعاه إلى الاسلام فأسلم وشهد شهادة الحق قال فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال «إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون» . وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، وقال السدي : استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً) أي الذي اذا حرم الشيء فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع وما حكم به نفذ (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والاعوان والاضداد والاولاد لا اله إلا هو ولا رب سواه

يريدون أن يُطفئوا نور الله بأفوٰهِهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكـٰفرون (٣٢)

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣٣)

يقول تعالى يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب (أن يطفئوا نور الله) أي ما بعث به رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفيء شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه وهذا لا سبيل اليه فكذلك ما أرسل به رسول الله ﷺ لا بد أن يتم ويظهر ولهذا قال تعالى مقابلا لهم فيما راموه وأرادوه (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) والكافر هو الذي يستر الشيء ويغطيه ومنه سمي الليل كافراً لأنه يستر الاشياء والزراع كافراً لأنه يغطي الحب في الارض كما قال (يعجب الكفار نباته) ثم قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) فالهدى هو ما جاء به من الاخبارات الصادقة والايمان الصحيح والعلم النافع ودين الحق هو الاعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة (ليظهره على الدين كله) أي على

النصارى أصحاب الصوامع واحدها راهب كصاحب وصحبان ﴿أربابا﴾ فان قيل انهم لم يعبدوا الاحبار والرهبان قلنا معناه انهم أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرموا فاتخذوهم كالارباب . روي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي « يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك » فطرحته فانتهيت اليه وهو يقرأ ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا﴾﴿من دون الله﴾ حتى فرغ منها قلت إنا لسنا نعبدهم فقال «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟» قال قلت بلى قال « فتلك عبادتهم» وقال عبد الله بن المبارك :

وهل بدل الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها ؟

﴿والمسيح بن مريم﴾ أي اتخذوه إلها ﴿وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون * يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ أي يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم اياه . وقال الكلبي : النور القرآن أي يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكذيباً ﴿ويأبى الله الا أن يتم

سائر الاديان كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله زوى لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوى لي منها »

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب سمعت شقيق بن حيان يحدث عن مسعود بن قبيصة أو قبيصة بن مسعود يقول : صلى هذا الحي من محارب الصبح فلما صلوا قال شاب منهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انه ستفتح لكم مشارق الارض ومغاربها ، وان عمالها في النار إلا من اتقى الله وأدى الامانة »

وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا سليم بن عامر عن تميم الداري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليبلغن هذا الامر مابلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزاً وبذل ذليلا ، عزاً يعز الله به الاسلام وذلا يذل الله به الكفر » فكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر سمعت سليم ابن عامر قال سمعت المقداد بن الاسود يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الاسلام يعز عزيزاً ، ويذل ذليلا إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها ، وإما يذلهم فيدينون لها » وفي المسند أيضاً حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي حذيفة عن عدي بن حاتم سمعه يقول دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ياعدي اسلم تسلم » فقلت إني من أهل دين ، قال « انا أعلم بدينك منك » فقلت أنت أعلم

نوره ﴾ أى يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به محمداً ﷺ ﴿ ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله ﴾ يعني الذي يأبى الا اتمام دينه هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ ﴿ بالهدى ﴾ قيل بالقرآن وقيل ببيان الفرائض ﴿ ودين الحق ﴾ وهو الاسلام ﴿ ليظهره ﴾ ليعليه وينصره ﴿ على الدين كله ﴾ على سائر الاديان كلها ﴿ ولو كره المشركون ﴾ واختلفوا في معنى هذه الاية فقال ابن عباس الهاء عائدة الى رسول الله ﷺ أي ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء وقال الآخرون الهاء راجعة الى دين الحق ، وظهوره على الاديان هو أن لا يدان الله تعالى الا به . وقال أبو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين الا دخلوا في الاسلام. وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في نزول عيسى عليه السلام قال « ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام » وروي المقداد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز أو ذل ذليل اما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها » قلت فيكون الدين كله لله . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي

بدِيني مني ؟ قال « نعم ألست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ » قلت بلى ! قال « فان هذا لايحل لك في دينك » قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها ، قال « أما اني أعلم ماالذي يمنعك من الاسلام، تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لاقوة له وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة ؟ » قلت لم أرها وقد سمعت بها ، قال « فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز » قلت كسرى بن هرمز؟ قال « نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لايقبله أحد » قال عدي فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها

وقال مسلم حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشي حدثنا خالد بن الحارث حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن الاسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لايذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » فقلت يارسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) الآية ان ذلك تام ، قال « انه سيكون من ذلك ماشاء الله عز وجل ، ثم يبعث الله ريحا طيبة فيتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم

يأيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالبطل

أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن منصور ثنا أبو مسلم بن ابراهيم ابن عبد الله البلخي ثنا أبو عاصم النبيل ثنا عبد الحميد هو ابن جعفر عن الاسود بن العلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « لايذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » قالت قلت يارسول الله ما كنت أظن أن يكون ذلك بعد ماأنزل الله تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ثم قال « يكون ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله تعالى ريحاً طيبة فتقبض من كان في قلبه مثقال ذرة من خير ثم يبقى من لاخير فيه فيرجع الناس إلى دين آبائهم » قال الحسين بن الفضل : معنى الآية ليظهره على الدين كله بالحجج الواضحة . وقيل ليظهره على الاديان التي حول النبي صلى الله عليه وسلم فيغلبها ، قال الشافعي رحمه الله فقد أظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بأن أبان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل . وقال وأظهره بأن جماع الشرك دينان دين أهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا للاسلام طوعا وكرها، وقتل أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على الدين كله والله أعلم

قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ﴾ يعني العلماء والقراء من أهل

وَيَصدون عن سبيل الله . والذين يكنِزون الذهب والفضة ولا يُنفِقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (٣٦) يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنِزون (٣٧)

قال السدي : الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وهو كما قال فان الاحبار هم علماء اليهود كما قال تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) والرهبان عبادالنصارى والقسيسون علماؤهم كما قال تعالى (ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا) والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصاري . وفي الحديث الصحيح « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » قالوا اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ »وفي رواية فارس والروم؟ قال «فمن الناس إلا هؤلاء ؟» والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وذلك انهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك كما كان لاحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجيء اليهم فلما بعث الله رسوله ﷺ استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات فأطفأها الله بنور النبوة وسلبهم إياها وعوضهم الذل والصغار وباؤا بغضب من الله تعالى . وقوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أي وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة الى النار ويوم القيامة لا ينصرون . وقوله (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) الآية هؤلاء هم القسم الثالث من رؤس الناس

الكتاب ﴿ ليأكلون أموال الناس بالباطل ﴾ يريد ليأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم وهي المآكل التي يصيبونها منهم على تغيير نعت النبي ﷺ يخافون لو صدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل ﴿ ويصدون ﴾ ويصرفون الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ دين الله عز وجل ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ قال ابن عمر رضي الله عنهما كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا ، وكل مال لاتؤدى زكاته فهو كنز وان لم يكن مدفونا ، ومثله عن ابن عباس . أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني سويد بن سعيد ثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم ان أبا صالح ابن ذكوان

فان النـاس عالة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الاموال فاذا فسدت أحوال هؤلاء فسـدت أحوال الناس كما قال ابن المبارك

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبـار سـوء ورهبانهـا

وأما الكنز فقال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر هو المال الذي لا تؤدى زكاته ، وروى الثوري وغيره عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وماكان ظاهرا لاتؤدى زكاته فهو كنز ، وقدروي هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة موقوفا ومرفوعا ، وقال عمر بن الخطاب نحوه أيمـا مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الارض ، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الارض ، وروى البخاري من حديث الزهري عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة للاموال ، وكذا قال عمر بن عبد العزيز وعراك بن مالك نسخها قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية . وقال سعيد بن محمد بن زياد عن أبي أمامة أنه قال : حلية السيوف من الكنز . ما أحدثكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ وقال الثوري عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رضي الله عنه قال : أربعـة آلاف فما دونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز وهذا غريب . وقد جاء في مدح التقلل من الذهب والفضة وذم التكثر منها أحاديث كثيرة ولنورد منها هنا طرفا يدل على الباقي. قال عبدالرزاق أخبرنا الثوري أخبرني أبو حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رضي الله عنه في قوله (والذين يكنزون الذهب والفضة) الآية . قال النبي ﷺ « تبا للذهب تبا للفضة » يقولها ثلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا فأي مال نتخذ ؟ فقال عمر رضي الله عنه أنا أعلم لكم ذلك فقال يارسول الله إن أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأي المال نتخذ قال « لسانا ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجة تعين أحدكم على دينه »

أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « مامن صاحب ذهب ولا فضة لايؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار » قيل يارسول الله فالابل ؟ قال « ولا صاحب ابل لايؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لايفقد منها فصيلا واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » قيل يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال « ولا صاحب بقر ولا غنم لايؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبي محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني سالم بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن أبي الهذيل حدثني صاحب لي أن رسول الله ﷺ قال « تباً للذهب والفضة » قال وحدثني صاحبي أنه انطلق مع عمر بن الخطاب فقال يارسول الله قولك « تبا للذهب والفضة » ماذا ندخر ؟ قال رسول الله ﷺ « لسانا ذا كراً وقلباً شا كراً وزوجة تعين على الآخرة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال : لما نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا فأي المال نتخذ ؟ قال عمر فانا أعلم لكم ذلك فأوضع على بعير فأدركه وأنا في أثره فقال يارسول الله أي المال نتخذ ؟ قال « قلبا شا كراً ولسانا ذا كراً وزوجة تعين أحدكم على أمر الآخرة » ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن سالم بن أبي الجعد وقال الترمذي حسن وحكى عن البخاري أن سالما لم يسمعه من ثوبان قلت ولهذا رواه بعضهم عنه مرسلا والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا حميد بن مالك حدثنا يحيى بن يعلى المحاربي حدثنا أبي حدثنا غيلان بن جامع المحاربي عن عثمان بن أبي اليقظان عن جعفر بن أبي اياس عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية (والذين يكنزون الذهب والفضة) الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا يدع لولده مالا يبقى بعده فقال عمر : أنا أفرج عنكم فانطلق عمر واتبعه ثوبان فأتى النبي ﷺ فقال : يانبي الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية . فقال رسول الله ﷺ « إن الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وانما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له النبي ﷺ « ألا أخبرك بخير مايكنز المرء المرأة الصالحة التي اذا نظر اليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، واذا غاب عنها حفظته » ورواه ابو داود والحاكم في مستدركه وابن مردويه من حديث يحيى بن يعلى به وقال الحاكم صحيح على شرطها ولم يخرجاه

قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله) الآية

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال : كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد وما دونها نفقة ، وقيل مافضل عن الحاجة فهو كنز أخبرنا اسماعيل بن

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر فنزل منزلا فقال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها فأنكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم سمعت رسول الله ﷺ يقول « اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم إني اسألك الثبات في الامر، والعزيمة على الرشد، واسألك شكر نعمتك، واسألك حسن عبادتك واسألك قلباً سليما، واسألك لسانا صادقا، واسألك من خير ما تعلم، وأعوذ من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم انك أنت علام الغيوب»

وقوله تعالى (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي يقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعا وتهكما كما في قوله (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق انك أنت العزيز الكريم) أي هذا بذاك وهذا الذي كنتم تكنزون لأنفسكم، ولهذا يقال من أحب شيئا وقدمه على طاعة الله عذب به وهؤلاء لما كان جمع هذه الاموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان أبو لهب لعنه الله جاهدا في عداوة رسول الله ﷺ وامرأته تعينه في ذلك كانت يوم القيامة عونا على عذابه أيضا في جيدها أي عنقها حبل من مسد أي تجمع من الحطب في النار وتلقي عليه ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه في الدنيا كما أن هذه الاموال لما كانت أعز الاموال على أربابها كانت أضر الاشياء عليهم في الدار الآخرة فيحمى عليها في نار جهنم وناهيك بحرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. قال سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عمر بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود: والذي لا إله غيره لا يكوى عبد يكنز فيمس دينار ديناراً ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته، وقد رواه ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا ولا يصح رفعه والله أعلم

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال بلغني أن الكنز يتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول: أنا كنزك لا يدرك منه شيئا إلا أخذه. وقال الامام أبو جعفر

عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال انتهيت الى رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال « هم الاخسرون ورب الكعبة » قال فجئت حتى جلست فلم أتقار أن قمت فقلت يارسول الله فداك أبي وأمي من هم؟ قال « هم الاكثرون أموالا الا من قال هكذا وهكذا و هكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم » وروي عن أبي ذر رضي الله عنه انه كان يقول من ترك بيضاء أو حمراء كوي به يوم القيامة وروي عن أبي امامة قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي ﷺ « كية » ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي ﷺ « كيتان » والقول الاول أصح لان الآية في

ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان أن رسول الله ﷺ كان يقول « من ترك بعده كنزاً مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه ويقول ويلك ماأنت ؟ فيقول أنا كنزك الذي تركته بعدك ولا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعها سائر جسده » ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث يزيد عن سعيد به ، وأصل هذا الحديث في الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « مامن رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وذكر تمام الحديث ، وقال البخاري في تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن حصين عن زيد بن وهب قال مررت على أبي ذر بالربذة فقلت ماأنزلك بهذه الارض ؟ قال كنا بالشام فقرأت (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) فقال معاوية ماهذه فينا ماهذه إلا في أهل الكتاب ، قال قلت انها لفينا وفيهم ، ورواه ابن جرير من حديث عبيد بن القاسم عن حصين عن زيد بن وهب عن أبي ذر رضي الله عنه فذكره وزاد فارتفع في ذلك بيني وبينه القول فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلي عثمان أن أقبل اليه ، قال فأقبلت اليه فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ فشكوت ذلك إلى عثمان فقال لي تنح قريبا قلت والله لن أدع ماكنت أقول (قلت) كان من مذهب أبي ذر رضي الله عنه تحريم ادخار مازاد على نفقة العيال وكان يفتي بذلك ويحثهم عليه ويأمرهم به ويغلظ في خلافه فنهاه معاوية فلم ينته فخشي أن يضر بالناس في هذا فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان وأن يأخذه اليه فاستقدمه عثمان إلى المدينة وأنزله بالربذة وحده وبها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان ، وقد اختبره معاوية رضي الله عنه وهو عنده هل يوافق عمله قوله فبعث اليه بألف دينار ففرقها من يومه ثم بعث اليه الذي أتاه بها فقال ان معاوية

منع الزكاة لافي جمع المال الحلال قال النبي ﷺ « نعم المال الصالح للرجل الصالح » وروي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا مايستطيع أحد منا يدع لولده شيئا فذكر عمر ذلك لرسول الله ﷺ فقال « ان الله عز وجل لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها مابقي من أموالكم » وسئل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية فقال كان ذلك قبل ان تنزل الزكاة فلما أنزلت جعلها الله طهرا للاموال ، وقال ابن عمر ماأبالي لو أن لي مثل أحد ذهبا أعلم عدده أزكيه وأعمل بطاعة الله ، قوله عز وجل (ولا ينفقونها في سبيل الله) قيل لم قال ولا ينفقونها ولم يقل ولا ينفقونهما وقد ذكر الذهب والفضة جميعا ؟ قيل أراد الكنوز وأعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الي الفضة لانها أعم كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة) رد الكناية الى الصلاة

انما بعثني إلى غيرك فاخطأت فهات الذهب ، فقال ويحك انها خرجت ولكن اذا جاء مالي حاسبناك به ، وهكذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنها عامة ، وقال السدي هي في أهل القبلة ، وقال الاحنف بن قيس قدمت المدينة فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش إذ جاء رجل أخشن الثياب أخشن الجسد أخشن الوجه فقام عليهم فقال : بشر الكنازين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل، قال فوضع القوم رءوسهم فما رأيت أحداً منهم رجع اليه شيئا، قال وأدبر فاتبعته حتى جلس إلى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ماقلت لهم، فقال ان هؤلاء لا يعلمون شيئا، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر « مايسرني أن عندي مثل أحد ذهبا يمر علي ثلاثة أيام وعندي منه شيء إلا دينار أرصده لدين » فهذا والله أعلم هو الذي حدا بأبي ذر على القول بهذا

وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنه أنه كان مع أبي ذر فخرج عطاؤه ومعه جارية فجعلت تقضي حوائجه ففضلت معها سبعة فأمرها أن تشتري به فلوسا ، قال قلت لو ادخرته لحاجة بيوتك وللضيف ينزل بك ، قال إن خليلي عهد إلي أن أيما ذهب أو فضة أوكي عليه فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله عز وجل . ورواه عن يزيد عن همام به وزاد افراغا

وقال الحافظ ابن عساكر بسنده إلى أبي بكر الشبلي في ترجمته عن محمد بن مهدي حدثنا عمر ابن أبي سلمة عن صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن أبي فروة الرهاوي عن عطاء عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الق الله فقيراً ولا تلقه غنياً » قال يارسول الله كيف لي بذلك ؟ قال « ماسئلت فلا تمنع ، وما رزقت فلا تخبأ » قال يارسول الله كيف لي بذلك ؟ قال رسول الله ﷺ « هو ذاك والا فالنار » اسناده ضعيف

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عيينة عن يزيد بن الصرم قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول مات رجل من أهل الصفة وترك دينارين أو درهمين فقال رسول الله ﷺ

لانها أعم وكقوله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) رد الكناية الى التجارة لانها أعم ﴿ نبشرهم بعذاب أليم ﴾ أي أنذرهم ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم ﴾ أي تدخل النار فيوقد عليها أي على الكنوز ﴿ فتكوى بها ﴾ فتحرق بها ﴿ جباههم ﴾ أي جباه كانزيها ﴿ وجنوبهم وظهورهم ﴾ روي عن ابن مسعود قال انه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدة ، وسئل أبو بكر الوراق لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي ؟ قال لان الغني صاحب الكنز اذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى مابين عينيه وولاه ظهره وأعرض عنه كشحه

« كيتان صلوا على صاحبكم » وقد روي هذا من طرق أخر ، وقال قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال مات رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله ﷺ « كية » ثم توفي رجل آخر فوجد في مئزره ديناران فقال رسول الله ﷺ « كيتان » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو النضر اسحاق بن ابراهيم الفراديسي حدثنا معاوية بن يحيى الاطرابلسي حدثني أرطاة حدثنا ابو عامر الهوزني سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال « ما من رجل يموت وعنده احمر أو أبيض إلا جعل الله بكل قيراط صفحة من نار يكوى بها من قدمه الى ذقنه » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمود بن خداش حدثنا سيف بن محمد الثوري حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يوضع الدينار على الدينار ، ولا الدرهم على الدرهم ولكن يوسع جلده فيكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » سيف هذا كذاب متروك

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين (٣٨)

قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل أخبرنا أيوب أخبرنا محمد بن سيرين عن ابي بكرة ان النبي ﷺ خطب في حجته فقال « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض . السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ثم قال « ألا أي يوم هذا؟ » قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال « اليس يوم النحر ؟ » قلنا بلى ثم قال « أي شهر هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال « اليس ذا الحجة؟ » قلنا بلى ثم قال « أي بلد هذا؟ » قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال « اليست البلدة؟ » قلنا بلى قال « فان دماءكم وأموالكم - واحسبه قال - واعراضكم عليكم حرام

قوله تعالى ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ أي يقال لهم هذا ما كنزتم ﴿ لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ أى تمنعون حقوق الله تعالى في أموالكم ، وقال بعض الصحابة هذه الآية في أهل الكتاب وقال الاكثرون هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين وبه قال أبو ذر رضي الله عنه ،

قوله تعالى ﴿ إن عدة الشهور ﴾ أي عدد الشهور ﴿ عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ﴾ وهي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الثاني وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة

كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت ؟ ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه » رواه البخاري في التفسير وغيره . ومسلم من حديث ايوب عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه به ، وقد قال ابن جرير حدثنا معمر حدثنا روح حدثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ورواه البزار عن محمد بن معمر به . ثم قال لا يروى عن ابي هريرة الا من هذا الوجه ، وقد رواه ابن عون وقرة عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن أبيه ، وقال ابن جرير أيضا حدثني موسى ابن عبد الرحمن المسروقي حدثنا زيد بن حباب حدثنا موسى بن عبيدة الربذي حدثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال « أيها الناس ان الزمان قد استدار فهو اليوم كهيأته يوم خلق الله السموات والارض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم » وروى ابن مردويه من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مثله أو نحوه وقال حماد بن سلمة حدثني علي بن زيد عن أبي حمزة الرقاشي عن عمه وكانت له صحبة قال كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود الناس عنه فقال رسول الله ﷺ « ألا ان الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم » وقال سعيد بن منصور حدثنا ابو معاوية عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله (منها اربعة حرم) قال محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث « ان الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والارض » تقرير منه صلوات الله وسلامه عليه ، وتثبيت للامر على ما جعله الله في أول الامر من غير تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة ولا نقص ، ولا نسيء ولا تبديل كما قال في تحريم مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى

وقوله (في كتاب الله) أي في حكم الله ، وقيل في اللوح المحفوظ قرأ ابو جعفر اثنا عشر وتسعة عشر واحدى عشر بسكون الشين ، وقرأ العامة بفتحها ﴿ يوم خلق السموات والأرض ﴾ والمراد منه الشهور الهلالية ، وهي الشهور التي يعتد بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وبالشهور الشمسية تكون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم ، والهلالية تنقص عن ثلاثمائة وستين يوما بنقصان الأهلة والغالب أنها تكون ثلثمائة يوم وأربعة وخمسين يوما ﴿ منها أربعة حرم ﴾

الى يوم القيامة » وهكذا قال ههنا « إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والارض » اي الامر اليوم شرعا كما ابتدأ الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والارض ، وقد قال بعض المفسرين والمتكلمين على هذا الحديث ان المراد بقوله « قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والارض » انه اتفق ان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة في ذي الحجة وان العرب قد كانت نسأت النسيء يحجون في كثير من السنين بل اكثرها في غير ذى الحجة وزعموا ان حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذى القعدة وفي هذا نظر كما سنبينه اذا تكلمنا على النسيء واغرب منه مارواه الطبراني عن بعض السلف في جملة حديث انه اتفق حج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد وهو يوم النحر عام حجة الوداع والله اعلم .

﴿فصل﴾ ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزء جمعه سماه (المشهور في اسماء الايام والشهور) ان المحرم سمي بذلك لكونه شهراً محرماً ، وعندي انه سمي بذلك تأكيدا لتحريمه لان العرب كانت تتقلب به فتحله عاما وتحرمه عاما قال ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم ، وصفر سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال والاسفار يقال صفر المكان اذا خلا ويجمع على أصفار كجمل واجمال ، وشهر ربيع الاول سمي بذلك لارتباعهم فيه والارتباع الاقامة في عمارة الربع ويجمع على أربعاء كنصيب وأنصباء وعلى أربعة كرغيف وأرغفة، وربيع الآخر كالاول. جمادى سمي بذلك لجمود الماء فيه ، قال وكانت الشهور في حسابهم لا تدور ، وفي هذا نظر إذ كانت شهورهم منوطة بالاهلة فلا بد من دورانها فلعلهم سموه بذلك أول ماسمي عند جمود الماء في البرد كما قال الشاعر :

وليلة من جمادى ذات أندية ... لايبصر العبد في ظلمائها الطنبا

لاينبح الكلب فيها غير واحدة ... حتى يلف على خرطومه الذنبا

ويجمع على جماديات كحبارى وحباريات وقد يذكر ويؤنث فيقال جمادى الاولى والاول وجمادى الآخر والآخرة . رجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على أرجاب ورجاب ورجبات. شعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة ويجمع على شعابين وشعابات ، رمضان من شدة الرمضاء وهو الحر يقال رمضت الفصال إذا عطشت ويجمع على رمضانات ورماضين وأرمضة . قال وقول من قال إنه اسم من اسماء الله خطأ لا يعرج عليه ولا يلتفت اليه ، قلت قد ورد فيه حديث ولكنه ضعيف وبينته في أول كتاب الصيام ، شوال من شالت الابل باذنابها للطراق قال ويجمع على شواول وشواويل وشوالات ، القعدة بفتح القاف

من الشهور أربعة حرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، واحد فرد وثلاثة سرد ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أي الحساب المستقيم ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ قيل قوله فيهن ينصرف إلى جميع شهور السنة أي فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية وترك الطاعة ، وقيل فيهن أي في الاشهر الحرم قال قتادة العمل الصالح أعظم أجراً في الاشهر الحرم ، والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن ، اون

— قلت وكسرها — لقعودهم فيه عن القتال والترحال ويجمع على ذوات القعدة ، الحجة بكسر الحاء — قلت وفتحها — سمي بذلك لاقامتهم الحج فيه ويجمع على ذوات الحجة ، أسماء الايام أولها الاحد ويجمع على آحاد وأوحاد ووحود ، ثم يوم الاثنين ويجمع على أثانين ، الثلاثاء يمد ويذكر ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات واثالث ، ثم الاربعاء بالمد ويجمع على أربعاوات وأرابيع ، والخميس يجمع على أخمسة وأخامس ، ثم الجمعة بضم الميم واسكانها وفتحها أيضاً ويجمع على جمع وجماعات ، السبت مأخوذ من السبت وهو القطع لانتهاء العدد عنده وكانت العرب تسمي الايام أول ثم أهون ثم جبار ثم دبار ثم مؤنس ثم العروبة ثم شيار ، قال الشاعر : من العرب العرباء العاربة المتقدمين :

أرجي أن اعيش وان يومي ... بأول أو باهون أو جبار

أو التالي دبار فان افته ... فمؤنس أو عروبة أو شيار

وقوله تعالى (منها أربعة حرم) فهذا مما كانت العرب أيضاً في الجاهلية تحرمه وهو الذي كان عليه جمهورهم إلا طائفة منهم يقال لهم البسل كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقا وتشديداً ، وأما قوله « ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » فانما أضافه الى مضر ليبين صحة قولهم في رجب انه الشهر الذي بين جمادى وشعبان لا كما تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم فبين ﷺ أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وإنما كانت الاشهر المحرمة أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد ، لأجل أداء مناسك الحج والعمرة فحرم قبل أشهر الحج شهراً وهو ذو القعدة لأنهم يقعدون فيه عن القتال وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون بأداء المناسك وحرم بعده شهراً آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه الى أقصى بلادهم آمنين ، وحرم رجب في وسط الحول لاجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم اليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا ، وقوله (ذلك الدين القيم) أي هذا هو الشرع المستقيم من امتثال أمر الله فيما جعل من الاشهر الحرم والحذو بها على ماسبق من كتاب الله الاول قال تعالى (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) أي في هذه الاشهر المحرمة لأنها آكد وأبلغ في الاثم من غيرها كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف لقوله تعالى (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام ، ولهذا تغلظ فيه الدية في مذهب الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء ، وكذا في حق من قتل في الحرم أو قتل ذا محرم ، وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس في قوله (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال في الشهور كلها ، وقال علي بن أبي طلحة

كان الظلم على كل حال عظيما ، وقال ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار لاتجعلوا حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل أهل الشرك وهو النسيء ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ جميعا عامة ﴿ كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾

عن ابن عباس قوله (إن عدة الشهور عند الله) الآية فلا تظلموا فيهن أنفسكم في كلهن ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم ، وقال قتادة في قوله (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) ان الظلم في الاشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها ، وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء ، وقال إن الله اصطفى صفايا من خلقه . اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله . فانما تعظيم الامور ما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل، وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن عن محمد بن الحنيفة بأن لا تحرموهن كحرمتهن وقال محمد بن اسحاق (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) أي لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فانما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية، وهذا القول اختيار ابن جرير . وقوله (وقاتلوا المشركين كافة) أي جميعكم (كما يقاتلونكم كافة) أي جميعهم (واعلموا أن الله مع المتقين) وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام هل هو منسوخ أو محكم على قولين (أحدهما) وهو الاشهر أنه منسوخ لانه تعالى قال ههنا (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) وأمر بقتال المشركين ، وظاهر السياق مشعر بأنه أمر بذلك أمراً عاما ولو كان محرما في الشهر الحرام لأوشك أن يقيده بانسلاخها ، ولان رسول الله ﷺ حاصر أهل الطائف في شهر حرام وهو ذو القعدة كما ثبت في الصحيحين أنه خرج إلى هوازن في شوال فلما كسرهم واستفاء أموالهم ورجع فلهم لجؤا إلى الطائف فعمد إلى الطائف فحاصرهم أربعين يوما وانصرف ولم يفتتحها فثبت أنه حاصر في الشهر الحرام ، والقول الآخر أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام ، وانه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام) وقال (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) الآية وقال (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الآية وقد تقدم أنها الاربعة المقررة في كل سنة لا أشهر التسيير على أحد القولين ، وأما قوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) فيحتمل أنه منقطع عما قبله وأنه حكم مستأنف ويكون من باب التهييج والتحضيض أى كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضا لهم إذا حاربتموهم وقاتلوهم بنظير ما يفعلون ، ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم كما قال تعالى (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات

واختلف العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيراً ثم نسخ بقوله (وقاتلوا المشركين كافة) كأنه يقول فيهن وفي غيرهن ، وهو قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري وقالوا ان النبي ﷺ غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة

قصاص) وقال تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم) الآية وهكذا الجواب عن حصار رسول الله ﷺ أهل الطائف واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام فانه من تتمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف فانهم هم الذين ابتدءوا القتال وجمعوا الرجال ودعوا إلى الحرب والنزال فعندها قصدهم رسول الله ﷺ كما تقدم فلما تحصنوا بالطائف ذهب اليهم لينزلهم من حصونهم فنالوا من المسلمين وقتلوا جماعة، واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها قريبا من أربعين يوما، وكان ابتداؤه في شهر حلال ودخل الشهر الحرام فاستمر فيه أياما ثم قفل عنهم لانه يغتفر في الدوام مالا يغتفر في الابتداء، وهذا أمر مقرر وله نظائر كثيرة والله أعلم، ولنذكر الاحاديث الواردة في ذلك. وقد حررنا ذلك في السيرة والله أعلم[1]

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ. زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)

هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله باهوائهم البادرة، وتحليلهم ماحرم الله وتحريمهم ما أحل الله، فانهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامية والحمية ما استطالوا به مدة الاشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الاسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه إلى صفر فيحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ليواطئوا عدة ماحرم الله[2] الاشهر الاربعة كما قال شاعرهم وهو عمير بن قيس المعروف بجدل الطعان

وقال الآخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج في الاشهر الحرم حلف بالله عطاء بن أبي رباح مايحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم إلا أن يقاتلوا فيها وما نسخت

قوله تعالى ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ قيل هو مصدر كالسعير والحريق، وقيل هو مفعول كالجريح والقتيل وهو من التأخير ومنه النسيئة في البيع يقال أنسأ الله في أجله أي أخر وهو ممدود مهموز عند أكثر القراء وقرأ ورش عن نافع من طريق البخاري بتشديد الياء من غير همز فقد قيل أصله الهمزة فخفف. وقيل هو من النسيان على معنى المنسي أي المتروك ومعنى النسيء هو تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر، وذلك أن العرب كانت تعتقد تعظيم الاشهر الحرم وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم عليه السلام وكانت عامة معايشهم من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على التوالي وربما وقعت لهم حرب في بعض الاشهر الحرم فيكرهون تأخير حربهم نسؤا أي أخروا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمون صفر

[1] ترك المصنف رحمه الله بياضاً بعد هذا الذكر الاحاديث التي وعد بها والظاهر انه توفى قبل أن يكتبها

[2] «الأشهر الاربعة» هنا بدل أو عطف بيان لماقبله وفي الازهرية: ليواطئوا عدة الاشهر الاربعة.

لقد علمت معد بأن قومي كرام الناس إن لهم كراما
ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما
فأي الناس لم ندرك بوتر وأي الناس لم نعلك لجاما

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (انما النسيء زيادة في الكفر) قال النسيء أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم في كل عام وكان يكنى أبا ثمامة فينادي ألا إن أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب ألا وإن صفر العام الاول العام حلال فيحله للناس فيحرم صفراً عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قول الله (انما النسيء زيادة في الكفر) يقول يتركون المحرم عاما وعاما يحرمونه ، وروى العوفي عن ابن عباس نحوه ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حمار له فيقول أيها الناس : اني لا أعاب ولا أجاب ولا مرد لما أقول ، انا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفر . ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله (ليواطئوا عدة ماحرم الله) قال يعني الاربعة فيحلوا ماحرم الله بتأخير هذا الشهر الحرام ، وروي عن أبي وائل والضحاك وقتادة نحو هذا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (انما النسيء زيادة في الكفر) الآية قال هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس وكان في الجاهلية وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه ولا يمد اليه يده ، فلما كان هو قال اخرجوا بنا ، قالوا له هذا المحرم قال ننسئه العام هما العام صفران ، فاذا كان العام القابل قضينا جعلناهما محرمين ، قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال لا تغزوا في صفر حرموه مع المحرم هما محرمان ، فهذه صفة غريبة في النسيء وفيها نظر لانهم في عام انما يحرمون على هذا ثلاثة أشهر فقط وفي العام الذي يليه يحرمون خمسة أشهر فأين هذا من قوله تعالى (يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا

و يستحلون المحرم فاذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه الى ربيع هكذا شهراً بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه الذي وضعه الله عز وجل فيه ، وذلك بعد دهر طويل فخطب النبي ﷺ في حجته وبين ذلك كما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف الفربري ثنا محمد بن اسماعيل البخاري ثنا محمد بن سلام ثنا عبد الوهاب ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض . السنة اثنا عشر شهراً . منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » وقال « أي شهر هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال « أليس ذا الحجة ؟ » قلنا بلى قال « أي بلد هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال « أليس البلد الحرام ؟ » قلنا بلى قال « فأي يوم هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه « قال أليس يوم النحر ؟ » قلنا

عدة ماحرم الله)وقدروي عن مجاهد صفة أخرى غريبة ايضا فقال عبد الرزاق انا معمر عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) الآية ، قال فرض الله عز وجل الحج في ذي الحجة ، قال وكان المشركون يسمون ذا الحجة المحرم وصفر وربيع الاول وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة يحجون فيه مرة أخرى ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفراً ، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون شوال رمضان ، ثم يسمون ذا القعدة شوالا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذا الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه الصفة فكانوا يحجون في كل شهر عامين حتى اذا وافق حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة ، ثم حج النبي ﷺ حجته التي حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبي ﷺ في خطبته « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض » وهذا الذي قاله مجاهد فيه نظر أيضاً وكيف تصح حجة أبي بكر وقد وقعت في ذي القعدة وأنى هذا ؟ وقد قال الله تعالى (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله) الآية وإنما نودي بها في حجة أبي بكر فلو لم تكن في ذي الحجة لما قال تعالى (يوم الحج الاكبر) ولا يلزم من فعلهم النسيء هذا الذي ذكره من دوران السنة عليهم وحجهم في كل شهر عامين فان النسيء حاصل بدون هذا فانهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عاما يحرمون عوضه صفراً وبعده ربيع وربيع إلى آخر السنة بحالها على نظامها وعدتها وأسماء شهورها ثم في السنة الثانية يحرمون المحرم ويتركونه على تحريمه وبعده صفر وربيع وربيع الى آخرها فيحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله أي في تحريم أربعة أشهر من السنة الا انهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو المحرم وتارة ينسئونه الى صفر أي يؤخرونه

بلى قال « فان دماءكم وأموالكم -قال محمد أحبسه قال- وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ، ألا هل بلغت ؟ ألا هل بلغت ؟» قالوا وكان قد استمر النسيء بهم فكانوا ربما يحجون في بعض السنين في شهر ويحجون من قابل في شهر آخر . قال مجاهد كانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في شهر ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين ، وكذلك في سائر الشهور فوافقت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبل حجة الوداع السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع فوافق حجه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة اليوم التاسع وخطب اليوم العاشر بمنى وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ماوضع الله عليه حساب الاشهر الحرم يوم خلق الله السموات والارض وأمرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل

وقد قدمنا الكلام على قوله ﷺ « ان الزمان قد استدار » الحديث أي ان الامر في عدة الشهور وتحريم ماهو محرم منها على ماسبق في كتاب الله من العدد والتوالي لا كما تعتمده جهلة العرب من فصلهم تحريم بعضها بالنسيء عن بعض والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه قال : وقف رسول الله ﷺ بالعقبة فاجتمع اليه من شاء الله من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال « وانما النسيء من الشيطان زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما » فكانوا يحرمون المحرم عاما ويستحلون صفر ويستحلون المحرم وهو النسيء وقد تكلم الامام محمد بن اسحاق على هذا في كتاب السيرة كلاما جيداً مفيداً حسنا فقال: كان أول من نسأ الشهور على العرب فأحل منها ماحرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدي ابن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار

في مستأنف الايام. واختلفوا في أول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة أبو ثمامة وجنادة بن عوف وابن أمية[1] الكناني ، وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون أميراً على الناس بالموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فقال: لامرد لما قضيت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسأهم شهراً يغيرون فيه فيقول : إن صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار، ونزعوا الاسنة والازجة ، وإن قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدركه النبي ﷺ ، وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم

* وفينا ناسيء الشهر القلمس *

وكانوا لايفعلون ذلك إلا في ذي الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم ، وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أخبرنا اسماعيل ابن عبد القاهر انبأنا عبد الغافر بن محمد انبأنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب وهو يجر قصبه في النار » فهذا الذي ذكرناه هو النسيء الذي ذكره الله تعالى فقال (انما النسيء) زيادة في الكفر يريد زيادة كفر على كفرهم (يضل به الذين كفروا) قرأ حمزة والكسائي وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد كقوله تعالى (زين لهم سوء أعمالهم) وقرأ يعقوب بضم الياء وكسر الضاد ، وهي قراءة الحسن ومجاهد على معنى يضل به الذين كفروا الناس ، وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الضاد لأنهم

[1] يراجع ابن كثير ص ١٦٥ — ١٦٨

ابن معد بن عدنان ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ثم من بعد عباد ابنه قلع بن عباد ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف بن أمية ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الاسلام فكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فقام فيهم خطيباً فحرم رجبا وذا القعدة وذا الحجة ويحل المحرم عاما ويجعل مكانه صفر ويحرمه عاما ليراطيء عدة ماحرم الله فيحل ماحرم الله يعني ويحرم ما أحل الله. والله أعلم

يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ؟

أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨) إلا تنفروا

يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (٣٩)

هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحمارة القيظ فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) أي اذا دعيتم الى الجهاد في سبيل الله (اثاقلتم الى الارض) أي تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟) أي مالكم فعلتم هكذا رضا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة فقال (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) كما قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قالا حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخي بني فهر قال قال رسول الله ﷺ « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بم ترجع ؟ » وأشار بالسبابة انفرد باخراجه مسلم . وروى ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي بحمص حدثنا الربيع بن روح حدثنا محمد بن خالد الوهبي حدثنا زياد يعني الجصاص عن أبي عثمان قال : قلت يا أباهريرة سمعت من اخواني بالبصرة أنك تقول سمعت نبي الله ﷺ يقول « ان الله يجزي بالحسنة الف الف حسنة » قال أبو هريرة بل

هم الضالون لقوله ﴿ يحلونه ﴾ يعني النسيء ﴿ عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا ﴾ أي ليوافقوا والمواطأة الموافقة ﴿ عدة ماحرم الله ﴾ يريد أنهم لم يحلوا شهراً من الحرام إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرام لئلا يكون الحرم أكثر من أربعة أشهر كما حرم الله فتكون الموافقة في العدد ﴿ فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء أعمالهم ﴾ قال ابن عباس يريد زين لهم الشيطان ﴿ والله لايهدي القوم الكافرين ﴾

قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الارض ﴾ الآية، نزلت في الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبي ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس، وشدة من الحر حين طابت الثمار والظلال ولم يكن رسول الله

سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله يجزي بالحسنة الفي الف حسنة » ثم تلا هذه الآية (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) فالدنيا مامضى منها وما بقي منها عند الله قليل . وقال الثوري عن الاعمش في الآية (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) قال كزاد الراكب وقال عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه لما حضرت عبدالعزيز بن مروان الوفاة : قال ائتوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر اليه فلما وضع بين يديه نظر اليه فقال أمالي من كبير ما أخلف من الدنيا الا هذا ؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار ان كان كثيرك لقليل، وان كان قليلك لقصير، وان كنا منك لفي غرور. ثم توعد تعالى من ترك الجهاد فقال (الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما) قال ابن عباس : استنفر رسول الله ﷺ حيا من العرب فتثاقلوا عنه فأمسك الله عنهم القطر فكان عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) أي لنصرة نبيه واقامة دينه كما قال تعالى (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم * ثم لا يكونوا أمثالكم * (ولا تضروه شيئا) أي ولا تضروا الله شيئا بتوليكم عن الجهاد، ونكولكم وتثاقلكم عنه (والله على كل شيء قدير) أي قادر على الانتصار من الاعداء بدونكم ، وقد قيل ان هذه الآية وقوله (انفروا خفافا وثقالا) وقوله (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) انهن منسوخات بقوله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) روي هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن و زيد بن أسلم ورده ابن جرير وقال إنما هذا فيمن دعاهم رسول الله ﷺ الى الجهاد فتعين عليهم ذلك فلو تركوه لعوقبوا عليه وهذا له اتجاه والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

إلَّا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانِيَ اثنين إذ هما في الغار اذ يقول

ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز هائلة وعدواً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ولم يورها بغيرها ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم) أي قال لكم رسول الله ﷺ (انفروا) اخرجوا (في سبيل الله اثاقلتم) أي تثاقلتم وتباطأتم (إلى الارض) أي لزمتم أرضكم ومساكنكم ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ ﴾ أي بخفض الدنيا ودعتها من نعيم الآخرة ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ ثم أوعدهم على ترك الجهاد فقال تعالى ﴿ الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ﴾ في الآخرة وقيل هو احتباس المطر عنهم في الدنيا ، وسأل نجدة بن نقيع ابن عباس عن هذه الآية فقال إن رسول الله ﷺ استنفر حياً من أحياء العرب فتثاقلوا عليه فأمسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ﴿ ويستبدل قوما غيركم ﴾ خيراً منكم وأطوع ، قال سعيد بن جبير هم أبناء فارس ، وقيل هم أهل اليمن ﴿ ولا تضروه شيئا ﴾ بترككم النفير ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ قوله تعالى ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله ﴾ هذا اعلام من الله عز وجل انه المتكفل بنصر رسوله ﷺ

لِصَاحِبِهِ لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى . وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٤٠)

يقول تعالى (الا تنصروه) أي تنصروا رسوله فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) أي عام الهجرة لما همَّ المشركون بقتله او حبسه

واعزاز دينه أعانوه أو لم يعينوه ، وأنه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعُدد ﴿ إذ أخرجه الذين كفروا ﴾ من مكة حين مكروا به وأرادوا تبييته وهموا بقتله ﴿ثاني اثنين﴾ أي هو احد الاثنين والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر الصديق رضي الله عنه ﴿إذ هما في الغار﴾ وهو نقب في جبل ثور بمكة ﴿ إذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا﴾ قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه أخبرنا ابو المظفر محمد بن احمد التميمي انبأنا محمد بن عبد الرحمن بن عثمان انبأنا خيثمة بن سليمان ثنا عبد الله بن احمد الدورقي ثنا سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن كثير النواء عن جميع بن عمير قال أتيت ابن عمر رضي الله عنه فسمعته يقول قال رسول الله ﷺ لابي بكر رضي الله عنه « أنت صاحبي في الغار ، وصاحبي على الحوض» قال الحسين بن الفضل : من قال إن ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لانكاره نص القرآن ، وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا لا كافرا وقوله عز وجل (لاتحزن ان الله معنا) لم يكن حزن ابي بكر جبنا منه وانما كان اشفاقا على رسول الله ﷺ وقال ان اقتل فانا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة ، وروي انه حين انطلق مع رسول الله ﷺ الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله ﷺ مالك ياأبا بكر؟ قال اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك . فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى استبرىء الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل يارسول الله فنزل فقال عمر رضي الله عنه والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من عمر ومن آل عمر .اخبرنا أبو المظفر التميمي أنا محمد بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي النضر أنا خيثمة بن سليمان ثنا أبو قلابة الرقاشي ثنا حبان بن هلال ثنا همام بن يحيى ثنا ثابت البناني ثنا أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثهم قال نظرت الى أقدام المشركين فوق رءوسنا ونحن في الغار فقلت يارسول الله لو ان أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا فقال يا أبا بكر « ما ظنك باثنين الله ثالثهما »أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي ثنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت لم أعقل أبوي قط

أو نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصدّيقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن

الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ويأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنّة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا ابا بكر؟ فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد ان اسيح في الارض فأعبد ربي قال ابن الدغنة؟ فان مثلك يا ابا بكر لايخرج ولايخرج انك تكسب المعدم، وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم ان أبا بكر لايخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه. وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا بكاء لايملك عينيه اذا قرأ القرآن، فافزع ذلك أشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل، وان أبى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك، ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان. قالت عائشة رضي الله عنها فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الي ذمتي فاني لاأحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر فاني أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله. والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين «اني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة الى المدينة. وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ «على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال «نعم» فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله

يطلع عليهم أحد فيخلص الى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته ويقول « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » كما قال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا

ماجاء به في هذه الساعة الا أمر، قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لابي بكر « أخرج من عندك » فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبي أنت يارسول الله قال « فاني قد أذن لي في الخروج » فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت يارسول الله فقال رسول الله ﷺ نعم قال أبو بكر فخذ بأبى أنت يارسول الله احدى راحلتي" هاتين قال رسول الله ﷺ بالثمن قالت عائشة رضي الله عنها فجهزناهما أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكتادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث . واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل قال ابن شهاب وأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك ابن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه دية كل واحد منهما لمن قتله أو اسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة اني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي الى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات فساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت

ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال. قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه

قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر النبي ﷺ فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم خبر مايريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني شيئا الا أن قالا اخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ﷺ قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ماأطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يامعشر العرب هذا جدكم [1] الذي تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته «هذا ان شاء الله المنزل» ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يارسول الله ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن

هذا الحمال لا حمال خيبر — هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول — اللهم ان الاجر أجر الآخره — فارحم الانصار والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضتا في أسفل النقب والعنكبوت حتى نسجت بيتا وفي القصة أنبت ثمامة على فم الغار وقال النبي ﷺ «اللهم اعم أبصارهم عنا فجعل

(١) أي حظكم وشرفكم

لابصرنا تحت قدميه قال فقال « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » أخرجاه في الصحيحين ، ولهذا قال تعالى (فأنزل الله سكينته عليه) أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين وقيل على أبي بكر ، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا لان الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال (وأيده بجنود لم تروها) أي الملائكة (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا) قال ابن عباس يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا إله إلا الله . وفي الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقوله (والله عزيز) أي في انتقامه وانتصاره ، منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه ، واحتمى بالتمسك بخطابه (حكيم) في أقواله وأفعاله

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون(٤١)

قال سفيان الثوري عن أبيه عن أبي الضحى مسلم بن صبيح : هذه الآية (انفروا خفافا وثقالا) أول مانزل من سورة براءة ، وقال معتمر بن سليمان عن أبيه قال : زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناسا

الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت

قوله عز وجل ﴿ فأنزل الله سكينته عليه ﴾ قيل على النبي ﷺ وقال ابن عباس على أبي بكر رضي الله عنه فان النبي ﷺ كانت عليه السكينة من قبل ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾ وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر وأخبر أنه صرف عنه كيد الاعداء في الغار ثم اظهر نصره بالملائكة يوم بدر ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ وكلمتهم الشرك وهي السفلى الى يوم القيامة ﴿ وكلمة الله هي العليا ﴾ الى يوم القيامة قال ابن عباس هي قول لااله الا الله ، وقيل كلمة الذين كفروا ماتدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه وكلمة الله وعد الله أنه ناصره . وقرأ يعقوب (وكلمة الله) بنصب التاء على أنها معطوفة على المفعول الاول لجعل وهو كلمة الذين كفروا والتقدير وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا فكلمة الله معطوفة على المفعول الاول والعليا معطوفة على المفعول الثاني وقرأ الباقون (وكلمة الله) بالرفع على الاستئناف كانه تم الكلام عند قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ثم ابتدأ فقال وكلمة الله هي العليا على الابتداء والخبر فكلمة الله مبتدأ والعليا خبره ﴿ والله عزيز حكيم ﴾

قوله تعالى ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾ قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة شبانا وشيوخا

كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا وكبيراً فيقول إني لا آثم فأنزل الله (انفروا خفافا وثقالا) الآية أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب ، وحتم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر فقال (انفروا خفافا وثقالا) وقال علي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة : كهولا وشبانا ماسمع الله عذر أحد ثم خرج إلى الشام فقاتل حتى قتل ، وفي رواية قرأ أبو طلحة سورة براءة فأتى على هذه الآية (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) فقال أرى ربنا استنفرنا شيوخا وشبانا جهزوني يابني ، فقال بنوه يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك. فأبى فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها ، وهكذا روي عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح والحسن البصري وسهيل بن عطية ومقاتل بن حيان والشعبي وزيد بن أسلم أنهم قالوا في تفسير هذه الآية (انفروا خفافا وثقالا) كهولا وشبانا ، وكذا قال عكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان وغير واحد ، وقال مجاهد شبانا وشيوخا وأغنياء ومساكين ، وكذا قال أبو صالح وغيره ، وقال الحكم بن عتيبة : مشاغيل وغير مشاغل ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (انفروا خفافا وثقالا) يقول انفروا نشاطا وغير نشاط ، وكذا قال قتادة وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (انفروا خفافا وثقالا) قالوا فان فينا الثقيل وذا الحاجة والضيعة والشغل والمتيسر به أمره فأنزل الله وأبى أن يعذرهم دون أن ينفروا (خفافا وثقالا) أي على ما كان منهم ، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضاً في العسر واليسر وهذا كله من مقتضيات العموم في الآية وهذا اختيار ابن جرير

وقال الامام أبو عمرو الاوزاعي اذا كان النفير إلى دروب الروم نفر الناس اليها خفافا وركبانا واذا كان النفير إلى هذه السواحل نفروا اليها خفافا وثقالا وركبانا ومشاة وهذا تفصيل في المسألة ، وقد روي عن ابن عباس ومحمد بن كعب وعطاء الخراساني وغيرهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله ، وقال السدي قوله (انفروا خفافا وثقالا) يقول غنيا وفقيراً وقويا وضعيفاً فجاءه رجل يومئذ زعموا أنه المقداد وكان عظيما سمينا فشكى اليه وسأله أن يأذن له فأبى فنزلت يومئذ (انفروا خفافا وثقالا) فلما نزلت هذه الآية اشتد على الناس فنسخها الله فقال (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله

وعن ابن عباس نشاطا وغير نشاط . وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال أي فقراء وثقالا أى أغنياء . وقال ابن زيد الثقيل الذى له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يدع ضيعته والخفيف الذي لا ضيعة له ويروى عن ابن عباس قال خفافا أهل الميسرة من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا من السلاح أي مقلين منه، وثقالا أي مستكثرين منه . وقال الحكم بن عتيبة: مشاغيل وغير

ورسوله) وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا أيوب عن محمد قال : شهد أبو أيوب مع رسول الله ﷺ بدراً ثم لم يتخلف عن غزاة المسلمين الا عاما واحداً قال وكان أبو أيوب يقول قال الله تعالى (انفروا خفافا وثقالا) فلا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا . وقال ابن جرير حدثني سعيد ابن عمرو السكوني حدثنا بقية حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن بن ميسرة حدثني أبو راشد الحراني قال وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله ﷺ جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فضل عنها من عظمه يريد الغزو فقلت له قد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث (انفروا خفافا وثقالا) وقال ابن جرير : حدثني حيان بن زيد الشرعبي قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان والياً على حمص قبل الافسوس الى الجراجمة فرأيت شيخاً كبيراً هماً قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت اليه فقلت ياعم لقد أعذر الله اليك . قال فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه ، ثم يعيده الله فيبقيه وانما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد الا الله عزوجل . ثم رغب تعالى في النفقة في سبيله وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله فقال (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أي هذا خير لكم في الدنيا والآخرة لانكم تغرمون في النفقة قليلا فيغنمكم الله أموال عدوكم في الدنيا مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة كما قال النبي ﷺ « تكفل الله للمجاهد في سبيله ان توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرده الى منزله بما نال من أجر أو غنيمة » ولهذا قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ومن هذا القبيل ما رواه الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس عن رسول الله ﷺ قال لرجل « أسلم » قال أجدني كارها قال « أسلم وان كنت كارها »

لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون (٤٢)

مشاغيل وقال مرة الهمداني أصحاء ومرضى وقال يمان بن رباب عزابا ومتأهلين وقيل خفافا من حاشيتكم وأتباعكم وثقالا مستكثرين بهم ، وقيل خفافا مسرعين خارجين ساعة سماع النفير وثقالا بعد التروي فيه والاستعداد له ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ قال الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع . وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال السدي لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى وأنزل (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) الآية ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ﴿ لو كان عرضا قريبا ﴾ واسم كان مضمر أي

يقول تعالى موبخا للذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك وقعدوا بعد ما استأذنوه في ذلك مظهرين انهم ذوو عذار أولم يكونوا كذلك فقال (لو كان عرضا قريبا) قال ابن عباس : غنيمة قريبة (وسفراً قاصداً) أي قريباً أيضاً (لاتبعوك) أي لكانوا جاؤا معك لذلك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة إلى الشام (وسيحلفون بالله) أي لكم إذا رجعتم اليهم (لواستطعنا لخرجنا معكم) أي لو لم يكن لنا اعذار لخرجنا معكم. قال الله تعالى (يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون)

عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم ؟ حتّى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الـكـٰذبين (٤٣) لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجـٰهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (٤٤) انما يستئذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (٤٥)

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو حصين بن سليمان الرازي حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ نداء بالعفو قبل المعاتبة فقال (عفا الله عنك لم ذنت لهم ؟) وكذا قال مورق العجلي وغيره . وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم أنزل التي في سورة النور فرخص له في أن يأذن لهم ان شاء فقال (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فائذن لمن شئت منهم) الآية . وكذا روي عن عطاء الخراساني[1] وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس قالوا استأذنوا رسول الله ﷺ فان أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا ، ولهذا قال تعالى (حتى يتبين لك الذين صدقوا) أي في ابداء الاعذار (وتعلم الكاذبين) يقول تعالى هلا تركتهم لما

(١) عفا الله عن قتادة وعطاء أنهما لم يميزا بين المنافقين الذين عاتب الله رسوله على الاذن لهم والمؤمنين الذين أمره بالاذن لهم في سورة النور على ان موضوع الاذن مختلف في الموضعين .

لو كان ما تدعوهم اليه عرضا قريبا أي غنيمة قريبة المتناول ﴿وسفرا قاصدا﴾ أي قريباهينا ﴿لاتبعوك﴾ لخرجوا معك ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ أي المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان وقيل الشقة الغاية التي يقصدونها ﴿ وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم ﴾ يعني باليمين الكاذبة ﴿ والله يعلم أنهم لكاذبون ﴾ في ايمانهم لانهم كانوا مستطيعين ﴿ عفا الله عنك ﴾ قال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب ، وقيل ان الله عز وجل وقره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل لمن يخاطبه اذا كان كريما عنده عفا الله عنك ماصنعت في حاجتي ورضي الله عنك ألا زرتني ! وقيل معناه أدام الله لك العفو ﴿ لم أذنت لهم ﴾ أي في التخلف عنك ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ في أعذارهم ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ فيها أي تعلم من لاعذر له قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن رسول الله ﷺ يعرف

استأذنوك فلم تأذن لاحد منهم في القعود لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب فانهم قد كانوا مصرين على القعود عن الغزو وان لم تأذن لهم فيه . ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله فقال (لا يستأذنك) أي في القعود عن الغزو (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) لانهم يرون الجهاد قربة ولما ندبهم اليه بادروا وامتثلوا (والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك) أي في القعود ممن لا عذر له (الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر) أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم (وارتابت قلوبهم) أي شكت في صحة ما جئتهم به (فهم في ريبهم يترددون) أي يتحيرون يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى وليست لهم قدم ثابتة في شيء فهم قوم حيارى هلكى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلا . ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا

ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عدّة ولـكن كره اللّه انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القٰعدين (٤٦) لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلٰلكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّٰعون لهم واللّه عليم بالظّٰلمين (٤٧)

يقول تعالى (ولو أرادوا الخروج) أي معك إلى الغزو (لأعدوا له عدة) أي لكانوا تأهبوا له (ولكن كره الله انبعاثهم) أي أبغض أن يخرجوا معكم قدراً (فثبطهم) أي أخرهم (وقيل اقعدوا مع القاعدين) أي قدراً [1] ثم بين تعالى وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين فقال (لو خرجوا فيكم ما

المنافقين يومئذ ﴿ لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم ﴾ أي لايستأذنونك في التخلف ﴿ والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم ﴾ أي شكت ونافقت ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾ يتحيرون ﴿ ولو أرادوا الخروج ﴾ إلى الغزو ﴿ لأعدوا له ﴾ أي لهيؤا له ﴿ عدة ﴾ أهبة وقوة من السلاح والكراع ﴿ ولـكن كره الله انبعاثهم ﴾ خروجهم ﴿ فثبطهم ﴾ منعهم وحبسهم عن الخروج ﴿ وقيل اقعدوا ﴾ في بيوتكم ﴿ مع القاعدين ﴾ يعني مع المرضى والزمنى ، وقيل مع النسوان والصبيان . قوله عز وجل (وقيل) أي قال بعضهم لبعض اقعدوا . وقيل أوحى إلى قلوبهم وألهموا أسباب الخذلان ﴿ لوخرجوا فيكم ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك . فضرب رسول الله ﷺ عسكره على ثنية الوداع وضرب عبدالله بن أبي على ذي حرة أسفل من ثنية الوداع ، ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبدالله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله تعالى يعزي نبيه ﷺ (لوخرجوا) يعني المنافقين (فيكم) أي معكم ﴿ مازادوكم إلا خبالا ﴾ أى

(١) قوله قدرا في الموضعين معناه انه تعالى قدر ذلك فكان باسبابه لا انه كلفهم ذلك شرعا ولا انه أعجزهم عنه خلقا كما تقول الجبرية

زادوكم إلا خبالا) أي لانهم جبناء مخذولون (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) أي ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة (وفيكم سماعون لهم) أي مطيعون لهم ومستحبون لحديثهم وكلامهم يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم فيؤدي إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير . وقال مجاهد وزيد بن أسلم وابن جرير (وفيكم سماعون لهم) أي عيون يسمعون لهم الاخبار وينقلونها اليهم . وهذا لا يبقى له اختصاص بخروجهم معهم بل هذا عام في جميع الاحوال والمعنى الاول أظهر في المناسبة بالسياق واليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين . وقال محمد بن اسحاق كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي بن سلول والجد بن قيس ، وكانوا أشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال (وفيكم سماعون لهم) ثم أخبر تعالى عن تمام علمه فقال (والله عليم بالظالمين) فاخبر بأنه يعلم ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف كان يكون ، ولهذا قال تعالى (لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا) فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا كما قال تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقال تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا * وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيما * ولهديناهم صراطا مستقيما) والآيات في هذا كثيرة

لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كرهون (٤٨)

يقول تعالى محرضاً لنبيه عليه السلام على المنافقين (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور) أى لقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإخماده مدة طويلة

فساداً وشراً ، ومعنى الفساد إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر ﴿ ولأوضعوا ﴾ أسرعوا ﴿ خلالكم ﴾ في وسطكم بايقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ، ونقل الحديث من البعض إلى البعض وقيل (لأوضعوا خلالكم) أي أسرعوا فيما يخل بكم ﴿ يبغونكم الفتنة ﴾ أي يطلبون لكم ماتفتنون به يقولون لقد جمع لكم كذا وكذا وإنكم مهزومون ، وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك ، وقال الكلبي (يبغونكم الفتنة) يعني العنت والشر ، وقال الضحاك الفتنة الشرك ، ويقال بغيته الشر والخير أبغيه بغا إذا التمست له يعني بغيت له ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ قال مجاهد معناه وفيكم مخبرون لهم يؤدون اليهم مايسمعون منكم وهم الجواسيس ، وقال قتادة معناه وفيكم مطيعون لهم أي يستمعون كلامهم ويطيعونهم ﴿ والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل ﴾ أي طلبوا صد أصحابك عن

وذلك أول مقدم النبي ﷺ المدينة رمته العرب عن قوس واحدة، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها فلما نصره الله يوم بدر وأعلا كلمته قال عبد الله بن أبيّ وأصحابه هذا أمر قد توجه فدخلوا في الاسلام ظاهراً ثم كلما أعز الله الاسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم ولهذا قال تعالى (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني. ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٤٩)

يقول تعالى ومن المنافقين من يقول لك يا محمد (ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) بالخروج معك بسبب الجواري من نساء الروم . قال الله تعالى (ألا في الفتنة سقطوا) أي قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا كما قال محمد بن اسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن قتادة وغيرهم قالوا قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة «هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الاصفر؟ » فقال يارسول الله أو تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال « قد أذنت لك » ففي الجد بن قيس نزلت هذه (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) الآية . أي إن كان إنما يخشى من نساء بني الاصفر وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم . وهكذا روي عن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنها نزلت في الجد بن قيس وقد كان الجد بن قيس هذا من أشراف بني سلمة . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لهم « من سيدكم يابني سلمة؟ » قالوا الجد بن قيس على انا نبخله. فقال رسول الله ﷺ «وأي داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم الفتى الجعد الابيض بشر بن

الدين وردهم إلى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كفعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه ﴿ وقلبوا لك الامور ﴾ جالوا فيك وفي ابطال دينك أي بالتخذيل عنك وتشتيت أمرك ﴿ حتى جاء الحق ﴾ النصر والظفر ﴿ وظهر أمر الله ﴾ دين الله ﴿ وهم كارهون ﴾

قوله تعالى ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ﴾ نزلت في جد بن قيس المنافق ، وذلك أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك قال له «يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر -يعني الروم- تتخذ منهم سراري ووصفاء ؟ » فقال : جد يارسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء ، واني أخشى ان رأيت بنات بني الاصفر أن لا أصبر عنهن، ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي. قال ابن عباس : اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق فأعرض عنه النبي ﷺ فقال « أذنت لك » فأنزل الله عز وجل ومنهم يعني من المنافقين من يقول ائذن لي في التخلف ولا تفتني ببنات الاصفر . قال قتادة ولا تؤثمني ﴿ ألا في الفتنة سقطوا ﴾ أي في الشرك والاثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم

البراء بن معرور » وقوله تعالى (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) أي لامحيد لهم عنها ولا محيص ولا مهرب

إن تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولّوا وهم فرحون (٥٠) قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولٰنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥١)

يعلم تبارك وتعالى نبيه ﷺ بعداوة هؤلاء له لانه مهما أصابه من حسنة أي فتح ونصر وظفر على الاعداء مما يسره ويسر اصحابه ساءهم ذلك (وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أي قد احترزنا من متابعته من قبل هذا (ويتولوا وهم فرحون) فارشد الله تعالى رسول الله ﷺ الى جوابهم في عداوتهم هذه التامة فقال (قل) أي لهم (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أي نحن تحت مشيئته وقدره (وهو مولانا) أي سيدنا وملجؤنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل

قل هل تربّصون بنا إلا إحدى الحسنيين ؟ ونحن نتربّص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (٥٢) قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فسقين (٥٣) وما منعهم أن تقبل منهم نفقتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوٰة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كرهون (٥٤)

يقول تعالى (قل) لهم يامحمد (هل تربصون بنا) أي تنتظرون بنا (إلا إحدى الحسنيين) شهادة أو ظفر بكم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم (ونحن نتربص بكم) أي ننتظر بكم (أن يصيبكم

أمر الله ورسوله ﴿ وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ مطيفة عليهم وجامعة لهم فيها ﴿ إن تصبك حسنة ﴾ نصرة وغنيمة ﴿ تسؤهم ﴾ تحزنهم يعني المنافقين ﴿ وإن تصبك مصيبة ﴾ قتل وهزيمة ﴿ يقولوا قد أخذنا أمرنا ﴾ حذرنا أي أخذنا بالحزم في القعود عن الغزو ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل هذه المصيبة ﴿ ويتولوا ﴾ ويدبروا ﴿ وهم فرحون ﴾ مسرورون بما نالك من المصيبة ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ أي علينا في اللوح المحفوظ ﴿ هو مولانا ﴾ ناصرنا وحافظنا ، وقال الكلبي هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا ﴾ تنتظرون بنا أيها المنافقون ﴿ الا إحدى الحسنيين ؟ ﴾ إما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة ، وروينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع مانال من أجر أو غنيمة » ﴿ ونحن

الله بعذاب من عنده أو بايدينا) أي ننتظر بكم هذا أو هذا اما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا) بسبي أو بقتل (فتربصوا انا معكم متربصون) وقوله تعالى (قل انفقوا طوعا أو كرها) أي مهما أنفقتم من نفقة طائعين أو مكرهين (لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين) ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك وهو أنهم لا يتقبل منهم (لانهم كفروا بالله وبرسوله) أي والاعمال انما تصح بالايمان (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) أي ليس لهم قدم صحيح ولا همة في العمل (ولا ينفقون) نفقة (الا وهم كارهون) وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ « ان الله لا يمل حتى تملوا وان الله طيب لا يقبل الا طيبا » فلهذا لا يقبل الله من هؤلاء نفقة ولا عملا لانه إنما يتقبل من المتقين

فلا تعجبك أموٰلهم ولا أولٰدهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيٰوة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كٰفرون (٥٥)

يقول تعالى لرسوله ﷺ (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) كما قال تعالى (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) وقال (أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقوله (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) قال الحسن البصري بزكاتها والنفقة منها في سبيل الله ، وقال قتادة هذا من المقدم

نتربص بكم ﴾ تنتظر بكم احدى السوءيين اما ﴿ أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ﴾ فيهلككم كما أهلك الامم الخالية ﴿ أو بأيدينا ﴾ أو بأيدي المؤمنين ان أظهرتم ما في قلوبكم ﴿ فتربصوا انا معكم متربصون ﴾ قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه ﴿ قل أنفقوا طوعا أو كرها ﴾ أمر بمعنى الشرط والجزاء أي ان أنفقتم طوعا أو كرها نزلت في جد بن قيس حين استأذن في القعود وقال أعينكم بمالي ، يقول ان أنفقتم طوعا أو كرها ﴿ لن يتقبل منكم انكم ﴾ أي لانكم ﴿ كنتم قوما فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي يقبل بالياء لتقدم الفعل ، وقرأ الباقون بالتاء لان الفعل مسند الى جمع مؤنث وهو النفقات فأنث الفعل ليعلم أن الفاعل مؤنث ﴿ نفقاتهم ﴾ صدقاتهم ﴿ الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ﴾ أي المانع من قبول نفقاتهم كفرهم ﴿ ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ﴾ متثاقلون لأنهم لا يرجون على أدائها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا . فان قيل كيف ذم الكسل في الصلاة ولا صلاة لهم أصلا ؟ قيل الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل فان الكفر مكسل والايمان منشط ﴿ ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ لأنهم يعدونها مغرما ومنعها مغنما ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ﴾ والاعجاب هو السرور بما يتعجب منه . يقول لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الاموال والاولاد لان العبد إذا كان من الله في استدراج كثر الله ماله وولده ﴿ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ فان قيل أي تعذيب في المال والولد

والمؤخر تقديره : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة . واختار ابن جرير قول الحسن، وهو القول القوي الحسن[1] وقوله (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) أي ويريد أن يميتهم حين يميتهم على الكفر ليكون ذلك انكى لهم و أشد لعذابهم عياذاً بالله من ذلك وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه

(١) ولكنه في المال دون الولد وقد يكون من تعذيبهم في أولادهم كراهتهم لايمانهم وجهادهم مع النبي (ص) وكونهم سيرثون أموالهم وينفقونها في سبيل الله وهذا أشد عليهم مما ينفقون بايديهم تقية ورياء

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧)

يخبر الله تعالى نبيه ﷺ عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم انهم (يحلفون بالله انهم لمنكم) يميناً مؤكدة (وماهم منكم) أي في نفس الامر (ولكنهم قوم يفرقون) أي فهو الذي حملهم على الحلف (لو يجدون ملجأ) أي حصنا يتحصنون به وحرزاً يتحرزون به (أو مغارات) وهي التي في الجبال (أو مدخلا) وهو السرب في الارض والنفق قال ذلك في الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقتادة (لولوا اليه وهم يجمحون) أي يسرعون في ذهابهم عنكم لانهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة وودوا أنهم لايخالطونكم ولكن للضرورة أحكام ، ولهذا لايزالون في هم وحزن وغم لأن الاسلام وأهله لايزال في عز ونصر ورفعة ، فلهذا كلما سر المسلمون ساءهم ذلك فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون)

وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا ؟ قيل قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير تقديره ، فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة . وقيل التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد ، وقال الحسن يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل الله ، وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه والوجل في حفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لايحمده ثم يقدم على ملك لا يعذره ﴿ وتزهق أنفسهم ﴾ اي تخرج ﴿ وهم كافرون ﴾ أي يموتون على الكفر ﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم ﴾ أي على دينكم ﴿ وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يخافون أن يظهروا ماهم عليه ﴿ لو يجدون ملجأ ﴾ حرزاً أو حصنا أو معقلا . وقال عطاء مهربا . وقيل قوما يأمنون فيهم ﴿ أو مغارات ﴾ غيرانا في الجبال جمع مغارة وهو الموضع الذي تغور فيه أي تستتر ، وقال عطاء سراديب ﴿ أو مدخلا ﴾ موضع دخول يدخلون فيه وهو من ادخل يدخل وأصله مدتخل مفتعل من دخل يدخل. قال مجاهد محرزاً وقال قتادة سربا وقال الكلبي نفقا في الارض كنفق اليربوع، وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ وقرأ يعقوب مدخلا بفتح الميم وتخفيف الدال ، وهو أيضا موضع الدخول ﴿ لولوا اليه ﴾ لادبروا اليه هربا منكم ﴿ وهم يجمحون ﴾ يسرعون في إباء ونفور

ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون (٥٨)

ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون (٥٩)

يقول تعالى (ومنهم) أي ومن المنافقين (من يلمزك) أي يعيب عليك (في) قسم (الصدقات) اذا فرقتها ويتهمك في ذلك وهم المتهمون المأبونون وهم مع هذا لاينكرون للدين وانما ينكرون لحظ أنفسهم ولهذا (إن أعطوا من الزكاة رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) أي يغضبون لانفسهم ، قال ابن جريج أخبرني داود بن أبي عاصم قال اتي النبي ﷺ بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت قال ووراءه رجل من الانصار فقال ماهذا بالعدل فنزلت هذه الآية ، وقال قتادة في قوله (ومنهم من يلمزك في الصدقات) يقول ومنهم من يطعن عليك في الصدقات ، وذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي ﷺ وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يامحمد والله لئن كان الله أمرك ان تعدل

لايرد وجوههم شيء ، ومعنى الآية أنهم لو يجدون مخلصا منكم ومهربا لفارقوكم .

قوله تعالى ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ الاية نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص ابن زهير أصل الخوارج أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يارسول الله اعدل فقال « ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال له « دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلايوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلايوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدر در، يخرجون على حين فرقة من الناس » قال ابو سعيد وأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعته وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لرسول الله ﷺ لم تقسم بالسوية فأنزل الله تعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات) أي يعيبك في أمرها وتفريقها ويطعن عليك فيها يقال لمزه وهمزه أي عابه يعني أن المنافقين كانوا يقولون ان محمداً لا يعطي

ماعدلت فقال نبي الله ﷺ «ويلك فمن ذا الذي يعدل عليك بعدي ؟» ثم قال نبي الله « احذروا هذا وأشباهه فان في امتي اشباه هذا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم » وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئا ولا أمنعكم إنما انا خازن » وهذا الذي ذكره قتادة يشبه ما رواه الشيخان من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة واسمه حرقوص لما اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين فقال له اعدل فانك لم تعدل فقال « لقد خبت وخسرت ان لم أكن اعدل » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه مقفيا « انه يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فانهم شر قتلى تحت أديم السماء » وذكر بقية الحديث ثم قال تعالى منبها لهم على ما هو خير لهم من ذلك فقال (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا الى الله راغبون) فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبا عظيما وسراً شريفا حيث جعل الرضاء بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله (وقالوا حسبنا الله) وكذلك الرغبة الى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وامتثال أوامره وترك زواجره وتصديق أخباره والاقتفاء بآثاره .

إنما الصدقٰت للفقراء والمسٰكين والعٰملين عليها والمؤلفة قلوبُهم وفي الرقاب والغٰرمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم (٦٠)

لما ذكر تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النبي ﷺ ولمزهم إياه في قسم الصدقات بين تعالى

إلا من أحب ، وقرأ يعقوب يلمزك وكذلك يلمزون ، وفي الحجرات (ولا تلمزوا) كل ذلك بضم الميم وقرأ الباقون بكسر الميم فيهن وهما لغتان يلمز ويلمز مثل يحسر ويحسر ويعكف ويعكف ، وقال مجاهد يلمزك أي يزورك يعني يختبرك ﴿ فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها اذا هم يسخطون﴾ قيل إن أعطوا كثيراً فرحوا وإن أعطوا قليلا سخطوا ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ﴾ أي قنعوا بما قسم الله ورسوله ﴿وقالوا حسبنا الله ﴾ كافينا الله ﴿ سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾مانحتاج اليه ﴿ إنا إلى الله راغبون ﴾ في أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس وجواب لو محذوف أي لـكان خيراً لهم وأعود عليهم

قوله تعالى ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ الآية بين الله تعالى في هذه الآية أهل سهمان الصدقات وجعلها لثمانية أصناف . وروي عن زياد بن الحارث الصدائي قال أتيت رسول الله ﷺ

أنه هو الذي قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه ولم يكل قسمها إلى أحد غيره فجزأها لهؤلاء المذكورين كما رواه الامام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فبايعته فأتى رجل فقال أعطني من الصدقة، فقال له «إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك» وقد اختلف العلماء في هذه الاصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع اليها أو إلى ما أمكن منها على قولين (أحدهما) أنه يجب ذلك وهو قول الشافعي وجماعة (والثاني) أنه لا يجب استيعابها بل يجوز الدفع إلى واحد منها ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقين وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون بن مهران، قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم، وعلى هذا فانما ذكرت الاصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعاب الاعطاء ولوجوه الحجاج والمآخذ مكان غير هذا والله أعلم، وانما قدم الفقراء ههنا على البقية لانهم أحوج من غيرهم على المشهور ولشدة فاقتهم وحاجتهم، وعند أبي حنيفة أن المسكين اسوأ حالا من الفقير وهو كما قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية انبأنا ابن عون عن محمد قال: قال عمر رضي الله عنه: الفقير ليس بالذي لا مال له،

فبايعته فاتاه رجل وقال اعطني من الصدقة فقال له رسول الله ﷺ «ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقك» قوله (للفقراء والمساكين) فأحد أصناف الصدقة الفقراء، والثاني المساكين واختلف العلماء في صفة الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذى يسأل، وقال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن من انقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) فذلك الفقير. وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج، وروي عن عكرمة أنه قال الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتاب، وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان أو غير زمن والمسكين من كان له مال أو حرفة ولا تغنيه سائلا كان أو غير سائل، فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير لان الله تعالى قال (أما السفينة فكانت لمساكين) أثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة، وعند أصحاب الرأي الفقير أحسن حالا من المسكين وقال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذى لا شيء له

وقيل الفقير من له المسكن والخادم والمسكين من لا ملك له وقالوا كل محتاج الى شيء فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله تعالى (أنتم الفقراء الى الله) والمسكين المحتاج الى كل شيء ألا ترى كيف حض على إطعامه وجعل طعام الكفارة له ولا فاقة أشد من الحاجة الى سد الجوعة. وقال إبراهيم النخعي الفقراء هم المهاجرون والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين، وفي الجملة الفقر والمسكنة

ولكن الفقير الأخلق الكسب ، قال ابن علية الا خلق المحارف [١] عندنا والجمهور على خلافه ، وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وابن زيد ، واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً ، والمسكين هو الذي يسأل ويطوف يتبع الناس ، وقال قتادة الفقير من به زمانة ، والمسكين الصحيح الجسم ، وقال الثوري عن منصور بن ابراهيم هم فقراء المهاجرين ، قال سفيان الثوري يعني ولا يعطي الاعراب منها شيئاً ، وكذا روي عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، وقال عكرمة لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين انما المساكين أهل الكتاب ، ولنذكر أحاديث تتعلق بكل من الاصناف الثمانية ، فأما الفقراء فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي » رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، ولأحمد أيضاً والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة مثله ، وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر فرآهما جلدين فقال « إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب » رواه أحمد وأبو داود والنسائي باسناد جيد قوي ، وقال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل : أبو بكر العبسي قال قرأ عمر رضي الله عنه (انما الصدقات للفقراء) قال هم أهل الكتاب روى عنه عمر بن نافع سمعت أبي يقول ذلك (قلت) وهذا قول

[١] المحارف بفتح الراء المحروم السيء الحظ

عبارتان عن الحاجة وضعف الحال فالفقير المحتاج الذى كسرت الحاجة فقار ظهره ، والمسكين الذى ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت ، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب حدثنا عبد العزيز بن أحمد الخلال حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا الربيع أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان بن عيينة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن جده عن عبيد الله بن عدي بن الخيار ان رجلين أخبراه أنهما أتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن الصدقة فصعد فيهما وصوب فقال « ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذى قوة مكتسب » واختلفوا في حد الغني الذى يمنع أخذ الصدقة فقال الاكثرون حده أن يكون عنده مايكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي ، وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم من ملك خمسين درهما لا تحل له الصدقة لما روينا عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « من سأل الناس وله مايغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح - قيل يارسول الله وما يغنيه قال - خمسون درهما أو قيمتها من الذهب » وهو قول الثورى وابن المبارك وأحمد واسحاق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل من الزكاة أكثر من خمسين درهما . وقيل أربعون درهما لما روي أن النبي ﷺ قال « من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا »

قوله تعالى ﴿ والعاملين عليها ﴾ وهم السعاة الذين يتولون قبض الصدقات من أهلها ووضعها في حقها فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا أو أغنياء فيعطون مثل أجر عملهم وقال الضحاك ومجاهد لهم الثمن من الصدقة ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ فالصنف الرابع من المستحقين للصدقة هم المؤلفة قلوبهم

غريب جداً بتقدير صحة الاسناد فان أبا بكر هذا وإن لم ينص أبو حاتم على جهالته لكنه في حكم المجهول ، وأما المساكين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان » قالوا فما المسكين يارسول الله ؟ قال « الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئاً » رواه الشيخان

وأما العاملون عليها فهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطاً على ذلك ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملها على الصدقة فقال « إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد انما هي أوساخ الناس »

وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام: منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركا قال فلم يزل يعطيني حتى صار أحب الناس إلي بعد أن كان أبغض الناس إلي " ، كما قال الامام أحمد حدثنا زكريا بن عدي أنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان ابن أمية قال : أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وانه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الناس إلي ، ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري به ، ومنهم من يعطى ليحسن

وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فأما المسلمون فقسمان قسم دخلوا في الاسلام ونيتهم ضعيفة فيه فكان النبي ﷺ يعطيهم تألفا كما أعطى عيينة بن بدر والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي ، أو أسلموا ونيتهم قوية في الاسلام وهم شرفاء في قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان يعطيهم تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام ، فهؤلاء يجوز للامام أن يعطيهم من خمس خمس الغنيمة والفيء سهم النبي ﷺ وكان النبي ﷺ يعطيهم من ذلك ولا يعطيهم من الصدقات

والقسم الثاني من مؤلفة المسلمين أن يكون قوم من المسلمين بازاء قوم كفار في موضع متناء لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بمؤنة كثيرة وهم لا يجاهدون إما لضعف نيتهم أو لضعف حالهم ، فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة . ومنهم قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة ياخذون منهم الزكاة يحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله، روي ان عدي بن حاتم جاء الى أبي بكر الصديق بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا ،وأما الكفار من المؤلفة فهو من يخشى شره منهم أو يرجى اسلامه فيريد الامام أن يعطي هذا حذرا من شره أو يعطي ذلك ترغيبا له في الاسلام فقد كان النبي ﷺ يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام، أما اليوم فقد أعز الله الاسلام فله الحمد وأغناه أن يتألف عليه رجالا فلا يعطى مشرك تألفا بحال ، وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ان المؤلفة منقطعة و سهمهم ساقط روي ذلك عن عكرمة وهو قول

اسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الابل، مائة من الابل وقال « اني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم »

وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن علياً بعث إلى النبي ﷺ بذهيبة في تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر الاقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، وعلقمة بن علاثة، وزيد الخير، وقال « أتألفهم » ومنهم من يعطى لما يرجى من اسلام نظرائه، ومنهم من يعطي ليجبي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد، ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع والله أعلم.

وهل تعطى المؤلفة على الاسلام بعد النبي ﷺ؟ فيه خلاف، فروي عن عمر وعامر والشعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده لان الله قد أعز الاسلام وأهله ومكن لهم في البلاد، وأذل لهم رقاب العباد، وقال آخرون بل يعطون لانه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج اليه فيصرف اليهم.

وأما الرقاب فروي عن الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد ابن جبير والنخعي والزهري وابن زيد أنهم المكاتبون، وروي عن أبي موسى الاشعري نحوه وهو قول الشافعي والليث رضي الله عنهما، وقال ابن عباس والحسن لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك واسحاق، أي ان الرقاب أعم من أن يعطي المكاتب أو يشتري رقبة

الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحاق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك

قوله تعالى ﴿ وفي الرقاب ﴾ والصنف الخامس هم الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة هذا قول أكثر الفقهاء، وبه قال سعيد بن جبير والنخعي والزهرى والليث بن سعد والشافعي، وقال جماعة يشترى بسهم الرقاب عبيد فيعتقون وهذا قول الحسن وبه قال مالك وأحمد واسحاق

قوله تعالى ﴿ والغارمين ﴾ والصنف السادس هم الغارمون وهم قسمان قسم ادّانوا لانفسهم في غير معصية فانهم يعطون من الصدقة اذا لم يكن لهم من المال مايفي بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون، وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فانهم يعطون من مال الصدقة مايقضون به ديونهم وان كانوا أغنياء أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنبانا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان رسول الله ﷺ قال « لاتحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المساكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها » رواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ متصلا بمعناه، أما من كان دينه في معصية الله وفساد فلا يدفع شيء اليه

فيعتقها استقلالا ، وقد ورد في ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة وأن الله يعتق بكل عضو منها عضواً من معتقها حتى الفرج بالفرج وما ذاك إلا لان الجزاء من جنس العمل (وما تجزون إلا ماكنتم تعملون) وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « ثلاثة حق على الله عونهم : الغازي في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الاداء ، و الناكح الذى يريد العفاف » رواه الامام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود وفي المسند عن البراء بن عازب قال جاء رجل فقال يارسول الله دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار فقال « اعتق النسمة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليسا واحداً ؟ قال « لا ، عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها »

وأما الغارمون فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أوضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله ، أوغرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع اليهم ، والاصل في هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال « أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها » قال ثم قال ياقبيصة « إن المسئلة لاتحل إلا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى

قوله تعالى ﴿ وفي سبيل الله ﴾ اراد بها الغزاة فلهم سهم من الصدقة يعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون به على امر الغزو من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة وان كانوا اغنياء ولا يعطى شيء منه في الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم (في سبيل الله) الى الحج ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واحمد واسحاق

قوله تعالى ﴿ وابن السبيل ﴾ والصنف الثامن هم أبناء السبيل فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له مايقطع به المسافة يعطى من الصدقة بقدر مايقطع به تلك المسافة سواء كان له في البلد المنتقل اليه مال أو لم يكن وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل الحاج المنقطع

قوله تعالى ﴿ فريضة ﴾ أى واجبة ﴿ من الله ﴾ وهو نصب على القطع وقيل على المصدر أي فرض الله هذه الاشياء فريضة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ اختلف أهل العلم والفقهاء في كيفية قسم الصدقات وفي جواز صرفها إلى بعض الاصناف فذهب جماعة إلى أنه لايجوز صرف كلها إلى بعضهم مع وجود سائر الاصناف وهو قول عكرمة وبه قال الشافعي قال يجب أن يقسم زكاة كل صنف من ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهمانهم ثابتة قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط ، وسهم العامل إذا قسم بنفسه ، ثم حصة كل صنف منهم لايجوز أن تصرف إلى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فاوت بين أولئك الثلاثة يجوز فان لم يوجد من بعض الاصناف إلا واحد صرف حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده إلى الباقين ،

يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قرابة قومه فيقولون لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فما سواهن من المسئلة سحت يأكلها صاحبها سحتا » رواه مسلم

وعن أبي سعيد قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال النبي « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لغرمائه « خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك » رواه مسلم . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد أنبأنا صدقة بن موسى عن أبي عمران الجوني عن قيس بن يزيد عن قاضي المصرين عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه فيقول : يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس ؟ فيقول يارب أنت أعلم اني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم أضيع ولكن أتى على يدي إما حرق واما سرق واما وضيعة . فيقول الله : صدق عبدي أنا أحق من قضى عنك اليوم فيدعو الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل الله ورحمته »

وأما في سبيل الله فمنهم الغزاة الذين لاحق لهم في الديوان ، وعند الامام أحمد والحسن واسحاق والحج من سبيل الله للحديث ، وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده وان كان له مال وهكذا الحكم فيمن انشأ سفرا من بلده وليس معه شيء فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وايابه . والدليل على ذلك الآية وما رواه الامام ابو داود

وذهب جماعة إلى أنه لو صرف الكل إلى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم يجوز ، وانما سمى الله تعالى هذه الاصناف الثمانية إعلاما منه أن الصدقة لاتخرج عن هذه الاصناف الا ايجابا لقسمها بينهم جميعا ، وهو قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء ، واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وبه قال أحمد قال يجوز أن يضعها في صنف واحد وتفريقها أولى وقال ابراهيم إن كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف ، وان كان قليلا جاز وضعه في صنف واحد ، وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من أهل الخلة والحاجة ، فان رأى الخلة في الفقراء في عام أكثر قدمهم ، وان رآها في عام في صنف آخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شيء من الصدقة لايزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه فاذا حصل أدنى اسم الغني لا يعطي بعده فان كان محترفا لكنه لايجد آلة حرفته فيعطى قدر ما تحصل به آلة حرفته ولا يزاد العامل على أجر عمله والمكاتب على قدر ما يعتق به والغارم على قدر دينه والغازي على قدر نفقته للذهاب والرجوع والمقام في مغزاه وما يحتاج اليه من الفرس والسلاح وابن السبيل على قدر اتيانه مقصده أو ماله

واختلفوا في نقل الصدقة عن بلد المال الى موضع آخر مع وجود المستحقين فيه فكرهه أكثر أهل العلم لما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنبأنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد

وابن ماجه من حديث معمر عن يزيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة العامل عليها او رجل اشتراها بماله او غارم او غاز فى سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فاهدى لغني » وقد رواه السفيانان عن زيد بن اسلم عن عطاء مرسلا ولابي داود عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله وابن السبيل او جار فقير فيهدي لك او يدعوك » وقوله (فريضة من الله) أي حكما مقدراً بتقدير الله وفرضه وقسمه (والله عليم حكيم) اى عليم بظواهر الامور وبواطنها وبمصالح عباده (حكيم) فيما يقوله ويفعله ويشرعه ويحكم به لا اله الا هو ولا رب سواه

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذُن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (٦١)

يقول تعالى ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام فيه ويقولون (هو أذن) أى من قال له شيئا صدقه فينا ومن حدثه صدقه فاذا جئناه وحلفنا له صدقنا روي معناه عن ابن عباس

الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي ثنا أبو عيسي الترمذي ثنا أبو كريب ثنا وكيع ثنا زكريا ابن اسحاق المكي ثنا يحيى بن عبدالله بن صيفي عن أبي سعيد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً الى اليمن فقال « انك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب » فهذا يدل على أن صدقة أغنياء كل قوم ترد على فقراء ذلك القوم واتفقوا على أنه اذا نقل من بلد الى بلد آخر وادى سقط الفرض عن ذمته الا ماحكي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام الى مكانها من خراسان

قوله ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴾ نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ ويقولون مالا ينبغي فقال بعضهم لاتفعلوا فانا نخاف أن يبلغه ماتقولون فيقع بنا فقال الجلاس ابن سويد منهم بل نقول ماشئنا ثم نأتيه فننكر ماقلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن أي أذن سامعة يقال فلان أذن سامعة وأذنة على وزن نعلة اذا كان يسمع كل ماقيل له ويقبله ، وأصله من أذن يأذن أذنا اذا استمع ، وقيل هو أذن أي ذو أذن سامعة ، وقال محمد بن اسحاق بن يسار نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان رجلا أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الي نبتل

ومجاهد وقتادة . قال الله تعالى (قل أذن خير لكم) أي هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أي ويصدق المؤمنين (ورحمة للذين آمنوا منكم) اى وهو حجة على الكافرين ولهذا قال (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم)

يحلفون بالله لكم ليُرْضُوكم والله ورسوله أحق أن يُرْضُوه ان كانوا مؤمنين (٦٢)

ألم يعلموا أنه من يُحادِدِ الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ؟ ذلك الخزيُ العظيم (٦٣)

قال قتادة في قوله تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الآية . قال ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وإن كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير . قال : فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله إن ما يقول محمد لحق ولأنت أشر من الحمار . قال فسعى بها الرجل الى النبي ﷺ فأخبره فارسل إلى الرجل فدعاه فقال « ما حملك على الذي قلت ؟ » فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك ، وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب

ابن الحارث »وكان ينم حديث النبي ﷺ الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال : انما محمد أذن فمن حدثه شيئاً صدقه فنقول ماشئنا ثم نأتيه ونحلف بالله فيصدقنا فأنزل الله تعالى هذه الآية

قوله تعالى ﴿ قل أذن خير لكم ﴾ قرأ العامة بالاضافة أي مستمع خير وصلاح لكم لامستمع شر وفساد ، وقرأ الاعشى والبرجمي عن أبي بكر (أذن خير لكم) مرفوعين منونين يعني أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم كذبهم فقال ﴿ يؤمن بالله ﴾ أي لا بل يؤمن بالله ﴿ ويؤمن للمؤمنين ﴾ أي يصدق المؤمنين ويقبل منهم لامن المنافقين يقال أمنته وأمنت له بمعنى صدقته ﴿ ورحمة ﴾ قرأ حمزة ورحمة بالخفض على معنى (أذن خير لكم)وأذن رحمة وقرأ الآخرون ورحمة بالرفع أي هو أذن خير، وهو رحمة ﴿للذين آمنوا منكم﴾ لانه كان سبب ايمان المؤمنين ﴿ والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم * يحلفون بالله لكم ليرضوكم ﴾ قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي ﷺ وقالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ، وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال : والله ان ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير . ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فدعاهم وسألهم رسول الله ﷺ فحلفوا أن عامراً كذاب، وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي ﷺ فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون اليه ويحلفون فأنزل الله تعالى هذه الآية (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) ﴿والله

فأنزل الله الآية . وقوله تعالى (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله) الآية أي ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حادّ الله عز وجل أي شاقه وحاربه وخالفه وكان في حد والله ورسوله في حد (فان له نار جهنم خالداً فيها) أي مهانا معذباو (ذلك الخزي العظيم) أي وهذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير

يحذرُ المنـٰفقون أن تنزَّل عليهم سورة تنبئهم بمـا في قلوبهم قلْ استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون (٦٤)

قال مجاهد: يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا هذا، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بمانقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) وقال في هذه الآية (قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون) أي ان الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم كقوله تعالى (أم حسب الذين في قلوبهم

ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين* ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله ﴾ يخالف الله ورسوله أي يكونوا في جانب وحد من الله ورسوله ﴿ فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ أي الفضيحة العظيمة ﴿ يحذر المنافقون ﴾ أي يخشى المنافقون ﴿ أن تنزل عليهم ﴾ أي تنزل على المؤمنين ﴿ سورة تنبئهم بما في قلوبهم ﴾ أي بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين كانوا يقولون فيا بينهم ويسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم . قال قتادة هذه السورة تسمى الفاضحة والمعيرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومثالبهم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة للمؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لأن أولادهم كانوا مؤمنين ﴿ قل استهزؤا إن الله مخرج ﴾ مظهر ﴿ ماتحذرون ﴾ قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لمارجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه ، وتنكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بما قدروا وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم ، وعمار بن ياسر يقود رسول الله ﷺ راحلته وحذيفة يسوق به فقال لحذيفة « اضرب وجوه رواحلهم » فضربها حتى نحاها فلما نزل رسول الله ﷺ قال لحذيفة « من عرفت من القوم ؟ » قال لم أعرف منهم أحداً فقال رسول الله ﷺ « فانهم فلان وفلان » حتى عدهم كلهم فقال حذيفة ألا تبعث اليهم فتقتلهم ؟ فقال « أكره أن تقول العرب لما ظفر محمد وأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة » أخبرنا إسماعيل ابن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نصرة عن قيس بن عباد قال

مرض أن لن يخرج الله أضغانهم — إلى قوله — ولتعرفنهم في لحن القول) الآية ولهذا قال قتادة كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين

ولئنْ سألتهمْ ليقولنّ إنما كنا نخوض و نلعب قلْ أبالله وآيـته ورسوله كنتم تستهزئون (٦٥) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمـنكم إن نعف عن طائفة منكم نعذبْ طائفة بأنهم كانوا مجرمين (٦٦)

قال أبو معشر المديني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء . فرفع ذلك الى رسول الله ﷺ فجاء الى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب . فقال (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ الى قوله — كانوا مجرمين) وان رجليه لتسفعان الحجارة وما يلتفت اليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بسيف رسول الله ﷺ . وقال عبد الله بن وهب : أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء . فقال

قلنا لعمار أرأيتكم قتالكم أرأيا رأيتموه فان الرأي يخطيء ويصيب أو عهداً عهده اليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ماعهد الينا رسول الله ﷺ شيأ لم يعهده إلى الناس كافة ، وقال رسول الله ﷺ قال « ان في أمتي » قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله ﷺ « ان في أمتي اثنى عشر منافقا لايدخلون الجنة ولايجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط » ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم

قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ﴾ الآية ، وسبب نزول هذه الآية على ماقال الكلبي ومقاتل وقتادة أن النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول ، والثالث يضحك ، قيل كانوا يقولون إن محمداً يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ماأبعده من ذلك ، وقيل كانوا يقولون إن محمداً يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن ، وانما هو قوله وكلامه فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال « أحبسوا علي الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا » فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب ، قال عمر فلقد رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول له (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) مايلتفت اليه ولا يزيده عليه ، قوله ﴿ قل ﴾ أي قل يامحمد المنافقين

رجل في المسجد : كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمر وأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟) الآية . وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا . وقال ابن اسحاق وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حمير يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين . فقال مخشي بن حمير والله لوددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة واننا نغلب أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لعمار بن ياسر « أدرك القوم فانهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا » فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون اليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال مخشي بن حمير يارسول الله قعد بي اسمي واسم أبي فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر . وقال قتادة (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) قال فبينما النبي ﷺ في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه ﷺ على ما قالوا فقال « علي بهؤلاء النفر » فدعاهم فقال « قلتم كذا وكذا » فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب. وقال عكرمة في تفسير هذه الآية كان رجل ممن ان شاء الله عفا عنه يقول اللهم إني أسمع آية أنا أعني بها تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت . قال فأصيب يوم اليمامة فما من أحد من المسلمين الا وقد وجد غيره . وقوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) أي بهذا المقال الذي استهزأتم به (إن نعف

﴿ أبالله وآياته ﴾ كتابه ﴿ ورسوله كنتم تستهزؤن ؟ لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ فان قيل كيف قال (قد كفرتم بعد إيمانكم) وهم لم يكونوا مؤمنين ؟ قيل معناه أظهرتم الكفر بعد ما أظهرتم الايمان ﴿ إن نعف عن طائفة منكم ﴾ أي تيب على طائفة منكم وأراد بالطائفة واحداً ﴿ نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ بالاستهزاء ، وقرأ عاصم (نعف) بالنون وفتحها وضم الفاء (نعذب) بالنون وكسر الذال [طائفة] نصب وقرأ الآخرون يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالتاء وفتح الذال [طائفة] رفع على غير تسمية الفاعل ، وقال محمد بن اسحاق الذي عفا عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الأشجعي يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فلما

عن طائفة منكم نعذب طائفة) أي لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم (بأنهم كانوا مجرمين) بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة

المنـٰفقون والمنـٰفقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنـٰفقين هم الفـٰسقون (٦٧) وعد الله المنـٰفقين والمنـٰفقات والكفار نار جهنم خـٰلدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم (٦٨)

يقول تعالى منكرا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) أي عن الانفاق في سبيل الله (نسوا الله) أي نسوا ذكر الله (فنسيهم) أي عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) (ان المنافقين هم الفاسقون) أي الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة وقوله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم) أي على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم (خالدين فيها) أي ماكثين فيها مخلدين هم والكفار (هي حسبهم) أي كفايتهم في العذاب (ولعنهم الله) أي طردهم وأبعدهم (ولهم عذاب مقيم)

كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموٰلا وأولـٰدا فاستمتعوا بخلـٰقهم فاستمتعتم بخلـٰقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلـٰقهم وخضتم كالذي خاضوا أولـٰئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولـٰئك هم الخـٰسرون (٦٩)

نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشعر الجلود منها وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره

قوله تعالى ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ أي هم على دين واحد وقيل أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق ﴿ يأمرون بالمنكر ﴾ بالشرك والمعصية ﴿ وينهون عن المعروف ﴾ أي عن الايمان والطاعة ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ أي يمسكونها عن الصدقة والانفاق في سبيل الله ولا يبسطونها بخير ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ تركوا طاعة الله فتركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في الآخرة وتركهم في عذابه ﴿ إن المنافقين هم الفاسقون * وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ﴾ كافيهم جزاء على كفرهم ﴿ ولعنهم الله ﴾ أبعدهم الله من رحمته ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ دائم ﴿ كالذين من قبلكم ﴾ أي فعلتم كفعل الذين من قبلكم بالعدول عن أمر الله فلعنتم كما

يقول تعالى أصاب هؤلاء من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم وقوله (بخلاقهم) قال الحسن بدينهم وقوله (وخضتم كالذي خاضوا) أي في الكذب والباطل (أولئك حبطت أعمالهم) أي بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لانها فاسدة (في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) لانهم لم يحصل لهم عليها ثواب . قال ابن جرير عن عمرو بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (كالذين من قبلكم) الآية قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة (كالذين من قبلكم) هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم لاأعلم إلا أنه قال « والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضب لدخلتموه » قال ابن جريج وأخبرني زياد بن سعد عن محمد بن زياد بن مهاجر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا ومن هم يارسول الله ؟ أهل الكتاب قال « فمن » وهكذا رواه أبو معشر عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره وزاد قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم القرآن (كالذين من قبلكم) الآية قال أبو هريرة الخلاق الدين (وخضتم كالذي خاضوا) قالوا يارسول الله كما صنعت فارس والروم؟ قال فهل الناس الا هم . وهذا الحديث له شاهد في الصحيح

لعنوا ﴿ كانوا أشد منكم قوة ﴾ بطشا ومنعة ﴿ وأكثر أموالا وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم ﴾ فتمتعوا وانتفعوا بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضا عن الآخرة ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم ﴾ أيها الكفار والمنافقون ﴿ كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ﴾ وسلكتم سبيلهم ﴿ وخضتم ﴾ في الباطل والكذب على الله تعالى وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين ﴿ كالذي خاضوا ﴾ أي كما خاضوا وقيل كالذي يعني كالذين خاضوا وذلك ان الذي اسم ناقص مثل ما ومن يعبر به عن الواحد والجمع نظيره قوله تعالى (كمثل الذي استوقد نارا) ثم قال (ذهب الله بنورهم) ﴿ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾ أى كما حبطت أعمالهم وخسروا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا أبو عمر الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قلنا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال« فمن ؟ » وفي رواية أبي هريرة «فهل الناس إلا هم ؟ » وقال ابن مسعود رضي الله عنه. أنتم أشبه الامم ببني اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ؟

ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحٰب مدين والمؤتفكٰت أتتهم رسلهم بالبينٰت فما كان الله ليظلمهم ولٰكن كانوا أنفسهم يظلمون (٧٠)

يقول تعالى واعظا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسل [ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم] أي ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الامم المكذبة للرسل [قوم نوح] وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الارض الا من آمن بعبده ورسوله نوح عليه السلام [وعاد] كيف أهلكوا بالريح العقيم لما كذبوا هوداً عليه السلام [وثمود] كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا عليه السلام وعقروا الناقة [وقوم ابراهيم] كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم وأهلك ملكهم نمروذ بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله [وأصحاب مدين] وهم قوم شعيب عليه السلام وكيف أصابتهم الرجفة الصيحة وعذاب يوم الظلة [والمؤتفكات] قوم لوط وقد كانوا يسكنون في مدائن، وقال في الآية الاخرى [والمؤتفكة أهوى] أي الامة المؤتفكة وقيل أم قراهم وهي سدوم والغرض ان الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا عليه السلام واتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين [أتتهم رسلهم بالبينات] أي بالحجج والدلائل القاطعات [فما كان الله ليظلمهم] أي باهلاكه إياهم لانه أقام عليهم الحجة بارسال الرسل وإزاحة العلل [ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أي بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق فصاروا الى ما صاروا اليه من العذاب والدمار

والمؤمنون والمؤمنٰت بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوٰة ويؤتون الزكوٰة ويطيعون الله ورسوله أولٰئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم (٧١)

لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال [والمؤمنون

قوله تعالى ﴿ألم يأتهم﴾ يعني المنافقين ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذين من قبلهم﴾ حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا كيف عذبناهم وأهلكناهم ثم ذكرهم فقال ﴿قوم نوح﴾ اهلكوا بالطوفان ﴿وعاد﴾ أهلكوا بالريح ﴿وثمود﴾ بالرجفة ﴿وقوم ابراهيم﴾ بسلب النعمة وهلاك نمرود ﴿وأصحاب مدين﴾ يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة ﴿والمؤتفكات﴾ المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلها وهم قوم لوط وقراهم ﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يامعشر الكفار فاحذروا تعجيل النقمة ﴿فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾

قوله تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ في الدين واجتماع الكلمة والعون

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض] أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح «المؤمن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه، وفي الصحيح أيضا «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وقوله [يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] كقوله تعالى [ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] الآية وقوله [ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة] أي يطيعون الله ويحسنون الى خلقه [ويطيعون الله ورسوله] أي فيما أمر و ترك ما عنه زجر [أولئك سيرحمهم الله] من اتصف بهذه الصفات [ان الله عزيز] أي يعز من أطاعه فان العزة لله ولرسوله والمؤمنين [حكيم] في قسمته هذه الصفات لهؤلاء وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة فان له الحكمة في جميع ما يفعله تبارك وتعالى

وعد الله المؤمنين والمؤمنت جنت تجري من تحتها الانهر خلدين فيها ومسكن طيبة

في جنت عدن ورضون من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم (٧٢)

يخبر تعالى بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في جنات تجري من تحتها الانهار (خالدين فيها) أي ماكثين فيها أبداً (ومساكن طيبة) أي حسنة البناء طيبة القرار كما جاء في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» وبه قال قال رسول الله ﷺ «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا في السماء للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لايرى بعضهم بعضاً» أخرجاه، وفيهما أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان فان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو حبس في أرضه التي ولد فيها» قالوا يارسول الله أفلا نخبر الناس؟ قال «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن» وعند الطبراني والترمذي وابن ماجه من رواية زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن

والنصرة ﴿يأمرون بالمعروف﴾ بالايمان والطاعة والخير ﴿وينهون عن المنكر﴾ عن الشرك والمعصية وما لا يعرف في الشرع ﴿ويقيمون الصلاة﴾ المفروضة ﴿ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم * وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة﴾ منازل طيبة ﴿في جنات عدن﴾ أي بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان إذا

جبل رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكر مثله ، وللترمذي عن عبادة بن الصامت مثله وعن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في السماء » أخرجاه في الصحيحين ، ثم ليعلم أن أعلى منزلة في الجنة مكان يقال له الوسيلة لقربه من العرش وهو مسكن رسول الله ﷺ من الجنة كما قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اذا صليتم علي فسلوا الله لي الوسيلة » قيل يارسول الله وما الوسيلة ؟ قال « أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو »

وفي صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة » وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني حدثنا موسى ابن أعين عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطا عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « سلوا الله لي الوسيلة فانه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة » رواه الطبراني . وفي مسند الامام أحمد من حديث سعد بن مجاهد الطائي عن أبي المدله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة مابناؤها ؟ قال « لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » وروي عن ابن عمر مرفوعا نحوه ، وعند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقام اعرابي فقال يارسول الله لمن هي ؟ فقال « لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » ثم قال حديث غريب ورواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وأبي مالك الاشعري كل منهما عن النبي ﷺ بنحوه وكل من الاسنادين جيد حسن وعنده أن السائل هو أبو مالك الاشعري فالله أعلم ، وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا هل مشمر إلى الجنة؟ فان الجنة لا حظر لها هي ورب الكعبة ، نور يتلألأ ،

أقام به . قال ابن مسعود : هي بطنان الجنة أي وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصراً يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل . وقال عطاء بن السائب : (عدن) نهر في الجنة جنانه على حافتيه . وقال مقاتل والكلبي (عدن) أعلى درجة في

وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في ابد في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية » قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها ، قال « قولوا إن شاء الله » فقال القوم إن شاء الله ، رواه ابن ماجه . وقوله تعالى (ورضوان من الله أكبر) أي رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم كما قال الامام مالك رحمه الله عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل يقول لاهل الجنة ياأهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون ومالنا لانرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك ، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون يارب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » أخرجاه من حديث مالك ، وقال أبو عبدالله الحسين بن اسماعيل المحاملي حدثنا الفضل الرجائي حدثنا الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل هل تشتهون شيئاً فأزيدكم ؟ قالوا يا ربنا ما خير مما أعطيتنا ؟ قال رضواني أكبر » ورواه البزار في مسنده من حديث الثوري ، وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه صفة الجنة هذا عندي على شرط الصحيح والله أعلم

يـٰأيها النبيُّ جـٰهد الكفار والمنـٰفقين واغلظ عليهم ومأوٰيهم جهنم وبئس المصير(٧٣)

يحلفون بالله ماقالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلٰمهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغنٰهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يكُ خيرا لهم وان يتولَّوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهُمْ في الارض من وليٍّ ولا نصير(٧٤)

الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله تعالى حتى ينزلها أهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الاذفر الابيض ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ أي رضى الله عنهم أكبر من ذلك النعيم الذي هم فيه ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ روينا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « يقول الله عز وجل لاهل الجنة : ياأهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون ربنا ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحداً من خلقك . فيقول : أفلا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون ربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » قوله تعالى ﴿ياأيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف والقتل ﴿والمنافقين﴾ واختلفوا في صفة جهاد

أمر تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة ، وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : بعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف ، سيف للمشركين (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) وسيف لكفار أهل الكتاب (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وسيف المنافقين (جاهد الكفار والمنافقين) وسيف للبغاة (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف اذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير ، وقال ابن مسعود في قوله (جاهد الكفار والمنافقين) قال بيده فان لم يستطع فليكفهر في وجهه . وقال ابن عباس أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وإذهب الرفق عنهم ، وقال الضحاك جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم ، وعن مقاتل والربيع مثله ، وقال الحسن وقتادة ومجاهد مجاهدتهم اقامة الحدود عليهم ، وقد يقال انه لا منافاة بين هذه الاقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الاحوال والله أعلم

وقوله (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) قال قتادة نزلت في عبد الله بن أبيّ وذلك أنه اقتتل رجلان جهني وأنصاري فعلا الجهني على الانصاري ، فقال عبدالله للانصار ألا تنصروا أخاكم؟ والله مامثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك. وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل. فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي ﷺ فأرسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ماقاله فأنزل الله فيه هذه الآية ، وروى اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة قال فحدثني عبد الله بن الفضل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول حزنت على من أصيب بالحرة من قومي فكتب إليّ زيد بن أرقم وبلغه شدة حزني يذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار » وشك ابن الفضل في أبناء أبناء الانصار قال ابن الفضل فسأل أنس بعض من كان عنده عن زيد بن أرقم فقال هو الذي يقول له رسول الله ﷺ « أوفى الله له باذنه » قال وذلك حين سمع رجلا من المنافقين يقول ورسول الله ﷺ يخطب لئن كان صادقا فنحن شر من الحمير ، فقال زيد بن أرقم فهو والله صادق ولأنت شر من الحمار . ثم رفع

المنافقين قال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه ، وقال لا تلق المنافقين إلا بوجه مكفهر ، وقال ابن عباس باللسان وترك الرفق ، وقال الضحاك بتغليظ الكلام ، وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم ﴿وأغلظ عليهم ومأواهم﴾ في الآخرة ﴿جهنم وبئس المصير﴾ قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح

قوله تعالى ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ قال ابن عباس كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرة

ذلك إلى رسول الله ﷺ فجحده القائل فأنزل الله هذه الآية تصديقاً لزيد يعني قوله (يحلفون بالله ماقالوا) الآية رواه البخاري في صحيحه عن اسماعيل بن أبي أويس عن اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة إلى قوله — هذا الذي أوفى الله له باذنه ولعل مابعده من قول موسى بن عقبة وقد رواه محمد بن فليح عن موسى بن عقبة باسناده ثم قال : قال ابن شهاب فذكر مابعده عن موسى عن ابن شهاب . والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق فلعل الراوي وهم في ذكر الآية وأراد أن يذكر غيرها فذكرها والله أعلم

قال الاموي في مغازيه حدثنا محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب ابن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم رسول الله ﷺ أخذني قومي فقالوا انك امرؤ شاعر فان شئت ان تعتذر الى رسول الله ﷺ ببعض العلة ثم يكون ذنباً تستغفر الله منه وذكر الحديث بطوله الى أن قال وكان ممن تخلف من المنافقين ونزل فيه القرآن منهم ممن كان مع النبي ﷺ الجلاس بن سويد بن الصامت وكان على أم عمير بن سعد وكان عمير في حجره فلما نزل القرآن وذكرهم الله بما ذكر مما أنزل في المنافقين قال الجلاس والله لئن كان هذا الرجل صادقا فيما يقول لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد فقال والله ياجلاس انك لاحب الناس إلي وأحسنهم عندي بلاء وأعزهم علي أن يصله شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لان ذكرتها لتفضحني ولئن كتمتها لتهلكني ولاحداهما أهون علي من الاخرى ، فمشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له ماقال الجلاس فلما بلغ ذلك الجلاس خرج حتى أتى النبي ﷺ فحلف بالله ماقال ماقال عمير بن سعد ولقد كذب علي ، فأنزل الله عز وجل فيه (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) الى آخر الآية فوقفه رسول الله ﷺ عليها فزعموا أن الجلاس تاب فحسنت توبته ونزع فأحسن النزوع . هكذا جاء هذا مدرجا في الحديث متصلا به وكأنه والله أعلم من كلام ابن اسحاق نفسه لامن كلام كعب بن مالك ، وقال عروة بن الزبير نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا فنحن أشر من حمرنا هذه التي نحن عليها ، فقال مصعب أما والله ياعدو الله لاخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فأتيت النبي ﷺ وخفت ان ينزل فيَّ القرآن أو تصيبني قارعة أو ان أخلط بخطيئة فقلت يارسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا

فقال « إنه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جاء فلا تكلموه » فلم يلبثوا ان طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال « علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ » فانطلق الرجل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله عز وجل هذه الآية ، وقال الكلبي نزلت في الجلاس بن سويد وذلك أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير . فسمعه عامر بن قيس فقال أجل ان محمداً لصادق وانتم شر من

ولولا مخافة أن أخلط بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك. قال فدعا الجلاس فقال «ياجلاس أقلت الذي قاله مصعب؟» فحلف فأنزل الله (يحلفون بالله ماقالوا) الآية وقال محمد بن اسحاق كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغنى الجلاس بن سويد بن الصامت فرفعها عليه رجل كان في حجره يقال له عمير بن سعد فأنكرها فحلف بالله ماقالها فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغنى ، وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنى أيوب بن اسحاق بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ جالسا تحت ظل شجرة فقال « إنه سيأتيكم انسان فينظر اليكم - بعين الشيطان - فاذا جاء فلا تكلموه » فلم يلبثوا أن طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال « علام تشتمنى أنت واصحابك ؟ » فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ماقالوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل (يحلفون بالله ماقالوا) الآية وقوله (وهموا بما لم ينالوا) قيل أنزلت في الجلاس بن سويد وذلك أنه هم بقتل ابن امرأته حين قال لاخبرن رسول الله ﷺ وقيل في عبد الله بن أبي هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال السدي نزلت في أناس أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله ﷺ وقد ورد أن نفراً من المنافقين هموا بالفتك بالنبي ﷺ وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير وكانوا بضعة عشر رجلا . قال الضحاك ففيهم نزلت هذه الآية، وذلك بين فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من حديث محمد بن اسحاق عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال كنت آخذا بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به وعمار يسوق الناقة أو أنا أسوقه وعمار يقوده حتى إذا كنا بالعقبة فاذا أنا باثنى عشر راكبا قد اعترضوه فيها قال فانبهت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم فصرخ بهم فولوا مدبرين فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل عرفتم القوم ؟» قلنا لا يارسول الله قد كانوا متلثمين ولكنا قد عرفنا الركاب قال « هؤلاء المنافقون الى يوم القيامة وهل تدرون ما أرادوا ؟ » قلنا لا قال «أرادوا ان يزاحموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة فيلقوه منها» قلنا يارسول الله أفلا نبعث الى عشائرهم حتى يبعث اليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال« لا، أكره ان تتحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم- ثم قال- اللهم ارمهم بالدبيلة » قلنا يارسول الله وما الدبيلة ؟ قال «شهاب من نار يقع على نياط

الحمير فلما انصرف رسول الله ﷺ الى المدينة أتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علي يارسول الله وأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا عند المنبر بعد العصر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ماقاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع يديه الى السماء ، وقال اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام من السماء قبل ان يتفرقوا

قلب أحدهم فيهلك » وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا يزيد أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل قال لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ العقبة فلا يأخذها أحد فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوقه عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل فغشوا عماراً وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عمار رضي الله عنه يضرب وجوه الرواحل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة « قد قد »[1] حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ورجع عمار فقال يا عمار « هل عرفت القوم ؟ » فقال لقد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال « هل تدري ما أرادوا ؟ » قال الله ورسوله أعلم قال « أرادوا أن ينفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فيطرحوه » قال فسأل عمار رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال اربعة عشر رجلا فقال ان كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر قال فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا والله ما سمعنا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمنا ما أراد القوم فقال عمار اشهد ان الاثنى عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، وهكذا روى ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير نحو هذا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان يمشي الناس في بطن الوادي وصعد هو وحذيفة وعمار العقبة فتبعهم هؤلاء النفر الارذلون وهم متلثمون فارادوا سلوك العقبة فاطلع الله على مرادهم رسول الله ﷺ فأمر حذيفة فرجع اليهم فضرب وجوه رواحلهم ففزعوا ورجعوا مقبوحين وأعلم رسول الله ﷺ حذيفة وعمارا باسمائهم وما كانوا هموا به من الفتك به صلوات الله وسلامه عليه وأمرهما أن يكتما عليهم ، وكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق الا أنه سمى جماعة منهم فالله أعلم .

وكذا قد حكي في معجم الطبراني قاله البيهقي ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم حدثنا زهير بن حرب حدثنا أبو احمد الكوفي حدثنا الوليد بن جميع حدثنا أبو الطفيل قال : كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة ؟ قال فقال له القوم أخبره إذ سألك فقال كنا نخبر أنهم أربعة عشر فان كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أن اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، وعذر ثلاثة

[1] « ١ » اسم فعل بمعنى كفى أو يكفي

بهذه الآية حتى بلغ (فان يتوبوا يك خيراً لهم) فقام الجلاس فقال يارسول الله أسمع الله عز وجل قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب اليه فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه وحسنت توبته ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ﴾ أي أظهروا الكفر بعد إظهار الايمان والاسلام وقيل هي سب النبي ﷺ وقيل كلمة الكفر قول الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل كلمة الكفر قولهم (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) وسيأتي ذكر القصة في موضعه في سورة المنافقين ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾

قالوا ماسمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حرة يمشي فقال إن الماء قليل فلا يسبقني اليه أحد فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ ، ومارواه مسلم أيضا من حديث قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عباد عن عمار بن ياسر قال : أخبرني حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال « في أصحابي اثنا عشر منافقا لايدخلون الجنة ولايجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار تظهر بين أكتافهم حتى ينجم في صدورهم » ولهذا كان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لايعلمه غيره أي من تعيين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء قد أطلعه عليهم رسول الله ﷺ دون غيره والله أعلم ، وقد ترجم الطبراني في مسند حذيفة تسمية أصحاب العقبة ثم روى عن ابن عبد العزيز عن الزبير بن بكار أنه قال : هم معتب بن قشير ووديعة بن ثابت وجد بن عبدالله بن نبتل[1] بن الحارث من بني عمرو بن عوف ، الحارث بن يزيد الطائي وأوس بن قيظي والحارث ابن سويد وسعد بن زرارة وقيس بن فهد وسويد وداعس من بني الحبلى وقيس بن عمرو بن سهل وزيد بن اللصيت وسلالة بن الحمام وهما من بني قينقاع أظهروا الاسلام ، وقوله تعالى (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) أي وما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته ويمن سعادته ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به كما قال ﷺ للانصار « ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي » كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن . وهذه الصيغة تقال حيث لاذنب كقوله (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله) الآية وقوله عليه السلام « ماينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه الله » ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة ، فقال (فان يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) أي وان يستمروا على طريقهم يعذبهم الله عذاباً أليما في الدنيا أي بالقتل والهم والغم والآخرة أي بالعذاب والنكال والهوان والصغار (ومالهم في الارض من ولي ولا نصير) أي وليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم لايحصل لهم خيراً ولا يدفع عنهم شراً

[1] وفي الحجازية ابن نبيل

قال مجاهد همّ المنافقون بقتل المسلم الذي سمع قولهم لنحن شر من الحمير لكي لايفشيه وقال هم اثنا عشر رجلا من المنافقين وقفوا على العقبة في طريق تبوك ليفتكوا برسول الله ﷺ فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك ، وقال السدي قالوا إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجا فلم يصلوا اليه ﴿وما نقموا﴾ وماكرهوا وما أنكروا منهم ﴿الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ وذلك ان مولى الجلاس قتل فامر له رسول الله ﷺ بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى ، وقال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضنك من العيش فلما قدم عليهم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم ﴿فان يتوبوا﴾ من نفاقهم وكفرهم ﴿يك خيراً لهم وان يتولوا﴾ يعرضوا عن الايمان ﴿ يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا ﴾ بالخزي ﴿ والآخرة ﴾ أي وفي الآخرة بالنار ﴿ ومالهم في الارض من وليّ ولا نصير ﴾

ومنهم من عهد الله لئن آتـنا من فضله لنصدّقنّ ولنكوننّ من الصّـلحين (٧٥)

فلما آتهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون (٧٦) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم

يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون (٧٧) ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم

ونجوٰهم وأن الله علّـم الغيوب؟ (٧٨)

يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فما وفى بما قال ولاصدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا[1] الله عز وجل يوم القيامة عياذاً بالله من ذلك، وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الانصاري، وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن أبي حاتم من حديث معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن أبي عبدالرحمن القاسم بن عبدالرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية عن أبي امامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الانصاري أنه قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يرزقني مالا قال فقال رسول الله ﷺ «ويحك ياثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لاتطيقه» قال ثم قال مرة أخرى فقال «أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فو الذي نفسي بيده لوشئت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت»

«١» كذا في الاصول

قوله تعالى ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ الآية أخبرنا أبو سعيد الشريحي حدثنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن حامد الاصفهاني حدثنا أحمد بن محمد بن ابراهيم السمرقندي حدثنا محمد بن نصر حدثني أبو الازهر أحمد بن الازهر حدثنا مروان بن محمد حدثنا محمد بن شعيب حدثنا معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم بن أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة الباهلي قال جاء ثعلبة ابن حاطب الانصاري الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله ﷺ «ويحك ياثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لاتطيقه» ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله ﷺ «أمالك في رسول الله أسوة حسنة؟ والذى نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت» ثم أتاه بعد ذلك فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فو الذى بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ «اللهم ارزق ثعلبة مالا» قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهي تنمو كالدود فكان يصلي مع النبي ﷺ الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة فصار لايشهد الا الجمعة ثم كثرت فنمت

قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم ارزق ثعلبة مالا » قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت و كثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مافعل ثعلبة ؟ » فقالوا يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال « ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة » وأنزل الله جل ثناؤه (خذ من أموالهم صدقة) الآية ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما « مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما » فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ماهذه الاجزية ماهذه الا أخت الجزية ماأدري ماهذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي . فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا مايجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك. فقال بلى فخذوها فان نفسي بذلك طيبة وانما هي له ، فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال : أروني

فتباعد أيضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم فقال « مافعل ثعلبة ؟ » قالوا يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما مايسعها واد فقال رسول الله ﷺ « ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة » فأنزل الله آية الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من بني جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة كيف يأخذان وقال لهما « مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما » فخرجا الى ثعلبة حتى أتياه فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالوا ماهذه عليك قال خذاها فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس فأخذا الصدقة ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي قال فأقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه قال « ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة » ثم دعا للسلمي بخير فأخبراه بالذي صنع ثعلبة فأنزل الله تعالى فيه (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) الآية الى قوله (وبما كانوا يكذبون) وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك ياثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه الصدقة

كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال «ياويح ثعلبة» قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي . فأنزل الله عز وجل (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) الآية قال وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال : ويحك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال « إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك » فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله ﷺ « هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني » فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبض صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيأ ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك ؟ فقبض ولم يقبلها فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فقال : اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان ، وقوله تعالى (بما أخلفوا الله ماوعدوه) الآية أي أعقبهم النفاق في قلوبهم

فقال ان الله عز وجل منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله ﷺ « هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني » فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبض صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله ﷺ ثم أتى أبا بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ فانا لا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها فلما ولي عمر أتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها فلما ولي عثمان أتاه فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان ، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة أتى ثعلبة مجلسا من الانصار فأشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه فوصلت الرحم وأحسنت الى القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما قال فانزل الله تعالى هذه الآية ، وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود وقالا والله لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله عز وجل بخلا به ، فقوله عز وجل (ومنهم) يعنى من المنافقين (من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) ولنؤدين حق الله منه ﴿ ولنكونن من الصالحين ﴾ نعمل بعمل أهل الصلاح فيه من صلة الرحم والنفقة في الخير ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم ﴾ فاخلفهم ﴿ نفاقا في قلوبهم ﴾ أي صير عاقبة أمرهم النفاق يقال أعقب فلانا ندامة اذا صير عاقبة أمره ذلك وقيل عاقبهم بنفاق قلوبهم يقال عاقبته وأعقبته بمعنى واحد ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يريد حرمهم التوبة الى يوم يلقونه القيامة ﴿ بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾

بسبب اخلافهم الوعد وكذبهم كما في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « آية المنافق ثلاث . اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان » وله شواهد كثيرة والله أعلم.

وقوله (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) الآية يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى، وانه أعلم بضمائرهم، وان أظهروا أنه ان حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فان الله أعلم بهم من أنفسهم لانه تعالى علام الغيوب أي يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ماظهر وما بطن

الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقت والذين لايجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم (٧٩)

وهذا أيضاً من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الاحوال حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم انجاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مراء وان جاء بشيء يسير قالوا ان الله لغني عن صدقة هذا كما روى البخاري: حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو النعمان البصري حدثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن ابي مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا (١) فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي (٢) وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صدقة هذا. فنزلت (الذين يلمزون المطوعين) الآية، وقد رواه مسلم أيضاً في صحيحه من حديث شعبة به ، وقال الامام احمد حدثنا يزيد الجريري عن أبي السليل قال : وقف علينا رجل في مجلسنا بالبقيع فقال : حدثني أبي أو عمي أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع وهو يقول « من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة؟ » قال فحللت من عمامتي لوثا أو لوثين وأنا أريد أن أتصدق بهما فأدركني ما يدرك ابن آدم فعقدت علي عمامتي . فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلا أشد منه سواداً ولا أصغر منه ولا أذم ببعير ساقه لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها. فقال يارسول الله أصدقة ؟ قال « نعم » قال دونك هذه الناقة قال فلمزه رجل فقال هذا يتصدق بهذه فوالله لهي خير منه . قال فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كذبت بل هو خير منك ومنها » ثلاث مرات ثم قال « ويل

(١) أي نؤاجر أنفسنا في الحمل. وفي رواية عنده في التفسير « نتحامل » أي يحمل بعضنا لبعض بالاجرة

(٢) رسموها بالياء للوقوف عليها ولو جاءت في وسط الكلام منونة لحذفت الياء

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني حدثنا عبدالله ابن عمر الجوهري حدثنا أحمد بن علي الكشميهني حدثنا علي بن حجر حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا ابو سهيل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان» ﴿ الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم ﴾ يعني ما أضمروا في قلوبهم وما تناجوا به بينهم ﴿ وان الله علام الغيوب ﴾

قوله تعالى ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ﴾ الآية . قال أهل التفسير حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي

لاصحاب المئين من الابل » ثلاثا قالوا الا من يارسول الله قال « الامن قال بالمال هكذا وهكذا»
وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ثم قال «قد أفلح المزهد المجهد » ثلاثا. المزهد في العيش المجهد في العبادة
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من
ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض
المنافقين والله ماجاء عبدالرحمن بما جاء به الارياء ، وقالوا ان الله ورسوله لغنيان عن هذا الصاع

وقال العوفي عن ابن عباس إن رسول الله خرج الى الناس يوما فنادى فيهم ان اجمعوا صدقاتكم
فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال يارسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي
أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت احدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله ﷺ
أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون بصاعك
من شيء، ثم ان عبدالرحمن بن عوف قال لرسول الله ﷺ هل بقي أحد من أهل الصدقات ؟ فقال له
رسول الله ﷺ « لم يبق أحد غيرك » فقال له عبدالرحمن بن عوف فان عندي مائة أوقية من الذهب
في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمجنون أنت ؟ قال ليس بي جنون قال أفعلت
ما فعلت ؟ قال نعم مالي ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فاقرضها ربي وأما أربعة آلاف فلي فقال له
رسول الله ﷺ « بارك الله لك فيما امسكت وفيما أعطيت » ولمزه المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبدالرحمن
عطيته الا رياء وهم كاذبون انما كان به متطوعا فانزل الله عز وجل عذره وعذر صاحبه المسكين
الذي جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في كتابه (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات)
الآية ، وكذا روي عن مجاهد وغير واحد وقال ابن اسحاق كان من المطوعين من المؤمنين في
الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق باربعة آلاف درهم وعاصم بن عدي أخو بني العجلان وذلك
أن رسول الله ﷺ رغب في الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق باربعة آلاف
وقام عاصم بن عدي وتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ماهذا الارياء وكان الذي تصدق
بجهده أبو عقيل أخو بني انيف الاراشي حليف بنى عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فافرغه في الصدقة
فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغني عن صاع أبي عقيل ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا طالوت بن
عباد حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « تصدقوا
فاني اريد ان ابعث بعثا» قال فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال يارسول الله عندي اربعة آلاف الفين

ثمانية الاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعيالي . فقال رسول
الله ﷺ « بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت » فبارك الله في ماله حتى انه خلف امرأتين يوم
مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من
تمر ، وجاء أبو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يارسول الله بت ليلتي أجر
بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت أحدهما لاهلي وأتيتك بالآخر فأمر رسول الله ﷺ

أقرضهما ربي والفين لعيالى فقال رسول الله ﷺ «بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت» وبات رجل من الانصار فاصاب صاعين من تمر فقال يارسول الله أصبت صاعين من تمر صاع أقرضه لربي وصاع لعيالي قال فلمزه المنافقون وقالوا ما أعطى الذي أعطى ابن عوف الا رياء وقالوا ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا؟ فأنزل الله (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم) الآية ثم رواه عن ابي كامل عن أبي عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن ابيه مرسلا قال ولم يسنده أحد إلا طالوت، وقال الامام أبوجعفر ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة حدثني خالد بن يسار عن ابن أبي عقيل عن ابيه قال بت أجر الجرير على ظهري على صاعين من تمر فانقلبت بأحدهما الى أهلي يتبلغون به وجئت بالآخر أتقرب الى رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال «انثره في الصدقة» قال فسخر القوم وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فانزل الله (الذين يلمزون المطوعين) الآيتين وكذا رواه الطبراني من حديث زيد بن الحباب به وقال اسم أبي عقيل حباب ويقال عبدالرحمن بن عبدالله بن ثعلبة وقوله (فيسخرون منهم سخر الله منهم) هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين لان الجزاء من جنس العمل فعاملهم معاملة من سخر منهم انتصاراً للمؤمنين في الدنيا وأعد للمنافقين في الاخرة عذابا أليما لأن الجزاء من جنس العمل.

استغفرْ لهم أو لا تستغفرْ لهم إن تستغفرْ لهم سبعين مرة فلن يغفرَ الله لهم ذلك

بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفسقين (٨٠)

يخبر تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار وانه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل ان السبعين إنما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم لان العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا ان يكون ما زاد عليها بخلافها وقيل

أن ينثره في الصدقة فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وان كان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكنه أراد أن يذكر فيمن أعطى الصدقة. فأنزل الله عز وجل ﴿ الذين يلمزون ﴾ أى يعيبون ﴿ المطوعين من المؤمنين في الصدقات ﴾ يعني عبدالرحمن بن عوف وعاصما ﴿ والذين لا يجدون إلا جهدهم ﴾ أي طاقتهم يعني أبا عقيل والجهد الطاقة بالضم لغة قريش وأهل الحجاز وقرأ الاعرج بالفتح. قال القتيبي الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة ﴿ فيسخرون منهم ﴾ يستهزئون منهم ﴿ سخر الله منهم ﴾ أي جازاهم الله على السخرية ﴿ ولهم عذاب اليم * استغفر لهم أولا تستغفر لهم ﴾ لفظ أمر معناه الخبر تقديره استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة. قال الضحاك :

بل لها مفهوم كما روى العوفي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لاستغفرن لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله ان يغفر لهم » فقال الله من شدة غضبه عليهم (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) الآية ، وقال الشعبي لما ثقل عبدالله بن أبي انطلق ابنه الى النبي ﷺ فقال ان أبي قد احتضر فاحب ان تشهده وتصلي عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما اسمك » قال الحباب بن عبد الله قال « بل أنت عبد الله بن عبد الله إن الحباب اسم شيطان » فانطلق معه حتى شهده والبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له اتصلي عليه ؟ فقال « ان الله قال (ان تستغفر لهم سبعين مرة) ولأستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين » وكذا روي عن عروة ابن الزبير ومجاهد بن جبير وقتادة بن دعامة ورواه ابن جرير بأسانيده (١)

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وفرحوا بقعودهم بعد خروجه (وكرهوا أن يجاهدوا) معه (بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا) أي بعضهم لبعض (لاتنفروا في الحر) وذلك ان الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والثمار فلهذا قالوا (لاتنفروا في الحر) قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (نار جهنم) التي تصيرون اليها بمخالفتكم (أشد حراً) مما فررتم منه من الحر بل أشد حراً من النار كما قال الامام مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نار بني آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقالوا يا رسول الله ان كانت لكافية فقال « فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به ، وقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ « إن الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم » فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين * فرح المخلفون﴾ عن غزوة تبوك والمخلف المتروك ﴿ بمقعدهم ﴾ أي بقعودهم ﴿خلاف رسول الله﴾ قال أبو عبيدة أي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار وأقاموا ﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ وكانت غزوة تبوك

---

(١) كل هذه الروايات لا قيمة لها لانه تعالى جعل الاستغفار لهم وعدمه سيان فكأن مخترعيها من الاعاجم لم يفهموا معنى الاية ولو فهموها لما جوزوا مخالفة النبي (ص) لها مع التصريح فيها بتعليل التسوية بكفرهم (!) وفرض نزول بعض الآية وهو ما قبل التعليل وحده سخف آخر وجهل والتحقيق أن السياق نزل كله دفعة واحدة

« ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت في البحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لاحد » وهذا أيضا اسناده صحيح ، وقد روى الامام أبو عيسى الترمذي وابن ماجه عن عباس الدوري وعن يحيى بن أبي بكير عن شريك عن عاصم عن أبي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوقد الله على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم » ثم قال الترمذي لاأعلم أحدا رفعه غير يحيى . كذا قال ، وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه عن ابراهيم بن محمد عن محمد بن الحسين بن مكرم عن عبيد الله بن سعيد عن عمه عن شريك وهو ابن عبد الله النخعي به ، وروى أيضا ابن مردويه من رواية مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ناراً وقودها الناس والحجارة) قال « أوقد عليها الف عام حتى ابيضت والف عام حتى احمرت والف عام حتى اسودت فهي سوداء كالليل لايضيء لهبها » وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث تمام بن نجيح وقد اختلف فيه عن الحسن عن أنس رفعه « لوان شرارة بالمشرق - أي من نار جهنم - لوجد حرها من بالمغرب » وروى الحافظ أبو يعلى عن اسحاق بن أبي اسرائيل عن أبي عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن محمد بن شبيب عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان في هذا المسجد مائة الف أو يزيدون وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه » غريب ، وقال الاعمش عن أبي اسحاق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان اهون اهل النار عذابا يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهنم يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل لايرى أن أحداً من أهل النار أشد عذابا منه وإنه أهونهم عذابا » أخرجاه في الصحيحين من حديث الاعمش ، وقال مسلم أيضا حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن أبى كثير حدثنا زهير بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن النعمان ابن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه » وقال الامام احمد حدثنا يحيى عن ابن عجلان سمعت أبي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أدنى أهل النار عذابا رجل يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه » وهذا اسناد جيد قوي رجاله على شرط مسلم والله أعلم، والاحاديث والآثار النبوية في هذا كثيرة ، وقال الله تعالى في كتابه العزيز (كلا انها لظى نزاعة للشوى) وقال تعالى (يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) وقال تعالى (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (قل نارجهنم أشد حراً لوكانوا يفقهون) أي لو أنهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول

في شدة الحر ﴿ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴾ يعلمون وكذلك هو في مصحف عبدالله بن

في سبيل الله في الحر ليتقوا به من حر جهنم الذي هو أضعاف أضعاف هذا ولكنهم كما قال الآخر :

* كالمستجير من الرمضاء بالنار *

وقال الآخر : عمرك بالحمية أفنيته خوفا من البارد والحار

وكان أولى لك أن تتقي من المعاصي حذر النار

ثم قال تعالى جل جلاله متوعداً هؤلاء المنافقين على صنيعهم هذا (فليضحكوا قليلا) الآية قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا فاذا انقطت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا ، وكذا قال ابو رزين والحسن وقتادة والربيع بن خثيم وعون العقيلي وزيد بن أسلم ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خداش حدثنا محمد بن جبير عن ابن المبارك عن عمران بن زيد حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أزجيت فيها لجرت » ورواه ابن ماجه من حديث الاعمش عن يزيد الرقاشي به ، وقال الحافظ أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن العباس حدثنا حماد الجزري عن زيد بن رفيع رفعه قال «ان أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانا ثم بكوا القيح زمانا قال فتقول لهم الخزنة يامعشر الاشقياء تركتم البكاء في الدار المرحوم فيها أهلها في الدنيا هل تجدون اليوم من تستغيثون به ؟ قال فيرفعون أصواتهم يا أهل الجنة يا معشر الآباء والامهات والاولاد خرجنا من القبور عطاشا وكنا طول الموقف عطاشا ونحن اليوم عطاش فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم ثم يجيبهم (انكم ماكثون)[1] فييأسون من كل خير »

مسعود ﴿ فليضحكوا قليلا ﴾ في الدنيا ﴿ وليبكوا كثيراً ﴾ في الآخرة تقديره فليضحكوا قليلا وسيبكون كثيراً ﴿ جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنبأنا السيد أبو الحسين محمد بن الحسين العلوى قال : أنا عبد الله بن محمد الحسين الشرقي ثنا عبد الله بن هاشم ثنا يحيى بن سعيد ثنا شعبة عن موسى بن أنس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم اضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً » أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة ثنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارث ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عمران بن زيد الثعلبي ثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول ثم تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت»

[1] هذا الجواب لمالك خازن النار عن سؤالهم قضاء الله عليهم باماتتهم وذلك قوله تعالى في سورة الزخرف (ونادوا يا مالك : ليقض علينا ربك . قال انكم ماكثون) والمؤلف جعله جوابا عن سؤالهم لاهل الجنة الماء والرزق

فان رجعك الله إلىٰ طائفة منهم فاستئذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخلفين (٨٣)

يقول تعالى آمراً لرسوله عليه الصلاة والسلام (فان رجعك الله) أي ردك الله من غزوتك هذه (إلى طائفة منهم) قال قتادة : ذكر لنا أنهم كانوا اثنا عشر رجلا (فاستأذنوك للخروج) أي معك إلى غزوة أخرى (فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا) أي تعزيراً لهم وعقوبة ثم علل ذلك بقوله (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة) وهذا كقوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) الآية . فان جزاء السيئة السيئة بعدها كما ان ثواب الحسنة الحسنة بعدها كقوله في عمرة الحديبية (سيقول المخلفون اذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها) الآية . وقوله تعالى (فاقعدوا مع الخالفين) قال ابن عباس أي الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة . وقال قتادة (فاقعدوا مع الخالفين) أي مع النساء ، قال ابن جرير وهذا لا يستقيم لان جمع النساء لا يكون بالياء والنون ولو أريد النساء لقال فاقعدوا مع الخوالف أو الخالفات ورجح قول ابن عباس رضي الله عنهما

ولا تُصلِّ علىٰ أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فسقون (٨٤)

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحد منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له لانهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين كما قال البخاري : حدثنا عبيد بن اسماعيل عن أبي اسامة عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبدالله ابن أبيٍّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن

قوله تعالى ﴿ فان رجعك الله ﴾ أى ردك الله يامحمد من غزوة تبوك ﴿ إلى طائفة منهم ﴾ يعني من المخلفين وإنما قال (طائفة منهم) لانه ليس كل من تخلف في غزوة تبوك كان منافقا ﴿فاستأذنوك للخروج ﴾ معك في غزاة أخرى ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ﴾ في سفر ﴿ ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة ﴾ في غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ أى مع النساء والصبيان وقيل مع الزمني والمرضى . وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع الخالفين قال الفراء يقال صاحب خالف إذا كان مخالفاً ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ﴾ قال أهل التفسير : بعث عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ وهو مريض فلما دخل عليه رسول

فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما خيرني الله فقال (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) وسأزيده على السبعين » قال انه منافق . قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل آية (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي اسامة حماد بن أسامة به ، ثم رواه البخاري عن ابراهيم بن المنذر عن أنس بن عياض عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به وقال فصلى عليه وصلينا معه وأنزل الله (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) الآية . وهكذا رواه الامام احمد عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله به ، وقد روي من حديث عمر بن الخطاب نفسه أيضاً بنحو من هذا فقال الامام احمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما توفي عبد الله بن أبيّ دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يارسول الله أعلى عدو الله عبد الله بن أبيّ القائل يوم كذا كذا وكذا — يعدد أيامه — ؟ قال ورسول الله ﷺ يتبسم حتى إذا أكثرت عليه قال « أخر عني ياعمر ، اني خيرت فاخترت قد قيل لي (استغفر لهم) الآية . لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت » قال ثم صلى عليه ومشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . قال فوالله ما كان الا يسيراً حتى نزلت هاتان الايتان (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) الآية . فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل ، وهكذا رواه الترمذي في التفسير من حديث محمد بن اسحاق عن الزهري به وقال حسن صحيح ،ورواه البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري به فذكر مثله وقال « أخر عني ياعمر » فلما أكثرت عليه قال « إني خيرت فاخترت ولو أعلم أني إن

الله ﷺ قال له « أهلكك حب اليهود » فقال يارسول الله اني لم أبعث اليك لتؤنبني انما بعثت اليك لتستغفرلي وساله أن يكفنه في قميصه ويصلي عليه، أخبرنا عبدالواحد المليحي ثنا أحمد بن عبدالله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيي بن بكير حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبدالله بن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم انه قال لما مات عبدالله ابن أبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبت اليه فقلت يارسول الله أتصلي على ابن أبي بن سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا -عدد عليه قوله- فتبسم رسول الله ﷺ وقال «أخر عني ياعمر» فلما أكثرت عليه قال «إني خيرت فاخترت لو أعلم اني ان

زدت على السبعين غفر له لزدت عليها » قال فصلى عليه رسول الله ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة (ولا تصل على احد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) الآية فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم . وقال الامام احمد : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبد الملك عن ابي الزبير عن جابر قال : لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنك إن لم تأته لم نزل نعير بهذا فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فوجده قد ادخل في حفرته فقال « أفلا قبل أن تدخلوه؟ » فأخرج من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه الى قدمه والبسه قميصه ورواه النسائي عن أبي داود الحراني عن يعلى بن عبيد عن عبد الملك وهو ابن أبي سليمان به ، وقال البخارى حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا ابن عيينة عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعد ما ادخل في قبره فامر به فاخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه والله اعلم

وقد رواه أيضاً في غير موضع مسلم والنسائي من غير وجه عن سفيان بن عيينة به ، وقال الامام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا مجالد حدثنا عامر حدثنا جابر ح وحدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الرحمن بن مغراء الدوسي حدثنا مجالد عن الشعبي عن جابر قال لما مات رأس المنافقين قال يحيى بن سعيد بالمدينة فأوصى أن يصلي عليه النبي ﷺ فجاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال إن أبي أوصى أن يكفن بقميصك وهذا الكلام في حديث عبد الرحمن بن مغراء قال يحيى في حديثه فصلى عليه وألبسه قميصه فأنزل الله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) وزاد عبدالرحمن وخلع النبي ﷺ قميصه فأعطاه إياه ومشى فصلى عليه وقام على قبره فأتاه جبريل عليه السلام لما ولى قال (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) واسناده لا بأس به وما قبله شاهد له

وقال الامام أبوجعفر الطبري حدثنا أحمد بن اسحاق ثنا أبوأحمد حدثنا حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي

زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها» قال فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ـ الى قوله ـ وهم فاسقون) قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحى ثنا أحمد بن عبدالله النعيمى أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عبدالله ثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبدالله قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بعدما أدخل في حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه وألبسه قميصه فالله أعلم، وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال أبوهريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يارسول الله ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك

عن أنس أن رسول الله ﷺ أراد أن يصلي على عبدالله بن أبي" فأخذ جبريل بثوبه وقال «ولا تصل على أحدمنهم مات أبداً ولا تقم على قبره) ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث يزيد الرقاشي وهو ضعيف ، وقال قتادة أرسل عبد الله بن أبي" إلى رسول الله ﷺ وهو مريض فلما دخل عليه قال له النبي ﷺ « أهلكك حب يهود » قال يارسول الله انما أرسلت اليك لتستغفرلي ولم أرسل اليك لتؤنبني ثم سأله عبدالله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه إياه وصلى عليه وقام علي قبره فأنزل الله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) الآية ، وقد ذكر بعض السلف انما كساه قميصه لان عبدالله بن أبي" لما قدم العباس طلب له قميص فلم يوجد على تفصيله إلا ثوب عبد الله بن أبي لأنه كان ضخما طويلا ففعل ذلك به رسول الله ﷺ مكافأة له فالله أعلم ، ولهذا كان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة عليه لا يصلي على أحد من المنافقين ولا يقوم على قبره كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن أبيه حدثني عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ اذا دعي إلى جنازة سأل عنها ، فان أثني عليها خيراً قام فصلى عليها ، وإن كان غير ذلك قال لأهلها « شأنكم بها » ولم يصل عليها ، وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة من جهل حاله حتى يصلي عليها حذيفة بن اليمان لانه كان يعلم أعيان المنافقين قد أخبره بهم رسول الله ﷺ ، ولهذا كان يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره أي من الصحابة ، وقال أبو عبيد في كتاب الغريب في حديث عمر إنه أراد أن يصلي على جنازة رجل فمرزه حذيفة كأنه أراد أن يصده عن الصلاة عليها ، ثم حكي عن بعضهم أن المرز بلغة أهل اليمامة هو القرص بأطراف الاصابع ، ولما نهى الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار لهم كان هذا الصنيع من أكبر القربات في حق المؤمنين فشرع ذلك ، وفي فعله الاجر الجزيل كما ثبت في الصحاح وغيرها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان » قيل وما القيراطان ؟ قال « أصغرهما مثل أحد » وأما القيام عند قبر المؤمن اذا مات فروى أبو داود حدثنا ابراهيم بن موسى الرازي أخبرنا هشام عن عبد الله بن بحير عن هانيء وهو أبو سعيد البربري مولى

وروى عن جابر قال لما كان يوم بدر أتي بالاسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه عبدالله قال ابن عيينة كان له عند النبي ﷺ يد فاحب أن يكافئه وروي أن النبى ﷺ كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال ﷺ « وما يغني عنه قميصي وصلاتى من الله شيئا والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه» وروي أنه أسلم به ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم ، قوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) لا تقف عليه وقيل لا تتول دفنه من قولهم قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره (إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم

عثمان بن عفان عن عثمان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسئل » انفرد باخراجه أبو داود رحمه الله،

ولا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (٨٥)

تقدم تفسير نظير هذه الآية الكريمة ولله الحمد

وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَٰهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَـْٔذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَٰعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧)

يقول تعالى منكراً وذاما للمتخلفين عن الجهاد الناكلين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول واستأذنوا الرسول في القعود وقالوا (ذرنا نكن مع القاعدين) ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالف بعد خروج الجيش فاذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس ، واذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما كما قال تعالى عنهم في الآية الاخرى (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) أي علت ألسنتهم بالكلام الحد القوي في الامن وفي الحرب أجبن شيء ، وكما قال الشاعر

أفي السلم أعياراً جفاء وغلظة وفي الحرب أشباه النساء الفوارك

وقال تعالى في الآية الاخرى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ، فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم) الآية ، وقوله (وطبع على قلوبهم) أي بسبب نكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول في سبيل الله (فهم لا يفقهون) أى لا يفهمون مافيه صلاح لهم فيفعلوه ولا مافيه مضرة لهم فيجتنبوه

فاسقون ﴾ فما صلى النبى صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبض

قوله تعالى ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم ﴾ ذوو الغنى والسعة منهم في القعود والتخلف ﴿ وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ في رحالهم ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ يعني النساء وقيل مع ادنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة

لـٰكن الرسول والذين آمنوا معه جٰهدوا بأموٰلهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرٰت وأولئك هم المفلحون (٨٨) أعد الله لهم جنٰت تجري من تحتها الأنهٰر خـٰلدين فيها ذٰلك الفوز العظيم (٨٩)

لما ذكر تعالى ذم المنافقين وبين ثناءه على المؤمنين وما لهم في آخرتهم فقال (لـٰكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا) إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم وقوله (وأولئك لهم الخيرات) أي في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلى

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم (٩٠)

ثم بين تعالى حال ذوي الاعذار في ترك الجهاد الذين جاءوا رسول الله ﷺ يعتذرون اليه ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة. قال الضحاك عن ابن عباس إنه كان يقرأ (وجاء المعذرون) بالتخفيف ويقول هم أهل العذر، وكذا روى ابن عيينة عن حميد عن مجاهد سواء قال ابن إسحاق وبلغني أنهم نفر من بني غفار خفاف ابن إيماء بن رحضة وهذا القول هو الاظهر في معنى الآية لانه قال بعد هذا (وقعد الذين كذبوا

قومه اذا كان دونهم ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات﴾ يعني الحسنات وقيل الجواري الحسان في الجنة قال الله تعالى (فيهن خيرات حسان) جمع خيرة وحكي عن ابن عباس ان الخير لا يعلم معناه الا الله تعالى كما قال جل ذكره (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) ﴿وأولئك هم المفلحون * أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾

قوله تعالى ﴿وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم﴾ الآية قرأ يعقوب ومجاهد المعذرون بالتخفيف وهم المبالغون في العذر يقال في المثل: لقد أعذر من أنذر. أي بالغ في العذر من قدم النذارة وقرأ الآخرون المعذرون بالتشديد أي المقصرون يقال عذر أي قصر، وقال الفراء المعذرون المعتذرون أدغمت التاء في الذال ونقلت حركة التاء الى العين، وقال الضحاك المعذرون هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا رسول الله ﷺ دفاعا عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم» وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وقعد

الله ورسوله) أي لم يأتوا فيعتذروا ، وقال ابن جريج عن مجاهد (وجاء المعذرون من الاعراب) قال نفر من بني غفار جاءوا فاعتذروا فلم يعذرهم الله ، وكذا قال الحسن وقتادة ومحمد بن اسحاق والقول الاول أظهر والله أعلم لما قدمنا من قوله بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي وقعد آخرون من الاعراب عن المجيء للاعتذار ثم أوعدهم بالعذاب الاليم . فقال (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم)

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١) ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوْا وأعينهم تفيض من الدمع حزَنا ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢) إنما السّبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء . رَضُوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (٩٣)

ثم بين تعالى الاعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد ومنه العمي والعرج ونحوهما ، ولهذا بدأ به ومنها ما هو عارض بسبب مرض عنّ له في بدنه شغله عن الخروج في سبيل الله أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ولم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم وهم محسنون في حالهم هذا ، ولهذا قال (ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) وقال سفيان الثوري عن عبدالعزيز بن رفيع عن أبي ثمامة رضي الله عنه قال :

الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ يعني المنافقين قال أبو عمرو بن العلاء كلا الفريقين كان مسيئا قوم تكلفوا عذرا بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (وجاء المعذرون) وقوم تخلفوا من غير تكلف عذر فقعدوا جرأة على الله تعالى وهم المنافقون فأوعدهم الله بقوله ﴿ سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾

ثم ذكر أهل العذر فقال جل ذكره ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ قال ابن عباس يعني الزمني والمشايخ والعجزة وقيل هم الصبيان وقيل النسوان ﴿ ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ يعني الفقراء ﴿ حرج ﴾ مأثم وقيل ضيق في القعود عن الغزو ﴿ اذا نصحوا لله ورسوله ﴾ في مغيبهم وأخلصوا الايمان والعمل لله وبايعوا الرسول ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أي من طريق بالعقوبة ﴿ والله غفور رحيم ﴾ قال قتادة نزلت في زيد بن عمر وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبدالله ابن أم مكتوم وكان ضرير البصر

قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن الناصح لله ؟ قال : الذي يؤثر حق الله على حق الناس ، وإذا حدث له أمران أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا ، وقال الاوزاعي خرج الناس إلى الاستسقاء فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يامعشر من حضر ألستم مقرين بالاساءة ؟ قالوا اللهم نعم فقال اللهم نسمعك تقول (ماعلى المحسنين من سبيل) اللهم وقد أقررنا بالاساءة فاغفر لنا وارحمنا واسقنا ، ورفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا ، وقال قتادة نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو المزني حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيدالله الرازي حدثنا ابن جابر عن ابن فروة عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أكتب براءة فاني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى فقال كيف بي يارسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت (ليس على الضعفاء) الآية ، وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبدالله بن مغفل بن مقرن المزني فقالوا يارسول الله احملنا فقال لهم « والله لا أجد ما أحملكم عليه » فتولوا وهم يبكون وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا . فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه فقال (ليس على الضعفاء) إلى قوله (فهم لا يعلمون) وقال مجاهد في قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) نزلت في بني مقرن من مزينة ، وقال محمد بن كعب كانوا سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عوف ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبدالرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى ومن بني المعلى فضل الله ومن بني سلمة عمرو بن عثمة وعبدالله بن عمرو المزني ، وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاءون وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير وعلية بن زيد أخو بني حارثة وأبو ليلى عبدالرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة وعبدالله بن المغفل المزني وبعض الناس يقول بل هو عبدالله بن عمرو

قوله تعالى ﴿ ولا على الذين اذا ماأتوك لتحملهم ﴾ معناه انه لاسبيل على الاولين ولا على هؤلاء الذين أتوك وهم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبدالله بن كعب الانصاري وعلية بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنم وعبدالله بن مغفل المزني أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ان الله قد ندبنا للخروج معك فاحملنا واختلفوا في قوله (لتحملهم) قال ابن عباس سألوه أن يحملهم على الدواب وقيل سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة ليغزوا معه فأجابهم النبي ﷺ كما أخبر الله عنه في قوله تعالى ﴿ قلت لا أجد ماأحملكم عليه تولوا ﴾ وهم يبكون فذلك قوله تعالى تولوا ﴿ وأعينهم تفيض من الدمع حزنا

المزني وحرمي بن عبدالله أخو بني واقف وعياض بن سارية الفزاري فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة فقال (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ماينفقون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن الاودي حدثنا وكيع عن الربيع عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا ولا نلتم من عدو نيلا إلا وقد شركوكم في الاجر » ثم قرأ (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه) الآية وأصل الحديث في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن بالمدينة أقواما ماقطعتم واديا ولا سرتم سيراً إلا وهم معكم » قالوا وهم بالمدينة ؟ قال « نعم حبسهم العذر » وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد خلفتم بالمدينة رجالا ماقطعتم وأديا ولا سلكتم طريقا إلا شركوكم في الاجر حبسهم المرض » ورواه مسلم وابن ماجه من طرق عن الاعمش به ثم رد تعالى الملامة على الذين يستأذنون في القعود وهم اغنياء وأنبهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرحال (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون)

يعتذرون إليكم إذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى علم الغيب والشهدة فينبئكم بما كنتم تعملون (٩٤) سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأوىهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون (٩٥) يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفسقين (٩٦)

اخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة انهم يعتذرون اليهم (قل لن نؤمن لكم) اي لن نصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم) أي قد أعلمنا الله أحوالكم وسيرى الله أعمالكم

ألا يجدوا ماينفقون * انما السبيل ﴾ بالعقوبة ﴿ على الذين يستأذنوك ﴾ في التخلف ﴿ وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ مع النساء والصبيان ﴿ وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون * يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم ﴾ يروى ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون بالباطل قال الله تعالى ﴿ قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم ﴾ لن نصدقكم ﴿ قد نبأنا الله من اخباركم ﴾ فيما سلف ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ في المستأنف

ورسوله أي سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيخبركم بأعمالكم خيرها وشرها ويجزيكم عليها. ثم أخبر عنهم أنهم سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فاعرضوا عنهم احتقاراً لهم إنهم رجس أي خبث نجس بواطنهم واعتقاداتهم ومأواهم في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون أي من الآثام والخطايا وأخبر أنهم ان رضوا عنهم بحلفهم لهم (فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) أي الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله فان الفسق هو الخروج ومنه سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها للافساد، ويقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها

الأعراب أشدُّ كفراً ونِفاقا وأجدَرُ ألا يَعلموا حدودَ ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم (٩٧) ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مَغرْما ويتربصُ بكم الدوائر عليهم دائرة السَّوْء والله سميع عليم (٩٨) ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قُرُبٰتٍ عند الله وصلَوٰتِ الرسول. ألا إنها قُربةٌ لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم (٩٩)

أخبر تعالى أن في الاعراب كفاراً ومنافقين ومؤمنين، وان كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد وأجدر أي أحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله كما قال الاعمش عن ابراهيم قال: جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم (نهاوند) فقال الاعرابي والله إن حديثك ليعجبني، وان يدك لتريبني. فقال زيد مايريبك من يدي انها الشمال؟ فقال

اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه ﴿ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون* سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم﴾ اذا انصرفتم اليهم من غزوكم ﴿لتعرضوا عنهم﴾ لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ﴿فأعرضوا عنهم﴾ فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق ﴿انهم رجس﴾ نجس أي ان عملهم قبيح ﴿ومأواهم﴾ في الآخرة ﴿جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾ قال ابن عباس نزلت في جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي ﷺ حين قدم المدينة لاتجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبدالله بن أبي[1] الانصاري حلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله الا هو لايتخلف عنه بعدها وطلب من النبي ﷺ أن يرضى عنه فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين* الاعراب﴾ أي أهل البدو ﴿أشد كفرا ونفاقا﴾ من أهل الحضر ﴿وأجدر﴾ أي أخلق وأحرى ﴿ألا يعلموا

١) هذا يؤيد تخطئة الروايات في استغفار النبي (ص) لعبد الله ابن أبي وصلاته عليه وان روى في الصحاح فان هذه الاية نزلت قبل رجوعه (ص) من تبوك الى المدينة وقد شدد نافي انكار تلك الروايات في حاشية سابقة تبعاً لبعض محققي العلماء كما تراه في تفسير هذه السورة من فتح الباري

الاعرابي والله ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال فقال زيد بن صوحان صدق الله ورسوله (الاعراب أشد كفراً ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) وقال الامام احمد حدثنا عبدالرحمن ابن مهدي حدثنا سفيان عن أبي موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان افتتن » ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري به ، وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثوري ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي لم يبعث الله منهم رسولا ، وإنما كانت البعثة من أهل القرى كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) ولما أهدى ذلك الاعرابي تلك الهدية لرسول الله ﷺ فرد عليه أضعافها حتى رضي قال « لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي » لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن مكة والطائف والمدينة واليمن فهم ألطف أخلاقا من الاعراب لما في طباع الاعراب من الجفاء

﴿ حديث الاعرابي في تقبيل الولد ﴾ قال حديث مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا ثنا أبو اسامة وابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : قدم ناس من الاعراب على رسول الله ﷺ فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ قالوا نعم قالوا لكنا والله ما نقبل فقال رسول الله ﷺ « وأملك[1] إن كان الله نزع منكم الرحمة » وقال ابن نمير « من قلبك الرحمة »

وقوله (والله عليم حكيم) أي عليم بمن يستحق أن يعلمه الايمان والعلم حكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والايمان والكفر والنفاق لا يسئل عما يفعل لعلمه وحكمته ، وأخبر تعالى أن منهم (من يتخذ ما ينفق) أي في سبيل الله (مغرما) أي غرامة وخسارة (ويتربص بكم الدوائر) أي ينتظر بكم الحوادث والآفات (عليهم دائرة السوء) أي هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم (والله سميع عليم) أي سميع لدعاء عباده عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان ، وقوله (ومن الاعراب

[1] وفي البخاري « أو أملك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة » فهمزة الاستفهام مقدرة في رواية مسلم وقد ذكرت في بعض النسخ المشروحة المطبوعة في المطبعة الاميرية بمصر خطأ

حدود ما أنزل الله على رسوله وذلك لبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن ﴿ والله عليم ﴾ بما في قلوب خلقه ﴿ حكيم ﴾ فيما فرض من فرائضه ﴿ ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ﴾ قال عطاء لا يرجو على اعطائه ثوابا ولا يخافون على إمساكه عقابا انما ينفق خوفا ورياء والمغرم التزام ما لا يلزم ﴿ ويتربص ﴾ وينتظر ﴿ بكم الدوائر ﴾ يعني صروف الزمان التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر ، وقال يمان بن رباب يعني ينقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر المشركون ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ عليهم يدور البلاء والحزن ولا يرون في محمد ودينه الا ما يكرهون وما يسوءهم . قرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء ههنا وفي سورة الفتح بضم السين معناه الضر والبلاء والمكروه ، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر وقيل بالفتح الرداءة والفساد وبالضم الضر والمكروه ﴿ والله سميع عليم ﴾ نزلت في اعراب أسد وغطفان وتميم ثم استثنى فقال ﴿ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ قال

من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) هذا هو القسم الممدوح من الاعراب وهم الذين يتخذون ماينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم (ألا انها قربة لهم) أي ألا ان ذلك حاصل لهم (سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم)

والسٰبقون الأوّلون من المهٰجرين والأنصار والذين اتّبعوهم باحسان رضيَ الله عنهم ورَضُوا عنه وأعدّ لهم جنّٰت تجري تحتها الأنهٰر خٰلدين فيها أبداً ذٰلك الفوز العظيم (١٠٠)

يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم قال الشعبي : السابقون الاولون من المهاجرين والانصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية ، وقال أبو موسى الاشعري وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال محمد بن كعب القرظي : مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) فأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا . فقال أبي بن كعب . فقال لا تفارقني حتى أذهب

مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي أسلم وغفار وجهينة أخبرنا أبو سعيد أحمد بن عبد الله الظاهري أنبأنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر بن محمد بن زكريا العذافري أنبأنا اسحاق بن ابراهيم الديري أنبأنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد بن خزيمة وهوازن وغطفان » ﴿ ويتخذ ماينفق قربات عند الله ﴾ القربات جمع القربة أي يطلب القربة الى الله تعالى ﴿ وصلوات الرسول ﴾ أي دعاءه واستغفاره قال عطاء يرغبون في دعاء النبي ﷺ ﴿ ألا أنها قربة لهم ﴾ قرأ نافع برواية ورش قربة بضم الراء والباقون بسكونها ﴿سيدخلهم الله في رحمته ﴾ في جنته ﴿ ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴾ قرأ يعقوب « والانصار » رفع عطفا على قوله والسابقون واختلفوا في السابقين قال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء ابن أبي رباح هم أهل بدر، وقال الشعبي هم الذين شهدوا بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية واختلفوا في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة مع اتفاقهم على أنها أول من آمن برسول الله ﷺ فقال بعضهم أول من آمن وصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو قول جابر وبه قال مجاهد وابن اسحاق أسلم وهو ابن عشر سنين ، وقال بعضهم أول من آمن بعد خديجة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو قول ابن عباس وابراهيم النخعي والشعبي، وقال بعضهم أول من أسلم زيد بن حارثة وهو قول الزهري وعروة

بك اليه فلما جاءه قال عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال نعم . قال : وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم . قال لقد كنت أرى انا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا . فقال أبي تصديق هذه الآية في اول سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) وفي سورة الحشر (والذين جاءوا من بعدهم) الآية وفي الانفال (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا معكم) الآية . رواه ابن جرير قال وذكر عن الحسن البصري انه كان يقرؤها برفع الانصار عطفا على والسابقون الاولون فقد اخبر الله العظيم انه قد رضي عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، وقال لاسيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وافضلهم اعني الصديق الاكبر والخليفة الاعظم ابا بكر بن ابي قحافة رضي الله عنه فان الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون افضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً بالله من ذلك، وهذا يدل على ان عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الايمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم واما اهل السنة فانهم يترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من

ابن الزبير، وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الاقوال فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن العبيد زيد بن حارثة قال ابن اسحاق فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر اسلامه ودعا الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان أنسب قريش [1] وأعلمها بما كان فيها وكان تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه فأسلم على يديه فيما بلغني عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله فجاء بهم الى رسول الله ﷺ حين أسلموا وصلوا فكان هؤلاء الثمانية النفر الذين سبقوا الى الاسلام ثم تتابع الناس في الدخول في الاسلام، أما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعة في العقبة الاولى وسبعين في الثانية والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير يعلمهم القرآن فأسلم معه خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان

قوله عز وجل (والسابقون الاولون من المهاجرين) الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم (والانصار) أي ومن الانصار هم الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين وقيل هم الذين سلكوا سبيلهم في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالترحم والدعاء، وقال أبو صخر حميد بن زياد أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له ماقولك في أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فقال جميع أصحاب رسول الله ﷺ في الجنة

[1] أي اعلمها بالانساب تاريخ العرب

يوالي الله ويعادون من يعادي الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون وهؤلاء هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون

وممّنْ حوْلكم من الاعراب منٰفقون ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النفاق لا تعلمهم نحن نَعلمهم سنعذبهم مرّتين ثم يُرَدون الى عذاب عظيم (١٠١)

يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه ان في احياء العرب ممن حول المدينة منافقون ، وفي أهل المدينة أيضا منافقون (مردوا على النفاق) أي مرنوا واستمروا عليه ومنه يقال شيطان مريد ومارد ويقال تمرد فلان على الله أي عتا وتجبر وقوله (لاتعلمهم نحن نعلمهم) لا ينافي قوله تعالى (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) لان هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها لا انه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقا وان كان يراه صباحا ومساء، وشاهد هذا بالصحة ما رواه الامام احمد في مسنده حيث قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم عن رجل عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قلت : يارسول الله انهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة فقال « لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب » وأصغى الي رسول الله ﷺ برأسه فقال « ان في أصحابي منافقين » ومعناه أنه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذي سمعه جبير بن مطعم، وتقدم في تفسير قوله (وهموا بما لم ينالوا) أنه ﷺ أعلم حذيفة بأعيان أربعة عشر أو

محسنهم ومسيئهم فقلت من أين تقول هـذا ؟ فقال اقرأ قول الله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) الى ان قال (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال (والذين اتبعوهم باحسان) شرط في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيئة قال أبو صخر فكأني لم أقرأ هذه الآية قط، وروي ان النبي ﷺ قال « لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » ثم جمعهم الله عز وجل في الثواب فقال ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ قرأ ابن كثير من تحتها الانهار وكذلك هو في مصاحف أهل مكة ﴿ خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾

قوله تعالى ﴿ وممن حولكم من الاعراب منافقون ﴾ وهم من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار كانت منازلهم حول المدينة ، يقول من هؤلاء الاعراب منافقون ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ أي ومن أهل المدينـة من الاوس والخزرج قوم منافقون ﴿ مردوا على النفاق ﴾ أي مرنوا على النفاق ، يقال تمرد فلان على ربه أي عتا ومرد على معصيته أي مرن وثبت عليهـا واعتادها ومنه المريد والمارد ، وقال ابن إسحاق لجوا فيـه وأبوا غيره ، وقال ابن زيد : أقاموا عليه ولم يتوبوا ﴿ لا تعلمهم ﴾ أنت يامحمد

خمسة عشر منافقاً وهذا تخصيص لا يقتضي أنه اطلع على أسمائهم وأعيانهم كلهم والله أعلم

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عمر البيروتي من طريق هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثني شيخ ببيروت يكنى أبا عمر أظنه حدثني عن أبي الدرداء أن رجلا يقال له حرملة أتى النبي ﷺ فقال : الايمان ههنا وأشار بيده إلى لسانه ، والنفاق ههنا وأشار بيده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلا ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم اجعل له لسانا ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وارزقه حبي وحب من يحبني ، وصير أمره إلى خير » فقال يارسول الله : انه كان لي أصحاب من المنافقين وكنت رأساً فيهم أفلا آتيك بهم ؟ قال « من أتانا استغفرنا له ، ومن أصر فالله أولى به ولا تخرقن على أحد ستراً » قال وكذا رواه أبو أحمد الحاكم عن أبي بكر الباغندي عن هشام ابن عمار به ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في هذه الآية أنه قال مابال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لاأدري لعمري أنت بنصيبك أعلم منك بأحوال الناس ولقد تكلفت شيئاً ماتكلفه الانبياء قبلك ، قال نبي الله نوح عليه السلام (وما علمي بما كانوا يعملون) وقال نبي الله شعيب عليه السلام (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ) وقال الله تعالى لنبيه ﷺ (لاتعلمهم نحن نعلمهم) وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه الآية قال : قام رسول الله ﷺ خطيباً يوم الجمعة فقال « اخرج يافلان انك منافق ، واخرج يافلان فانك منافق » فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم ، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا واختبؤا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر ياعمر قد فضح الله المنافقين اليوم ، قال ابن عباس فهذا العذاب الاول حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثاني عذاب القبر ، وكذا قال الثوري عن السدي عن أبي مالك نحو هذا ، وقال مجاهد في قوله (سنعذبهم مرتين) يعني القتل والسبي ، وقال في رواية بالجوع وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم ، وقال ابن جريج عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم النار ، وقال

﴿ نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ﴾ اختلفوا في هذين العذابين قال الكلبي والسدى : قام النبي ﷺ خطيباً يوم الجمعة فقال « اخرج يافلان فانك منافق ، اخرج يافلان فانك منافق » أخرج ناساً من المسجد وفضحهم فهذا هو العذاب الاول ، والثاني عذاب القبر ، وقال مجاهد : الاول القتل والسبي ، والثاني عذاب القبر . وعنه رواية أخرى عذبوا بالجوع مرتين ، وقال قتادة الدبيلة في الدنيا وعذاب القبر ، وقال ابن زيد الاولى المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا ، والاخرى عذاب الآخرة ، وعن ابن عباس الاولى إقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر ، وقال ابن إسحاق هو مايدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه من غير حسبة ثم عذاب القبر وقيل أحدهما ضرب

الحسن البصري عذاب في الدنيا وعذاب في القبر ، وقال عبد الرحمن بن زيد : أما عذاب الدنيا فالاموال والاولاد وقرأ قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) فهذه المصائب لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر ، وعذاب في الآخرة في النار (ثم يردون إلى عذاب عظيم) قال النار ، وقال محمد بن اسحاق (سنعذبهم مرتين) قال هو فيما بلغني ماهم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم في القبور اذا صاروا اليها ، ثم العذاب العظيم الذي يردون اليه عذاب الآخرة والخلد فيه ، وقال سعيد عن قتادة في قوله (سنعذبهم مرتين) عذاب الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون إلى عذاب عظيم) وذكر لنا أن نبي الله ﷺ أسر إلى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتى يفضي إلى صدره ، وستة يموتون موتا ، وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا مات رجل ممن يرى أنه منهم نظر إلى حذيفة فان صلى عليه وإلا تركه ، وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قال لا ولا أومن منها أحداً بعدك

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم (١٠٢)

لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيباً وشكا شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلا وميلا إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه ، وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين وقد قال مجاهد انها نزلت في أبي لبابة لما قال لبني قريظة إنه

الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والآخر عذاب القبر وقيل الاولى إحراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم ﴿ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ أي عذاب جهنم يخلدون فيه

قوله تعالى ﴿ وآخرون ﴾ أي ومن أهل المدينة أو من الاعراب آخرون ، ولا يرجع هذا الى المنافقين ﴿ اعترفوا ﴾ أقروا ﴿ بذنوبهم خلطوا عملا صالحا ﴾ وهو اقرارهم بذنوبهم وتوبتهم ﴿ وآخر سيئا ﴾ أي بعمل آخر سيء وضع الواو موضع الباء كما يقال خلطت الماء واللبن أي باللبن ، والعمل السيء هو تخلفهم عن رسول الله ﷺ ، والعمل الصالح هو ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسواري . وقيل غزواتهم مع النبي ﷺ ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ نزلت هذه الآية في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك وقالوا نكون في الظلال مع

الذبح وأشار بيده إلى حلقه ، وقال ابن عباس (وآخرون) نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال بعضهم أبو لبابة وخمسة معه ، وقيل وسبعة معه ، وقيل وتسعة معه ، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم الا رسول الله ﷺ فلما أنزل الله هذه الآية (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أطلقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم

وقال البخاري حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء حدثنا سمرة بن جندب قال . قال رسول الله ﷺ لنا « أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة ، قالا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك ، قالا وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن

النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد واللأواء ، فلما قرب رسول الله ﷺ من المدينة قالوا والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقنا ويعذرنا ، فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد فلما رجع رسول الله ﷺ مر بهم فرآهم فقال « من هؤلاء ؟ » فقالوا هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله عز وجل أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله ﷺ « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم لانهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين » فأنزل الله هذه الآية فأرسل اليهم رسول الله ﷺ فأطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا ، فقال رسول الله ﷺ « ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا » فأنزل الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية . واختلفوا في عدد هؤلاء التائبين فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كانوا عشرة منهم أبو لبابة ، وروى عطية عنه أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة . وقال سعيد بن جبير وزيد بن أسلم كانوا ثمانية . وقال الضحاك وقتادة كانوا سبعة وقالوا جميعاً أحدهم أبو لبابة . وقال قوم نزلت في أبي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه قال مجاهد نزلت في أبي لبابة حين قال لقريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وأشار إلى حلقه . وقال الزهري نزلت في تخلفه عن غزوة تبوك فربط نفسه بسارية وقال : والله لا أحل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي" فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فأنزل الله تعالى هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاء النبي ﷺ فحله بيده ثم قال أبو لبابة يارسول الله ان من توبتي ان أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله قال « يجزئك يا أبا لبابة الثلث » قالوا جميعاً فأخذ

وشطر منهـم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم » هكذا رواه البخاري مختصراً في تفسير هذه الآية

خذ من أموٰلهم صدقة تُطهِّرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلوٰتك سكنٌ لهم والله سميع عليم (١٠٣) ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقٰت وأن الله هو التواب الرحيم ؟ (١٠٤)

أمر تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً، ولهـذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الامام لا يكون وانما كان هذا خاصاً بالرسول ﷺ ولهذا احتجوا بقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة) الآية، وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ حتى قال الصديق : والله لو منعوني عناقا - وفي رواية عقالا - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لا قاتلنهم على منعه، وقوله (وصل عليهم) أي ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله ابن أبي أوفى قال : كان النبي ﷺ اذا أتي بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال «اللهم صل على آل أبي أوفى» وفي الحديث الآخر أن امرأة قالت يا رسول الله « صل علي وعلى زوجي فقال « صلى الله عليك وعلى زوجك » وقوله (إن صلاتك سكن عليهم) قرأ بعضهم صلواتك على الجمع وآخرون قرؤا ان صلاتك على الافراد (سكن لهم) قال ابن عباس رحمة لهم، وقال قتادة وقار، وقوله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك الثلثين لان الله قال (خذ من أموالهم) ولم يقل خذ أموالهم. قال الحسن وقتادة : هؤلاء سوى الثلاثة الذين خلفوا

قوله تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ﴾ بها من ذنوبهم ﴿ وتزكيهم بها ﴾ أي ترفعهم من منازل المنافقين الى منازل المخلصين. وقيل تنمي أموالهم ﴿ وصل عليهم ﴾ أي ادع لهم واستغفر لهم وقيل هو قول الساعي للمتصدق اذا أخذ الصدقة منه : آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت. والصلاة في اللغة الدعاء. ﴿ ان صلواتك ﴾ قرأ حمزة والكسائي (صلاتك) على التوحيد ونصب التاء ههنا وفي سورة هود (أصلاتك) وفي سورة المؤمنين (على صلاتهم) كلهن على التوحيد، وافقهما حفص ههنا وفي سورة هود، وقرأ الآخرون بالجمع فيهن وكسر التاء ههنا وفي سورة المؤمنين، ولا خلاف في التي في الانعام (وهم على صلاتهم يحافظون) ولا التي في المعارج (وهم على صلاتهم يحافظون) انهما جميعا على التوحيد ﴿ سكن لهم ﴾ أي ان دعاءك رحمة لهم قاله ابن عباس، وقيل طمأنينة لهم وسكون

(والله سميع) أي لدعائك (عليم) أي بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له ، قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا أبو العميس عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحذيفة عن أبيه أن النبي ﷺ كان اذا دعا لرجل أصابته وأصابت ولده وولد ولده ، ثم رواه عن ابي نعيم عن مسعر عن ابي بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن لحذيفة قال مسعر وقد ذكره مرة عن حذيفة : إن صلاة النبي ﷺ لتدرك الرجل وولده وولد ولده

وقوله (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها ، وأخبر تعالى أن كل من تاب اليه تاب عليه ، ومن تصدق صدقة من كسب حلال فان الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها حتى تصير التمرة مثل أحد[1] كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ كما قال الثوري ووكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتكون مثل أحد » وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) وقوله (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وقال الثورى والاعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن ابي قتادة قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) وقد روى ابن عساكر في تاريخه في ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكي الدمشقي وأصله حمصي وكان أحد الفقهاء روى عن معاوية وغيره ، وحكى عنه حوشب بن سيف السكسكي الحمصي قال غزا الناس في زمان معاوية رضي الله عنه وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فغل رجل من المسلمين

(١) أي جبل أحد

لهم ان الله قد قبل منهم ، وقال أبو عبيدة تثبيت لقلوبهم ﴿ والله سميع عليم ﴾ واختلفوا في وجوب الدعاء على الامام عند أخذ الصدقة قال بعضهم يجب وقال بعضهم يستحب وقال بعضهم يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع ، وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم بن أبي اياس ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال « اللهم صل عليهم » فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » وقال ابن كيسان ليس هذا في صدقة الفرض انما هو لصدقة كفارة اليمين ، وقال عكرمة هي لصدقة الفرض ، فلما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم ؟ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع الى المدينة نهى المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم فأنزل الله تعالى ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل

مائة دينار رومية ، فلما قفل الجيش ندم وأتى الامير فأبى أن يقبلها منه وقال : قد تفرق الناس ولن أقبلها منك حتى تأتي الله بها يوم القيامة فجعل الرجل يستقري الصحابة فيقولون له مثل ذلك ، فلما قدم دمشق ذهب إلى معاوية ليقبلها منه فأبى عليه فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكي فقال له مايبكيك فذكر له أمره فقال له أومطيعي أنت ؟ فقال نعم ، فقال اذهب إلى معاوية فقل له اقبل مني خمسك فادفع اليه عشرين ديناراً وانظر إلى الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش فان الله يقبل التوبة عن عباده وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ففعل الرجل فقال معاوية رضي الله عنه لان أكون افتيته بها أحب إلي من كل شيء أملكه ، أحسن الرجل

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى علم الغيب والشهدة فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥)

قال مجاهد هذا وعيد يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول ﷺ وعلى المؤمنين ، وهذا كائن لامحالة يوم القيامة كما قال (يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية) وقال تعالى (يوم تبلى السرائر) وقال (وحصل مافي الصدور) وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا كما قال الامام احمد : حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا عن رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج الله عمله للناس كائنا ما كان » وقد ورد: إن أعمال الاحياء تعرض على الاموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ كما قال أبو داود الطيالسي حدثنا الصلت بن دينار عن الحسن عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « ان أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم

التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ﴾ أي يقبلها ﴿ وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ أخبرنا عبد الوهاب ابن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم انبأنا الربيع بن سليمان أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان بن عيينة عن ابن عجلان عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول « والذي نفسي بيده مامن عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا ولا يصعد الى السماء الا طيب الا كأنما يضعها في يد الرحمن عز وجل فيربيها كما يربي أحدكم فلوّه حتى ان اللقمة لتأتي يوم القيامة وانها لمثل الجبل العظيم » ثم قرأ (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات)

قوله تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ قال مجاهد هذا وعيد لهم قيل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم باعلام الله

في قبورهم فان كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك »وقال الامام احمد أنبأنا عبد الرزاق عن سفيان عمن سمع أنساً يقول : قال النبي ﷺ « ان أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الاموات فان كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا» وقال البخاري قالت عائشة رضي الله عنها إذا أعجبك حسن عمل امرىء مسلم فقل (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقد ورد في الحديث شبيه بهذا قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له ، فان العامل يعمل زمنا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا سيئا ، وان العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا ، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته » قالوا يارسول الله وكيف يستعمله ؟ قال « يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه » تفرد به الامام احمد من هذا الوجه

وآخرون مُرْجَوْنَ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم (١٠٦)

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد :هم الثلاثة الذين خلفوا أي عن التوبة وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية قعدوا عن غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا إلى الدعة والحفظ وطيب الثمار والظلال لا شكا و نفاقا فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري كما فعل أبو لبابة وأصحابه وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجي هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية وهي قوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) الاية كما سيأتي بيانه في حديث كعب بن مالك وقوله (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) أي هم تحت عفو الله إن شاء فعل بهم هذا ، وإن شاء فعل بهم ذاك ، ولكن رحمته تغلب غضبه (والله عليم حكيم) أي عليم بمن يستحق

تعالى اياه ورؤية المؤمنين بايقاع المحبة في قلوبهم لاهل الصلاح والبغضة لاهل الفساد

قوله تعالى ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر (مرجون) بغير همز والآخرون بالهمز . والارجاء التأخير مرجون مؤخرون (لامر الله) لحكم الله عز وجل فيهم وهم الثلاثة الذين تأتي قصتهم من بعد: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم حتى شقهم القلق وضاقت عليهم الارض بما رحبت وكانوا من أهل بدر فجعل اناس يقولون هلكوا وآخرون يقولون عسى الله

العقوبة ممن يستحق العفو ، حكيم في أفعاله وأقواله لا اله الا هو ولا رب سواه

والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفرا وتفريقـاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب

اللهَ ورسولَهُ من قبلُ . وليَحلفُنَّ إن أردنا إلا الحسنىٰ والله يشهد إنهم لكاذبون (١٠٧) لا تقم

فيه أبداً لمسجد أُسِّسَ علىٰ التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن

يتطهروا والله يحب المطّهرين (١٠٨)

سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ اليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير . فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجرا الى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للاسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فاراً الى كفار مكة من مشركي قريش فألبهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في احداهن رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة الى قومه من الانصار فخاطبهم واستمالهم الى نصره وموافقته ، فلما عرفوا كلامه قالوا لا أنعم الله بك عينا يافاسق ياعدو الله ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قومي بعدي شر ، وكان رسول الله ﷺ قد دعاه الى

أن يغفر لهم فصاروا مرجئين لامر الله لا يدرون أيعذبهم أم يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة

قوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا ﴾ قرأ أهل المدينة والشام (الذين) بلا واو وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الآخرون بالواو ﴿ مسجدا ضرارا ﴾ نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء ، وكانوا اثنى عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وحارثة بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة ابن الازعر ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان ورجل يقال له مخرج بنوا هذا المسجد (ضرارا) يعني مضارة المؤمنين ﴿ وكفرا ﴾ بالله ورسوله ﴿ وتفريقا بين المؤمنين ﴾ لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم

الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وتمرد ، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً فنالته هذه الدعوة ، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ذهب الى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه وأقام عنده وكتب الى جماعة من قومه من الانصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصداً له اذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ الى تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي اليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره واثباته وذكروا أنهم انما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال « إنا على سفر ولكن اذا رجعنا ان شاء الله » فلما قفل عليه السلام راجعا الى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها الا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من اول يوم على التقوى . فبعث رسول الله ﷺ الى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وهم أناس من الانصار بنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجداً واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فاني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجنود من الروم وأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة . فأنزل الله عز وجل (لاتقم فيه أبداً) إلى قوله (الظالمين) وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وعروة ابن الزبير وقتادة وغير واحد من العلماء ، وقال محمد بن اسحاق بن يسار عن الزهري ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمرو بن قتادة وغيرهم قالوا أقبل رسول الله ﷺ يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يارسول الله انا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة

فيؤدي ذلك الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم مجمع بن حارثة فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يارسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا وتصلي بنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال لهم رسول الله ﷺ « اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه » ﴿ وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ أي انتظارا واعدادا لمن حارب الله ورسوله يقال أرصدت له اذا أعددت له وهو أبو عامر الراهب وكان أبو عامر هذا رجلا منهم وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له

والليلة الشاتية ، وانا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال « إني على جناح سفر وحال شغل » أو كما قال رسول الله ﷺ « ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا لكم فيه » فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عامر بن عدي أخا بلعجلان فقال « انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه » فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم . فقال مالك لمعن انظرني حتى أخرج اليك بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن مانزل (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا) إلى آخر القصة ، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وهوالى بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد . وأبو حبيبة بن الازعر من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف وحارثة بن عامر وابناه مجمع بن حارثة وزيد بن حارثة ونبتل الحارث وهم من بني ضبيعة ومخرج وهم من بني ضبيعة وبجاد بن عمران وهو من بني ضبيعة ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر. وقوله (وليحلفن) أي الذين بنوه (ان أردنا إلا الحسنى) أي ما أردنا ببنيانه الا خيراً ورفقا بالناس قال الله تعالى (والله يشهد انهم لكاذبون) أي فيما قصدوا وفيما نووا ، وانما بنوه ضراراً لمسجد قباء وكفراً بالله وتفريقا بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وهو أبو عامر الفاسق

أبو عامر ماهذا الذي جئت به ؟ قال « جئت بالحنيفية دين ابراهيم » قال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « انك لست عليها » قال بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ماليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « مافعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية » فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا شريداً وحيداً غريبا فقال النبي ﷺ « آمين » وسماه أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لرسول الله ﷺ لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا الى الشام فارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآت بجند من الروم فاخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله تعالى (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) وهو أبو عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام، قوله (من قبل) يرجع الى أبي عامر يعني حارب الله ورسوله من قبل أي من قبل بناء مسجد الضرار ﴿ وليحلفن ان أردنا ﴾ ما أردنا ببنائه ﴿ الا الحسنى ﴾ الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن المسير الى مسجد رسول الله ﷺ ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ في قولهم وحلفهم روي انه لما انصرف رسول

الذي يقال له الراهب لعنه الله . وقوله (لا تقم فيه أبداً) نهي له ﷺ والامة تبع له في ذلك عن أن يقوم فيه أي يصلي أبداً . ثم حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى وهي طاعة الله وطاعة رسوله ، وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا وموئلا للاسلام وأهله ، ولهذا قال تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) والسياق انما هو في معرض مسجد قباء ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « صلاة في مسجد قباء كعمرة » وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يزور مسجد قباء راكبا وماشيا ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لما بناه وأسسه أول قدومه ونزوله على بني عمرو بن عوف كان جبريل هو الذي عين له جهة القبلة فالله أعلم

وقال أبو داود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن يونس بن الحارث عن ابراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « نزلت هذه الآية في أهل قباء ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا » قال « كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية » رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يونس بن الحارث وهو ضعيف ، وقال الترمذي غريب من هذا الوجه وقال الطبراني حدثنا الحسن بن علي المعمري حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) بعث رسول الله ﷺ الى عويم بن ساعدة فقال « ماهذا الطهور الذي أثنى الله عليكم ؟ » فقال يارسول الله ماخرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الا غسل فرجه أو قال مقعدته فقال النبي ﷺ « هو هذا » وقال الامام احمد حدثنا حسن بن محمد حدثنا ابو أويس حدثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة الانصاري أنه حدثه أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال « ان الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به ؟ » فقالوا والله يارسول الله مانعلم شيئا الا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه ، وقال هشيم عن عبد الحميد المدني عن ابراهيم بن المعلى الانصاري ان

الله ﷺ من تبوك ونزل بذي أوان موضع قريب من المدينة أتوه فسألوه اتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله ﷺ مالك ابن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي قاتل حمزة وقال لهم « انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه » فخرجوا سريعا حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى أخرج اليكم بنار من أهلي فدخل أهله فاخذ سعفا من النخل وأشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر النبي ﷺ ان يتخذ ذلك كناسة تلقي فيه الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام وحيدا فريدا غريبا وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا

رسول الله ﷺ قال لعويم بن ساعدة « ماهذا الذي أثنى الله عليكم فيه رجال يحبون أن يتطهروا؟ » الآية قالوا يارسول الله انا نغسل الادبار بالماء ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمارة الاسدي حدثنا محمد بن سعد عن ابراهيم بن محمد عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) قال كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد بن حنبل حدثنا يحيي بن آدم حدثنا مالك يعني ابن مغول سمعت سيارا أبا الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : لقدقدم رسول الله ﷺ يعني قباء فقال « ان الله عز وجل قد أثنى عليكم في الطهور خيراً أفلا تخبروني؟ » يعني قوله (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فقالوا يارسول الله انا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء

وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ورواه عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير ، وقاله عطية العوفي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم والشعبي والحسن البصري ونقله البغوي عن سعيد بن جبير وقتادة ، وقد ورد في الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله ﷺ الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس على التقوى ، وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا لانه اذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم ، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الاولى والاحرى ، ولهذا قال الامام احمد بن حنبل في مسنده حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي ابن كعب أن النبي ﷺ قال « المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا » تفرد به أحمد

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد الساعدي قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله ﷺ ، وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا النبي ﷺ فسألاه فقال « هو مسجدي هذا » تفرد به احمد أيضا

عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن لمجمع بن حارثة فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار؟ فقال له مجمع ياأمير المؤمنين لاتعجل علي فوالله لقد صليت فيه وأني لاأعلم ماأضمروا عليه ولو علمت ماصليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لايقرؤن القرآن فصليت ولا أحسب الا انهم يتقربون الى الله تعالى ولم أعلم مافي أنفسهم فعذره عمر وصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء، وقال عطاء لما فتح الله على عمر الامصار أمر المسلمين ان يبنوا المساجد وأمرهم ان لايبنوا في مدينتهم مسجدين يضار أحدهما صاحبه

قوله تعالى ﴿ لاتقم فيه أبدا ﴾ قال ابن عباس لاتصل فيه منع الله تعالى نبيه ﷺ ان يصلي في مسجد الضرار ﴿ لمسجد أسس على التقوى ﴾ اللام لام الابتداء، وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ليث عن عمران بن أبي أنس عن سعيد بن أبي سعيد الخدري قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال أحدهما هو مسجد قباء، وقال الآخر هو مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ «هو مسجدي هذا» تفرد به أحمد

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنا ليث حدثني عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد عن أبيه أنه قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء، وقال الآخر هو مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هو مسجدي» وكذا رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن الليث وصححه الترمذي ورواه مسلم كما سيأتي

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد: حدثنا يحيى عن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال سمعت أبا سعيد الخدري قال: اختلف رجلان رجل من بني خدرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله ﷺ وقال العمري هو مسجد قباء فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال «هو هذا المسجد» لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في ذلك يعني مسجد قباء

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن أنيس قال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حميد الخراط المدني سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أباك يقول[1] في المسجد الذي أسس على التقوى؟ فقال اني أتيت رسول الله ﷺ فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه فقلت يارسول الله: أين المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال فأخذ كفاً من حصباء فضرب به الارض ثم قال «هو مسجدكم هذا» ثم قال سمعت أباك يذكره، رواه مسلم منفرداً به عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد به، ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن حاتم بن اسماعيل

(١) في مسلم «يذكر» وبقيته كما ترى للبغوي في اسفل الورقة

أسس أي بني أصله على التقوى ﴿ من أول يوم ﴾ أي من أول يوم بني ووضع أساسه ﴿ أحق ان تقوم فيه ﴾ مصليا، واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري هو مسجد المدينة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه ما أخبرنا اسماعيل ابن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد حدثنا محمد بن عيسى الجاودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا محمد بن حاتم حدثنا يحيى بن سعيد عن حميد الخراط قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال فقلت له كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ فقال قال أبي دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يارسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال فأخذ كفا

عن حميد الخراط به ، وقد قال بأنه مسجد النبي ﷺ جماعة من السلف والخلف وهو مروي عن عمر ابن الخطاب وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير وقوله (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لاشريك له ، وعلى استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين والعباد العاملين المحافظين على اسباغ الوضوء والتنزه عن ملابسة القاذورات

وقد قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبدالملك بن عمير سمعت شبيباً أباروح يحدث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها الروم فأوهم فلما انصرف قال « انه يلبس علينا القرآن إن أقواما منكم يصلون معنا لايحسنون الوضوء فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء » ثم رواه من طريقين آخرين عن عبد الملك بن عمير عن شبيب أبي روح من ذي الكلاع أنه صلى مع النبي ﷺ فذكره فدل هذا على أن اكال الطهارة يسهل القيام في العبادة ويعين على اتمامها واكمالها والقيام بمشروعاتها ، وقال أبو العالية في قوله تعالى (والله يحب المطهرين) إن الطهور بالماء لحسن ولكنهم المطهرون من الذنوب، وقال الاعمش التوبة من الذنب والتطهر من الشرك ، وقد ورد في الحديث المروي من طرق في السنن وغيرها أن رسول الله ﷺ قال لأهل قباء « قد أثنى الله عليكم في الطهور فماذا تصنعون؟ » فقالوا نستنجى بالماء ، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال : وجدته في كتاب أبي عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في أهل قباء (فيه رجال يحبون

من الحصباء فضرب به الارض ثم قال « هو مسجدكم هذا» مسجد المدينة قال فقلت أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره . وأخبرنا أبو الحسن الشيرازي أنبأنا زاهر بن أحمد أنبأنا أبو اسحاق الهاشمي أنبأنا أبو مصعب عن مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي» وذهب قوم الى انه مسجد قباء وهو رواية عطية عن ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبدالله بن عمر يفعله وزاد نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي فيه ركعتين

قوله تعالى ﴿ فيه رجال يحبون ان يتطهروا ﴾ من الاحداث والجنابات والنجاسات وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنبأنا

أن يتطهروا والله يحب المطهرين فسألهم رسول الله ﷺ فقالوا انا نتبع الحجارة بالماء رواه البزار ، ثم قال تفرد به محمد بن عبد العزيز عن الزهري ولم يرو عنه سوى ابنه (قلت) وانما ذكرته بهذا اللفظ لأنه مشهور بين الفقهاء ولم يعرفه كثير من المحدثين المتأخرين أو كلهم والله أعلم

أفمن أسَّسَ بُنيانَه على تقوىٰ من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسَّسَ بُنيانَه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنم؟ والله لايهدي القوم الظالمين (١٠٩) لا يزال بنيانهم الذي بَنَوْا ريبةً في قلوبهم إلا أن تَقَطَّعَ قلوبهم والله عليم حكيم (١١٠)

يقول تعالى لايستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ومن بنى مسجداً ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل فانما يبني هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هار أي طرف حفيرة مثاله (في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين) أي لا يصلح عمل المفسدين ، قال جابر بن عبد الله رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان على عهد رسول الله ﷺ ، وقال ابن جريج ذكر لنا أن رجالا حفروا فوجدوا الدخان الذي يخرج منه ، وكذا قال قتادة وقال خلف بن ياسين الكوفي رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن وفيه

أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي حدثنا أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني أنا محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن يونس بن الحارث عن ابراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نزلت هذه الآية في أهل قباء (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) قال « كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية » ﴿ والله يحب المطهرين ﴾ أي المتطهرين ﴿ أفمن أسس بنيانه ﴾ قرأ نافع وابن عامر (أسس) بضم الهمزة وكسر السين (بنيانه) برفع النون فيهما جميعا على غير تسمية الفاعل ، وقرأ الآخرون (أسس) بفتح الهمزة والسين (بنيانه) بنصب النون على تسمية الفاعل ﴿ على تقوى من الله ورضوان خير ﴾ أي على طلب التقوى ورضا الله تعالى خير ﴿ أم من أسس بنيانه على شفا ﴾ أي على شفير ﴿ جرف ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر (جرف) ساكنة الراء، وقرأ الباقون بضم الراء، وهما لغتان وهي البئر التي لم تطو . قال أبو عبيدة هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فيتجرف بالماء فيبقى واهيا ﴿ هار ﴾ أي هائر وهو الساقط . يقال هار يهور فهو هائر ، ثم يقلب فيقال هار مثل شاك وشائك وعاق وعائق ، وقيل هو من هار يهار إذا انهدم ، ومعناه الساقط الذي يتداعى بعضه في اثر بعض كما ينهار الرمل والشيء الرخو ﴿ فانهار به ﴾ أي سقط بالباني ﴿ في نار جهنم ﴾ يريد بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم تهور بأهلها فيها . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد صيرهم النفاق إلى النار ﴿ والله

جحر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة ، رواه ابن جرير رحمه الله ، وقوله تعالى (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) أي شكا ونفاقا بسبب اقدامهم على هذا الصنيع الشنيع أورثهم نفاقا في قلوبهم كما أشرب عابدو العجل حبه ، وقوله (إلا أن تقطع قلوبهم) أي بموتهم ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم والسدي وحبيب بن أبي ثابت والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف (والله عليم) أي بأعمال خلقه (حكيم) في مجازاتهم عنها من خير وشر

إن الله اشترى من المؤمنين أنفُسَهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقْتلون في سبيل الله

فيَقتُلون ويُقتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله؟

فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم (١١١)

يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه واحسانه فانه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له ، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم والله فأغلى ثمنهم ، وقال شمر بن عطية مامن مسلم إلا ولله عز وجل في عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها ثم تلا هذه الآية ، ولهذا يقال لمن حمل في سبيل الله بايع الله أي قبل هذا العقد ووفى به ، وقال محمد بن كعب القرظي وغيره قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لرسول

لايهدي القوم الظالمين ﴾ قال قتادة : والله ما تناهى ان وقع في النار . وذكر لنا انه حفرت بقعة فيه فرئي الدخان يخرج منها ، وقال جابر بن عبدالله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ﴿ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة ﴾ أي شكا ونفاقا ﴿ في قلوبهم ﴾ يحسبون انهم كانوا في بنائه محسنين كما حبب العجل إلى قوم موسى قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال الكلبي حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنائه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة حزازة وغيظا في قلوبهم ﴿ إلا أن تقطع قلوبهم ﴾ أي تتصدع قلوبهم فيموتوا ، قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحفص وحمزة (تقطع) بفتح التاء أي تتقطع فحذفت إحدى التاءين تخفيفا . وقرأ الآخرون (تقطع) بضم التاء من التقطيع . وقرأ يعقوب وحده (إلى أن) بتخفيف اللام على الغاية . وقرأ الباقون (إلا أن) بتشديد اللام على الاستثناء . ويدل على قراءة يعقوب تفسير الضحاك وقتادة لا يزالون في شك منه وندامة إلى أن يموتوا فحينئذ يستيقنوا ﴿ والله عليم حكيم ﴾

قوله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ قال محمد بن كعب القرظي : لما بايعت الانصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة يارسول الله اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال «أشترط لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي

الله ﷺ يعني ليلة العقبة اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال « أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم » قالوا فما لنا اذا فعلنا ذلك ؟ قال « الجنة » قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل ، فنزلت (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) الآية وقوله (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) أي سواء قتلوا أو قتلوا ، أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة ، ولهذا جاء في الصحيحين « وتكفل الله لمن خرج في سبيله لايخرجه إلا جهاد في سبيلي وتصديق برسولي ان توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة » وقوله (وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن) تأكيد لهذا الوعد واخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة وأنزله على رسله في كتبه الكبار وهي التوراة المنزلة على موسى ، والانجيل المنزل على عيسى ، والقرآن المنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقوله (ومن أوفى بعهده من الله) فانه لايخلف الميعاد ، هذا كقوله (ومن أصدق من الله حديثاً * ومن أصدق من الله قيلا) ولهذا قال (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) أي فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم

التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١١٢)

أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم » قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال « الجنة » قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل فنزلت (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) ﴿ بأن لهم الجنة ﴾ وقرأ الاعمش (بالجنة) ﴿ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ قرأ حمزة والكسائي (فيقتلون) بضم الياء وفتح التاء (ويقتلون) بفتح الياء وضم التاء على تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل . يعني يقتل بعضهم ويقتل الباقون . وقرأ الباقون (فيقتلون) بفتح الياء وضم التاء (ويقتلون) بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على فعل المفعول . والوجه انهم يقتلون الكفار أولا ثم يستشهدون وهذا الوجه أظهر والقراءة به أكثر ﴿ وعداً عليه حقا ﴾ أي ثواب الجنة لهم وعد حق ﴿ في التوراة والانجيل والقرآن ﴾ يعني ان الله عز وجل وعدهم هذا الوعد وبينه في هذه الكتب . وفيه دليل على ان أهل الملل كلهم أمروا بالجهاد على ثواب الجنة ثم هنأهم فقال ﴿ ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ﴾ فافرحوا ﴿ ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ قال عمر رضي الله عنه : ان الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك ، وقال قتادة ثامنهم الله عز وجل فأغلى لهم . وقال الحسن اسعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن . وعنه انه قال ان الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها . ثم وصفهم فقال ﴿ التائبون ﴾ قال

هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة (التائبون) من الذنوب كلها التاركون للفواحش (العابدون) أي القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها وهي بالاقوال والافعال . فمن أخص الاقوال الحمد فلهذا قال (الحامدون) ومن أفضل الاعمال الصيام وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة ههنا ولهذا قال (السائحون) كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى (سائحات) أي صائمات وكذا الركوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة ولهذا قال (الراكعون الساجدون) وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علماً وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ولهذا قال (وبشر المؤمنين) لأن الايمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به،

(بيان أن المراد بالسياحة الصيام) قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال (السائحون) الصائمون وكذا روي عن سعيد بن جبير والعوفي عن ابن عباس ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كل ماذكر الله في القرآن السياحة هم الصائمون وكذا قال الضحاك رحمه الله، وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن اسحاق حدثنا أبو احمد حدثنا ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة رضي الله عنها قالت : سياحة هذه الامة الصيام ، وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعبد الرحمن السلمي والضحاك بن مزاحم وسفيان بن عيينة وغيرهم أن المراد بالسائحين الصائمون ، وقال الحسن البصري (السائحون) الصائمون شهر رمضان ، وقال أبو عمرو العبدي (السائحون) الذين يديمون الصيام من المؤمنين ، وقد ورد في حديث مرفوع نحو هذا ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السائحون هم الصائمون » وهذا الموقوف أصح ، وقال أيضاً

الفراء :استؤنفت بالرفع لتمام الآية وانقطاع الكلام ،وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضا أي من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد لان بعض المسلمين يجزىء عن بعض في الجهاد فمن كانت هذه صفته فله الجنة أيضا وهذا حسن فكأنه وعد الجنة لجميع المؤمنين كما قال (وكلا وعد الله الحسنى) فمن جعله تابعا للاول فلهم الوعد بالجنة أيضا وان كان الوعد بالجنة للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات

قوله (التائبون) أي الذين تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق ﴿ العابدون ﴾ المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله عز وجل ﴿ الحامدون ﴾ الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء ، وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء » ﴿ السائحون ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما هم الصائمون ،

حدثني يونس عن ابن وهب عن عمر بن الحارث عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال «هم الصائمون» وهذا مرسل جيد وهذا أصح الاقوال وأشهرها وجاء ما يدل على أن السياحة الجهاد وهو ما روى أبو داود في سننه من حديث أبي امامة أن رجلا قال يارسول الله ائذن لي في السياحة . فقال النبي ﷺ « سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة أخبرني عمارة بن غزية أن السياحة ذكرت عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف » وعن عكرمة أنه قال : هم طلبة العلم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المهاجرون . رواهما ابن أبي حاتم وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الارض والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري فان هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدرى ان رسول الله ﷺ قال « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » وقال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (والحافظون لحدود الله) قال القائمون بطاعة الله ، وكذا قال الحسن البصري وعنه رواية (الحافظون لحدود الله) قال لفرائض الله ، وفي رواية القائمون على أمر الله

ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربىٰ من بعد ما تبيَّن لهم أنهم أصحٰب الجحيم (١١٣) وما كان استغفار إبرٰهيم لأبيه إلا عن موْعِدة وعدها إيّاه فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه إن إبرٰهيم لأوّٰهٌ حليم (١١٤)

قال الامام احمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال « أي عمّ ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا

وقال سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح، وقال عطاء السائحون الغزاة المجاهدون في سبيل الله ، وروي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه قال يارسول الله ائذن لي في السياحة فقال « ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله » وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم ﴿ الراكعون الساجدون ﴾ يعني المصلين ﴿ الآمرون بالمعروف ﴾ بالايمان ﴿ والناهون عن المنكر ﴾ عن الشرك وقيل المعروف السنة والمنكر البدعة ﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ القائمون بأوامر الله . وقال الحسن أهل الوفاء ببيعة الله ﴿ وبشر المؤمنين * ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ اختلفوا في سبب نزول هذه الآية قال قوم سبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد

طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال أنا على ملة عبد المطلب . فقال النبي ﷺ « لأستغفرن لك مالم انه عنك » فنزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) قال ونزلت فيه (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) أخرجاه .

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم أخبرنا سفيان عن أبي اسحاق عن أبي الخليل عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت أيستغفر الرجل لابويه وهما مشركان ؟ فقال أولم يستغفر ابراهيم لابيه . فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية . قال لما مات فلا أدري قاله سفيان أو قاله اسرائيل أو هو في الحديث لما مات (قلت) هذا ثابت عن مجاهد أنه قال : لما مات . وقال الامام أحمد : حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا زهير حدثنا زبيد بن الحارث البابي عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه قال كنا مع النبي ﷺ ونحن في سفر فنزل بنا ونحن قريب من الف راكب فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام اليه عمر بن الخطاب وفداه بالاب والام وقال : يارسول الله مالك ؟ قال « إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لامي فلم يأذن لي فدمعت عيناي رحمة لها من النار وإني كنت نهيتكم عن ثلاث نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيراً ونهيتكم عن لحوم الاضاحي بعد ثلاث فكلوا وامسكوا ما شئتم ونهيتكم عن الاشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكراً » وروى ابن جرير من حديث علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه ان النبي ﷺ لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يارسول الله انا رأينا ما صنعت . قال « إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي » فما رئي باكيا أكثر من يومئذ . وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا خالد بن خراش حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن جريج عن أيوب بن هانيء عن مسروق عن عبدالله ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ يوما إلى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه

المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أباجهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال « أي عم قل لااله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال أبوجهل وعبدالله بن ابي أمية بن المغيرة أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : انا على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لاإله إلا الله فقال رسول الله ﷺ « والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك » فأنزل الله تعالى (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴿ ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم

طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال « ما ابكاكم ؟ » فقلنا بكينا لبكائك . قال « إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي » ثم أورده من وجه آخر ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريباً منه ، وفيه « واني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل علي (ما كان للنبي والذين آمنوا) الآية . فأخذني ما يأخذ الولد للوالد ، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة »

﴿ حديث آخر ﴾ في معناه قال الطبراني : حدثنا محمد بن علي المروزي حدثنا أبو الدرداء عبدالعزيز بن منيب حدثنا اسحاق بن عبدالله بن كيسان عن ابيه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه « أن استندوا الى العقبة حتى أرجع اليكم » فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلا ثم انه بكى فاشتد بكاؤه وبكى هؤلاء لبكائه وقالوا مابكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد أحدث الله في أمته شيئاً لا تطيقه فلما بكى هؤلاء قام فرجع اليهم فقال « ما يبكيكم ؟ » قالوا يانبي الله بكينا لبكائك فقلنا لعله أحدث في أمتك شيء لا تطيقه . قال « لا ، وقد كان بعضه ولكن نزلت على قبر أمي فسألت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فأبى الله أن يأذن لي فرحمتها وهي أمي فبكيت ثم جاءني جبريل فقال (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ ابراهيم من أبيه فرحمتها وهي أمي ودعوت ربي أن يرفع عن امتي اربعا فرفع عنهم اثنتين وابى ان يرفع عنهم اثنتين دعوت ربي ان يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الارض وان لا يلبسهم شيعا وان لا يذيق بعضهم بأس بعض فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الارض وأبى الله أن يرفع عنهم القتل والهرج » وإنما عدل إلى قبر أمه لأنها كانت مدفونة تحت كداء وكانت عسفان لهم ، وهذا حديث غريب وسياق عجيب وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فآمنت ثم عادت ، وكذلك ما رواه السهيلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون : ان الله أحيا له أباه وأمه فآمنا به . وقد قال

انهم أصحاب الجحيم ﴾ وأنزل في أبي طالب (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) أخبرنا اسماعيل بن عبدالقاهر أنبأنا عبدالغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن حاتم بن ميمون ثنا يحيى بن سعيد ثنا يزيد بن كيسان حدثني أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال . لولا أن تعيرني قريش فيقولوا انما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، فأنزل الله عز وجل (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدالله بن يوسف حدثني

الحافظ ابن دحية هذا الحديث موضوع يرده القرآن والاجماع قال الله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) وقال أبو عبد الله القرطبي ان مقتضى هذا الحديث ورد على ابن دحية في هذا الاستدلال بما حاصله ان هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيبتها فصلى علي العصر قال الطحاوي وهو حديث ثابت يعني حديث الشمس [1] قال القرطبي فليس احياؤهما يمتنع عقلا ولا شرعا قال وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب فآمن به (قلت) وهذا كله متوقف على صحة الحديث فاذا صح فلا مانع منه والله أعلم. وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية. ان النبي ﷺ أراد أن يستغفر لامه فنهاه الله عز وجل عن ذلك فقال «ان ابراهيم خليل الله ﷺ قد استغفر لابيه » فأنزل الله (وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه) الآية ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فأمسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه) الآية وقال قتادة في الاية ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ قالوا يانبي الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم ؟ قال فقال النبي ﷺ « بلى والله إني لأستغفر لأبي كما استغفر ابراهيم لابيه» فأنزل الله (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) حتى بلغ قوله (الجحيم) ثم عذر تعالى ابراهيم عليه السلام فقال (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه) الآية قال وذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال « قد أوحى الله الي كلمات فدخلن فى أذني ووقرن في قلبي أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف » وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال فكان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ويدعو له بالصلاح ما دام حيا فاذا مات وكله الى شأنه ثم قال (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه — الى قوله — تبرأ منه) لم يدع . ويشهد له بالصحة ما رواه أبو داود وغيره عن علي رضي الله عنه : لما مات أبو طالب قلت يارسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات

الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب فقال « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه » وقال أبو هريرة وبريدة : لما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى قبر امه آمنة فوقف عليه حتى حميت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية . أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنبأنا محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله

---

(١) كلا انه غير ثابت وان شايعه عياض على ثبوته لولوعه بالخوارق وهو من رواية الجوزقاني عن أسماء بنت عميس وقد قال انه حديث مضطرب منكر وقال ابن الجوزي موضوع في اسناده فضيل بن مرزوق قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من طريق احمد بن محمد بن عقده وهو رافضي رمي بالكذب وابن مردويه مرفوعا وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه فهل يثبت بهذه الروايات أمر لو صح لعرف به العالم كله وروي متواترا عن جميع الامم ؟

قال « اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني » فذكر تمام الحديث . وروي أنه ﷺ لما مرت به جنازة عمه أبي طالب قال « وصلتك رحم ياعم » وقال عطاء بن ابي رباح : ما كنت لادع الصلاة على احد من اهل القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا لأني لم اسمع الله حجب الصلاة الا عن المشركين يقول الله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين) الآية

وروى ابن جرير عن ابن وكيع عن أبيه عن عصمة بن زامل عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لابي هريرة ولأمه قلت ولأبيه قال لا ، قال إن أبي مات مشركا ، وقوله (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قال ابن عباس مازال ابراهيم يستغفر لابيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، وفي رواية لما مات تبين له أنه عدو لله ، وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم رحمهم الله ، وقال عبيد بن عمير وسعيد بن جبير إنه يتبرأ منه يوم القيامة حين يلقى أباه وعلى وجه أبيه القترة والغبرة فيقول ياابراهيم اني كنت أعصيك واني اليوم لاأعصيك، فيقول أي رب ألم تعدني أن لاتخزني يوم يبعثون؟ فأي خزي أخزى من أبي الا بعد؟ فيقال انظر إلى ماورا لك فاذا هو بذيخ متلطخ . أي قد مسخ ضبعا ثم يسحب بقوائمه ويلقى في النار، وقوله (إن ابراهيم لأواه حليم) قال سفيان الثوري وغير واحد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود أنه قال الأواه الدعاء ، وكذا روي من غير وجه عن ابن مسعود ، وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا الحجاج بن منهال حدثني عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبدالله بن شداد بن الهاد قال بينما النبي ﷺ جالس قال رجل يارسول الله ماالاواه ؟ قال « المتضرع » قال (إن ابراهيم لاواه حليم) ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام به ولفظه قال الاواه المتضرع الدعاء ، وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي الغدير أنه سأل ابن مسعود عن الاواه فقال هو الرحيم ، وبه قال مجاهد وأبي ميسرة عمر بن شرحبيل والحسن البصري وقتادة وغيرهما أنه الرحيم أي بعباد الله ، وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة، وكذا قال العوفي عن ابن عباس أنه الموقن، وكذا قال مجاهد والضحاك، وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عباس الاواه المؤمن زاد علي بن أبي طلحة عنه هو المؤمن التواب ، وقال العوفي عنه هو المؤمن بلسان الحبشة ، وكذا قال ابن جريج هو المؤمن بلسان الحبشة

فقال « استأذنت ربي عز وجل في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت » قال قتادة : قال النبي ﷺ « لأستغفرن لأبي كما استغفر ابراهيم لأبيه » فأنزل الله تعالى هذه الآية (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لما أنزل الله عز وجل خبراً عن ابراهيم عليه السلام قال لأبيه (سلام عليك سأستغفر لك ربي) سمعت رجلا يستغفر

وقال الامام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له ذوالنجادين «إنه أواه» وذلك أنه رجل كان اذا ذكر الله في القرآن رفع صوته بالدعاء ورواه ابن جرير، وقال سعيد بن جبير والشعبي الاواه المسبح وقال ابن وهب عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لايحافظ على سبحة الضحى إلا الأواه، وقال شفي بن ماتع عن أبي أيوب الاواه الذي اذا ذكر خطاياه استغفر منها، وعن مجاهد الاواه الحفيظ الرجل يذنب الذنب سراً ثم يتوب منه سراً ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم رحمه الله

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن حجاج عن الحكم عن الحسن بن مسلم بن بيان أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال «إنه أواه» وقال أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا ابن هاني، حدثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ دفن ميتاً فقال «رحمك الله إن كنت لاواهاً» يعني تلاء للقرآن، وقال شعبة عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة وكان أصله رومياً وكان قاصاً يحدث عن أبي ذر قال: كان رجل يطوف بالبيت الحرام ويقول في دعائه أوه أوه فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال «إنه أواه» قال فخرجت ذات ليلة فاذا رسول الله ﷺ يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح. هذا حديث غريب رواه ابن جرير.

لوالديه وهما مشركان فقلت له: تستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال أولم يستغفر ابراهيم لأبيه؟ فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم - إلى قوله - إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك)

قوله تعالى ﴿وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ قال بعضهم الهاء في إياه عائدة إلى ابراهيم عليه السلام والوعد كان من أبيه. وذلك ان أباه كان وعده أن يسلم فقال له ابراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت. وقال بعضهم الهاء راجعة إلى الاب وذلك ان ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه وهو قوله (سأستغفر لك ربي) يدل عليه قراءة الحسن «وعدها أباه» بالباء الموحدة. والدليل على ان الوعد من ابراهيم وكان الاستغفار في حال شرك الاب قوله تعالى (قد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم — إلى أن قال — الا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك) فصرح ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار وانما استغفر له وهو مشرك لمكان الوعد رجاء أن يسلم ﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ لموته على الكفر ﴿تبرأ منه﴾ وقيل فلما تبين له في الآخرة انه عدو لله (تبرأ منه) اي يتبرأ منه وذلك ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسماعيل بن عبد الله حدثني أخي عبد الحميد عن ابن ابي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «يلقى ابراهيم اباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول

وروي عن كعب الاحبار أنه قال : سمعت (ان ابراهيم لأواه) قال كان اذا ذكر النار قال أوه من النار وقال ابن جريج عن ابن عباس إن ابراهيم لاواه قال فقيه . قال الامام أبو جعفر ابن جرير وأولى الاقوال قول من قال أنه الدعاء، وهو المناسب للسياق وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن ابراهيم انما استغفر لابيه عن موعدة وعدها إياه وقد كان ابراهيم كثير الدعاء حليما عمن ظلمه وناله مكروها ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله (أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) فحلم عنه مع أذاه له ودعا له واستغفر، ولهذا قال تعالى (إن ابراهيم لاواه حليم)

وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون إن الله بكل شيء عليم (١١٥) إن الله له ملك السموات والأرض يحي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (١١٦)

له ابراهيم ألم اقل لك لاتعصني ؟ فيقول له ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم عليه السلام يارب انك وعدتني أن لاتخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال لابراهيم انظر ماتحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » وفي رواية « فيتبرأ منه يومئذ »

قوله تعالى ﴿إن ابراهيم لأواه حليم﴾ اختلفوا في معنى الأواه جاء في الحديث « ان الأواه الخاشع المتضرع » وقال عبد الله بن مسعود الأواه الدعاء، وعن ابن عباس قال هو المؤمن التواب ، وقال الحسن وقتادة الأواه الرحيم بعباد الله ، وقال مجاهد الأواه الموقن ، وقال عكرمة هو المستيقن بلغة الحبشة ، وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التأوه وكان ابراهيم عليه السلام يكثر أن يقول آه من النار قبل أن لاينفع آه ، وقيل هو الذي يتأوه من الذنوب، وقال عقبة بن عامر : الأواه الكثير الذكر لله تعالى، وعن سعيد بن جبير قال الاواه المسبح وروي عنه الاواه المعلم للخير ، وقال النخعي هو الفقيه وقال عطاء هو الراجع عن كل ما يكره الله وقال أيضا هو الخائف من النار ، وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ، يريد أن يكون تضرعه على يقين بالاجابة ولزوم الطاعة ، قال الزجاج قد انتظم قول أبي عبيدة أكثر ماقيل في الأواه ، وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء والفعل منه أوه وتأوه ، والحليم الصفوح عمن سبه أو ناله بالمكروه كما قال لابيه عند وعيده (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الحليم السيد

قوله تعالى ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم﴾ معناه ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل إنه لا يضل قوما إلا بعد ابلاغ الرسالة اليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى (فأما ثمود فهديناهم) الآية ، وقال مجاهد في قوله تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم) الآية قال بيان الله عز وجل للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه لهم معصيته وطاعته عامة فافعلوا أو ذروا ؛ وقال ابن جرير يقول الله تعالى وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهي عنه فتتركوا فأما قبل أن يبين لكم كراهة ذلك بالنهي عنه ثم تتعدوا نهيه إلى مانهاكم عنه فانه لا يحكم عليكم بالضلال فان الطاعة والمعصية انما يكونان من المأمور والمنهي ، وأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعاً أو عاصياً فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه ، وقوله تعالى (إن الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قال ابن جرير هذا تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر وأنهم[1] يثقوا بنصر الله مالك السموات والارض ولا يرهبوا من أعدائه فانه لا ولي لهم من دون الله ولا نصير لهم سواه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء ، فقال رسول الله ﷺ « إني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها من موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » وقال كعب الاحبار ما من موضع خرمة ابرة من الارض إلا وملك موكل بها يرفع علم ذلك إلى الله ، وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب ، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مخه مسيرة مائة عام[2]

(١) كذا في النسخ ومقتضى الاعراب : وان يثقوا

(٢) كانوا يروون مثل هذا عن كعب ويسكتون له عليه لاحتمال أنه من التوراة وما هو من التوراة ولا من غيرها من كتب الانبياء

الاوامر وباستغفاركم للمشركين ﴿حتى يبين لهم ما يتقون﴾ يريد حتى يتقدم اليكم بالنهي فاذا بين ولم تأخذوا به فعند ذلك تستحقون الضلال، قال مجاهد بيان الله المؤمنين في ترك الاستغفار المشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا وذروا ، وقال الضحاك ما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون ، وقال مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك أن قوما قدموا على النبي ﷺ فأسلموا ولم تكن الخمر حراما ولا القبلة مصروفة الى الكعبة فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك إلى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت فقالوا يارسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فأنزل الله تعالى ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم﴾ يعني ما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ثم عظم نفسه فقال ﴿إن الله له ملك السموات والارض﴾ يحكم بما يشاء ﴿يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾

لقد تاب الله على النبيّ والمهـٰجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العُسرة من بعد ما كادَ يَزيغ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم (١١٧)

قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وذلك أنهم خرجوا اليها في شدة من الامر في سنة مجدبة وحر شديد وعسر من الزاد والماء ، قال قتادة خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر على مايعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم، وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة بن أبي عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله ابن عباس أنه قيـل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع وحتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقي على كبده فقال أبو بكر الصديق يارسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا ، فقال « تحب ذلك؟ » قال نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت

قوله عز وجل ﴿ لقد تاب الله على النبي ﴾ الآية : تاب الله - أي تجاوز وصفح ومعنى توبته على النبي ﷺ باذنه للمنافقين بالتخلف عنه وقيل افتتح الكلام به لانه كان سبب توبتهم فذكره معهم كقوله تعالى (فان لله خمسه وللرسول) ونحوه ﴿ والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ أي في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة . والعسرة الشدة وكانت عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء . قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون مامعهم الا التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة فمضوا مع رسول الله ﷺ على صدقهم ويقينهم، وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع النبي ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع وحتى ان كان الرجل ليذهب فيلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده . فقال أبو بكر الصديق يارسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله قال « تحب ذلك؟ » قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما

السماء فأهطلت ثم سكنت فملؤا مامعهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ، وقال ابن جرير في قوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي من النفقة والظهر والزاد والماء (من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم) أي عن الحق ويشك في دين الرسول ﷺ ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم وغزوهم (ثم تاب عليهم) يقول ثم رزقهم الانابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه (إنه بهم رؤف رحيم)

وعلى الثلثة الذين خُلِّفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وضاقت عليهم أنفُسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التوّاب الرحيم (١١٨) يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصّدقين (١١٩)

قال الامام أحمد حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن أخي الزهري محمد بن عبدالله عن عمه محمد ابن مسلم الزهري أخبرني عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك أن عبيدالله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال كعب بن مالك لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزاة غزاها قط إلا في غزاة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، وانما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر ، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ماجمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في

حتى سالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤا مامعهم من القرب ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر ﴿من بعد ما كاد يزيغ﴾ قرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لقوله كاد ولم يقل كادت وقرأ الآخرون بالتاء والزيغ الميل أي من بعد ما كادت تميل ﴿قلوب فريق منهم﴾ أي قلوب بعضهم ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل إلى التخلف والانصراف للشدة التي عليهم . قال الكلبي هم ناس بالتخلف ثم لحقوه ﴿ثم تاب عليهم﴾ فان قيل كيف أعاد ذكر التوبة ، وقد قال في أول الآية (لقد تاب الله على النبي) قيل ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب وهو محض الفضل من الله عز وجل فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة والمراد منه قبولها ﴿إنه بهم رؤف رحيم﴾ قال ابن عباس من تاب الله عليه لم يعذبه أبدا

قوله عز وجل ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي خلفوا من غزوة تبوك وقيل خلفوا أي أرجيء أمرهم عن توبة أبي لبابة وأصحابه وهؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك الشاعر ومرارة بن الربيع وهلال

تلك الغزاة وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة
فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز وعدواً كثيراً فجلى
للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير
لا يجمعهم كتاب حافظ -يريد الديوان- قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن أن ذلك سيخفى
له ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزاة حين طابت الثمار
والظلال وأنا اليها أصعر فتجهز اليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم
فأرجع ولم اقض من جهازي شيئا فأقول لنفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى
بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا
وقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه فغدوت بعد ما فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض من جهازي شيئا،
ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت أن
أرتحل فألحقهم وليت اني فعلت ، ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت إذا خرجت في الناس بعد رسول الله
ﷺ يحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصاً عليه في النفاق أو رجلا ممن عذره الله عز وجل ولم
يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك «ما فعل كعب بن مالك؟»
فقال رجل من بني سلمة حبسه يارسول الله برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل : بئسما قلت،
والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا . فسكت رسول الله ﷺ . قال كعب بن مالك فلما بلغني
أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج
من سخطه غداً وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل
قادما زاح عني الباطل وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه فأصبح رسول الله ﷺ
وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون

ابن أمية كلهم من الانصار أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد
ابن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن
ابن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي
قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن غزوة تبوك ، قال كعب لم أتخلف عن رسول الله
ﷺ في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب أحد
تخلف عنها انما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير
ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد
بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة
تبوك اني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما اجتمعت عندي

فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي « تعال » فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي « ما خلفك ألم تكن قد اشتريت ظهرا؟ » فقلت يارسول الله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ، ولئن حدثتك بصدق تجد علي فيه اني لأرجو أقرب عقبي من الله[1] عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله ﷺ « أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك » فقمت وقام إلي رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك . قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي معي هذا أحد ؟ قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت فمن هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً لي فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي قال ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالاسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم وأقول في نفسي أحرك شفتيه برد السلام

[1] وفي البخارى عفو الله

قبل ذلك راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز وعدوا كثيراً فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد أن يتغيب الا ظن أن ذلك سيخفى له مالم ينزل فيه وحي من الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فانا اليها أصعر فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فارجع ولم أقض شيئا وأقول في نفسي أنا قادر عليه اذا أردت فلم يزل يتمادى بي الامر حتى اشتد بالناس الجد فاصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لاتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان أرتحل فادركهم وليتني

علي أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظر إلي فاذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت له ياأبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله قال فسكت قال فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم . قال ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذ أنا بنبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فاذا فيه : أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك وان الله لم يجعلك في دار هوان ولا مضيعة فألحق بنا نواسك. قال فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاء فتيممت به التنور فسجرته به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين اذا برسول رسول الله ﷺ يأتيني يقول يأمرك رسول الله ﷺ أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ فقال . بل اعتزلها ولا تقربها ، قال وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك قال فقلت لامرأتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر ما يشاء قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله إن هلالا شيخ ضعيف ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال « لا ولكن لا يقربك » قالت وانه والله ما به من حركة الى شيء وانه والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، قال فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما أدري ما يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته وأنا رجل شاب قال فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين

فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني اني لا أرى لي أسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك « مافعل كعب بن مالك ؟ » فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفيه ، فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله ﷺ فبينا هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله ﷺ « كن أباخيثمة » فاذا هو أبو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون . قال كعب بن مالك فلما بلغني أنه توجه قافلا من تبوك حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله ﷺ قد اظل قادما زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه واصبح رسول الله ﷺ قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه

ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سلع[1] يقول باعلى صوته: أبشر يا كعب ابن مالك قال فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرساً وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته والله ماأملك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بتوبة الله يقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد والناس حوله فقام إلي طلحة بن عبد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله قال « لا بل من عند الله » قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر وقلت يارسول الله انما نجاني الله بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا ، واني لارجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي

[1] اى اشرف عليه

ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال « تعال » فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي « ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ » فقلت بلى يارسول الله اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه ثقلا إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ماكان لي من عذر والله ما كنت أقوى قط ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله ﷺ « أما هذا فقد صدق ، قم حتى يقضي الله فيك » فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت في أن

(قال) وأنزل الله تعالى (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) الى آخر الآيات . قال كعب فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ أن لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله تعالى قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله تعالى (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون* يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) قال وكنا أيها الثلاثة الذين خلفنا عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه فلذلك قال الله عز وجل (وعلى الثلاثة الذين) خلفوا وليس تخليفه إيانا وارجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخليفنا عن الغزو وإنما هو عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه .

هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحبا الصحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها ، وكذا

لا تكون اعتذرت الى رسول الله ﷺ بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع وأكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا نعم رجلان قالا مثل ماقلت فقيل لهما مثل ماقيل لك فقلت من هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة حسنة ، فمضيت حين ذكروهما لي قال ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي بالارض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الاسواق ولا يكلمني أحد ،وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك علي من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله مارد علي السلام فقلت له يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي وتوليت حتي تسورت الجدار قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم

روي عن غير واحد من السلف في تفسيرها كما رواه الاعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) قال هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار، وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغير واحد وكلهم قال مرارة بن ربيعة، وكذا في مسلم ربيعة في بعض نسخه وفي بعضها مرارة بن الربيع، وفي رواية عن الضحاك مرارة بن الربيع كما وقع في الصحيحين وهو الصواب، وقوله فسموا رجلين شهدا بدراً قيل إنه خطأ من الزهري فانه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرا والله أعلم، ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت أي مع سعتها فسددت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لامر الله واستكانوا لامر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم وأنه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم فكانت عاقبة صدقهم خيراً لهم وتوبة عليهم، ولهذا قال (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا، وقد قال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه

بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فقرأته فاذا فيه: أما بعد فانه قد بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأته وهذا أيضا من البلاء فتيممت به التنور فسجرته حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله ﷺ يأتيني فقال ان رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك وكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر. قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال «لا ولكن لايقربك» قالت انه والله مابه حركة الى شيء والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا. قال كعب فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول لي رسول الله ﷺ اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله فينا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر، فخررت لله ساجداً وعرفت انه قد جاء فرج وآذن رسول

قال : قال رسول الله ﷺ «عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وإن الفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» أخرجاه في الصحيحين ، وقال شعبة عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرأوا ان شئتم (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) هكذا قرأها ثم قال فهل تجدون لا حد فيه رخصة وعن عبدالله

الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفي على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله ماأملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئونني بالتوبة ويقولون لي ليهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام الي طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ماقام الي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة . قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور « ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال « لا بل من عندالله » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « امسك عليك بعض مالك فهو خير لك » قلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر . قال فقلت يارسول الله انما نجاني الله بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا مابقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني والله ماتعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت . وأنزل الله على رسوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ـ الى قوله ـ وكونوا مع الصادقين)

وروى اسحاق بن راشد عن الزهري بهذا الاسناد عن كعب قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبيّ فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء أهم الي من أن أموت ولا يصلي علي رسول الله (ص) أو يموت رسول الله (ص) فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلى علي ، وأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني معينة في أمري فقال رسول الله ﷺ « ياأم سلمة تيب على كعب » قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال « اذاً يحطمكم الناس فيمنعونكم

ابن عمر في قوله (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال مع محمد ﷺ وأصحابه ، وقال الضحاك مع أبي بكر وعمر وأصحابهما ، وقال الحسن البصري ان أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة

ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين (١٢٠)

النوم سائر الليلة » حتى اذا صلى رسول الله (ص) صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا

قوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ اتسعت ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ غما وهما ﴿ وظنوا ﴾ أي تيقنوا ﴿ أن لا ملجأ من الله ﴾ لا مفزع من الله ﴿ إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ أي ليستقيموا على التوبة فان توبتهم قد سبقت ﴿ ان الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ قال نافع مع محمد وأصحابه ، وقال سعيد ابن جبير مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال ابن جريج مع المهاجرين لقوله تعالى (للفقراء المهاجرين - الى قوله - أولئك هم الصادقون) وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ الى تبوك باخلاص نية وقيل مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الكاذبة وكان ابن مسعود يقرأ (وكونوا من الصادقين) وقال ابن مسعود ان الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجز له اقرؤا ان شئتم هذه الآية

قوله تعالى ﴿ ما كان لاهل المدينة ﴾ ظاهره خبر ومعناه نهي كقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) ﴿ ومن حولهم من الاعراب ﴾ سكان البوادي مزينة وجهينة واشجع وأسلم وغفار ﴿ أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ اذا غزا ﴿ ولا يرغبوا ﴾ اي ولا ان يرغبوا ﴿ بانفسهم عن نفسه ﴾ في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه، وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم عن ان يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ﴾ في سفرهم ﴿ ظمأ ﴾ عطش ﴿ ولا نصب ﴾ تعب ﴿ ولا مخمصة ﴾ مجاعة ﴿ في سبيل الله ولا يطؤن موطئا ﴾ أرضا ﴿ يغيظ الكفار ﴾ وطؤهم اياه ﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ أي لا يصيبون من عدوهم قتلا أو اسراً او غنيمة او هزيمة ﴿ الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انبأنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا علي

يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقة فانهم نقصوا أنفسهم من الاجر لانهم (لا يصيبهم ظمأ) وهو العطش (ولا نصب) وهو التعب (ولا مخمصة) وهي المجاعة (ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار) أي ينزلون منزلا يرهب عدوهم (ولا ينالون) منه ظفراً وغلبة عليه (الا كتب لهم) بهذه الاعمال التي ليست داخلة تحت قدرهم وانما هي ناشئة عن أفعالهم أعمالا صالحة وثوابا جزيلا (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) كقوله (انا لا نضيع أجر من أحسن عملا)

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (١٢١)

يقول تعالى (ولا ينفق) هؤلاء الغزاة في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) أي قليلا ولا كثيرا (ولا يقطعون واديا) أي في السير إلى الاعداء (الا كتب لهم) ولم يقل ههنا به لان هذه أفعال صادرة عنهم ولهذا قال (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) وقد حصل لامير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والاموال الجزيلة كما قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا أبو موسى الغنوي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني سليمان بن المغيرة حدثني الوليد بن أبي هاشم عن فرقد بن أبي طلحة عن عبد الرحمن ابن حباب السلمي قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن

ابن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا يزيد بن ابي مريم حدثنا عباية بن رفاعة قال : ادركني ابو عبس وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار واختلفوا في حكم هذه الآية قال قتادة : هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فأما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من المسلمين ان يتخلف عنه اذا لم يكن بالمسلمين اليه ضرورة ، وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية انها لاول هذه الامة وآخرها وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن يشاء فقال (وما كان المؤمنون لينفروا كافة)

قوله تعالى ﴿ ولا ينفقون نفقة ﴾ اي في سبيل الله ﴿ صغيرة ولا كبيرة ﴾ ولو علاقة سوط ﴿ ولا يقطعون واديا ﴾ لا يجاوزون واديا في مسيرهم مقبلين او مدبرين ﴿ الا كتب لهم ﴾ يعني آثارهم وخطاهم ﴿ ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون ﴾ روي عن خزيم بن فاتك قال قال رسول الله ﷺ « من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا

عفان رضي الله عنه علي" مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، قال ثم حث فقال عثمان علي مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها، قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان بن عفان علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال فرأيت رسول الله ﷺ قال بيده هكذا يحركها، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب «ما على عثمان ما عمل بعد هذا» وقال عبد الله أيضا حدثنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة حدثنا عبد الله ابن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان رضي الله عنه الى النبي ﷺ بالف دينار في ثوبه حتى جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال فصبها في حجر النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول «ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددها مراراً، وقال قتادة في قوله تعالى (ولا يقطعون واديا الا كتب لهم) الآية ما ازداد قوم في سبيل الله بعدا من أهليهم الا ازدادوا قربا من الله

وما كان المؤمنون لينفروا كافَّة فلولا نفر من كل فِرقة منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدّين ولِيُنذِروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢)

هذا بيان من الله تعالى لما أراد من نفير الاحياء مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك فانه قد ذهبت طائفة من السلف إلى أنه كان يجب النفير على كل مسلم اذا خرج رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى (انفروا خفافا وثقالا) وقال (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب) الآية قال فنسخ ذلك بهذه الآية، وقد يقال إن هذا بيان لمراده تعالى من نفير الأحياء كلها وشرذمة من كل قبيلة لم يخرجوا كلهم ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم بما كان من أمر العدو فيجتمع لهم الامران في هذا النفير المعين وبعده ﷺ تكون الطائفة النافرة

عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي أنا جرير عن الاعمش عن أبي عمرو الشيباني عن أبي مسعود الانصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا الحسين حدثني يحيى ابن أبي كثير حدثني أبو سلمة حدثني بشر بن سعيد حدثني زيد بن خالد أن رسول الله ﷺ قال «من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا»

قوله عز وجل ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي لما أنزل الله عز وجل عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي ﷺ يبعث السرايا فكان المسلمون ينفرون جميعاً إلى الغزو ويتركون النبي ﷺ وحده فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا نفي بمعنى النهي.

من الحي إما للتفقه وإما للجهاد فانه فرض كفاية على الاحياء ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) يقول ماكان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا النبي ﷺ وحده (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا إلا باذنه فاذارجعت السرايا وقد أنزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبي ﷺ وقالوا إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ماأنزل الله على نبيهم بعدهم ويبعث سرايا أخرى فذلك قوله (ليتفقهوا في الدين) يقول ليتعلموا ماأنزل الله على نبيهم وليعلموا السرايا اذا رجعت اليهم (لعلهم يحذرون) وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب النبي ﷺ خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ، ومن الخصب ماينتفعون به ، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم مانراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي ﷺ فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يبغون الخير (ليتفقهوا في الدين) وليستمعوا مافي الناس وما أنزل الله فعذرهم (ولينذروا قومهم) الناس كلهم اذا رجعوا اليهم (لعلهم يحذرون) وقال قتادة في الآية هذا اذا بعث رسول الله ﷺ الجيوش أمرهم الله أن يغزوا بنبيه ﷺ وتقيم طائفة مع رسول الله تتفقه في الدين وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم ، وقال الضحاك كان رسول الله ﷺ اذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل الاعذار وكان اذا قام فاسترى السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا إلا باذنه وكان الرجل اذا استرى فنزل بعده قرآن وتلاه نبي الله ﷺ على أصحابه القاعدين معه فاذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله ﷺ إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرئونهم ويفقهونهم في الدين وهو قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) يقول اذا قام رسول الله (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يعني بذلك أنه لاينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعاً ونبي الله ﷺ قاعد ، ولكن اذا قعد

قوله تعالى ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ أي فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله ﷺ جماعة ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ يعني فرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والاحكام فاذارجعت السرايا أخبروهم بما أنزل بعدهم فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم وتبعث سرايا أخر فذلك قوله ﴿ ولينذروا قومهم ﴾ وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به ﴿ اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ أن يجهلوا فلا يعملون بخلافه ، وقال الحسن : هذا التفقه والانذار راجع إلى الفرقة النافرة ومعناه هلا نفر فرقة ليتفقهوا أي ليتبصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين (ولينذروا قومهم) من الكفار (إذا رجعوا اليهم) من الجهاد فيخبروهم بنصر الله رسوله ﷺ والمؤمنين (لعلهم يحذرون) أن يعادوا النبي ﷺ فينزل بهم ما نزل باصحابهم من الكفار ، وقال الكلبي : لها وجه آخر وهو أن أحياء من بني أسد وخزيمة أصابتهم سنة شديدة فاقبلوا بالذراري حتى

نبي الله فسرت السرايا وقعد معه معظم الناس . وقال علي بن أبي طلحة أيضاً عن ابن عباس في الآية قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) إنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله ﷺ وأجهدوهم فأنزل الله تعالى يخبر رسوله أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله ﷺ إلى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) الآية ، وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي ﷺ فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ماتأمرنا أن نفعله ؟ وأخبرنا بما نأمر به عشائرنا اذا قدمنا عليهم قال فيأمرهم نبي الله ﷺ بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا أتوا قومهم قالوا إن من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه وكان النبي ﷺ يخبرهم وينذرهم قومهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم إلى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة ، وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما * وما كان لأهل المدينة)

نزلوا المدينة فأفسدوا طرقها بالعذرات وأغلوا أسعارها فنزل قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) أي لم يكن لهم أن ينفروا كافة ولكن من كل قبيلة طائفة (ليتفقهوا في الدين) وقال مجاهد : نزلت في ناس خرجوا في البوادى ابتغاء الخير من أهلها فأصابوا منهم معروفا ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية أي هلا (نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) وليستمعوا ما أنزل بعدهم (ولينذروا قومهم) يعني الناس كلهم (إذا رجعوا اليهم) ويدعوهم إلى الله (لعلهم يحذرون) بأس الله ونقمته وقعدت طائفة يبتغون الخير أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطيسفوني حدثنا عبد الله بن عمر الجوهري حدثنا أحمد بن علي الكشميهني حدثنا علي بن حجر حدثنا اسماعيل بن جعفر حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب ثنا عبد العزيز بن احمد الخلال حدثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » والفقه هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين مثل علم الطهارة والصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفته قال النبي ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع

قال المنافقون هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ، وقد كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم فأنزل الله عز وجل (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية ونزلت (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) وقال الحسن البصري في الآية ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم

يا أيها الذين آمنوا قتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين (١٢٣)

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا الاقرب فالاقرب إلى حوزة الاسلام ، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب ، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة إلى الاسلام لأنهم أهل كتاب فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال وذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام ، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته باحد وثمانين يوما فاختاره الله لما عنده وقام بالامر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به فوطد القواعد وثبت الدعائم ، ورد شارد الدين وهو راغم ، ورد أهل الردة إلى الاسلام ، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام ، وبين الحق لمن جهله ، وأدى عن الرسول ماحمله ، ثم شرع في تجهيز الجيوش الاسلامية إلى الروم عبدة الصلبان ، وإلى الفرس عبدة النيران ، ففتح الله ، ببركة سفارته البلاد ، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد ، وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله ، وكان تمام الامر على يدي وصيه من بعده ، وولي عهده الفاروق الاواب ،

على واحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان له مال وعلم الحج ان وجب عليه ، وأما فرض الكفاية فهو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا فاذا قعد أهل بلد عن تعامه عصوا جميعا ، وإذا قام من كل بلد واحد بتعلمه سقط الفرض عن الآخرين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث . روى أبو أمامة قال قال رسول الله ﷺ « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « فقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد » قال الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ الآية . أمروا بقتال

شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب، رضي الله عنه فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك شرقا وغربا، وحملت اليه خزائن الاموال من سائر الاقاليم بعداً وقربا، ففرقها على الوجه الشرعي، والسبيل المرضي، ثم لما مات شهيداً، وقد عاش حميداً، أجمع الصحابة من المهاجرين والانصار، على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار، فكسى الاسلام رياسة حلة سابغة، وامدت في سائر الاقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، فظهر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه، وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار، امتثالا لقوله تعالى (يأأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) وقوله تعالى (وليجدوا فيكم غلاظة) أي وليجد الكفار منكم غلاظة عليهم في قتالكم لهم فان المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن غليظاً على عدوه الكافر كقوله تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال تعالى (ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أنا الضحوك القتال» يعني أنه ضحوك في وجه وليه قتال لهامة عدوه، وقوله (واعلموا أن الله مع المتقين) أي قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم اذا اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الامر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الامة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الاعداء في سفال وخسار، ثم لما وقعت الفتن والاهواء والاختلافات بين الملوك طمع الاعداء في أطراف البلاد وتقدموا اليها فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض ثم تقدموا إلى حوزة الاسلام فأخذوا من الاطراف بلداناً كثيرة ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الاسلام ولله الأمر من قبل ومن بعد، فكلما قام ملك من ملوك الاسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الاعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله، والله المسئول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم إنه جواد كريم

وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمنا؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم

الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس رضي الله عنه مثل بني قريظة والنضير وخيبر ونحوها، وقيل أراد بهم الروم لأنهم كانوا سكان الشام وكان الشام أقرب إلى المدينة من العراق ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ شدة وحمية قال الحسن صبراً على جهادهم ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصرة

قوله تعالى ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا؟﴾ يقينا. كان المنافقون

إيمٰناً وهم يستبشرون (١٢٤) وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (١٢٥)

يقول تعالى (واذا ما أنزلت سورة) فمن المنافقين (من يقول أيكم زادته هذه ايمانا ؟) أي يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة ايمانا قال الله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الايمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء ، بل قد حكى غير واحد الاجماع على ذلك ، وقد بسط الكلام على هذه المسئلة في أول شرح البخاري رحمه الله (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم) أي زادتهم شكا الى شكهم وريبا الى ريبهم كما قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء) الآية ، وقوله (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) وهذا من جملة شقائهم ان ما يهدي القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم كما أن سيء المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلا خبالا ونقصا

أوَلا يَرَوْن أنهم يُفتنون في كل عام مرّةً أو مرّتين ثم لا يتوبون ولا هم يذّكَّرون (١٢٦) وإذا ما أُنزلت سُورة نظر بعضهم إلى بَعْض: هل يراكم من أحد ؟ ثم انصرفوا ، صرف الله قلوبَهم بأنهم قوم لا يفقهون (١٢٧)

يقول تعالى (أو لا يرى) هؤلاء المنافقون (أنهم يفتنون) أي يختبرون (في كل عام مرة أو مرتين

يقولون هذا استهزاء ، قال الله تعالى ﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا ﴾ يقينا وتصديقا ﴿وهم يستبشرون﴾ يفرحون بنزول القرآن ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض ﴾ شك ونفاق ﴿ فزادتهم رجسا الى رجسهم ﴾ أي كفراً الى كفرهم فعند نزول كل سورة ينكرونها ويزداد كفرهم بها. قال مجاهد : في هذه الآية اشارة الى أن الايمان يزيد وينقص . وكان عمر رضي الله عنه يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول : تعالوا حتى نزداد ايمانا . وقال علي بن أبي طالب ان الايمان يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتي يبيض القلب كله . وان النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله ، وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود ﴿ وماتوا وهم كافرون ﴾

قوله ﴿ أو لا يرون ﴾ قرأ حمزة ويعقوب (ترون) بالتاء على خطاب النبي والمؤمنين. وقرأ الآخرون بالياء خبراً عن المنافقين المذكورين ﴿ أنهم يفتنون ﴾ يبتلون ﴿ في كل عام مرة أو مرتين ﴾ بالامراض

ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون) أي لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم قال مجاهد يختبرون بالسنة والجوع، وقال قتادة بالغزو في السنة مرة أو مرتين، وقال شريك عن جابر هو الجعفي عن أبي الضحى عن حذيفة في قوله (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين) قال كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين فيضل بها فئام من الناس كثير رواه ابن جرير. وفي الحديث عن انس: لا يزداد الامر الا شدة ولا يزداد الناس الا شحا وما من عام الا والذى بعده شر منه. سمعته من نبيكم ﷺ وقوله (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض: هل يراكم من أحد؟ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) هذا أيضا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله ﷺ نظر بعضهم إلى بعض أي تلفتوا هل يراكم من أحد؟ ثم انصرفوا أي تولوا عن الحق وانصرفوا عنه، وهذا حالهم في الدنيا لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كقوله تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين؟ كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وقوله تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين؟ عن اليمين وعن الشمال عزين) أي ما لهؤلاء القوم يتفللون عنك يمينا وشمالا هروبا من الحق وذهابا إلى الباطل وقوله (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) أي لا يفهمون عن الله خطابه ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه بل هم في شغل عنه ونفور منه فلهذا صاروا إلى ما صاروا اليه

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم (١٢٨) فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (١٢٩)

والشدائد. وقال مجاهد بالقحط والشدة. وقال قتادة بالغزو والجهاد، وقال مقاتل بن حيان يفضحون باظهار نفاقهم، وقال عكرمة ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون، وقال يمان ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نقض العهد ولا يرجعون الى الله من النفاق ﴿ولا هم يذكرون﴾ أي لا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين ﴿واذا ما أنزلت سورة﴾ فيها عيب المنافقين وتوبيخهم ﴿نظر بعضهم الى بعض﴾ يريدون الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة ﴿هل يراكم من أحد﴾ أي أحد من المؤمنين ان قمتم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وان علموا ان أحداً يراهم أقاموا وثبتوا ﴿ثم انصرفوا﴾ عن الايمان بها وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الايمان، قال أبو اسحاق الزجاج أضلهم الله مجازاة على فعلهم ذلك ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ عن الله دينه. قال ابن عباس رضي الله عنه لا تقولوا اذا صليتم انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة

قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ تعرفون نسبه وحسبه. قال السدي من العرب من

يقول تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل اليهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال ابراهيم عليه السلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) وقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وذكر الحديث ، وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية ، وقال ﷺ « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وقد وصل هذا من وجه آخر كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في كتابه الفاصل بين الراوي والواعي. حدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد حدثنا ابن أبي عمر حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال : أشهد على أبي لحدثني عن أبيه عن جده عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يمسني من سفاح الجاهلية شيء » وقوله تعالى (عزيز عليه ماعنتم) أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال « بعثت بالحنيفية السمحة » وفي الصحيح « إن هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه » (حريص عليكم) أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والاخروي اليكم ، وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان بن عيينة عن قطن عن أبي الطفيل عن أبي ذر قال : تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علما قال وقال رسول الله ﷺ « مابقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد بين لكم » وقال الامام احمد حدثنا قطن حدثنا المسعودي عن الحسن بن سعد عن عبدة الهزلي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله لم يحرم حرمة الا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ألا واني آخذ بحجزكم ان تهافتوا في النار كتهافت الفراش أو الذباب » وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد ابن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه . فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال : ان مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة ولم يكن معهم من

بني اسماعيل . قال ابن عباس ليس من العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب ، وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولاد الجاهلية من زمان آدم عليه السلام ، أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم أنا الثعلبي أنا عبد الله بن حامد حدثنا حامد بن محمد أنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن أبي نعيم حدثنا هشيم حدثني المدني - يعني أبا معشر - عن أبي الحويرث عن ابن

الزاد مايقطعون به المفازة ولا مايرجعون به فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال : أرأيتم ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء تتبعوني ؟ فقالوا نعم قال فانطلق بهم فاوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم ألفكم على تلك الحال فجعلتم لي ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعوني ؟ فقالوا بلى فقال : فان بين أيديكم رياضا هي أعشب من هذه وحياضا هي أروى من هذه فاتبعوني فقالت طائفة صدق والله لنتبعنه ، وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه ،

وقال البزار حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قالا حدثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا جاء الى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء قال عكرمة أراه قال في دم[1] فأعطاه رسول الله ﷺ شيئا ثم قال « أحسنت اليك ؟ » قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا اليه فأشار رسول الله ﷺ ان كفوا فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الاعرابي إلى البيت فقال « إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ماقلت » فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وقال « أحسنت اليك؟» فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . قال النبي ﷺ « إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت ، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء فاذا جئت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم » فقال نعم : فلما جاء الاعرابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال ، وانا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي ، كذلك يا اعرابي ؟ » قال الاعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . فقال النبي ﷺ « ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً . فقال لهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه اليها وأخذ لها من قشام الارض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وإني لو أطعتكم حيث قال ماقال لدخل النار » رواه البزار ثم قال لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه (قلت) وهو ضعيف بحال ابراهيم بن الحكم بن أبان والله أعلم

وقوله (بالمؤمنين رءوف رحيم) كقوله [واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون * وتوكل على العزيز الرحيم] وهكذا أمره تعالى في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى [فان تولوا] أي تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة [فقل حسبي الله لا اله الا هو] أي الله كافي لا اله الا هو عليه توكلت كما قال تعالى [رب المشرق والمغرب لا اله

(١) أي دية قتيل

عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ماولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ماولدني الا نكاح كنكاح الاسلام » وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن (من أنفسكم) بفتح الفاء أي من أشرفكم وأفضلكم ﴿ عزيز عليه ﴾ شديد عليه ﴿ ماعنتم ﴾ قيل (ما) صلة أي عنتكم وهو دخول المشقة والمضرة عليكم ، وقال القتيبي ما أعنتكم وضركم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ضللتم ، وقال

الا هو فاتخذه وكيلا* [وهو رب العرش العظيم] أي هو مالك كل شيء وخالقه لانه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والارضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى ، وعلمه محيط بكل شيء وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل

قال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا بشر بن عمر حدثنا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الى آخر السورة

وقال عبدالله بن الامام أحمد حدثنا روح حدثنا عبد المؤمن حدثنا عمر بن شقيق حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه انهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب فلما انتهوا الى هذه الآية من سورة براءة (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) الآية فظنوا ان هذا آخر ما نزل من القرآن فقال لهم أبي بن كعب ان رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين [لقد جاءكم رسول من أنفسكم] الى آخر السورة قال هذا آخر ما نزل من القرآن فختم بما فتح به بالله الذي لا اله الا هو وهو قول الله تعالى [وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون] وهذا غريب أيضا

وقال أحمد حدثنا علي بن بحر حدثنا علي بن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق عن يحيى ابن عباد عن أبيه عباد بن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه قال أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة [لقد جاءكم رسول من أنفسكم] الى عمر بن الخطاب فقال من معك على هذا ؟ قال لا أدري والله اني لاشهد لسمعتها من رسول الله ﷺ ووعيتها وحفظتها فقال عمر وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا سورة من القرآن فضعوها فيها فوضعوها في آخر براءة وقد تقدم الكلام ان عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن فامر زيد بن ثابت فجمعه وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك ، وفي الصحيح ان زيدا قال فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة وقد قدمنا ان جماعة من الصحابة تذكروا ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها والله أعلم

وقد روى أبو داود عن يزيد بن محمد عن عبد الرزاق بن عمر — وقال كان من ثقات المسلمين من المتعبدين — عن مدرك بن سعد قال يزيد شيخ ثقة عن يونس بن ميسرة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء

الضحاك والكلبي ما أثمتم ﴿ حريص عليكم ﴾ أي على ايمانكم وصلاحكم ، وقال قتادة حريص عليكم أي على ضالكم أن يهديه الله ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ قيل رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ﴿ فان تولوا ﴾ ان أعرضوا عن الايمان وناصبوك ﴿ فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش

قال من قال اذا أصبح واذا أمسى « حسبي الله لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » سبع مرات الا كفاه الله ماأهمه[1] وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عبدالرزاق عن عمر هذا من رواية أبي زرعة الدمشقي عنه عن أبي سعد مدرك بن أبي سعد الفزاري عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أم الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول « مامن عبد يقول حسبي الله لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات صادقا كان بها أو كاذبا الا كفاه الله ماأهمه » وهذه زيادة غريبة ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد عن أحمد بن عبدالله بن عبد الرزاق عن جده عبد الرزاق بن عمر بسنده فرفعه فذكر مثله بالزيادة وهذا منكر والله أعلم

آخر تفسير سورة براءة ولله الحمد والمنة (٢)

(١) كذا في الاصول بالاستثناء ، ولا يظهر الافي الرواية التالية المبدوءة بالنفي

(٢) وفي الازهرية ولله الحمد وحده

تفسير سورة يونس عليه السلام وهي مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الر تلك آيتُ الكتب الحكيم (١) أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدمَ صدقٍ عند ربهم ؟ قال الكفرون إن هذا لسحرٌ مبين (٢)

أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم الكلام عليها في أوائل سورة البقرة وقال أبو الضحى عن ابن عباس في قوله تعالى (الر) أي أنا الله أرى . وكذلك قال الضحاك وغيره (تلك

العظيم ﴾ روي عن أبي بن كعب قال آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان (لقدجاءكم رسول من أنفسكم) الى آخر السورة وقال هما أحدث الآيات بالله عهداً

﴿ سورة يونس عليه السلام ﴾

مكية إلا ثلاث آيات من قوله (فان كنت في شك مما أنزلنا إليك) الى آخرها

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ الر ﴾ والمر قرأ أهل الحجاز والشام وحفص بفتح الراء وقرأ الآخرون بالامالة ، قال ابن عباس والضحاك (الر) أنا الله أرى (والمر) أنا الله أعلم وأرى ، وقال سعيد بن جبير الر وحم ون

آيات الكتاب الحكيم) أي هذه آيات القرآن المحكم المبين وقال مجاهد (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) (١) وقال الحسن التوراة والزبور ، وقال قتادة (تلك آيات الكتاب) قال الكتب التي كانت قبل القرآن . وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه : وقوله (أكان للناس عجبا) الآية . يقول تعالى منكراً على من تعجب من الكفار من ارسال المرسلين من البشر كما أخبر تعالى عن القرون الماضين من قولهم (أبشر يهدوننا) وقال هود وصالح لقومهما (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) وقال تعالى مخبراً عن كفار قريش انهم قالوا (أجعل الآلهة الها واحداً إن هذا لشيء عجاب) وقال الضحاك عن ابن عباس : لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد قال فأنزل الله عز وجل (أكان للناس عجبا) الآية . وقوله (أن لهم قدم صدق عند ربهم) اختلفوا فيه فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق) يقول سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وقال العوفي عن ابن عباس (أن لهم قدم صدق عند ربهم) يقول أجراً حسنا بما قدموا وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كقوله تعالى (لينذر بأساً شديداً) الآية . وقال مجاهد (أن لهم قدم صدق عند ربهم) قال الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم قال ومحمد ﷺ يشفع لهم وكذا قال زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقال قتادة سلف

حروف اسم الرحمن ، وقد سبق الكلام في حروف التهجي ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ أي هذه وأراد بالكتاب الحكيم القرآن وقيل أراد بها الآيات التي أنزلها من قبل ذلك ولذلك قال تلك وتلك اشارة الى غائب مؤنث ، والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعل بدليل قوله (كتاب أحكمت آياته) وقيل هو بمعنى الحاكم، فعيل بمعنى فاعل دليله قوله عزوجل (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس) وقيل هو بمعنى المحكوم فعيل بمعنى المفعول . قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وبالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه

قوله تعالى ﴿ أكان للناس عجبا ﴾ العجب حالة تعتري الانسان من رؤية شيء على خلاف العادة وسبب نزول الآية ان الله عز وجل لما بعث محمداً ﷺ رسولا قال المشركون الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فقال تعالى (أكان للناس) يعني أهل مكة والألف [1] فيه للتوبيخ عجبا ﴿ أن أوحينا الى رجل منهم ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ أن أنذر الناس ﴾ أي أعلمهم مع التخويف ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ واختلفوا فيه قال ابن عباس أجراً حسنا بما قدموا من أعمالهم ، قال الضحاك ثواب صدق ، وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه . وروي علي بن أبي طلحة عن

(١) أى ألف الاستفهام

---

(١) بياض بالاصل

صدق عند ربهم واختار ابن جرير قول مجاهد أنها الاعمال الصالحة التي قدموها كما يقال له قدم في الاسلام كقول حسان :

لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع

وقول ذي الرمة :

لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر[١]

وقوله تعالى (قال الكافرون ان هذا لساحر مبين) أي مع انا بعثنا اليهم رسولا منهم رجلا من جنسهم بشيراً ونذيراً (قال الكافرون ان هذا لساحر مبين) أي ظاهر وهم الكاذبون في ذلك

ان ربكم الله الذي خلق السموٰت والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر

الامر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون (٣)

يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه ، وأنه خلق السموات والارض في ستة أيام قيل كهذه الايام وقيل كل يوم كألف سنة مما تعدون كما سيأتي بيانه ثم استوى على العرش والعرش أعظم المخلوقات وسقفها قال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا أبو أسامة حدثنا اسماعيل بن أبي خالد قال سمعت سعداً الطائي يقول : العرش ياقوتة حمراء ، وقال وهب بن منبه خلقه الله من نوره وهذه غرائب[٢] وقوله (يدبر الامر) أي يدبر أمر الخلائق (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) ولا يشغله شأن عن شأن ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال والبحار والعمران والقفار (وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها) الآية (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقال الدراوردي عن سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة أنه قال حين نزلت هذه الآية (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض) الآية لقيهم ركب عظيم لايرون إلا أنهم من العرب فقالوا لهم من أنتم ؟ قالوا من الجن

(١) قوله العادى معناه القديم المؤثل وأصله النسبة الى عاد الاولى

(٢) بل موضوعات اخترعها وهب وأمثاله وكان غنيا عن ذكرها عملا بقول استاذه شيخ الاسلام بن تيمية « رح »

ابن عباس انه قال هو السعادة في الذكر الأول، وقال زيد بن أسلم هو شفاعه الرسول ﷺ ، وقال عطاء مقام صدق لا زوال له ولا بؤس فيه وقيل منزلة رفيعة وأضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقولهم مسجد الجامع وحب الحصيد ، وقال أبو عبيدة كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وله عندي قدم صدق وقدم سوء وهو يؤنث فيقال قدم حسنة وقدم سيئة وقدم صالحة ﴿ قال الكافرون إن هذا لسحر مبين ﴾ قرأ نافع وأهل البصرة والشام لسحر بغير ألف يعنون القرآن ، وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة لساحر بالألف يعنون محمداً ﷺ

قوله عز وجل ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر

خرجنا من المدينة أخرجتنا هذه الآية رواه ابن أبي حاتم وقوله (مامن شفيع إلا من بعد إذنه) كقوله تعالى [من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه] وكقوله تعالى [وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى] وقوله [ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له] وقوله (ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) أي أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له [أفلا تذكرون] أي أيها المشركون في أمركم تعبدون مع الله الها غيره وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق كقوله تعالى [ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن الله] وقوله [قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون الله قل أفلا تتقون] وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها

(إليه مرْجعكم جميعاً وعْدَ الله حقا ، إنه يَبدأُ الخلق ثم يُعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصّلحٰت بالقسط ، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذابٌ أليم بما كانوا يكفرون (٤)

يخبر تعالى أن اليه مرجع الخلائق يوم القيامة لا يترك منهم أحداً حتى يعيده كما بدأه ، ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه] (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل والجزاء الأوفى (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم يعذبون يوم القيامة بأنواع العذاب من سموم وحميم وظل من يحموم (هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج * هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن)

(هوَ الّذي جَعل الشمسَ ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازلَ لتعلموا عَدد السنين

الأمر ﴾ يقضيه وحده ﴿ ما من شفيع إلا من بعد اذنه ﴾ معناه ان الشفعاء لا يشفعون إلا باذنه وهذا رد على النضر بن الحارث فانه كان يقول اذا كان يوم القيامه تشفعني اللات والعزى. قوله تعالى ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ يعني الذي فعل هذه الاشياء ربكم لا رب لكم سواه ﴿ فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ تتعظون قوله تعالى ﴿ اليه مرجعكم جميعا ، وعد الله حقا ﴾ صدقا لا خلف فيه نصب على المصدر أي وعدكم الله وعداً حقا ﴿ انه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ أي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم قراءة العامة انه بكسر الألف على الاستئناف ، وقرأ أبو جعفر أنه بالفتح على معنى بأنه أو لانه ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم ﴾ ماء حار انتهى حره ﴿ وعذاب أليم بما كانوا يكفرون * هو الذي جعل الشمس ضياء ﴾ بالنهار ﴿ والقمر نوراً ﴾ بالليل ، وقيل جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور ﴿ وقدره منازل ﴾ أي قدر له يعني هيأ له منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها ولم يقل قدرهما ، قيل تقدير المنازل ينصرف اليهما غير أنه اكتفى بذكر أحدهما كما قال

والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيٰت لقوم يعلمون (٥) إن في اختلٰف اليل والنهار وما خلق الله في السموٰت والأرض لآيٰت لقوم يتقون (٦)

يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه وانه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءً وجعل شعاع القمر نوراً ، هذا فن (١) وهذا فن آخر ، ففاوت بينهما لئلا يشتبها ، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ، وقدر القمر منازل فأول مايبدو صغيراً ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل ابداره ، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته الاولى في تمام شهر كقوله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقوله تعالى (والشمس والقمر حسبانا) الآية وقوله في هذه الآية الكريمة (وقدره) أي القمر (منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فبالشمس تعرف الايام وبسير القمر تعرف الشهور والاعوام (ماخلق الله ذلك الا بالحق) أي لم يخلقه عبثا بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة كقوله تعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) وقوله (نفصل الآيات) أي نبين الحجج والأدلة (لقوم يعلمون) وقوله (ان في اختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا وإذا ذهب هذا جاء هذا لا يتأخر عنه شيئا كقوله تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) وقال (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر) الآية . وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا) الآية وقوله (وما خلق الله في السموات والارض) أي من الآيات الدالة على عظمته تعالى كما قال

«١» في النسخة المكية هذا نوع

(والله ورسوله أحق أن يرضوه) وقيل هو ينصرف الى القمر خاصة لان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس (١) ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا وأسماؤها الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنسر والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانيان والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الاخبية ، وفرغ الدلو المقدم ، وفرغ الدلو المؤخر ، وبطن الحوت . وهذه المنازل مقسومة على البروج وهي اثنا عشر برجا : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ، فلكل برج منزلان وثلث منزل فينزل القمر كل ليلة منزلا منها ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين ، وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزل ثلاثة عشر يوما وثلث يوم فيكون انقضاء السنة مع انقضائها . قوله تعالى ﴿ لتعلموا عدد السنين ﴾ أي قدر المنازل لتعلموا عدد السنين دخولها وانقضاءها

«١» بل يعرف بهما ولكن حساب القمر اسهل على العوام والاميين

(وكأين من آية في السموات والارض) الآية وقوله (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقال (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) وقال (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب) أي العقول . وقال ههنا (لآيات لقوم يتقون) أي عقاب الله وسخطه وعذابه

(إنَّ الذين لا يَرْجُونَ لقاءنا ورَضوا بالحيوٰة الدنيا واطمأنُّوا بها والذين هم عن آيٰتنا غافلون (٧) أولٰئك مأوٰهم النار بما كانوا يكسِبون (٨)

يقول تعالى مخبراً عن حال الاشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقائه شيئا ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت اليها نفوسهم . قال الحسن : والله مازينوها ولارفعوها حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها والشرعية فلا يأتمرون بها بأن مأواهم يوم معادهم النار جزاء على ماكانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والاجرام مع ماهم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر

(إن الذين آمنُوا وعملوا الصٰلحٰت يهديهم ربهُمْ بإيمانهم تجري من تحتهمُ الأنهٰر في جنٰتِ النعيم (٩) دعوٰهم فيها سبحٰنك اللّٰهمَّ وتحيتُهم فيها سلٰم ، وآخر دعوٰهم أن الحمد لله رب العٰلمين (١٠)

﴿ والحساب ﴾ يعني حساب الشهور والايام والساعات ﴿ ماخلق الله ذلك ﴾ رده إلى الخلق والتقدير ولو رده إلى الاعيان المذكورة لقال تلك ﴿ الا بالحق ﴾ أي لم يخلقه باطلا ، بل خلقه اظهارا لصنعه ودلالة على قدرته ﴿ يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب يفصل بالياء لقوله (ماخلق) وقرأ الباقون نفصل بالنون على التعظيم

قوله تعالى ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ﴾ يؤمنون ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ أي لايخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا والرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ فاختاروها وعملوا لها ﴿ واطمأنوا بها ﴾ سكنوا اليها ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ أي عن أدلتنا غافلون لايعتبرون . وقال ابن عباس رضي الله عنهما (عن آياتنا) عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (غافلون) معرضون ﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ من الكفر والتكذيب

قوله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ﴾ فيه اضمار أي يرشدهم

هذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وامتثلوا ما أمروا به فعملوا الصالحات بأنه سيهديهم بإيمانهم، يحتمل أن تكون الباء ههنا سببية فتقديره بسبب ايمانهم في الدنيا يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة، ويحتمل أن تكون للاستعانة كما قال مجاهد في قوله (يهديهم ربهم بإيمانهم) قال يكون لهم نوراً يمشون به . وقال ابن جريج في الآية يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة اذا قام من قبره يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت؟ فيقول أنا عملك فيجعل له نوراً من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله تعالى (يهديهم ربهم بإيمانهم) والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلزم صاحبه ويلادّه حتى يقذفه في النار، وروي نحوه عن قتادة مرسلا فالله أعلم . وقوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) أي هذا حال أهل الجنة، قال ابن جريج أخبرت أن قوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم) قال اذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما يشتهونه فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله (وتحيتهم فيها سلام) قال فاذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وقال مقاتل بن حبان : اذا أراد أهل الجنة أن يدعوا بالطعام قال أحدهم (سبحانك اللهم) قال فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحفة من ذهب فيها طعام ليس في الاخرى فيأكل منهن كلهن، وقال سفيان الثوري إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال (سبحانك اللهم) وهذه الاية فيها شبه من قوله (تحيتهم يوم يلقونه سلام) الاية . وقوله (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما) وقوله (سلام قولا من رب رحيم) وقوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) الاية

وقوله (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) هذا فيه دلالة على أنه تعالى هو المحمود أبدا، المعبود على طول المدا، ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره وفي ابتداء كتابه وعند ابتداء

ربهم بإيمانهم إلى جنة ﴿ تجري من تحتهم الأنهار ﴾ قال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نوراً يمشون به وقيل يهديهم معناه يثيبهم ويجزيهم، وقيل معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه، أي بتصديقهم هداهم (تجري من تحتهم الانهار) أي بين أيديهم كقوله عز وجل (قد جعل ربك تحتك سريا) لم يرد به أنه تحتها وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها، وقيل (تجري من تحتهم) أي بأمرهم ﴿ في جنات النعيم دعواهم ﴾ أي قولهم وكلامهم، وقيل دعاؤهم ﴿ فيها سبحانك اللهم ﴾ وهي كلمة تنزيه تنزه الله من كل سوء، وروينا أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس . قال أهل التفسير : هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صفحة وفي كل صفحة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا، فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فذلك قوله تعالى (وآخر دعواهم أن الحمد لله

تنزيله حيث يقول تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) الى غير ذلك من الاحوال التي يطول بسطها ، وانه المحمود في الاولى والآخرة في الحياة الدنيا وفي الاخرة في جميع الاحوال ولهذا جاء في الحديث « ان أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تزايد نعم الله عليهم فتكرر و تعاد و تزداد فليس لها انقضاء ولا أمد فلا إله الا هو ولا رب سواه

(ولو يُعَجِّل الله للناس الشرَّ استعجالهم بالخير لقُضِيَ إليهم أجلهم فنذر الذين لا يَرْجُون لقاءنا في طُغْيانهم يَعْمَهُون (١١)

يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده انه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم وانه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك فلهذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفا ورحمة كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لاموالهم أو لاولادهم بالخير والبركة والنماء ولهذا قال (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم) الآية أي لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك لأهلكهم ، ولكن لا ينبغي الاكثار من ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا حاتم ابن اسماعيل حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو جزرة عن عبادة بن الوليد حدثنا جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تدعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم » ورواه أبو داود من حديث حاتم بن اسماعيل به . قال البزار وتفرد به عبادة

رب العالمين) قوله تعالى ﴿ وتحيتهم فيها سلام ﴾ أي يحيي بعضهم بعضا بالسلام ، وقيل تحية الملائكة لهم بالسلام ، وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ يريد يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد

قوله عز وجل ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير ﴾ قال ابن عباس هذا في قول الرجل عند الغضب لأهله وولده لعنكم الله ولا بارك الله فيكم . قال قتادة : هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره أن يستجاب ، معناه : لو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير أي كما يحبون استعجالهم بالخير ﴿ لقضى اليهم أجلهم ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب لقضى بفتح القاف والضاد (أجلهم) نصب أي لاهلك من دعي عليه وأماته ، وقرأ الآخرون لقضي بضم القاف وكسر الضاد (أجلهم) رفع ، أي لفرغ من هلاكهم ولماتوا جميعا ، وقيل انها نزلت في النضر ابن الحارث حين قال : اللهم إن كان هذا هو الحق عندك فأمطر علينا حجارة من السماء . يدل عليه قوله عز وجل ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ لا يخافون البعث والحساب ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران حدثنا أبو علي

ابن الوليد بن عبادة بن الصامت الانصاري لم يشاركه أحد فيه وهذا كقوله تعالى (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير) الآية ، وقال مجاهد في تفسير هذه الاية (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير) الآية هو قول الانسان لولده أو ماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه. فلو يعجل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب لهم في الخير لأهلكهم

(وإذا مسّ الانسٰنَ الضرُّ دعانا لجنْبِهِ أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضُرَّه مرَّ كأن لم يدْعنا الى ضُرٍ مسَّه ، كذلك زُيِّن للمسرفين ماكانوا يعملون (١٢)

يخبر تعالى عن الانسان وضجره وقلقه اذا مسه الضر (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) أي كثير وهما في معنى واحد وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها وأكثر الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها ورفعها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه وفي جميع أحواله فاذا فرج الله شدته ، وكشف كربته ، أعرض ونأى بجانبه وذهب كأنه ماكان به من ذلك شيء (مرّ كأن لم يدعنا الى ضر مسه) ثم ذم تعالى مَن هذه صفته وطريقته فقال (كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون) فأما من رزقه الله الهداية والسداد ، والتوفيق والرشاد ، فانه مستثنى من ذلك كقوله تعالى (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) وكقول رسول الله ﷺ « عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيراً له : إن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له وإن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمنين »

(ولقد أهلكنا القُرون من قبلكم لما ظلَمُوا وجاءتهم رُسُلهم بالبيِّنٰت وما كانوا ليؤمنوا

اسماعيل بن محمد الصفار أنبأنا أحمد بن منصور الزيادي حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول . قال رسول الله ﷺ « اللهم اني اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فانما أنا بشر فيصدر مني مايصدر من البشر ، فأي المؤمنين آذيته أو شتمته ، أو جلدته ، أو لعنته فاجعلها صلاة وزكاة له وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة»

قوله تعالى ﴿ واذا مس الانسان الضر ﴾ الجهد والشدة ﴿ دعانا لجنبه ﴾ أي على جنبه مضطجعا ﴿ أو قاعداً أو قائما ﴾ يريد في جميع حالاته لان الانسان لايعدو احدى هذه الحالات ﴿ فلما كشفنا ﴾ دفعنا ﴿ عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ أي استمر على طريقته الاولى قبل أن يصيبه الضر ونسي ماكان فيه من الجهد والبلاء كأنه لم يدعنا الى ضر مسه ، أي لم يطلب منا كشف ضر مسه ﴿ كذلك زين للمسرفين ﴾ المجاوزين الحد في الكفر والمعصية ﴿ ماكانوا يعملون ﴾ من العصيان . قال ابن جريج (كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون) من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء ، وقيل معناه كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم

قوله تعالى ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ﴾ أشركوا ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات وما

كذلك نجزي القوم المجرمين (١٣) ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون (١٤)

أخبر تعالى عما أحل بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات، والحجج الواضحات، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم وأرسل اليهم رسولا لينظر طاعتهم له، واتباعهم رسوله، وفي صحيح مسلم من حديث أبي نصرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «ان الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء» وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة بهذا ثنا حماد عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان عوف بن مالك قال لابي بكر رأيت فيما يرى النائم كأن سببا دلي من السماء فانتشط رسول الله ﷺ ثم أعيد فانتشط أبو بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل عمر بثلاثة أذرع حول المنبر فقال عمر: دعنا من رؤياك لا أرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال: ياعوف رؤياك؟ قال وهل لك في رؤياي من حاجة أولم تنتهرني؟ قال ويحك اني كرهت أن تنعى الخليفة رسول الله ﷺ نفسه فقص عليه الرؤيا حتى اذا بلغ ذرع الناس الى المنبر بهذه الثلاث الاذرع قال: أما احداهن فانه كان خليفة، وأما الثانية فانه لايخاف في الله لومة لائم، وأما الثالثة فانه شهيد، قال فقال يقول الله تعالى (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) فقد استخلفت يا ابن أم عمر فانظر كيف تعمل؟ وأما قوله (فاني لا أخاف في الله لومة لائم) فبما شاء الله وأما قوله (شهيد) فأنى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به

وإذا تُتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يَرْجُون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدّلَهُ من تلقاء نَفْسي إن أتبع إلا ما يُوحَى إلي اني أخاف إن عصيت ربي عذابَ يوم عظيم (١٥) قل لو شاء الله ما تلَوْته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثتُ فيكم عُمُراً من قبله أفلا تعقلون؟ (١٦)

كانوا ليؤمنوا كذلك﴾ أي كما أهلكناهم بكفرهم ﴿نجزي﴾ نعاقب ونهلك ﴿القوم المجرمين﴾ الكافرين بتكذيبهم محمداً ﷺ يخوف كفار مكة بعذاب الامم الخالية المكذبة ﴿ثم جعلناكم خلائف﴾ أي خلفاء ﴿في الارض من بعدهم﴾ أي من بعد القرون التي أهلكناهم ﴿لننظر كيف تعملون﴾ وهو أعلم بهم. وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ألا ان هذه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون»

قوله عز وجل ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ قال قتادة يعني مشركي مكة وقال مقاتل هم خمسة

يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحق المعرضين عنه انهم اذا قرأ عليهم الرسول ﷺ كتاب الله وحجته الواضحة قالوا له ائت بقرآن غير هذا أي رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر أو بدله الى وضع آخر . قال الله تعالى لنبيه ﷺ (قال مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) أي ليس هذا الي انما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله (ان أتبع الا مايوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) ثم قال محتجا عليهم في صحة ماجاءهم به (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به) أي هذا انما جئتكم به عن اذن الله لي فى ذلك ومشيئته وارادته ، والدليل على أني لست أتقوله من عندي ولا افتريته انكم عاجزون عن معارضته وانكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل لاتنتقدون علي شيئا تغمصوني به ولهذا قال : (فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) أي أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه فيما سأله من صفة النبي ﷺ قال هرقل لابي سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ قال أبو سفيان فقلت لا وكان أبو سفيان اذ ذاك رأس الكفرة وزعيم المشركين ومع هذا اعترف بالحق * والفضل ماشهدت به الاعداء * فقال له هرقل فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله ، وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة بعث الله فينا رسولا نعرف صدقه ونسبه وأمانته ، وقد كانت مدة مقامه عليه السلام بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة ، وعن سعيد بن المسيب ثلاثا وأربعين سنة والصحيح المشهور الاول

نفر عبدالله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكوز بن حفص وعمرو بن عبيد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر بن هشام ﴿قال الذين لايرجون لقاءنا﴾ هم السابق ذكرهم قالوا للنبي ﷺ ان كنت تريد أن نؤمن بك ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك ﴿أو بدّله﴾ فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة أو مكان حرام حلالا أو مكان حلال حراما ﴿قل﴾ لهم يامحمد ﴿مايكون لي أن ابدّله من تلقاء نفسى﴾ من قبل نفسى ﴿ان اتبع إلا ما يوحى اليَّ ﴾ أي ما اتبع الا ما يوحى إلي فيما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ماتلوته عليكم﴾ يعني لوشاء الله ما أنزل القرآن علي ﴿ ولا أدراكم به ﴾ أي ولا أعلمكم الله به قرأ البزي عن ابن كثير ولأدراكم به بالقصر به على الايجاب يريد ولاعلمكم به من غير قراءتي عليكم وقرأ ابن عباس ولا أنذرتكم به من الانذار ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا﴾ حينا وهو أربعون سنة ﴿ من قبله ﴾ من قبل نزول القرآن ولم آتكم بشيء ﴿أفلا تعقلون﴾ أنه ليس من قبلي ولبث النبي ﷺ فيهم قبل الوحي أربعين سنة ثم أوحى الله اليه فاقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فاقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وروى أنس أنه أقام بعد الوحي عشر سنين و بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ستين سنة والاول أشهر وأظهر

فمن أظلمُ ممَّن افترىٰ على الله كَذبا أو كـذَّب بآيٰته ؟ انه لا يفلح المجرمون (١٧)

يقول تعالى لا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد إجراما (ممن افترى على الله كذبا) وتقول على الله وزعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك فليس أحد أكبر جرما ولا أعظم ظلما من هذا، ومثل هذا لايخفى أمره على الاغبياء، فكيف يشتبه حال هذا بالانبياء ؟ فان من قال هذه المقالة صادقا أو كاذبا فلابد أن الله ينصب عليه من الادلة على بره أو فجوره ماهو أظهر من الشمس فان الفرق بين محمد ﷺ وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى وبين نصف الليل في حندس الظلماء فمن شيم كل منهما وأفعاله وكلامه يستدل من له بصيرة على صدق محمد ﷺ وكذب مسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي. قال عبدالله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس[1] فكنت فيمن انجفل، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب قال فكان أول ماسمعته يقول «يأيها الناس افشوا السلام، واطعموا الطعام، وصلوا الارحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» ولما وفد ضمام بن ثعلبة على رسول الله ﷺ في قومه بني سعد بن بكر قال لرسول الله فيما قال له من رفع هذه السماء ؟ قال «الله» قال ومن نصب هذه الجبال ؟ قال «الله» قال ومن سطح هذه الارض ؟ قال «الله» قال فبالذي رفع هذه السماء ونصب هذه الجبال وسطح هذه الارض آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ قال «اللهم نعم» ثم سأله عن الصلاة والزكاة والحج والصيام ويحلف عند كل واحدة هذه اليمين، ويحلف له رسول الله ﷺ فقال له صدقت، والذي بعثك بالحق لا أزيد على ذلك ولا أنقص، فاكتفى هذا الرجل بمجرد هذا، وقد أيقن بصدقه صلوات الله وسلامه عليه بما رأى وشاهد من الدلائل الدالة عليه، وقال حسان بن ثابت

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وأما مسيلمة فمن شاهده من ذوي البصائر علم أمره لامحالة بأقواله الركيكة التي ليست بفصيحة، وأفعاله غير الحسنة بل القبيحة، وقرآنه الذي يخلد به في النار يوم الحسرة والفضيحة، وكم من فرق بين قوله تعالى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم) إلى آخرها، وبين قول[2] مسيلمة قبحه الله ولعنه: ياضفدع بنت ضفدعين، نقي كم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين. وقوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى، إذ أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى. وقوله خلده الله في نار جهنم، وقد فعل: الفيل وما أدراك ما الفيل، له خرطوم طويل، وقوله أبعده الله عن رحمته: والعاجنات عجنا، والخابزات خبزاً، فاللاقمات لقما، اهالة وسمنا، إن قريشا قوم يعتدون. إلى غير ذلك من الخرافات والهذيانات التي يأنف الصبيان أن يتلفظوا بها إلا على وجه السخرية والاستهزاء، ولهذا أرغم الله أنفه،

[1] يعني قومه اليهود وأما العرب وهم الانصار فكانوا في أشد الغبطة والسرور

[2] في المكية وبين علاك

قوله تعالى ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ فزعم أن له شريكا أو ولدا ﴿أو كذب بآياته﴾

وشرب يوم الحديقة حتفه ؟ وتمزق شمله ، ولعنه صحبه وأهله ، وقدموا على الصديق تائبين، وجاءوا في دين الله راغبين ، فسألهم الصديق خليفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنه أن يقرءوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة لعنه الله فسألوه أن يعفيهم من ذلك فأبى عليهم الا أن يقرءوا شيئا منه ليسمعه من لم يسمعه من الناس فيعرفوا فضل ماهم عليه من الهدى والعلم فقرءوا عليه من هذا الذي ذكرناه وأشباهه فلما فرغوا قال لهم الصديق رضي الله عنه ويحكم أين كان يذهب بعقولكم ؟ والله إن هذا لم يخرج من إل" (١) ، وذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة وكان صديقا له في الجاهلية وكان عمرو لم يسلم بعد فقال له مسيلمة ويحك يا عمرو ماذا أنزل على صاحبكم يعني رسول الله ﷺ في هذه المدة . فقال لقد سمعت أصحابه يقرءون سورة عظيمة قصيرة فقال : وماهي فقال (والعصر إن الانسان لفي خسر) إلى آخر السورة ففكر مسيلمة ساعة ثم قال وأنا قد أنزل علي مثله فقال وما هو فقال ياوبر ياوبر ، انما أنت أذنان وصدر ، وسائرك حفر نقر . كيف ترى ياعمرو ؟ فقال له عمرو والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب . فاذا كان هذا من مشرك في حال شركه لم يشتبه عليه حال محمد ﷺ وصدقه ، وحال مسيلمة لعنه الله وكذبه ، فكيف بأولي البصائر والنهى ، وأصحاب العقول السليمة المستقيمة والحجى ولهذا قال الله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح اليه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) وقال في هذه الآية الكريمة (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لايفلح المجرمون) وكذلك من كذب بالحق الذي جاءت به الرسل ، وقامت عليه الحجج ،لا أحد أظلم منه كما جاء في الحديث « أعتى الناس على الله رجل قتل نبيا أو قتله نبي »

١) الال بكسر الهمزة وتشديد اللام الاله المعبود - أي ليس منزلا من اله

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ اللَّهِ، قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ؟ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)

ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند

بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿ إنه لايفلح المجرمون ﴾ لاينجو المشركون ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ﴾ ان عصوه وتركوا عبادته ﴿ولا ينفعهم﴾ ان عبدوه يعني الاصنام ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل اتنبئون الله﴾ أتخبرون الله ﴿بما لا يعلم ﴾ الله صحته ومعنى الآية أتخبرون الله أن له شريكا وعنده شفيعا بغير اذنه ولا يعلم الله لنفسه شريكا ﴿ في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ قرأ حمزة والكسائي تشركون بالتاء ههنا وفي سورة النحل موضعين وفي سورة الروم وقرأ الآخرون كلها بالياء .

الله فأخبر تعالى أنها لاتضر ولاتنفع، ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبداً ولهذا قال تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض)وقال ابن جرير معناه أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الارض ثم نزه نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد ان لم يكن وان الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الاسلام قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الاصنام والانداد والاوثان فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وقوله (ولولا كلمة سبقت من ربك) الآية أي لولا ماتقدم من الله تعالى أنه لايعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه ، وانه قد أجل الخلق الى أجل معدود لقضي بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين واعتب الكافرين

(ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ، فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين (٢٠)

أي ويقول هؤلاء الكفرة المكذبون المعاندون لولا أنزل على محمد آية من ربه يعنون كما أعطى الله ثمود الناقة أو أن يحول لهم الصفا ذهبا أو يزيح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهاراً أو نحو ذلك مما الله عليه قادر ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله كما قال تعالى (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصوراً * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وكقوله (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) الآية . يقول تعالى ان سنتي في خلقي أني اذا آتيتهم ماسألوا ، فان آمنوا والا عاجلتهم بالعقوبة ، ولهذا لما خير رسول الله ﷺ بين اعطائهم ماسألوا ، فان آمنوا والا عذبوا ، وبين إنظارهم اختار انظارهم كما حلم عنهم غير مرة رسول الله ﷺ ، ولهذا قال تعالى ارشاداً لنبيه ﷺ إلى الجواب عما سألوا

قوله تعالى ﴿وما كان الناس الا أمة واحدة﴾ أي على الاسلام وقد ذكرنا الاختلاف فيه في سورة البقرة ﴿فاختلفوا﴾ وتفرقوا إلى مؤمن وكافر ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بأن جعل لكل أمة أجلا وقال الكلبي هي امهال هذه الأمه وأنه لايهلكهم بالعذاب في الدنيا ﴿ لقضي بينهم ﴾ بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين وكان ذلك فصلا بينهم ﴿فيما فيه يختلفون﴾ وقال الحسن (ولولا كلمة سبقت من ربك) مضت في حكمه أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة لقضى بينهم في الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار ولكنه سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة ﴿ويقولون﴾ يعني أهل مكة ﴿لولا أنزل عليه﴾ أي على محمد ﷺ ﴿ آية من ربه﴾ على ما نقترحه ﴿فقل انما الغيب لله﴾ يعني قل إنما سألتموني الغيب وانما الغيب لله لا يعلم أحد لم لم يفعل ذلك ولا

(فقل انما الغيب لله) أي الامر كله لله وهو يعلم العواقب في الامور (فانتظروا اني معكم من المنتظرين) أي إن كنتم لاتؤمنون حتى تشاهدوا ماسألتم فانتظروا حكم الله في وفيكم. هذا مع أنهم قد شاهدوا من آياته صلى الله عليه وسلم أعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم إلى القمر ليلة ابداره فانشق باثنتين فرقة من وراء الجبل وفرقة من دونه. وهذا أعظم من سائر الآيات الارضية مما سألوا وما لم يسألوا ، ولو علم الله منهم أنهم سألوا ذلك استرشاداً وتثبيتاً لأجابهم ، ولكن علم أنهم انما يسألون عناداً وتعنتاً فتركهم فيما رابهم وعلم أنهم لايؤمن منهم أحد كقوله تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية) الاية ، وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) الآية ، ولما فيهم من المكابرة كقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) الآية ، وقوله تعالى (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً)الآية ، وقال تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين)فمثل هؤلاء أقل من أن يجابوا إلى ماسألوا لانه لافائدة في جوابهم لانه دائر على تعنتهم وعنادهم لكثرة فجورهم وفسادهم ولهذا قال (فانتظروا إني معكم من المنتظرين)

(وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ماتمكرون (٢١) هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٢٢) فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الأرض بغير الحق، ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون (٢٣)

يخبر تعالى أنه اذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم كالرخاء بعد الشدة ، والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القحط ونحو ذلك (اذا لهم مكر في آياتنا) قال مجاهد استهزاء وتكذيب كقوله (واذا

يعلمه الا هو وقيل الغيب نزول الاية لا يعلم متى تنزل أحد غيره ﴿ فانتظروا ﴾ نزولها ﴿ اني معكم من المنتظرين ﴾ وقيل فانتظروا قضاء الله بيننا بالحق باظهار المحق على المبطل

قوله عز وجل ﴿ واذا أذقنا الناس ﴾ يعني الكفار ﴿ رحمة من بعد ضراء ﴾ أي راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء وقيل القطر بعد القحط ﴿ مستهم ﴾ أي أصابتهم ﴿ اذا لهم مكر في آياتنا ﴾ قال مجاهد

مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائما) الآية . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح على أثر سماء كانت من الليل أي مطر ثم قال « هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب » وقوله (قل الله أسرع مكراً) أي أشد استدراجا وامهالا حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب وانما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرة منه والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويحصونه عليه ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة فيجازيه على الجليل والحقير والنقير والقطمير

ثم أخبر تعالى أنه (هو الذي يسيركم في البر والبحر) أي يحفظكم ويكلأكم بحراسته (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها) أي بسرعة سيرهم رافقين ، فبينما هم كذلك اذ (جاءتها) أي تلك السفن (ريح عاصف) أي شديد (وجاءهم الموج من كل مكان) أي اغتلم البحر عليهم (وظنوا أنهم أحيط بهم) أي هلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) أي لا يدعون معه صنما ولا وثنا بل يفردونه بالدعاء والابتهال كقوله تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً) وقال ههنا (دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه) أي هذه الحال (لنكونن من الشاكرين) أي لا نشرك بك أحداً ولنفردنك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء ههنا ، قال تعالى (فلما أنجاهم) أي من تلك الورطة (اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) أي كأن

تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا من رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وهو قوله (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) ﴿قل الله أسرع مكرا﴾ أعجل عقوبة وأشد أخذا وأقدر على الجزاء يريد عذابه في اهلاككم أسرع اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق ﴿ان رسلنا﴾ حفظتنا ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ وقرأ روح عن يعقوب يمكرون بالياء

قوله تعالى ﴿هو الذي يسيركم﴾ يجريكم ويحملكم وقرأ أبو جعفر وابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر وهو البسط والبث ﴿في البر﴾ على ظهور الدواب ﴿و﴾ في ﴿البحر﴾ على الفلك ﴿حتى اذا كنتم في الفلك﴾ أي في السفن تكون واحدا وجمعا ﴿وجرين بهم﴾ يعني جرت السفن بالناس رجع من الخطاب الى الغيبة ﴿بريح طيبة﴾ لينة ﴿وفرحوا بها﴾ أي بالريح ﴿جاءتها ريح﴾ أي جاءت الفلك ريح ﴿عاصف﴾ شديدة الهبوب ولم يقل ريح عاصفة لاختصاص الريح بالعصوف وقيل الريح يذكر ويؤنث ﴿وجاءهم﴾ يعني ركبان السفينة ﴿الموج﴾ وهو حركة الماء واختلاطه ﴿من كل مكان وظنوا﴾ أيقنوا ﴿أنهم أحيط بهم﴾ دنوا من الهلكة أي أحاط بهم الهلاك ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي أخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا أحداً سوى الله وقالوا ﴿لئن أنجيتنا﴾ يا ربنا ﴿من هذه﴾ الريح العاصف ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك بالايمان والطاعة ﴿فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض﴾ يظلمون ويتجاوزون

لم يكن من ذلك شيء [كأن لم يدعنا إلى ضر مسه] ثم قال تعالى (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) اي انما يذوق وبال البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحداً غيركم كما جاء في الحديث « مامن ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع مايدخر الله لصاحبه في الاخرة من البغي وقطيعة الرحم » وقوله (متاع الحياة الدنيا) أي انما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة (ثم الينا مرجعكم) أي مصيركم ومآلكم (فننبئكم) أي فنخبركم بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه

(إنما مثل الحيوٰة الدنيا كماء أنزلنه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعٰم حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قدرون عليها أتىٰها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلنٰها حصيداً كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيٰت لقوم يتفكرون (٢٤) والله يدعو إلى دار السلٰم ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم (٢٥)

ضرب تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الارض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الانعام من أب وقضب وغير ذلك (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) أي زينتها الفانية (وازينت) أي حسنت بما خرج في رباها من زهور نضرة مختلفة الاشكال والالوان وظن أهلها الذين زرعوها وغرسوها (أنهم قادرون عليها) أي على جذاذها وحصادها فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيبست أوراقها وأتلفت ثمارها ، ولهذا قال تعالى (أتاها أمرنا

الى غير أمر الله عز وجل في الارض ﴿بغير الحق﴾ أي بالقتال ﴿يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم﴾ لان وباله راجع عليها ثم ابتدأ فقال ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي هذا متاع الحياة الدنيا خبر ابتداء مضمر كقوله ﴿لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ﴾ أي هذا بلاغ وقيل هو كلام متصل والبغي ابتداء ومتاع خبره ومعناه انما بغيكم متاع الحياة الدنيا لايصلح زاداً لمعاد لانكم تستوجبون به غضب الله وقرأ حفص متاع بالنصب أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا ﴿ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾

قوله عز وجل ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا ﴾ في فنائها وزوالها ﴿ كماء أنزلناه من السماء فاختلط به ﴾ أي بالمطر ﴿نبات الارض﴾ قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون ﴿ مما يأكل الناس ﴾ من الحبوب والثمار ﴿ والانعام ﴾ من الحشيش ﴿حتى إذا أخذت الارض زخرفها﴾ حسنها وبهجتها وظهر الزهر أخضر واحمر وأصفر وأبيض ﴿ وازينت ﴾ أي تزينت وكذلك هي في قراءة ابن مسعود تزينت ﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ على جذاذها وقطافها وحصادها رد الكناية الى الارض والمراد النبات

ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً) أي يابساً بعد الخضرة والنضارة (كأن لم تغن بالامس) أي كأنها ماكانت حيناً قبل ذلك . وقال قتادة : كأن لم تغن كأن لم تنعم ، وهكذا الامور بعد زوالها كأنها لم تكن . ولهذا جاء في الحديث « يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول لا ، ويؤتى بأشد الناس عذابا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة ثم يقال له هل رأيت بؤساً قط ؟ فيقول لا » وقال تعالى اخباراً عن المهلكين (فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها) ثم قال تعالى (كذلك نفصل الآيات) أي نبين الحجج والادلة (لقوم يتفكرون) فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن أهلها سريعاً مع اغترارهم بها وتمكنهم وتفتهم بمواعيدها وتفلتها عنهم ، فان من طبعها الهرب ممن طلبها ، والطلب لمن هرب منها ، وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الارض في غير ما آية من كتابه العزيز فقال في سورة الكهف (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً) وكذا في سورة الزمر والحديد فضرب الله بذلك مثل الحياة الدنيا

وقال ابن جرير : حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعت مروان يعني ابن الحكم يقرأ على المنبر (وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكهم إلا بذنوب أهلها) قال قد قرأتها وليست في المصحف ، فقال عباس بن عبد الله بن عباس هكذا يقرأها ابن عباس فأرسلوا إلى ابن عباس فقال هكذا أقرأني أبي بن كعب وهذه قراءة غريبة وكأنها زيدت للتفسير [1]

وقوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام) الآية . لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها رغب في الجنة ودعا اليها وسماها دار السلام أي من الافات ، والنقائص والنكبات فقال (والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) قال أيوب عن أبي قلابة عن النبي ﷺ قال « قيل لي لتنم عينك وليعقل قلبك ولتسمع أذنك فنامت عيني وعقل قلبي وسمعت أذني ثم قيل لي [2]

١) هذا هو التحقيق فليست هي قراءة

٢) بياض بالنسخة الاميرية

إذ كان مفهوما وقيل ردها إلى الغلة وقيل الى الزينة ﴿أتاها أمرنا﴾ قضاؤنا باهلاكها ﴿ ليلا أو نهارا فجعلناها حصيداً﴾ أي محصودة مقطوعة ﴿ كان لم تغن بالامس ﴾ كان لم تكن بالامس وأصله من غني بالمكان إذا أقام به ، وقال قتادة معناه أن المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾

قوله تعالى ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ قال قتادة السلام هو الله وداره الجنة وقيل السلام بمعنى السلامة سميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات وقيل المراد بالسلام التحية سميت الجنة دار السلام لأن أهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم عليهم قال الله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) وروينا عن جابر قال جاءت ملائكة إلى النبي

سيد بنى داراً ثم صنع مأدبة وأرسل داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد ، والله السيد والدار الاسلام والمأدبة الجنة والداعي محمد ﷺ » وهذا حديث مرسل وقد جاء متصلا من حديث الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال « إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا ، فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه ، فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول ، فمن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها » رواه ابن جرير وقال قتادة حدثني خليد العصري عن أبي الدرداء مرفوعاً قال قال رسول الله ﷺ « ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان يسمعه[1] خلق الله كلهم الا الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » قال وأنزل في قوله يا أيها الناس هلموا الى ربكم (والله يدعو الى دار السلام) الآية رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

[1] كذا في النسختين المطبوعة والمكية وفي الازهرية « بسمعها » فهي الصواب أو الاصل « بصوت يسمعه » الخ

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحب الجنة هم فيها خلدون (٢٦)

يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالايمان والعمل الصالح .الحسنى في الدار الآخرة كقوله تعالى [هل جزاء الاحسان الا الاحسان] وقوله (وزيادة) هي تضعيف ثواب الاعمال بالحسنة عشر

ﷺ وهو نائم فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا قال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا و جعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا أوّلوها له يفقهها ، قال بعضهم انه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا الدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس ﴿ ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ فالصراط المستقيم هو الاسلام عم بالدعوة لأظهار الحجة وخص بالهداية استغناء عن الخلق

قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ أي للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر الى وجه الله الكريم ، هذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة وأبو موسى وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم وهو قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل

أمثالها الى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضاً ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين وأفضل من ذلك وأعلاه النظر الى وجهه الكريم فانه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بعملهم بل بفضله ورحمته ، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر الى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن اسحاق وغيرهم من السلف والخلف ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ فمن ذلك ما رواه الامام أحمد حدثنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الاية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ ـ قال ـ فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب اليهم من النظر اليه ولا أقر لأعينهم » وهكذا رواه مسلم وجماعة من الائمة من حديث حماد بن سلمة به ، وقال ابن جرير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني شبيب عن أبان بن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الاشعري يحدث عن رسول الله ﷺ « ان الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي يا أهل الجنة ـ بصوت يسمع أولهم وآخرهم ـ ان الله وعدكم الحسنى وزيادة ، فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن عز وجل » ورواه أيضاً ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر الهذلي عن أبي تميمة الهجيمي به ، وقال ابن جرير أيضاً حدثنا ابن حميد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال « النظر إلى وجه الرحمن عز وجل »

وقال أيضاً حدثنا ابو عبد الرحيم حدثنا عمر بن أبي سلمة سمعت زهيراً عمن سمع أبا العالية حدثنا أبي بن كعب انه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)

والضحاك والسدى أخبرنا أبو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحميدي أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحافظ أنبأنا أبو العباس محمد بن يعقوب الاصم املاء حدثنا أبو بكر محمد بن اسحاق الصنعاني حدثنا الاسود ابن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت يعني البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب رضي الله عنه قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الاية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، قالوا ما هذا الموعد ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل قال فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر اليه ، وروى عن ابن عباس أن الحسنى هي ان الحسنة بمثلها والزيادة هي التضعيف عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقال مجاهد الحسنى حسنة مثل

قال« الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث زهير به . وقوله تعالى (ولا يرهق وجوههم قتر) أي قتام وسواد في عرصات المحشر كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القترة والغبرة (ولا ذلة) أي هوان وصغار أي لا يحصل لهم اهانة في الباطن ولا في الظاهر بل هم كما قال تعالى في حقهم(فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً) أي نضرة في وجوههم وسروراً في قلوبهم ،جعلنا الله منهم بفضله ورحمته آمين

(والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم ، كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢٧)

لما أخبر تعالى عن حال السعداء الذين يضاعف لهم الحسنات ويزادون على ذلك عطف بذكر حال الاشقياء فذكر تعالى عدله فيهم وانه يجازيهم على السيئة بمثلها لا يزيدهم على ذلك (وترهقهم) أي تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها كما قال[وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل] الآية وقال تعالى [ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون * انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رءوسهم] الآيات . وقوله (مالهم من الله من عاصم) أي مانع ولا واق يقيهم العذاب كقوله تعالى [يقول الانسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * الى ربك يومئذ المستقر] وقوله [كأنما أغشيت وجوههم] الاية اخبار عن سواد وجوههم في الدار الاخرة كقوله تعالى [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون* وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون] وقوله تعالى [وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة] الاية

(ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيّلنا

حسنة والزيادة المغفرة والرضوان ﴿ولا يرهق﴾ لا يغشي ﴿وجوههم قتر﴾ غبار جمع قترة قال ابن عباس وقتادة سواد الوجه ﴿ ولا ذلة ﴾ هوان قال قتادة كآبة قال ابن أبي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾ أي لهم مثلها كما قال (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) ﴿ وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم ﴾ ومن صلة أي مالهم من الله عاصم ﴿ كأنما أغشيت ﴾ ألبست ﴿ وجوههم قطعاً ﴾ جمع قطعة ﴿ من الليل مظلما ﴾ نصبه على الحال دون النعت ولذلك لم يقل مظلمة تقديره قطعا من الليل في حال ظلمته أو قطعا من الليل المظلم وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا ساكنة الطاء أي بعضا كقوله (بقطع من الليل) ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

قوله تعالى ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴾ أي الزموا مكانكم ﴿ أنتم

بينهم، وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون (٢٨) فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إنْ كنا عن عبادتكم لغفلين (٢٩) هنالك تبلو كلُّ نفسٍ ما أسلفت، ورُدوا الى الله مولىٰهم الحقّ، وضل عنهم ما كانوا يفترون (٣٠)

يقول تعالى (ويوم نحشرهم) أي أهل الارض كلهم من جن وانس وبر وفاجر كقوله [وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً] (ثم نقول للذين أشركوا الاية أي الزموا أنتم وهم مكانا معينا امتازوا فيه عن مقام المؤمنين كقوله تعالى [وامتازوا اليوم أيها المجرمون] وقوله [ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون] وفي الاية الاخرى [يومئذ يصدعون] أي يصيرون صدعين وهذا يكون اذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ولهذا قبل ذلك[1] يستشفع المؤمنون الى الله تعالى أن يأتي لفصل القضاء ويريحنا من مقامنا هذا، وفي الحديث الآخر «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس» وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة إخباراً عما يأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة (مكانكم أنتم وشركاؤكم، فزيلنا بينهم) الآية أنهم[2] أنكروا عبادتهم وتبرءوا منهم كقوله (كلا سيكفرون بعبادتهم) الآية وقوله (اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) وقوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) الآية وقوله في هذه الآية إخباراً عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم (فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم) الاية أي ما كنا نشعر بها ولا نعلم بها، وانما كنتم تعبدوننا من حيث لاندري بكم والله شهيد بيننا وبينكم انا مادعوناكم الى عبادتنا ولا أمرناكم بها ولا رضينا منكم بذلك، وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده بل تبرأ منهم وقت أحوج مايكونون اليه وقد تركوا عبادة الحي القيوم السميع البصير القادر على كل شيء العليم بكل شيء، وقد أرسل رسله وأنزل

٢) وذكر باقي الآية في الازهرية. وبعدها: أنكروا عبادتهم الخ

وشركاؤكم﴾ يعني الاوثان معناه ثم نقول للذين أشركوا الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم ولا تبرحوا ﴿فزيلنا﴾ ميزنا وفرقنا ﴿بينهم﴾ أي بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده ﴿قال شركاؤهم﴾ يعني الاصنام ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ بطلبتنا فيقولون بلى كنا نعبدكم فتقول الاصنام ﴿فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلون﴾ أي ما كنا عن عبادتكم إيانا الا غافلين ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل.

---

١) ههنا بياض في المطبوعة والازهرية

كتبه آمراً بعبادته وحده لا شريك له ناهيا عن عبادة ما سواه كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون) وقال (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله في كتابه وبين أحوالهم وأقوالهم ورد عليهم فيما هم فيه أتم رد وقوله تعالى (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت) أي في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر كقوله تعالى (يوم تبلى السرائر) وقال تعالى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) وقد قرأ بعضهم هنالك (تتلو كل نفس ما أسلفت) وفسرها بعضهم بالقراءة ، وفسرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمت من خير وشر وفسرها بعضهم بحديث « لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت » الحديث وقوله (وردوا الى الله مولاهم الحق) أي ورجعت الامور كلها الى الله الحكم العدل ففصلها وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار (وضل عنهم) أي ذهب عن المشركين (ما كانوا يفترون) أي ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ؟ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ؟ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية الاهيته فقال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض) أي من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر فيشق الارض شقا بقدرته

قال الله تعالى ﴿هنالك تبلو﴾ أي تختبر وقيل معناه تعلم وتقف عليه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب تتلوا بتاءين أي تقرأ ﴿كل نفس﴾ صحيفتها وقيل معناه تتبع كل نفس ﴿ما أسلفت﴾ ما قدمت من خير أو شر وقيل معناه تعاين ﴿وردوا إلى الله﴾ الى حكمه فينفرد فيهم بالحكم ﴿مولاهم الحق﴾ الذي يتولى ويملك أمرهم فان قيل أليس قد قال وأن الكافرين لا مولى لهم ؟ قيل المولى هناك هو الناصر وههنا بمعنى المالك ﴿وضل عنهم﴾ زال عنهم وبطل ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا من التكذيب

قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض ﴾ أي من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات

ومشيئته فيخرج منها (حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا* أإله مع الله؟ فسيقولون الله* أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه؟)[١] وقوله (أمن يملك السمع والابصار) اي الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم اياها كقوله تعالى (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار) الاية، وقال (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) الاية وقوله (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي بقدرته العظيمة ومنته العميمة، وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك وأن الاية عامة لذلك كله وقوله (ومن يدبر الامر) أي من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم الذي لامعقب لحكمه، ولايسئل عما يفعل وهم يسئلون (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن) فالملك كله العلوي والسفلي وما فيهما من ملائكة وانس وجان فقيرون اليه عبيد له خاضعون لديه [فسيقولون الله] أي هم يعلمون ذلك ويعترفون به (فقل أفلا تتقون) أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم

وقوله (فذلكم الله ربكم الحق) الاية أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة (فماذا بعد الحق الا الضلال) أي فكل معبود سواه باطل لا إله الا هو واحد لاشريك له (فأنى تصرفون) أي فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة ماسواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء، وقوله (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا) الاية أي كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده الذي بعث رسله بتوحيده فلهذا حقت عليهم كلمة الله انهم أشقياء من ساكني النار كقوله [قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين]

قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يُعيده؟ قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى

﴿أم من يملك السمع والابصار﴾ اى من أعطاكم السمع والابصار ﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟﴾ يخرج الحي من النطفة والنطفة من الحي ﴿ومن يدبر الامر﴾ أي يقضي الأمر ﴿فسيقولون الله﴾ هو الذي يفعل هذه الاشياء ﴿فقل أفلا تتقون؟﴾ أفلا تخافون عقابه في شرككم وقيل أفلا تتقون الشرك مع هذا الاقرار ﴿فذلكم الله ربكم﴾ الذي يفعل هذه الاشياء هو ربكم ﴿الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فانى تصرفون؟﴾ أي فاين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به ﴿كذلك﴾ قال الكلبي هكذا ﴿حقت﴾ وجبت ﴿كلمت ربك﴾ حكمه السابق ﴿على الذين فسقوا﴾ كفروا ﴿أنهم لايؤمنون﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر كلمات ربك بالجمع ههنا موضعين وفي حم المؤمن والآخر على التوحيد.

قوله ﴿قل هل من شركائكم﴾ أوثانكم ﴿من يبدأ الخلق﴾ ينشيء الخلق من غير أصل ولا مثال

---

١) هكذا في جميع النسخ فالظاهر ان المؤلف لم يستحضر كل الآيات التى أراد الاستشهاد بها بترتيبها فلم يتقن اختصارها ـ فقوله تعالى (أإله مع الله) مكرر في سورة النمل في سياق الحجج المشار اليها هنا. وأما قوله (فسيقولون الله) وفي قراءة حفص (لله) فهو مكرر في سورة المؤمنين في سياق اسئلة المشركين عن رب السموات والارض ومن فيهما والمدبر لامورهما وسيشير الى بعضها

تؤفكون (٣٤) قل هل من شركائكم من يَهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي

الى الحق أحق أن يُتبع أمَّن لا يَهدّي الا أن يُهْدى؟ فما لكم كيف تحكمون؟ (٣٥) وما يَتَّبع

أكثرهم الا ظنًّا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون (٣٦)

وهذا ابطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره، وعبدوا من الاصنام والانداد (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده؟) أي من بدأ خلق هذه السموات والارض ثم ينشئ مافيهما من الخلائق، ويفرق أجرام السموات والارض ويبدلها بفناء مافيهما ثم يعيد الخلائق خلقا جديدا (قل الله) هو الذي يفعل هذا ويستقل به وحده لاشريك له (فأنى تؤفكون) أي فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق؟ قل الله يهدي للحق) أي أنتم تعلمون أن شركاءكم لاتقدر على هداية ضال، وانما يهدي الحيارى والضلال ويقلب القلوب من الغي الى الرشد الله الذى لا إله الا هو (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدي الا أن يهدى) أي أفيتبع العبد الذى يهدي الى الحق ويبصر بعد العمى أم الذي لايهدي الى شيء الا أن يهدى لعماه وبكمه كما قال تعالى إخباراً عن ابراهيم أنه قال [يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا] وقال لقومه

﴿ثم يعيده﴾ ثم يحييه من بعد الموت كهيئته فان أجابوك والا ﴿فقل﴾ أنت ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون؟ ﴾ أي تصرفون عن قصد السبيل ﴿ قل هل من شركائكم من يهدي﴾ يرشد ﴿إلى الحق﴾ فاذا قالوا لا ولابد لهم من ذلك ﴿ قل الله يهدي للحق ﴾ أي إلى الحق ﴿أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدي؟ ﴾ قرأ حمزة والكسائي ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرأ الآخرون بتشديد الدال ثم قرأ أبو جعفر وقالون بسكون الهاء، وأبو عمرو يروم الهاء بين الفتح والسكون وقرأ حفص بفتح الياء وكسر الهاء وأبو بكر بكسرهما والباقون بفتحها ومعناه يهدي في جميعها فمن خفف الدال قال يقال هديته فهدى أي اهتدى ومن شدد الدال أدغم التاء في الدال ثم أبو عمرو يروم على مذهبه في إيثار التخفيف ومن سكن الهاء تركها على حالتها كما فعل في تعدو ويخصمون ومن فتح الهاء نقل فتحة التاء المدغمة إلى الهاء ومن كسر الهاء فلالتقاء الساكنين وقال الجزم يحرك إلى الكسر ومن كسر الياء مع الهاء اتبع الكسرة إلى الكسرة

قوله تعالى ﴿الا أن يهدى﴾ معنى الاية الله الذي يهدي إلى الحق أحق بالاتباع أم الصنم الذي لايهتدي الى أن يهدى . فان قيل كيف قال الا أن يهدى والصنم لايتصور أن يهتدي ولا أن يهدى؟ قيل معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال أي انها لاتنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تحمل وتنقل يبين به عجز الاصنام، وجواب آخر وهو أن ذكر الهداية على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا

(أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون) الى غير ذلك من الايات وقوله (فما لكم كيف تحكمون) أي فمابالكم أين يذهب بعقولكم كيف سويتم بين الله وبين خلقه وعدلتم هذا بهذا وعبدتم هذا وهذا ؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده وأخلصتم اليه الدعوة والانابة ؟ ثم بين تعالى أنهم لايتبعون في دينهم هذا دليلا ولا برهانا وانما هو ظن منهم أي توهم وتخيل ، وذلك لايغني عنهم شيئا [ان الله عليم بما يفعلون] تهديد لهم ووعيد شديد لانه تعالى أخبر أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء

وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتب لاريب فيه من رب العلمين (٣٧) أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صدقين (٣٨) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظلمين (٣٩) ومنهم من يؤمن به ومنهم من لايؤمن به وربك أعلم بالمفسدين (٤٠)

هذا بيان لاعجاز القرآن وانه لايستطيع البشر أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله لانه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني العزيزة الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة لايكون الا من عند الله الذي لايشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله فكلامه لايشبه كلام المخلوقين ولهذا قال تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أي مثل هذا القرآن لايكون

الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عن يعلم ويعقل ووصفت بصفة من يعقل ﴿ فما لكم كيف تحكمون ﴾ كيف تقضون حين زعمتم ان لله شريكا

قوله تعالى ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ﴾ منهم يقولون إن الاصنام آلهة وإنها تشفع لهم في الاخرة ظنا منهم لم يرد به كتاب ولا رسول وأراد بالأكثر جميع من يقول ذلك ﴿ ان الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾ أي لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئا وقيل لا يقوم مقام العلم ﴿ إن الله عليم بما يفعلون ﴾

قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ قال الفراء معناه وما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله كقوله تعالى (وما كان لنبي أن يغل) وقيل أن بمعنى اللام أي (وما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله) قوله ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ أي بين يدي القرآن من التوراة والانجيل وقيل تصديق الذي بين يدي القرآن من القيامة والبعث ﴿وتفصيل الكتاب﴾ تبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام ﴿ لاريب فيه من رب العالمين * أم يقولون ﴾

الا من عند الله ولا يشتبه هذا بكلام البشر (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي من الكتب المتقدمة ومهيمنا عليه ومبينا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل وقوله (وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) أي وبيان الاحكام والحلال والحرام بيانا شافيا كافيا حقا لا مرية فيه من الله رب العالمين كما تقدم في حديث الحارث الاعور عن علي بن أبي طالب فيه خبر ماقبلكم ونبأ مابعدكم وفصل مابينكم أي خبر عما سلف وعما سيأتي وحكم فيما بين الناس بالشرع الذى يحبه الله ويرضاه

وقوله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) أي ان ادعيتم وافتريتم وشككتم في أن هذا من عند الله وقلتم كذبا ومينا ان هذا من عند محمد فمحمد بشر مثلكم وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فأتوا أنتم بسورة من مثله ، أي من جنس هذا القرآن واستعينوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من انس وجان وهذا هو المقام الثالث في التحدي فانه تعالى تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين في دعواهم أنه من عند محمد فليعارضوه بنظير ماجاء به وحده وليستعينوا بمن شاءوا وأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك ولا سبيل لهم اليه فقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال في أول سورة هود (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ثم تنازل إلى سورة فقال في هذه السورة (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وكذا في سورة البقرة وهي مدنية تحداهم بسورة منه وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبداً فقال (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار) الآية ، هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم ، وأشعارهم ومعلقاتهم اليها المنتهى في هذا الباب ، ولكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد به ، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته وجزالته وطلاوته وافادته وبراعته فكانوا أعلم الناس به وأفهمهم له وأتبعهم له وأشهرهم له انقياداً كما عرف السحرة لعلمهم بفنون السحر ان هذا الذي فعله موسى عليه السلام لا يصدر إلا عن مؤيد مسدد مرسل من الله وأن هذا لا يستطاع لبشر إلا باذن الله ، وكذلك عيسى عليه السلام بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى فكان يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله ، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله . ولهذا جاء في الصحيح

قال أبو عبيدة أم بمعنى الواو أي ويقولون ﴿ افتراه ﴾ اختلق محمد القرآن من قبل نفسه ﴿قل فأتوا بسورة مثله ﴾ شبه القرآن ﴿وادعوا من استطعتم﴾ ممن تعبدون ﴿من دون الله﴾ ليعينوكم على ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ أن محمدا افتراه ثم قال ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ يعني القرآن كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه ﴿ ولما يأتهم تأويله ﴾ أي عاقبة ما وعد الله في القرآن أنه يؤول اليه أمرهم من العقوبة يريد أنهم لم يعلموا ما يؤول اليه عاقبة أمرهم ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم ﴾ أي كما كذب هؤلاء الكفار

عن رسول الله ﷺ أنه قال « مامن نبي من الانبياء الا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً »

وقوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) يقول بل كذب هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه ولا عرفوه (ولما يأتهم تأويله) أي ولم يحصلوا مافيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفهاً (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي من الامم السالفة (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) أي فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلما وعلواً وكفراً وعناداً وجهلا فاحذروا أيها المؤمنون أن يصيبكم ماأصابهم

وقوله (ومنهم من يؤمن به) الاية ، أي ومن هؤلاء الذين بعثت اليهم يامحمد من سيؤمن بهذا القرآن ويتبعك وينتفع بما أرسلت به (ومنهم من لا يؤمن به) بل يموت على ذلك ويبعث عليه (وربك أعلم بالمفسدين) أى وهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه ، ومن يستحق الضلالة فيضله وهو العادل الذي لا يجور ، بل يعطى كلا مايستحقه تبارك وتعالى وتقدس وتنزه لا إله الا هو

(وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون (٤١) ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؟ (٤٢) ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ؟ (٤٣) ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون (٤٤)

يقول تعالى لنبيه ﷺ وإن كذبك هؤلاء المشركون فتبرأ منهم ومن عملهم (فقل لي عمل ولكم عملكم) كقوله تعالى [قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون] الى آخرها ، وقال ابراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين [انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله] الآية ، وقوله (ومنهم من يستمعون اليك) أي يسمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم والاحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة

بالقرآن (كذلك كذب الذين من قبلهم) من كفار الامم الخالية ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ آخر أمر المشركين بالهلاك ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ أي من قومك من يؤمن بالقرآن ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ لعلم الله السابق فيهم ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ الذين لا يؤمنون ﴿وان كذبوك﴾ يامحمد ﴿فقل لي عملي﴾ وجزاؤه ﴿ ولكم عملكم﴾ وجزاؤه ﴿ أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ هذا كقوله تعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لكم دينكم ولي دين) قال الكلبي ومقاتل هذه الاية منسوخة بآية الجهاد ثم أخبر أن التوفيق للايمان به لا بغيره فقال ﴿ومنهم من يستمعون اليك﴾ باسماعهم الظاهرة

في القلوب والاديان والابدان وفي هذا كفاية عظيمة ، ولكن ليس ذلك اليك ولا اليهم فانك لا تقدر على اسماع الاصم وهو الاطرش فكذلك لاتقدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله (ومنهم من ينظر اليك) والى ما أعطاك الله من التؤدة والسمت الحسن والخلق العظيم ، والدلالة الظاهرة على نبوتك لأولي البصائر والنهى ، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من الهداية شيء كما يحصل لغيرهم ، بل المؤمنون ينظرون اليك بعين الوقار ، وهؤلاء الكفار ينظرون اليك بعين الاحتقار [واذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً] الاية ، ثم أخبر تعالى أنه لا يظلم أحداً شيئاً وإن كان قد هدى به من هدى وبصر به من العمى ، وفتح به أعيناً عمياً وآذانا صما وقلوبا غلفاً ، وأضل عن الايمان به آخرين ، فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لعلمه وحكمته وعدله ، ولهذا قال تعالى (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) وفي الحديث عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل « ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا — الى أن قال في آخره — ياعبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » رواه مسلم بطوله

(ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ، قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ٤٥)

يقول تعالى مذكراً للناس قيام الساعة وحشرهم من أجداثهم الى عرصات القيامة [ويوم يحشرهم] الاية ، كقوله [كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار] وكقوله [كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها] وقال تعالى [يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا * يتخافتون بينهم أن لبثتم إلا عشراً * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما] وقال تعالى [ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة] الايتين ، وهذا كله دليل على استقصار الحياة

فلا ينفعهم ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ يريد صم القلب ﴿ ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك ﴾ بأبصارهم الظاهرة ﴿أفأنت تهدي العمي﴾ يريد عمي القلب ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ وهذه تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ يقول إنك لاتقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا أن تهدي من سلبته البصر ولا أن توفق للايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾ لأنه في جميع أفعاله متفضل عادل ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ بالكفر والمعصية قرأ حمزة والكسائي ولكن الناس بتخفيف نون لكن ورفع الناس، وقرأ الباقون ولكن الناس بتشديد نون لكن ونصب الناس.

قوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم﴾ قرأ حفص بالياء والاخرون بالنون ﴿ كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار﴾ قال الضحاك كأن لم يلبثون في الدنيا الا ساعة من النهار ، وقال ابن كان لم يلبثوا في قبورهم

الدنيا في الدار الاخرة كقوله [قال كم لبثتم في الارض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين* قال إن لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون] ، وقوله (يتعارفون بينهم) أى يعرف الابناء الآباء، والقرابات بعضهم لبعض كما كانوا في الدنيا ولكن كل مشغول بنفسه [فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم] الاية ، وقال تعالى [ولا يسأل حميم حميما] الايات ، وقوله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين) كقوله تعالى [ويل للمكذبين] لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ولا خسارة أعظم من خسارة من فرق بينه وبين أحبته يوم الحسرة والندامة

(وإما نرِيَنَّك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مَرْجعهم ثم الله شهيد على مايفعلون (٤٦) ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قُضيَ بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (٤٧))

يقول تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ (وإما نرينك بعض الذى نعدهم) أى ننتقم منهم في حياتك لتقر عينك منهم (أو نتوفينك فالينا مرجعهم) أى مصيرهم ومنقلبهم والله شهيد على أفعالهم بعدك

[1] وقد قال الطبراني ، حدثنا عبدالله بن أحمد حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا داود بن الجارود عن أبي السليل عن حذيفة بن أسيد عن النبي ﷺ قال « عرضت علي أمتي البارحة لدى هذه الحجرة أولها وآخرها » فقال رجل يارسول الله : عرض عليك من خلق فكيف من لم يخلق فقال « صوروا لي في الطين حتى اني لأعرف بالانسان منهم من أحدكم بصاحبه » ورواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن عقبة بن مكرم عن يونس بن بكير عن زياد بن المنذر عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد به نحوه

وقوله (ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم) قال مجاهد يعني يوم القيامة (قضي بينهم بالقسط) الاية كقوله تعالى [وأشرقت الارض بنور ربها] الاية ، فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسولها وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع شاهد عليهم وحفظتهم من الملائكة شهود أيضاً أمة بعد أمة

١» هذا الحديث بجملته غير موجود في النسخة المكية

الا قدر ساعة من النهار ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضا حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة وفي بعض الآثار إن الانسان يعرف يوم القيامة من بجنبه ولا يكلمه هيبة وخشية ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ والمراد من الخسران خسران النفس ولا شيء أعظم منه

قوله تعالى ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ يامحمد في حياتك من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ قبل تعذيبهم ﴿فالينا مرجعهم﴾ في الآخرة ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ فيجزيهم به وثم بمعنى الواو وتقديره والله شهيد قال مجاهد فكان البعض الذي أراه قتلهم ببدر وسائر أنواع العذاب بعد موتهم

قوله عز وجل ﴿ولكل أمة﴾ خلت ﴿رسول فاذا جاء رسولهم﴾ وكذبوه ﴿قضي بينهم بالقسط﴾

وهذه الامة الشريفة وان كانت آخر الامم في الخلق الا أنها أول الامم يوم القيامة يفصل بينهم ويقضى لهم كما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « نحن الاخرون السابقون يوم القيامة ، المقضي لهم قبل الخلائق » فأمته انما حازت قصب السبق بشرف رسولها صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين

(ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صدقين (٤٨) قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا الا ماشاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم لا يستئخرون ساعة ولا يستقدمون (٤٩) قل أرءيتم ان أتكم عذابه بيتا أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون (٥٠) أثم اذا ماوقع آمنتم به؟ آلئن وقد كنتم به تستعجلون ؟ (٥١) ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ؟ (٥٢)

يقول تعالى مخبراً عن كفر هؤلاء المشركين في استعجالهم العذاب وسؤالهم عن وقته على التعيين مما لا فائدة لهم فيه كقوله [يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق] أي كائنة لا محالة وواقعة وان لم يعلموا وقتها عيناً ، ولهذا أرشد تعالى رسوله ﷺ الى جوابهم فقال [قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً] الآية ، أي لا أقول الا ما علمني. ولا أقدر على شيء مما استأثر به الا أن يطلعني الله عليه فأنا عبده ورسوله اليكم وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كائنة ولم يطلعني على وقتها ولكن [لكل أمة أجل] أى لكل قرن مدة من العمر مقدرة ، فاذا انقضى أجلهم [فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون] كقوله [ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها] الاية ، ثم أخبر أن عذاب الله سيأتيهم بغتة فقال [قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهاراً؟] أى ليلا أو نهاراً ماذا

أي عذبوا في الدنيا وأهلكوا بالعذاب يعني قبل مجيء الرسول لا ثواب ولا عقاب وقال مجاهد ومقاتل فاذا جاء رسولهم الذي أرسل اليهم يوم القيامة قضي بينه وبينهم بالقسط ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ﴿ ويقولون ﴾ أي المشركون ﴿متى هذا الوعد﴾؟ الذي تعدنا يا محمد من العذاب وقيل قيام الساعة ﴿ان كنتم صادقين﴾ أنت يا محمد وأتباعك ﴿قل لا أملك لنفسي﴾ لا أقدر لها على شيء ﴿ضرا ولا نفعا﴾ أي دفع ضر ولا جلب نفع ﴿الا ما شاء الله﴾ ان أملكه ﴿لكل أمة أجل﴾ مدة مضروبة ﴿إذا جاء أجلهم﴾ وقت فناء أعمارهم ﴿فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ أي لا يتأخرون ولا يتقدمون

قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا﴾ ليلا ﴿أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ أي

يستعجل منه المجرمون * أثم اذا ماوقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون] يعني أنهم اذا جاءهم العذاب قالوا [ربنا أبصرنا وسمعنا] الآية وقال تعالى [فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون] (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) أي يوم القيامة يقال لهم هذا تبكيتاً وتقريعاً كقوله (يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

(ويستنبئونك أحق هو؟ قل إي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين (٥٣) ولو أن لكل

نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به ، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (٥٤)

يقول تعالى ويستخبرونك أحق هو أي المعاد والقيامة من الاجداث بعد صيرورة الاجسام ترابا (قل إي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين) أي ليس صيرورتكم ترابا بمعجز الله عن اعادتكم كما بدأكم

ماذا يستعجل من الله المشركون وقيل ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى أنهم كانوا يستعجلون العذاب فيقولون [اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم] فيقول الله تعالى ماذا يستعجل يعني أي شيء يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون كالرجل يقول لغيره وقد فعل قبيحا ماذا جنيت على نفسك ﴿أثم إذا ما وقع﴾ قيل معناه أهنالك وحينئذ وليس بحرف عطف إذا ما وقع نزل العذاب ﴿آمنتم به﴾ أي بالله في وقت البأس وقيل [آمنتم به] أي صدقتم بالعذاب وقت نزوله ﴿آلآن﴾ فيه اضمار أي يقال لكم آلآن تؤمنون حين وقع العذاب ﴿ وقد كنتم به تستعجلون ﴾ تكذيبا واستهزاء قرأ ورش عن نافع آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام الساكنة والقاء حركتها على اللام وبعد الهمزة الاولى على وزن عالان وكذلك الحرف الآخر ، وروى زمعة بن صالح الان على مثل علان بغير مد ولا همزة بعد اللام وقرأ الباقون آلآن بهمزة ممدودة في الاول واثبات همزة بعد اللام وكذلك قالون واسماعيل عن نافع ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ﴾ أشركوا ﴿ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون﴾ في الدنيا ﴿ويستنبئونك﴾ أي يستخبرونك يا محمد ﴿أحق هو ؟﴾ أي ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة ﴿قل إي وربي﴾ أي نعم وربي ﴿انه لحق﴾ لاشك فيه ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ أي بفائتين من العذاب لان من عجز عن شيء

من العدم فانما [امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون] وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن الا آيتان أخريان يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد في سورة سبأ [وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم] وفي التغابن [زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير] ثم أخبر تعالى أنه اذا قامت القيامة يود الكافر لو افتدى من عذاب الله بملء الارض ذهبا (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط) أي بالحق (وهم لا يظلمون)

(ألا إن لله ما في السمٰوٰت والارض ، ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (٥٥) هو يحيي ويميت واليه تُرجَعون ٥٦)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والارض وأن وعده حق كائن لامحالة وأنه يحيي الموتى واليه مرجعهم ، وأنه القادر على ذلك العليم بما تفرق من الاجسام وتمزق في سائر أقطار الارض والبحار والقفار

(يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور ، وهدًى ورحمة للمؤمنين (٥٧) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (٥٨)

يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم ، على رسوله الكريم (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم) أي زاجر عن الفواحش وشفاء لما في الصدور أى من الشبه والشكوك وهو ازالة ما فيها من رجس ودنس . وهدى ورحمة أى يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى ، وانما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه كقوله تعالى ونزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا

فقد فاته ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ أي اشركت ﴿ما في الارض لافتدت به﴾ يوم القيامة والافتداء ههنا بذل ما ينجو به من العذاب ﴿وأسروا الندامة﴾ قال أبو عبيدة معناه أظهروا الندامة لانه ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا أي أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء خوفا من ملامتهم وتعييرهم ﴿لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط﴾ فرغ من عذابهم ﴿وهم لا يظلمون * ألا ان لله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون * هو يحيي ويميت واليه ترجعون﴾ قوله تعالي ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة﴾ تذكرة ﴿من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ أي دواء لما في الصدور من داء الجهل وقيل لما في الصدور أي شفاء لعمى القلوب والصدر موضع القلب وهو أعز موضع في الانسان لجوار القلب ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ والرحمة هي النعمة على المحتاج فانه لو اهدى ملك الى ملك شيئا لا يقال قد رحمه وان كان ذلك نعمة فانه لم يضعها في محتاج

يزيد الظالمين الا خساراً وقوله [قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء] الاية، وقوله تعالى [قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا] أى بهذا الذى جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا فانه أولى مايفرحون به [هو خير مما يجمعون] أى من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة كما قال ابن أبي حاتم في تفسيرهذه الاية وذكر بسنده عن بقية ابن الوليد عن صفوان بن عمرو سمعت أبقع بن عبد الله الكلاعي يقول لما قدم خراج العراق الى عمر رضي الله عنه خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعد الابل فاذا هي أكثر من ذلك فجعل عمر يقول الحمد لله تعالى ويقول مولاه هذا والله من فضل الله ورحمته فقال عمر كذبت ليس هذا ، هو الذى يقول الله تعالى [قل بفضل الله وبرحمته] الاية وهذا مما يجمعون وقد أسنده الحافظ أبوالقاسم الطبراني فرواه عن أبي زرعة الدمشقي عن حيوة بن شريح عن بقية فذكره

(قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ؟ قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ؟ (٥٩) وما ظنُّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ؟ ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون (٦٠)

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم نزلت انكاراً على المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصائل كقوله تعالى [وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً] الايات وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت أبا الاحوص وهو عوف بن مالك بن نضلة يحدث عن أبيه قال أتيت رسول الله ﷺ وأنا رث الهيئه فقال « هل لك مال ؟ » قلت نعم قال « من أي المال؟ » قال قلت من كل

قوله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ قال مجاهد وقتادة فضل الله الايمان ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلنا من اهله ، وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في القلب وقال خالد بن معدان فضل الله الاسلام ورحمته السنن وقيل فضل الله الايمان ورحمته الجنة ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ أي ليفرح المؤمنون ان جعلهم الله من أهله ﴿هو خير مما يجمعون﴾ أي مما يجمعه الكفار من الاموال وقيل كلاهما خبر عن الكفار وقيل عن المؤمنين وقرأ أبوجعفروابن عامر فليفرحوا بالياء وتجمعون بالتاء وقرأ يعقوب كليهما بالتاء ووجه هذه القراءة ان المراد فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعونه من الاموال مختلف عنه خطابا للمؤمنين ﴿ قل ﴾ يامحمد لكفار مكة ﴿ أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق ﴾ عبر عن الخلق بالانزال لان مافي الارض من خير فما أنزل الله من رزق من زرع وضرع ﴿ فجعلتم منه حراما وحلالا ﴾ هو ماحرموا من الحرث ومن الانعام

المال من الابل والرقيق والخيل والغنم فقال « اذا آتاك الله مالا فلير عليك — وقال — هل تنتج ابلك صحاحا آذانها فتعمد الى موسى فتقطع آذانها فتقول هذه بحر وتشق جلودها وتقول هذه صرم وتحرمها عليك وعلى أهلك » قال نعم قال « فان ما آتاك الله لك حل، ساعد الله أشد من ساعدك وموسى الله أحد من موساك » وذكر تمام الحديث ، ثم رواه عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو عن عمه أبي الاحوص ، وعن بهز بن أسد عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير عن أبي الاحوص به ، وهذا حديث جيد قوى الاسناد ، وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله أو أحل ماحرم بمجرد الاراء والاهواء التي لامستند لها ولا دليل عليها ، ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة فقال (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) أي ماظنهم أن يصنع بهم يوم مرجعهم الينا يوم القيامة ، وقوله (إن الله لذو فضل على الناس) قال ابن جرير في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا [قلت] ويحتمل أن يكون المراد لذو فضل على الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا ولم يحرم عليهم إلا ماهو ضار لهم في دنياهم أو دينهم (ولكن أكثرهم لايشكرون) بل يحرمون ماأنعم الله به عليهم ، ويضيقون على أنفسهم فيجعلون بعضاً حلالا وبعضاً حراماً . وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لانفسهم ، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم (١) .

وقال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا رباح حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا موسى بن الصباح في قوله عز وجل [أن الله لذو فضل على الناس] قال اذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله عز وجل فيقومون بين يدى الله عز وجل ثلاثة أصناف فيؤتى برجل من الصنف الاول فيقول « عبدي لماذا عملت ؟ فيقول يارب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لاهل طاعتك فيها فأسهرت ليلي وأظمأت نهارى شوقا اليها — قال — فيقول الله تعالى عبدي انما عملت للجنة هذه الجنة فادخلها ومن فضلي عليك قد أعتقتك من النار ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي فيدخل ومن معه الجنة – قال – ثم يؤتى برجل من الصنف الثاني فيقول عبدي لماذا عملت ؟ فيقول يا رب خلقت ناراً وخلقت أغلالها وسعيرها وسمومها ويحمومها وما أعددت لاعدائك وأهل معصيتك فيها فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري خوفا منها ، فيقول عبدي إنما عملت ذلك خوفا من ناري فاني قد أعتقتك من النار ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي فيدخل هو ومن معه الجنة. ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول عبدي لماذا عملت؟ فيقول رب حبا لك وشوقا اليك

١» ولم يقصر مبتدعة المسلمين في تحريم كثير من المباحات باستغراب الجديد منها أو بشبه القياسات

كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي قال الضحاك هو قوله تعالى (وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ﴿قل الله أذن لكم﴾ في هذا التحريم والتحليل ﴿أم﴾ بل ﴿على الله تفترون﴾ وهو قولهم والله أمرنا بها ﴿وما ظن على الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ أيحسبون أن الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه ﴿ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لايشكرون﴾

وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقا اليك وحبا لك ، فيقول تبارك وتعالى : عبـدي إنما عملت حبا لي وشوقا الي فيتجلى له الرب جل جلاله ويقول ها أنا ذا فانظر الي ثم يقول من فضلي عليك أن أعتقك من النار وأبيحك جنتي وأزيرك ملائكتي وأسلم عليك بنفسي . فيدخل هو ومن معه الجنة

(وما تكون في شأنٍ وماتتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كُنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرةٍ في الارضِ ولا في السماءِ ولا أصغر من ذلك ولا أكبرَ الا في كتبٍ مبين (٦١)

يخبر تعالى نبيه ﷺ أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة وانه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الارض ولا أصغر منها ولا أكبر الا في كتاب مبين كقوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافي البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) فأخبر تعالى انه يعلم حركة الاشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة في قوله (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) الاية وقال تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) الاية واذا كان هذا علمه بحركات هذه الاشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة كما قال تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) ولهذا قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه) أي اذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون ولهذا قال ﷺ لما سأله جبريل عن الاحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك»

قوله عز وجل ﴿وما تكون﴾ يا محمد ﴿في شأن﴾ عمل من الاعمال وجمعه شئون ﴿ وما تتلو منه ﴾ من الله ﴿من قرآن﴾ نازل وقيل منه أي من الشأن من قرآن نزل فيه ثم خاطبه وأمته فقال ﴿ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه﴾ أي تدخلون وتخوضون فيه الهاء عائدة إلى العمل والافاضة الدخول في العمل وقال ابن الانباري تندفعون فيه وقيل تكثرون والافاضة الدفع بكثرة ﴿وما يعزب عن ربك﴾ يغيب عن ربك وقرأ الكسائي يعزب بكسر الزاي وكذلك في سورة سبأ وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان ﴿من مثقال ذرة﴾ أي مثقال ذرة ومن صلة والذرة هي النملة الحمراء الصغيرة ﴿ في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك﴾ أي من الذرة ﴿ولا أكبر﴾ قرأ حمزة ويعقوب برفع الراء فيهما عطفا على موضع المثقال قبل دخول من وقرأ الآخرون بنصبهما ارادة للكسرة عطفا على الذرة في الكسرة ﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ وهو اللوح المحفوظ

(ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣)
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمت الله ، ذلك هو الفوز العظيم (٦٤)

يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم بهم ، فكل من كان تقيا كان لله وليا (لاخوف عليهم) أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة (ولاهم يحزنون) على ماوراءهم في الدنيا، وقال عبدالله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف أولياء الله الذين اذا رؤوا ذكر الله ، وقدورد هذا في حديث مرفوع كما قال البزار حدثنا علي بن حرب الرازي حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا يعقوب بن عبدالله الاشعري وهو القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رجل يارسول الله من أولياء الله؟ قال «الذين اذا رؤوا ذكر الله» ثم قال البزار ، وقد روي عن سعيد مرسلا ، وقال ابن جرير حدثنا أبوهشام الرفاعي حدثنا ابن فضيل حدثنا أبي عن عمارة ابن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير البجلي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ان من عباد الله عباداً يغبطهم الانبياء والشهداء» قيل من هم يارسول الله لعلنا نحبهم؟ قال «هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور لايخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس» ثم قرا (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ثم رواه أيضا أبو داود من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ بمثله وهذا أيضا اسناد جيد الا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب والله أعلم ، وفي حديث الامام احمد عن أبي النضر عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ «يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا في الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفزع الناس ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لاخوف

قوله تعالى ﴿ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ اختلفوا فيمن يستحق هذا الاسم قال بعضهم هم الذين ذكرهم الله فقال ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وقال قوم هم المتحابون في الله أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبدالرزاق أنا معمر عن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أبي مالك الاشعري قال كنت عند النبي ﷺ فقال «ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يارسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه النبي ﷺ البشر فقال «هم عباد من عباد الله من بلدان شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولادنيا يتباذلون بها يتحابون بروح

عليهم ولا هم يحزنون » والحديث مطول ، وقال الامام احمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا سفيان عن الاعمش عن ذكوان عن أبي صالح عن رجل عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال « الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة . قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال : لقد سألت عن شيء ما سمعت أحداً سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله ﷺ فقال « هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشراه في الحياة الدنيا وبشراه في الآخرة الجنة » ثم رواه ابن جرير عن سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية فذكر نحو ما تقدم ثم قال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا حجاج ابن منهال حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح قال : سمعت أبا الدرداء سئل عن هذه الآية [الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى] فذكر نحوه سواء ، وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى عن أبي سلمة عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة) فقال « لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي أو قال أحد قبلك ، تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران القطان عن يحيى بن أبي كثير به ، ورواه الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير فذكره ورواه علي بن المبارك عن يحيى عن أبي سلمة قال : نبئنا عن عبادة بن الصامت سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فذكره ، وقال ابن جرير حدثني أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الاخموشي عن حميد بن عبد الله المزني قال : أتى رجل عبادة بن الصامت فقال آية في كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا) فقال عبادة ما سألنى عنها أحد قبلك سألت عنها نبي الله فقال مثل ذلك « ما سألني عنها أحد قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن

الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون » ورواه عبد الله بن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام قال : حدثنا شهر بن حوشب حدثني عبدالرحمن بن غنم عن أبي مالك الاشعري عن النبي ﷺ وفي بعض الاخبار المرفوعة أن النبي ﷺ سئل من أولياء الله فقال « الذين اذا رؤوا ذكر الله » ويروى عن النبي ﷺ « قال الله تعالى إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم »

قوله تعالى ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ اختلفوا في هذه البشرى روى عن عبادة ابن الصامت قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله (لهم البشرى في الحياة الدنيا) قال « هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا

في المنام أو ترى له » ثم رواه من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان عن عبادة ابن الصامت أنه قال لرسول الله ﷺ (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فقد عرفنا بشرى الآخرة الجنة فما بشرى الدنيا ؟ قال « الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له ، وهي جزء من أربعة وأربعين جزءاً أو سبعين جزءاً من النبوة » وقال الامام احمد أيضا حدثنا بهز حدثنا حماد حدثنا أبو عمران عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر أنه قال يارسول الله الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه ، ويثنون عليه به فقال رسول الله ﷺ « تلك عاجل بشرى المؤمن » رواه مسلم ، وقال أحمد أيضا حدثنا حسن يعني الاشيب حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « لهم البشرى في الحياة الدنيا — قال — الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزء من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها ، ومن رأى سوى ذلك فانما هو من الشيطان ليحزنه فلينفث عن يساره ثلاثا وليكبر ولايخبر بها أحداً » لم يخرجوه وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب حدثني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن عبدالرحمن ابن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » وقال أيضا ابن جرير حدثني محمد ابن حاتم المؤدب حدثنا عمار بن محمد حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ [لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة] قال « في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي في الآخرة الجنة » ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة أنه قال : الرؤيا الحسنة بشرى من الله ، وهي من المبشرات. هكذا رواه من هذه الطريق موقوفا ، وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له » وقال ابن جرير حدثني أحمد بن حماد الدولابي حدثنا سفيان عن عبيدالله بن أبي يزيد عن أبيه عن سباع بن

محمد بن اسماعيل حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لم يبق من النبوة الا المبشرات » قالوا وما المبشرات ؟ قال « الرؤيا الصالحة » وقيل البشرى في الدنيا هي الثناء الحسن وفي الاخرة الجنة أخبرنا عبدالواحد بن احمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال سمعت عبدالله بن الصامت قال : قال أبو ذر يارسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس قال « تلك عاجل بشرى المؤمن » وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن يحيى بن يحيى عن حماد بن زيد عن أبي عمران وقال ويحمده الناس عليه ، وقال الزهري وقتادة هي نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت قال الله تعالى [تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي

ثابت عن أم كرز الكعبية سمعت رسول الله ﷺ يقول « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » وهكذا روي عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير ويحيى بن أبي كثير وابراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم أنهم فسروا ذلك بالرؤيا الصالحة ، وقيل المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون * نزلا من غفور رحيم) وفي حديث البراء رضي الله عنه أن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب فقالوا اخرجي أيتها الروح الطيبة الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء ، وأما بشراهم في الاخرة فكما قال تعالى (لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) وقال تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) وقوله [لاتبديل لكلمات الله] أي هذا الوعد لايبدل ولا يخلف ولا يغير بل هو مقرر مثبت كائن لامحالة (ذلك هو الفوز العظيم)

(ولا يحزنك قولهم ، إن العزة لله جميعا هو السميع العليم (٦٥) ألا إن لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرُصون (٦٦) هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ٦٧)

يقول تعالى لرسوله ﷺ (ولا يحزنك) قول هؤلاء المشركين واستعن بالله عليهم وتوكل عليه فان العزة لله جميعا أي جميعها له ولرسوله وللمؤمنين (هو السميع العليم) أي السميع لأقوال عباده

كنتم توعدون] وقال عطاء عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الاخرة عند خروج نفس المؤمن يعرج بها الى الله ويبشر برضوان الله وقال الحسن هي ما بشر الله المؤمنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه كقوله [وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات * وبشر المؤمنين * وابشروا بالجنة] وقيل بشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول أنهم أولياء الله ويبشرهم في القبور وفي كتب أعمالهم بالجنة ﴿لاتبديل لكلمات الله﴾ لا تغيير لقوله ولا خلف لوعده ﴿ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم﴾ يعني قول المشركين قرأ نافع ولا يُحزنك بضم الياء وكسر الزاي وقرأ الآخرون يحزنك بفتح الياء وضم الزاي وهما لغتان يقال حزنه الشيء يحزنه وأحزنه تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال ﴿ إن العزة لله ﴾

العليم بأحوالهم ، ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والارض وأن المشركين يعبدون الاصنام وهي لا تملك شيئاً ولا ضراً ولا نفعاً ولا دليل لهم على عبادتها ، بل انما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم ، ثم أخبر أنه الذي جعل لعباده الليل ليسكنوا فيه ، أي يستريحون فيه من نصبهم وكلالهم وحركاتهم (والنهار مبصراً) أي مضيئاً لمعاشهم وسعيهم وأسفارهم ومصالحهم (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي يسمعون هذه الحجج والادلة فيعتبرون بها ويستدلون على عظمة خالقها ومقدرها ومسيرها

(قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له مافي السموٰت وما في الارض إن عندكم من سلطٰن بهذا ، أتقولون على الله مالا تعلمون ؟ (٦٨) قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (٦٩) متٰع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (٧٠)

يقول تعالى منكراً على من ادعى أن له (ولداً سبحانه هو الغني) أي تقدس عن ذلك هو الغني عن كل ماسواه وكل شيء فقير اليه (له مافي السموات وما في الارض) أي فكيف يكون له ولد مما خلق وكل شيء مملوك له عبد له (إن عندكم من سلطان بهذا) أي ليس عندكم دليل على ماتقولونه من الكذب والبهتان (أتقولون على الله مالا تعلمون) انكار ووعيد أكيد وتهديد شديد كقوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا اداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) ثم توعد تعالى الكاذبين

يعني الغلبة والقدرة لله ﴿جميعا﴾ هو ناصرك وناصر دينك والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب (ان العزة لله جميعا) يعني ان الله يعز من يشاء كما قال في آية أخرى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) بالله فهي كلها لله ﴿هو السميع العليم * ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ هو ما الاستفهام معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وقيل وما يتبعون حقيقة لانهم يعبدونها على ظن أنهم شفعاء فيشفعون لنا وليس على ما يظنون ﴿ان يتبعون الا الظن﴾ يظنون أنها تقربهم إلى الله ﴿وان هم إلا يخرصون﴾ يكذبون ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ مضيئا يبصر فيه كقولهم ليل نائم وعيشة راضية قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأضاء النهار وأبصر اي صار ذا ظلمة وضياء وبصر ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سمع الاعتبار أنه مما لا يقدر عليه الا عالم قادر ﴿قالوا﴾ يعني المشركين ﴿اتخذ الله ولدا﴾ وهو قولهم الملائكة بنات الله ﴿سبحانه هو الغني﴾ عن خلقه ﴿له ما في السموات وما في الارض﴾ عبيداً وملكا ﴿ان عندكم﴾ ما عندكم ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ومن صلة تقديره ما عندكم سلطان ﴿بهذا اتقولون

عليه المفترين ممن زعم أنه له ولداً بأنهم لايفلحون في الدنيا ولا في الآخرة فأما في الدنيا فانهم اذا استدرجهم وأملى لهم متعهم قليلا (ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ) كما قال تعالى ههنا (متاع في الدنيا) أي مدة قريبة (ثم الينا مرجعهم) أي يوم القيامة (ثم نذيقهم العذاب الشديد) أي الموجع المؤلم (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم على الله فيما ادعوه من الافك والزور

(واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيت الله

فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليّ ولا

تنظرون (٧١) فان توليتم فما سالتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون

من المسلمين (٧٢) فكذبوه فنجينه ومن معه في الفلك وجعلنهم خلئف وأغرقنا الذين كذبوا

بآيتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين (٧٣)

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (واتل عليهم) أي اخبرهم واقصص عليهم أي على كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك (نبأ نوح) أي خبره مع قومه الذين كذبوه كيف أهلكهم الله ودمرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك (إذ قال لقومه ياقوم ان كان كبرعليكم) أي عظم عليكم (مقامي) أي فيكم بين أظهركم (وتذكيري) إياكم (بايات الله) أي بحججه وبراهينه (فعلى الله توكلت) اي فاني لا أبالي ولا أكف عنكم سواء عظم عليكم أولا (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) أي فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون

على الله مالا تعلمون ؟ * قل ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون﴾ لاينجون وقيل لا يبقون في الدنيا ولكن ﴿متاع﴾ قليل يتمتعون به وبلاغ ينتفعون به الى انقضاء آجالهم ومتاع رفع باضمار أي هو متاع ﴿في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾

قوله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ أي اقرأ يامحمد على أهل مكة خبر نوح ﴿إذ قال لقومه﴾ وهم ولدقابيل ﴿ياقوم ان كان كبرعليكم﴾ عظم وثقل عليكم ﴿مقامي﴾ طول عمري ومكثي فيكم ﴿وتذكيري﴾ ووعظي إياكم ﴿بايات الله﴾ بحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي ﴿فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم﴾ أي أحكموا أمركم واعزموا عليه ﴿وشركاءكم﴾ أي وادعوا شركاءكم أي آلهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وقال الزجاج معناه فاجمعوا أمركم مع شركائكم فلما ترك مع انتصب وقرأ يعقوب وشركاؤكم رفع أى فاجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم وقرأ رويس عن يعقوب فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم والوجه من جمع يجمع والمراد فاجمعوا ذوي أمركم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والمعنى

الله من صنم ووثن (ثم لايكن أمركم عليكم غمة) أي ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبساً، بل افصلوا حالكم معي فان كنتم تزعمون أنكم محقون فاقضوا إليّ ولا تنظرون أي ولا تتأخروني ساعة واحدة أي مهما قدرتم فافعلوا فاني لا أبالكم ولا أخاف منكم لانكم لستم على شيء كما قال هود لقومه [اني أشهد الله واشهدوا أني برىء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لاتنظرون * اني توكلت على الله ربي وربكم] الاية

وقوله [فان توليتم] أى كذبتم وادبرتم عن الطاعة [فما سألتكم من أجر] أي لم أطلب منكم على نصحي اياكم شيئاً [ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين] أى وأنا ممتثل ما أمرت به من الاسلام لله عز وجل والاسلام هو دين الانبياء جميعا من أولهم الى آخرهم، وان تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم كما قال تعالى [لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا] قال ابن عباس سبيلا وسنة فهذا نوح يقول [وأمرت أن أكون من المسلمين] وقال تعالى عن ابراهيم الخليل [إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون] وقال يوسف [رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولبي في الدنيا والاخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين] وقال موسى [ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين] وقالت السحرة [ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين وقالت بلقيس [رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين]

وقال تعالى [انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا] وقال تعالى [واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون] وقال خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم [ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين] أى من هذه الامة، ولهذا قال في الحديث الثابت عنه « نحن معاشر الانبياء أولاد علات وديننا واحد» أي وهو عبادة الله وحده لاشريك له وإن تنوعت شرائعنا

واجمعوا رؤساءكم ﴿ثم لايكن أمركم عليكم غمة﴾ أى خفيا مبهما من قولهم غم الهلال على الناس أي أشكل عليهم وأخفي ﴿ثم اقضوا إلي﴾ أي امضوا ما في أنفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان إذا مات ومضى وقضى دينه إذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا إلي بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون وهذا مثل قول السحرة لفرعون فاقض ما انت قاض أي اعمل ما أنت عامل ﴿ولا تنظرون﴾ ولا تؤخرون وهذا على طريق التعجيز أخبر الله عن نوح أنه كان واثقا بنصر الله تعالى غير خائف من كيد قومه علما منه بانهم وآلهتهم ليس اليهم نفع ولا ضر الا أن يشاء الله ﴿فان توليتم﴾ أعرضتم عن قولي وقبول نصحي ﴿فما سألتكم﴾ على تبليغ الرسالة والدعوة ﴿من أجر﴾ من جعل وعوض ﴿ان أجري﴾ ما أجري وثوابي ﴿الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي من المؤمنين، وقيل من المستسلمين

وذلك معنى قوله أولاد علات وهم الأخوة من أمهات شتى والاب واحد ، وقوله تعالى [فكذبوه فنجيناه ومن معه] أى على دينه [في الفلك] وهي السفينة [وجعلناهم خلائف] أى في الارض [وأغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين] أى يا محمد كيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا المكذبين

(ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينت فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، كذلك نطبع على قلوب المعتدين (٧٤)

يقول تعالى ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات أي بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ماجاؤهم به (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي فما كانت الامم لتؤمن بما جاءهم به رسلهم بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا اليهم كقوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) الآية وقوله (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) أي كما طبع الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم ممن بعدهم ويختم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ، والمراد أن الله تعالى أهلك الامم المكذبة للرسل وأنجى من آمن بهم وذلك من بعد نوح عليه السلام فان الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام على الاسلام إلى أن أحدث الناس عبادة الاصنام فبعث الله اليهم نوحا عليه السلام ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض وقال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ، وقال تعالى (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) الاية ، وفي هذا انذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا سيد الرسل وخاتم الانبياء والمرسلين فانه إذا كان قد أصاب من كذب بتلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العذاب والنكال ، فماذا ظن هؤلاء ، وقد ارتكبوا أكبر من أولئك

(ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآيتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (٧٥) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين (٧٦) قال موسى :

لامر الله ﴿ فكذبوه ﴾ يعني نوحا ﴿ فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف ﴾ أي جعلنا الذين معه في الفلك سكان الارض خلفاء عن الهالكين ﴿ وأغرقنا الذين كذبو بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ أى آخر امر الذين انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا ﴾ اى من بعد نوح رسلا ﴿ إلى قومهم فجاؤهم بالبينات ﴾ بالدلالات الواضحات ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾ أي بما كذب به قوم نوح من قبل ﴿ كذلك نطبع ﴾ أي نختم ﴿ على قلوب المعتدين * ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه ﴾ يعني أشراف قومه ﴿ بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين

أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ؟ولا يفلح السحرون (٧٧) قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا

عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض؟وما نحن لكما بمؤمنين (٧٨)

يقول تعالى (ثم بعثنا) من بعد تلك الرسل (موسى وهارون إلى فرعون وملئه) أي قومه (بآياتنا) أي حججنا وبراهيننا (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) أي استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له وكانوا قوما مجرمين (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين) كأنهم قبحهم الله أقسموا على ذلك وهم يعلمون ان ماقالوه كذب وبهتان كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً) الاية (قال) لهم (موسى) منكراً عليهم (أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون * قالوا أجئتنا لتلفتنا) أي تثنينا (عما وجدنا عليه آباءنا) أي الدين الذي كانوا عليه (وتكون لكما) أي لك ولهارون (الكبرياء) أي العظمة والرياسة (في الارض وما نحن لكما بمؤمنين)

وكثيراً ما يذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كتابه العزيز لانها من أعجب القصص فان فرعون حذر من موسى كل الحذر فسخره القدر أن ربى هذا الذي يحذر منه على فراشه ومائدته بمنزلة الولد ثم ترعرع وعقد الله له سببا أخرجه من بين أظهرهم ورزقه النبوة والرسالة والتكليم وبعثه اليه ليدعوه الى الله تعالى ليعبده ويرجع اليه ، هذا مع ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان ، فجاءه برسالة الله تعالى وليس له وزير سوى أخيه هارون عليه السلام ، فتمرد فرعون واستكبر ، وأخذته الحمية ، والنفس الخبيثة الابية ، وقوي رأسه وتولى بركنه ، وادعى ما ليس له وتجهرم على الله وعتا وبغى وأهان حزب الايمان من بني اسرائيل ، والله تعالى يحفظ رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون ويحوطهما بعنايته ويحرسهما بعينه التي لا تنام ، ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يدي موسى شيئا بعد شيء ، ومرة بعد مرة مما يبهر العقول ويدهش الالباب مما لا يقوم له شيء ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله ، (وما تأتيهم من آية الا هي أكبر من أختها) وصمم فرعون وملؤه قبحهم الله على التكذيب بذلك كله والجحد والعناد والمكابرة حتى أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد ، وأغرقهم في صبيحة واحدة أجمعين (فقطع[1] دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)

«١» في النسخ كلها وقطع وهو غلط قطعا

فلما جاءهم ﴾ يعني جاء فرعون وقومه ﴿ الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين * قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ﴾ تقدير الكلام أتقولون للحق لما جاءكم سحر أسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ﴿ ولا يفلح الساحرون * قالوا ﴾ يعني فرعون وقومه لموسى ﴿ أجئتنا لتلفتنا ﴾ لتصرفنا وقال قتادة لتلوينا ﴿ عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء ﴾ الملك والسلطان ﴿ في الارض ﴾ أرض مصر وقرأ أبو بكر ويكون بالياء ﴿ وما نحن لكما بمؤمنين ﴾ بمصدقين

(وقال فرعون ائتوني بكل سحر عليم (٧٩) فلما جاء السحرة قال لهم موسى : ألقوا

ما أنتم ملقون (٨٠) فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ، ان الله لا يصلح

عملَ المفسدين (٨١) ويُحقُّ الله الحقَّ بكلمته ولو كره المجرمون (٨٢)

ذكر الله سبحانه قصة السحرة مع موسى عليه السلام في سورة الاعراف وقد تقدم الكلام عليها هناك وفي هذه السورة وفي سورة طه وفي الشعراء، وذلك ان فرعون لعنه الله أراد أن يبهرج على الناس ويعارض ما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين، بزخارف السحرة والمشعبذين ،فانعكس عليه النظام ، ولم يحصل له من ذلك المرام ، وظهرت البراهين الالهية في ذلك المحفل العام (وألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون) فظن فرعون أنه يستنصر بالسحار ،على رسول عالم الاسرار ، فخاب وخسر الجنة واستوجب النار(وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم * فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) وإنما قال لهم ذلك لانهم لما اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل [قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا] فأراد موسى أن تكون البداءة منهم ليرى الناس ما صنعوا ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم. ولهذا لما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم [فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لاتخف انك أنت الأعلى * وألق مافي يمينك تلقف ما صنعوا ، ان ماصنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى] فعند ذلك قال موسى لما ألقوا [ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا عبد الرحمن يعني الدشتكي أخبرنا أبو جعفر الرازي عن ليث وهو ابن أبي سليم [(١)] قال : بلغني ان هؤلاء الآيات شفاء من السحر باذن الله تعالى تقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التي من سورة يونس (فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح

﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم * فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر﴾ قرأ ابو عمرو وأبو جعفر آلسحر بقطع الالف والمد على الاستفهام وما في هذه القراءة للاستفهام وليست بموصولة وهي مبتدأة وجئتم به خبرها والمعنى أي شيء جئتم به وقوله آلسحر بدل عنها وقرأ الباقون (ماجئتم به السحر) بوصل الالف من غير مد وما في هذه القراءة موصولة بمعنى الذي وجئتم به صلتها وهي مع الصلة في موضع الرفع بالابتداء، وقوله السحر خبره أي الذي جئتم به السحر ويقوي هذه القراءة قراءة ابن مسعود ماجئتم به سحر بغير الالف واللام ﴿إن الله سيبطله

١) قال الحافظ في التقريب: صدوق اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك اه أي ترك كل حديثه لعدم تميز ما رواه قبل اختلاط عقله و بعده. فهل كان يليق بالمؤلف عفا الله عنه أن يروي لنا مثل هذا عن مجنون بلاغا عن مجهول ؟

عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) والاية الاخرى (فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون) الى آخر أربع آيات وقوله [إن ماصنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى]

فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين (٨٣)

يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات الا قليل من قوم فرعون من الذرية ، وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردوهم إلى ماكانوا عليه من الكفر، لان فرعون لعنه الله كان جباراً عنيدا مسرفا في التمرد والعتو وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منـه خوفا شديداً . قال العوفي عن ابن عباس (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم] قال فان الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه ؛ وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه) يقول بني إسرائيل ؛ وعن ابن عباس والضحاك وقتادة الذرية القليل ، وقال مجاهد في قوله إلا ذرية من قومه قال هم أولاد الذين أرسل اليهم موسى ومات آباؤهم ؛ واختـار ابن جرير قول مجاهـد في الذرية أنهـا من بني إسرائيل لا من قوم فرعون لعود الضمير على أقرب المذكورين ، وفي هـذا نظر لأنه أراد بالذرية الاحداث والشباب وانهم من بني إسرائيل فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه السلام واستبشروا به ، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم

ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته﴾ بآياته ﴿ولو كره المجرمون * فما آمن لموسى﴾ لم يصدق موسى مع ما آتاهم به من الآيات ﴿الا ذرية من قومه﴾ اختلفوا في الهاء التي في قومه قيل هي راجعة الى موسى وأراد بهم مؤمني بني اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه قال مجاهد كانوا أولاد الذين أرسل اليهم موسى من بني اسرائيل هلك الآباء وبقي الابناء ، وقال الآخرون الهاء راجعة إلى فرعون ، وروى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطة ابنته ، وعن ابن عباس رواية أخرى أنهم كانوا سبعين الف بيت من القبط من آل فرعون وأمهاتهم من بني اسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بني اسرائيل كانت المرأة من بني اسرائيل إذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا من القتل فنشؤا عند القبط وأسلموا في اليوم الذي غلبت السحرة فيه قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط وأمهاتهم من

يجد عنه شيئا ، ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الاذى (وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى وهم بنو إسرائيل (على خوف من فرعون وملئهم) أي وأشراف قومهم أن يفتنهم ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الايمان سوى قارون فانه كان من قوم موسى فبغى عليهم لكنه كان طارئا[1] إلى فرعون متصلا به متعلقا بحباله ، ومن قال ان الضمير في قوله وملئهم عائد إلى فرعون وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحذف آل فرعون واقامة المضاف اليه مقامه فقد أبعد ، وان كان ابن جرير قد حكاهما عن بعض النحاة . ومما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن قوله تعالى

وقال موسى يقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين (٨٤) فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظلمين (٨٥) ونجنا برحمتك من القوم الكفرين (٨٦)

يقول تعالى مخبراً عن موسى أنه قال لبني إسرائيل [ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين] أي فان الله كاف من توكل عليه [أليس الله بكاف عبده * ومن يتوكل على الله فهو حسبه] وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله تعالى (فاعبده وتوكل عليه * قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة [إياك نعبد واياك نستعين] وقد امتثل بنو اسرائيل ذلك فقالوا (على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أي لا تظفرهم بنا وتسلطهم علينا فيظنوا أنهم انما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل فيفتنوا بذلك هكذا روي عن أبي مجلز وأبي الضحى ، وقال ابن أبي نجيح وغيره عن مجاهد لا تعذبنا بأيدي آل فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ماعذبوا ولا سلطنا عليهم فيفتنوا بنا ، وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن

[1] «١» وفي الازهرية طاويا

بني اسرائيل كما يقال لاولاد أهل فارس الذين سقطوا الى اليمن الابناء لان أمهاتهم من غير جنس آبائهم ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ قيل أراد بفرعون آل فرعون اي على خوف من آل فرعون وملئهم كما قال واسئل القرية اي اهل القرية وقيل انما قال وملئهم وفرعون واحد لان الملك إذا ذكر يفهم منه هو واصحابه كما يقال قدم الخليفة يراد هو ومن معه وقيل اراد ملأ الذرية فان ملأهم كانوا من قوم فرعون ﴿ان يفتنهم﴾ اي يصرفهم عن دينهم ولم يقل يفتنوهم لانه اخبر عن فرعون وكان قومه على مثل ما كان عليه فرعون ﴿وان فرعون لعال﴾ لمتكبر ﴿في الارض وانه لمن المسرفين﴾ المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية ﴿وقال موسى لقومه﴾ لمؤمني قومه ﴿يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا﴾ اعتمدنا ثم دعوا فقالوا ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾

مجاهد (ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين) لاتسلطهم علينافيفتنونا وقوله (ونجنابرحمتك) أي خلصنابرحمة منك واحسان (من القوم الـكافرين) أي الذين كفروا الحق وستروه ونحن قدآمنابك وتوكلنا عليك

(وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين (٨٧)

يذكر تعالى سبب انجائه بني اسرائيل من فرعون وقومه وكيفية خلاصهم منهم ، وذلك أن الله تعالى أمر موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يتبوآ أي يتخذا لقومهابمصر بيوتا ، واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة) فقال الثوري وغيره عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس (واجعلوا بيوتكم قبلة) قال أمروا أن يتخذوها مساجد ، وقال الثوري أيضا عن ابن منصور عن ابراهيم (واجعلوا بيوتكم قبـلة) قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم وكذا قال مجاهد وأبو مالك والربيع بن أنس والضحاك وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وأبوه زيد بن أسـلم وكأن هذا والله أعلم لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه وضيقوا عليهم أمروا بكثرة الصلاة كقوله تعالى [ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة] وفي الحديث كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى أخرجه أبو داود ولهذا قال تعالى في هذه الآية (واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) أي بالثواب والنصر القريب ، وقال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السـلام لانستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا في بيوتهم وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة ، وقال مجاهد (واجعلوا بيوتكم قبلة) لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يصلوا في الـكنائس الجامعة أمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الـكعبة يصلون فيها سرا وكذا قال قتادة والضحاك وقال سعيد بن جبير (واجعلوا بيوتكم قبلة) أي يقابل بعضها بعضا

اى لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بايديهم فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على الحق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا فيفتتنوا ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾

قوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه ﴾ هارون ﴿ أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا ﴾ يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا ومضجعا اذا اتخذه وبوأته أنا اذا اتخذته له ﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ قال أكثر المفسرين كانت بنو اسرائيل لا يصلون إلا في كنائسهم وبيعهم وكانت ظاهرة ، فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون هذا قول ابراهيم وعكرمة عن ابن عباس . وقال مجاهد : خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا معناه واجعلوا وجوه بيوتكم إلى القبلة . وروى ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه ﴿ وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ يا محمد

(وقال موسىٰ ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحيوٰة الدنيا، ربنا ليضلوا عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الاليم (٨٨) قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون (٨٩))

هذا إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى عليه السلام على فرعون وملئه لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين ظلما وعلوا وتكبرا وعتوا (قال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة) أي من أثاث الدنيا ومتاعها (وأموالا) أي جزيلة كثيرة (في) هذه (الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) بفتح الياء أي أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به اليهم استدراجا منك لهم كقوله تعالى [لنفتنهم فيه] وقرأ آخرون ليضلوا بضم الياء أي ليفتتن بما أعطيتهم من شئت من خلقك ليظن من أغويته أنك إنما أعطيتهم هذا لحبك إياهم واعتنائك بهم (ربنا اطمس على أموالهم) قال ابن عباس ومجاهد أي أهلكها، وقال الضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت، وقال قتادة بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة، وقال محمد بن كعب القرظي جعل سكرهم حجارة، وقال ابن أبي حاتم حدثنا اسماعيل بن أبي الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكير عن أبي معشر حدثني محمد بن قيس أن محمد بن كعب قرأ سورة يونس على عمر بن عبدالعزيز حتى بلغ (وقال موسي ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا) الى قوله (ربنا اطمس على أموالهم) الآية فقال عمر يا أبا حمزة أي شيء الطمس؟ قال: عادت أموالهم كلها حجارة، فقال عمر

قوله تعالى ﴿وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة﴾ من متاع الدنيا ﴿وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ اختلفوا في هذه اللام قيل هي لام كي معناه آتيتهم كي تفتنهم فيضلوا ويضلوا عن سبيلك كقوله (لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه) وقيل هي لام العاقبة يعني ليضلوا فيكون عاقبة أمرهم الضلال كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) قوله ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ قال مجاهد أهلكها والطمس المحو، وقال أكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها. قال قتادة: صارت أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم كلها حجارة، وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة، وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين، والمرأة قائمة تخبز فصارت حجراً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا، ودعا عمر بن عبد العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وانها لحجر. قال السدي: مسخ الله أموالهم حجارة والنخيل والثمار والدقيق

ابن عبدالعزيز لغلام له إئتني بكيس فجاءه بكيس فاذا فيه حمص وبيض قد حول حجارة وقوله [واشدد على قلوبهم] قال ابن عباس أي اطبع عليها (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضبا لله ولدينه على فرعون وملئه الذين تبين له أنهم لاخير فيهم ولا يجيء منهم شيء، كما دعا نوح عليه السلام فقال [رب لاتذر على الارض من الـكافرين ديارا * إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفارا] ولهـذا استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فيهم هذه الدعوة التي أمن عليها أخوه هارون فقال تعالى (قد أجيبت دعوتكما) قال أبو العاليـة وأبو صالح وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس دعا موسى وأمن هارون أي قد أجبنا كما فيما سألتما من تدمير آل فرعون وقد يحتج بهذه الآية من يقول إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتها لان موسى دعا وهارون امن، وقال تعالى (قد أجيبت دعوتكما فاستقيما) الآية أي كما أجيبت دعوتكما فاستقيما على أمري. قال ابن جريج عن ابن عباس فاستقيما فامضيا لأمري وهي الاستقامة قال ابن جريج يقولون إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة، وقال محمد بن كعب وعلي بن الحسين أربعين يوما

(وجوزنا ببني إسراءيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنوا اسراءيل وأنا من المسلمين (٩٠)

والاطعمة فكانت إحدى الآيات التسع ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ أي اقسها واطبع عليها حتى لاتلين ولا تنشرح للايمان ﴿ فلا يؤمنوا ﴾ قيل هو نصب بجواب الدعاء بالفاء وقيل هو عطف على قوله ليضلوا أي ليضلوا فلا يؤمنوا . وقال الفراء هو دعاء ومحله جزم فكأنه قال اللهـم فلا يؤمنوا ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ وهو الغرق . قال السدي : معناه أمتهم على الكفر ﴿ قال ﴾ الله تعالى لموسى وهارون ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ انما نسب اليهما والدعاء كان من موسى لأنه روي أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن والتأمين دعاء ، وفي بعض القصص كان بين دعاء موسى واجابته أربعون سنة ﴿ فاستقيما ﴾ على الرسالة والدعوة وامضيا لأمري إلى أن يأتيهم العذاب ﴿ ولا تتبعان ﴾ نهي بالنون الثقيلة ومحله جزم يقال في الواحد لاتتبعن بفتح النون لالتقاء الساكنين، وبكسر النون في التثنية لهذه العلة ، وقرأ ابن عامر بتخفيف النون ، وقد اختلفت الروايات عنه فيه فبعضهم روى عنه تتبعان بتخفيف التاء الثانية وفتح الباء وتشديد النون ، وبعضهم روى عنه تتبعان بتشديد التاء الثانية وكسر الباء وتخفيف النون وبعضهم روى عنه كقراءة الجماعة والوجه في تخفيف النون أن نون التأكيد تثقل وتخفف ﴿ سبيل الذين لايعلمون ﴾ يعني ولا تسلكا سبيل الذين يجهلون حقيقة وعدي فان وعدي لاخلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيـل البحر ﴾ عبرنا بهم ﴿ فأتبعهم ﴾ لحقهـم وأدركهم

آلْـٰٔنَ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (٩١) فاليوم نُنَجِّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آيـٰتنا لغفلون (٩٢)

يذكر تعالى كيفية اغراقه فرعون وجنوده فان بني اسرائيل لما خرجوا من مصر صحبة موسى عليه السلام وهم فيما قيل ستمائة الف مقاتل سوى الذرية وقد كانوا استعاروا من القبط حليا كثيراً فخرجوا به معهم فاشتد حنق فرعون عليهم فأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمه فركب وراءهم في أبهة عظيمة وجيوش هائلة لما يريده الله تعالى بهم ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته فلحقوهم وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون) وذلك أنهم لما انتهوا إلى ساحل البحر وفرعون وراءهم ولم يبق الا أن يتقابل الجمعان وألح أصحاب موسى عليه السلام عليه في السؤال كيف المخلص مما نحن فيه؟ فيقول إني أمرت أن أسلك ههنا (كلا ان معي ربي سيهدين) فعند ماضاق الامر اتسع فأمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه فضربه فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل العظيم وصار اثنى عشر طريقا لكل سبط واحد وأمر الله الريح فنشفت أرضه (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لاتخاف دركا ولا تخشى) وتخرق الماء بين الطرق كهيئة الشبابيك ليرى كل قوم الآخرين لئلا يظنوا أنهم هلكوا. وجاوزت بنو اسرائيل البحر فلما خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده الى حافته من الناحية الاخرى وهو في مائة الف أدهم سوى بقية الالوان، فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهاب وهم بالرجوع وهيهات ولات حين مناص، نفذ القدر، واستجيبت الدعوة. وجاء جبريل عليه السلام على فرس وديق حائل فمر إلى جانب حصان فرعون فحمحم اليها واقتحم جبريل البحر فاقتحم الحصان وراءه ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئا فتجلد لأمرائه وقال لهم ليس بنو اسرائيل بأحق بالبحر منا فاقتحموا كلهم عن آخرهم وميكائيل في ساقتهم لايترك منهم أحداً إلا ألحقه بهم، فلما استوسقوا فيه وتكاملوا وهم أولهم بالخروج منه أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد، وجعلت الامواج ترفعهم

﴿فرعون وجنوده﴾ يقال اتبعه وتبعه اذا أدركه ولحقه واتبعه بالتشديد إذا سار خلفه واقتدى به وقيل هما واحد ﴿بغياً وعدواً﴾ أي ظلماً واعتداء، وقيل بغياً في القول وعدواً في الفعل، وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر هابوا دخوله فتقدمهم جبريل على فرس وديق وخاض البحر فاقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم الماء.

قوله تعالى ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ أي غمره الماء وقرب هلاكه ﴿قال آمنت أنه﴾ قرأ حمزة والكسائي (إنه) بكسر الالف أي آمنت وقلت إنه، وقرأ الآخرون (أنه) بالفتح على وقوع آمنت عليها وإضمار حرف الجر أي آمنت بأنه فحذف الباء وأوصل الفعل بنفسه فهو في موضع النصب

وتخفضهم وتراكمت الامواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت فقال وهو كذلك (آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) فآمن حيث لا ينفعه الايمان (فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يكن ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) ولهذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال [الآن وقد عصيت قبل] أي أهذا الوقت تقول ، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه [وكنت من المفسدين] أي في الارض الذين أضلوا الناس [وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون] وهذا الذي حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في حاله ذلك من أسرار الغيب التي أعلم الله بها رسوله ﷺ ولهذا قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما قال فرعون امنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل — قال — قال لي جبريل لو رأيتني وقد أخذت من حال البحر [1] فدسسته في فيه مخافة أن تناله الرحمة » ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم في تفاسيرهم من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي حديث حسن ، وقال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « قال لي جبريل لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة » وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضا ، وابن جرير أيضا من غير وجه عن شعبة به فذكر مثله ، وقال الترمذي حسن غريب صحيح ووقع في رواية عند ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن عطاء وعدي عن سعيد عن ابن عباس رفعه أحدهما فكأن الآخر لم يرفع فالله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن عمر بن عبدالله بن يعلى الثقفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أغرق الله فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته (آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل) قال فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحال بجناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه وكذا رواه ابن جرير عن سفيان بن وكيع عن أبي خالد به موقوفا ، وقد روي من حديث أبي هريرة أيضا فقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة هو ابن أبي سعيد عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال لي جبريل يا محمد لو رأيتني وأنا أغطه وأدس من الحال [2] في فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له »

(١) حال البحر طينه الاسود

٢) نسخة ابن جرير: من حمئه

﴿ لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ فدس جبريل في فيه من حمأة البحر وقال ﴿ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ وروي عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال « لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل فقال جبريل عليه السلام يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة » فلما أخبر موسى قومه بهلاك

يعني فرعون. كثير بن زاذان هـذا قال ابن معين لا أعرفه، وقال أبو زرعة وأبو حاتم مجهول وباقي رجاله ثقاة، وقد أرسل هذا الحديث جماعة من السلف قتادة وابراهيم التيمي وميمون بن مهران ونقل عن الضحاك بن قيس أنه خطب بهذا للناس فالله أعلم وقوله [فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية] قال ابن عباس وغيره من السلف ان بعض بني اسرائيل شكوا في موت فرعون فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح وعليه درعه المعروفة على نجوة من الارض وهو المكان المرتفع ليتحققوا موته وهلاكه ولهـذا قال تعالى [فاليوم ننجيك] أي نرفعك على نشز من الارض ببدنك قال مجاهد بجسدك، وقال الحسن بجسم لا روح فيـه، وقال عبدالله بن شداد سويا صحيحا أي لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه وقال أبو صخر بدرعك. وكل هذه الاقوال لا منافاة بينها كما تقدم والله أعلم وقوله [لتكون لمن خلفك آية] أي لتكون لبني اسرائيل دليلا على موتك وهلاكك وان الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده وانه لا يقوم لغضبه شيء ولهذا قرأ بعضهم[1] (لتكون لمن خلقك آية وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون) أي لا يتعظون بها ولا يعتبرون بها، وقد كان اهلاكهم[2] يوم عاشوراء كما قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال «ماهذا اليوم الذي تصومونه» فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه «أنتم أحق بموسى منهم فصوموه»

(١) وفي الازهرية بعض السلف

(٢) وفيها هلاك فرعون

ولقد بوّأنا بني إسراءيل مبوأ صدق ورزقنهم من الطيبت فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون (٩٣)

يخبر تعالى عما أنعم به على بني اسرائيل من النعم الدينية والدنيوية وقوله [مبوأ صدق] قيل هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه فان الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكمالها كما قال الله تعالى [وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون] وقال في الاية الاخرى [فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك

فرعون وقومه قالت بنو اسرائيل ما مات فرعون فأمر الله البحر فألقى فرعون على الساحل أحمر قصيراً كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً فذلك قوله ﴿ فاليوم ننجيك ﴾ أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع، وقرأ يعقوب (ننجيك) بالتخفيف ﴿ ببدنك ﴾ بجسدك لا روح فيه وقيل (ببدنك) بدرعك وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر فرأوه في درعه فصدقوا موسى ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ عبرة وعظة ﴿ وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون * ولقد بوأنا بني اسرائيل ﴾ أنزلنا بني اسرائيل بعد هلاك فرعون ﴿ مبوأ صدق ﴾ منزل صدق يعني

وأورثناها بني إسرائيل] وقال كم تركوا من جنات وعيون] الآيات ولكن استمروا مع موسى عليه السلام طالبين إلى بلاد بيت المقدس وهي بلاد الخليل عليه السلام فاستمر موسى بمن معه طالبا بيت المقدس وكان فيه قوم من العمالقة فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم فشردهم الله تعالى في التيه أربعين سنة ومات فيه هارون ثم موسى عليهما السلام وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون ففتح الله عليهم بيت المقدس واستقرت أيديهم عليها إلى أن أخذها منهم بختنصر حينا من الدهر ثم عادت اليهم ثم أخذها ملوك اليونان [1] فكانت تحت أحكامهم مدة طويلة وبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام في تلك المدة فاستعانت اليهود قبحهم الله على معاداة عيسى عليه السلام بملوك اليونان [1] وكانت تحت أحكامهم ووشوا عندهم وأوحوا اليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا فبعثوا من يقبض عليه فرفعه الله اليه وشبه لهم بعض الحواريين بمشيئة الله وقدره فاخذوه فصلبوه واعتقدوا أنه هو (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) ثم بعد المسيح عليه السلام بنحو ثلثمائة سنة دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان في دين النصرانية وكان فيلسوفا قبل ذلك فدخل في دين النصارى قيل تقية وقيل حيلة ليفسده فوضعت له الاساقفة منهم قوانين وشريعة بدعوها وأحدثوها [2] فبنى لهم الكنائس والبيع الكبار والصغار والصوامع والهيا كل والمعابد والقلايات وانتشر دين النصرانية في ذلك الزمان واشتهر على ما فيه من تبديل وتغيير وتحريف ووضع وكذب ومخالفة لدين المسيح ولم يبق على دين المسيح على الحقيقة منهم إلا القليل من الرهبان فاتخذوا لهم الصوامع في البراري والمهامه والقفار، واستحوذت يد النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم وبنى هذا الملك المذكور مدينة قسطنطينية والقمامة وبيت لحم وكنائس بلاد بيت المقدس ومدن حوران كبصرى وغيرها من البلدان بنايات هائلة محكمة، وعبدوا الصليب من حينئذ وصلوا إلى الشرق وصوروا الكنائس، وأحلوا لحم الخنزير وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع في دينهم والاصول، ووضعوا له الامانة الحقيرة التي يسمونها الكبيرة، وصنفوا له القوانين. وبسط هذا يطول والغرض أن يدهم لم تزل على هذه البلاد الى أن انتزعها منهم الصحابة رضي الله عنهم، وكان فتح بيت المقدس على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولله الحمد والمنة وقوله (ورزقناهم من الطيبات) أي الحلال من الرزق الطيب النافع المستطاب طبعا وشرعا وقوله (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) أي ما اختلفوا في شيء من المسائل إلا من بعد ما جاءهم العلم أي ولم يكن لهم أن يختلفوا

(١) يريد باليونان الرومان وتسميهم العرب كلهم بالروم

٢) في الازهرية وبدعا أحدثوها

مصر وقيل الاردن وفلسطين وهي الارض المقدسة التي كتبها الله ميراثا لابراهيم وذريته قال الضحاك هي مصر والشام ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ الحلالات ﴿ فما اختلفوا ﴾ يعني اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ في تصديقه وانه نبي ﴿ حتى جاءهم العلم ﴾ يعني القرآن والبيان بأنه رسول الله صدق، ودينه حق، وقيل حتى جاءهم معلومهم وهو محمد ﷺ لانهم كانوا يعلمونه قبل خروجه فالعلم بمعنى المعلوم كما يقال للمخلوق خلق قال الله تعالى (هذا خلق الله) ويقال هذا الدرهم ضرب الامير أي

وقد بين الله لهم وأزال عنهم اللبس ، وقد ورد في الحديث «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار » قيل من هم يارسول الله ؟ قال « ماأنا عليه وأصحابي» رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفظ وهو في السنن والمسانيد ولهذا قال الله تعالى (إن ربك يقضي بينهم) أي يفصل بينهم (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

(فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتب من قبلك . لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (٩٤) ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخسرين (٩٥) إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون (٩٦) ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم (٩٧)

قال قتادة بن دعامة بلغنا أن رسول الله ﷺ قال « لا أشك ولا أسأل » وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري وهذا فيه تثبيت للأمة واعلام لهم أن صفة نبيهم ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الآية ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون

مضروبه ﴿ ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من الدين

قوله تعالى ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ﴾ يعني القرآن ﴿ فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ﴾ فيخبرونك انك مكتوب عندهم في التوراة . قيل هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فانهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره كقوله تعالى (يا أيها النبي اتق الله) خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل انه قال (إن الله كان بما تعملون خبيراً) ولم يقل بما تعمل . وقال (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) وقيل : كان الناس على عهد النبي ﷺ بين مصدق ومكذب وشاك فهذا الخطاب مع أهل الشك معناه ان كنت أيها الانسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان رسولنا محمد (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني من آمن من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه فسيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته . قال الفراء علم الله سبحانه وتعالى ان رسول الله غير شاك لكنه ذكره على عادة العرب يقول الواحد منهم لعبده : ان كنت عبدي فأطعني ويقول لولده افعل كذا وكذا ان كنت ابني ولا يكون ذلك على وجه الشك ﴿ لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ من الشاكين ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين ﴾ وهذا كله خطاب مع النبي ﷺ والمراد منه غيره

أبناءهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) أي لا يؤمنون إيمانا ينفعهم بل حين لا ينفع نفسا إيمانها ولهذا دعا موسى عليه السلام على فرعون وملئه (قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) كما قال تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) ثم قال تعالى

(فلولا كانت قريةٌ آمنت فنفعها إيمـٰنها الا قومَ يونُسَ لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوٰة الدنيا ومتعنٰهم الىٰ حين (٩٨)

يقول تعالى فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الامم السالفة الذين بعثنا اليهم الرسل بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه أو أكثرهم كقوله تعالى (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون * كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وفي الحديث الصحيح «عرض علي الانبياء فجعل النبي يمر ومعه الفئام من الناس والنبي

قوله تعالى ﴿ ان الذين حقت عليهم ﴾ وجبت عليهم ﴿ كلمة ربك ﴾ قيل لعنته وقال قتادة سخطه وقيـل الكلمة هي قوله هؤلاء في النار ولا أبالي ﴿ لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ﴾ دلالة ﴿ حتى يروا العـذاب الأليم ﴾ قال الاخفش : أنث فعـل كل لانه مضـاف إلى المؤنث وهي قوله (آية) ولفظ كل للمذكر والمؤنث سواء .

قوله تعالى ﴿ فلولا كانت ﴾ فهلا كانت ﴿ قرية ﴾ ومعناه فلم تكن قرية لان في الاستفهام ضربا من الجحد أي أهل قرية ﴿ آمنت ﴾ عند معاينة العذاب ﴿ فنفعها ايمانها ﴾ في حالة البأس ﴿ إلا قوم يونس ﴾ فانهم نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وقوم نصب على الاستثناء المنقطع تقديره ولكن قوم يونس ﴿ لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ وهو وقت انقضاء آجالهم ، واختلفوا في انهم هل رأوا العذاب عيانا أم لا ؟ فقال بعضهم رأوا دليل العذاب والاكثرون على أنهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي) والكشف يكون بعد الوقوع أو اذا قرب وقصة الآية على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بنينوى من أرض الموصل فأرسل الله اليهم يونس يدعوهم إلى الايمان فدعاهم فأبوا فقيـل له أخبرهم ان العذاب مصبحهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم ، فلما كان في جوف تلك الليلة

ر معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه أحد » ثم ذكر كثرة أتباع موسى عليه السلام ثم ذكر كثرة أمته صلوات الله وسلامه عليه كثرة سدت الخافقين الشرقي والغربي ، والغرض انه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى الا قوم يونس وهم أهل نينوي وماكان ايمانهم الا خوفا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ماعاينوا أسبابه ، وخرج رسولهم من بين اظهرهم فعندها جاروا إلى الله واستغاثوا به وتضرعوا له واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم فعندها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب وأخروا كما قال تعالى (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) واختلف المفسرون هل كشف عنهم العذاب الاخروي مع الدنيوي أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط على قولين (أحدهما) انما كان ذلك في الحياة الدنيا كما هو مقيد في الآية (والثاني) فيهما لقوله تعالى [وأرسلناه إلى مائة الف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم الى حين]

خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رءوسهم قدر ميل . وقال وهب غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا يونس نبيهم فلم يجدوه وقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتها واختلطت أصواتها بأصواتهم وعجوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ماأظلهم وذلك كان يوم عاشوراء ، وكان يونس قد خرج فأقام ينتظر العذاب وهلاك قومه فلم ير شيئا وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل فقال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق عاتبا على ربه مغاضبا لقومه فأتى البحر فاذا قوم يركبون سفينة فعرفوه فحملوه بغير أجر فلما دخلها وتوسطت بهم ولججت وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم ، قال أهل السفينة ان لسفينتنا لشأنا ، قال يونس قد عرفت شأنها ركبها رجل ذو خطيئة عظيمة قالوا ومن هو؟ قال أنا اقذفوني في البحر قالوا ماكنا لنطرحك من بيننا حتى نعذر في شأنك واستهموا فاقترعوا ثلاث مرات فادحض سهمه والحوت عند رجل السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربه فيه فقال يونس انكم والله لتهلكن جميعاً أو لتطرحنني فيه فقذفوه فيه وانطلقوا وأخذه الحوت

وروي أن الله تعالي أوحى الى حوت عظيم حتي قصد السفينة فلما رآه أهل السفينة مثل الجبل العظيم وقد فغر فاه ينظر الى من في السفينة كأنه يطلب شيئا فخافوا منه ولما رآه يونس زج نفسه في الماء ، وعن ابن عباس انه خرج مغاضبا لقومه فأتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها فلما لججت السفينة تكفأت حتى كادوا أن يغرقوا فقال الملاحون ههنا رجل عاص أو عبد ابق وهكذا رسم السفينة

فأطلق عليهم الايمان ، والايمان منقذ من العذاب الاخروي وهذا هو الظاهر والله أعلم
وقال قتادة في تفسير هذه الآية لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت الا
قوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا ان العذاب قد دنا منهم فقذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح
وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله أربعين ليلة فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم والتوبة
والندامة على مامضى منهم كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم . قال قتادة وذكر أن قوم يونس
بنينوي أرض الموصل وكذا روي عن ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف وكان
ابن مسعود يقرؤها (فهلا كانت قرية آمنت) وقال أبو عمران عن أبي الجلد قال لما نزل بهم العذاب
جعل يدور على رءوسهم كقطع الليل المظلم فمشوا الى رجل من علمائهم فقالوا علمنا دعاء ندعو به لعل
الله أن يكشف عنا العذاب فقال قولوا ياحي حين لاحي ، ياحي محيي الموتى ، ياحي لااله الا أنت ،
قال فكشف عنهم العذاب . وتمام القصة سيأتي مفصلا في سورة الصافات ان شاء الله

اذا كان فيها آبق لاتجري ومن رسمنا أن نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر
ولأن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بما فيها فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة في كلها
على يونس فقام يونس فقال أنا الرجل العاصي والعبد الآبق فألقى نفسه في الماء فابتلعه حوت ثم جاء
حوت آخر أكبر منه وابتلع هذا الحوت وأوحى الله إلى الحوت لاتؤذي منه شعرة فاني جعلت بطنك
سجنه ولم أجعله طعاما لك ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال نودي الحوت انا لم نجعل يونس
لك قوتا انما جعلنا بطنك له حرزاً ومسجداً . وروي انه قام قبل القرعة فقال أنا العبد العاصي والآبق
قالوا من أنت ؟ قال أنا يونس بن متي فعرفوه فقالوا لانلقيك يارسول الله ولكن نساهم فخرجت القرعة
عليه فألقى نفسه في الماء ، قال ابن مسعود رضي الله عنه ابتلعه الحوت فأهوى به الى قرار الارض
السابعة وكان في بطنه أربعين ليلة (١) فسمع تسبيح الحصى (فنادى في الظلمات أن لااله الا أنت سبحانك
اني كنت من الظالمين فأجاب الله له فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممعط فأنبت
الله عليه شجرة من يقطين وهو الدباء فجعل يستظل تحتها ووكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست
الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون وأردت
أن أهلكهم؟ فخرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال من أنت ياغلام قال من قوم يونس قال اذا رجعت
اليهم فأخبرهم اني لقيت يونس فقال الغلام قد تعلم انه ان لم تكن لي بينة قتلت قال يونس عليه السلام
تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة فقال له الغلام فمرهما فقال يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له
قالتا نعم ، فرجع الغلام فقال للملك اني لقيت يونس فأمر الملك بقتله ، فقال ان لي بينة فأرسلوا معي
فأتى البقعة والشجرة فقال أنشدكما هل أشهدكما يونس قالتا نعم ، فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك
شهد له الشجرة والارض فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه في مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان مني
فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة

(١) لعل هذا من مخترعات وهب أو كعب وظاهر العطف في قصته من سورة الصافات بالفاء ان نبذه بالعراء كان عقب التقام الحوت له بلا تراخ

(ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين؟ (٩٩) وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله ويجعلُ الرجس على الذين لا يعقلون (١٠٠)

يقول تعالى (ولو شاء ربك) يا محمد لأذن لأهل الارض كلهم في الايمان بما جئتهم به فآمنوا كلهم ولكن له حكمة فيما يفعله تعالى كقوله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقال تعالى (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً) ولهذا قال تعالى (أفأنت تكره الناس) أي تلزمهم وتلجئهم (حتى يكونوا مؤمنين) أي ليس ذلك عليك ولا اليك بل (الله يضل من يشا ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات * ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء * لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين * انك لا تهدي من أحببت * فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب * فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى هو الفعال لما يريد الهادي من يشاء المضل لمن يشاء لعلمه وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس) وهو الخبال والضلال (على الذين لا يعقلون) أي حجج الله وأدلته، وهو العادل في كل ذلك في هداية من هدى وإضلال من ضل.

(قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيت والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٠١) فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم؟ قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين (١٠٢) ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا، كذلك حقا علينا ننج المؤمنين (١٠٣)

يرشد تعالى عباده الى التفكر في آلائه وما خلق الله في السموات والارض من الآيات الباهرة لذوي الالباب، بما في السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر والليل والنهار

قوله تعالى ﴿ولو شاء ربك﴾ يا محمد ﴿لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ وذلك أنه كان حريصا على أن يؤمن جميع الناس فاخبره الله جل ذكره أنه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاوة ﴿وما كان لنفس﴾ وما ينبغي لنفس وقيل ما كانت نفس ﴿أن تؤمن الا باذن الله﴾ قال ابن عباس بامر الله وقال عطاء بمشيئة الله وقيل بعلم الله ﴿ويجعل الرجس﴾ قرأ أبو بكر ونجعل بالنون والباقون بالياء أي ويجعل الله الرجس أي العذاب وهو الرجز ﴿على الذين لا يعقلون﴾ عن الله أمره ونهيه ﴿قل انظروا﴾ أي قل للمشركين الذين يسألونك الآيات انظروا ﴿ماذا في السموات والارض﴾ من الآيات والدلائل والعبر

واختلافهما وايلاج أحدهما في الآخر حتي يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يقصر هذا ويطول هذا ، وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الارض بعد موتها ، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والازاهير وصنوف النبات وماذرأ فيها من دواب مختلفة الاشكال والالوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب ، ومافي البحر من العجائب والامواج وهو معهذا مسخر مذلل للسالكين يحمل سفنهم ويجري بهابرفق بتسخير القدير ، لااله الا هو ولارب سواه وقوله (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) أي وأي شيء تغني الآيات السماوية والارضية والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون كقوله (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية . وقوله (فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب الا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الامم الماضية المكذبة لرسلهم (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين * ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) أي ونهلك المكذبين بالرسل (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) أي حقا أوجبه الله على نفسه الكريمة كقوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وكما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال « ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت[1] غضبي »

(١) في المكية تغلب

(قل يا أيها الناسُ إن كنتم في شكٍّ من ديني فلا أعبدُ الذين تعبُدون من دون الله ولكن أعبدُ اللهَ الذي يتوفّـكم ، وأُمرت أن أكون من المؤمنين (١٠٤) وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونَنّ من المشركين (١٠٥) ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا

في السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها وفي الارض الجبال والبحار والانهار والاشجار وغيرها ﴿ وما تغني الآيات والنذر﴾ الرسل ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ وهذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ﴿فهل ينتظرون﴾ يعني مشركي مكة ﴿الا مثل أيام الذين خلوا﴾ مضوا ﴿ من قبلهم ﴾ من مكذبي الامم قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود ، والعرب تسمي العذاب أياما والنعم أياما كقوله (وذكرهم بأيام الله) وكل مامضى عليك من خير وشر فهو أيام ﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين * ثم ننجي رسلنا﴾ قرأ يعقوب ننجي خفيف مختلف عنه ﴿ والذين آمنوا ﴾ معهم عند نزول العذاب معناه نجينا مستقبل بمعنى الماضي ﴿كذلك﴾ كما نجيناهم ﴿حقا﴾ واجبا ﴿علينا ننجي المؤمنين﴾ قرأ الكسائي وحفص ويعقوب ننجي بالتخفيف والآخرون بالتشديد ونجا وأنجى بمعنى واحد

قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني ﴾ الذي أدعوكم اليه، فان قيل كيف قال ان كنتم في شك وهم كانوا يعتقدون بطلان ماجاء به ؟ قيل كان فيهم شاكون فهم المراد بالآية أوانهم

يضرك ، فان فعلت فانك إذاً من الظالمين (١٠٦) وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم (١٠٧)

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله اليّ فأنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم ثم اليه مرجعكم فان كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله حقا فأنا لا أعبدها فادعوها فلتضرني فانها لا تضر ولا تنفع وانما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وقوله (وان أقم وجهك للدين حنيفا) الآية أي أخلص العبادة لله وحده حنيفا أي منحرفا عن الشرك ولهذا قال (ولا تكونن من المشركين) وهو معطوف على قوله (وأمرت أن أكون من المؤمنين) وقوله (وان يمسسك الله بضر) الآية فيه بيان لان الخير والشر والنفع والضر انما هو راجع الى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة صفوان بن سليم من طريق عبدالله بن وهب أخبرني يحي بن أيوب عن عيسى بن موسى عن صفوان ابن سليم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات ربكم ، فان لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده ، واسألوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم » ثم رواه من طريق الليث عن عيسى بن موسى عن صفوان عن رجل من أشجع عن أبي هريرة مرفوعا بمثله سواء وقوله (وهو الغفور الرحيم) أي لمن تاب اليه وتوكل عليه ولو من أي ذنب كان حتى من الشرك به فانه يتوب عليه

(قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل

لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ قوله عز وجل ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ من الاوثان ﴿ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم﴾ يميتكم ويقبض أرواحكم ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾

قوله ﴿وأن اقم وجهك للدين حنيفا﴾ قال ابن عباس عملك وقيل استقم على الدين حنيفا ﴿ولا تكونن من المشركين * ولا تدع﴾ ولا تعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعك﴾ ان اطعته ﴿ولا يضرك﴾ ان عصيته ﴿فان فعلت﴾ فعبدت غير الله ﴿فانك إذا من الظالمين﴾ الضارين لأنفسهم الواضعين العبادة في غير موضعها ﴿وان يمسسك الله بضر﴾ أي يصيبك بشدة وبلاء ﴿فلا كاشف له﴾ فلا دافع له ﴿الا هو وان يردك بخير﴾ رخاء ونعمة وسعة ﴿فلا راد لفضله﴾ فلا مانع لرزقه ﴿يصيب به﴾ بكل واحد من الضر والخير ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم * قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾

فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل (١٠٨) واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله

وهو خير الحـٰكمين (١٠٩)

يقول تعالى آمراً لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فيه فمن اهتدى به واتبعه فانما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه ، ومن ضل عنه فانما يرجع وبال ذلك عليه (وما أنا عليكم بوكيل) أي وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين به وإنما أنا نذير لكم ، والهداية على الله تعالى وقوله (واتبع ما يوحى اليك واصبر) أي تمسك بما أنزل الله عليك وأوحاه اليك واصبر على مخالفة من خالفك من الناس (حتى يحكم الله) أي يفتح بينك وبينهم (وهو خير الحاكمين) أي خير الفاتحين بعدله وحكمته

يعني القرآن والاسلام فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ أي على نفسه ووباله عليه ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ بكفيل احفظ أعمالكم قال ابن عباس نسختها آية القتال ﴿ واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله ﴾ بنصرك وقهر عدوك واظهار دينه ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ فحكم بقتال المشركين وبالجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون



تفسير سورة هود عليه السلام وهي مكيه

قال الحافظ أبو يعلى حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا أبو الاحوص عن أبي إسحاق عن عكرمة قال : قال أبو بكر سألت رسول الله ﷺ ما شيبك ؟ قال « شيبتني هود والواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت » وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو بكر يارسول الله قد شبت قال « شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت » وفي رواية « هود وأخواتها » وقال الطبراني حدثنا عبدان بن احمد حدثنا حجاج بن الحسن حدثنا سعيد بن سلام حدثنا عمر بن محمد عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « شيبتني هود وأخواتها الواقعة والحاقة واذا الشمس كورت » وفي رواية « هود وأخواتها » وقد روى من حديث ابن مسعود نحوه فقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني في معجمه الكبير حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق الرابشي حدثنا عمرو بن ثابت عن أبي اسحاق عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن أبا بكر قال يارسول الله ماشيبك ؟ قال « هود والواقعة » عمرو بن ثابت متروك وأبو إسحاق لم يدرك ابن مسعود والله أعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الر كتٰب أحكمت آيته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١) ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير (٢) وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متٰعا حسنا الى أجل مسمًّى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير (٣) الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير (٤)

﴿ سورة هود عليه السلام ﴾

مكية الا قوله وأقم الصلاة طرفي النهار وهي مائة وثلاث وعشرون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الر كتاب ﴾ أي هذا كتاب ﴿ أحكمت آياته ﴾ قال ابن عباس لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به ﴿ ثم فصلت ﴾ بينت بالاحكام والحلال والحرام وقال الحسن أحكمت بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد. قال قتادة أحكمت أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض وقال مجاهد ثم

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته هنا وبالله التوفيق وأما قوله (أحكمت آياته ثم فصلت) أي هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى هذا معنى ماروي عن مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير ومعنى قوله (من لدن حكيم خبير) أي من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه خبير بعواقب الامور (ألا تعبدوا إلا الله) أي نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له كقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقوله (انني لكم منه نذير وبشير) أى إني لكم نذير من العذاب ان خالفتموه ، وبشير بالثواب ان أطعتموه كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ صعد الصفا فدعا بطون قريش الاقرب ثم الاقرب فاجتمعوا فقال « يامعشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تصبحكم ألستم مصدقي ؟ » فقالوا ماجربنا عليك كذبا قال « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » وقوله (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) أي وآمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله عز وجل فيما تستقبلونه ، وأن تستمروا على ذلك (يمتعكم متاعا حسنا) أي في الدنيا إلى أجل مسمى (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي في الدار الآخرة قاله قتادة كقوله (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) الآية وقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لسعد « وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ماتجعل في في امرأتك » وقال ابن جرير حدثني المسيب بن شريك عن أبي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله (ويؤت كل ذي فضل فضله) قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات

فصلت أي فسرت وقيل فصلت أي أنزلت شيئا فشيئا ﴿من لدن حكيم خبير * ألا تعبدوا الا الله﴾ أي وفي ذلك الكتاب أن لا تعبدوا الا الله ويكون محل ان رفعا وقيل محله خفض تقديره بأن لا تعبدوا الا الله ﴿انني لكم منه﴾ أي من الله ﴿نذير﴾ للعاصين ﴿وبشير﴾ للمطيعين ﴿وأن﴾ عطف على الاول ﴿استغفروا ربكم ثم توبوا اليه﴾ أي ارجعوا اليه بالطاعة قال الفراء ثم هنا بمعنى الواو أي وتوبوا اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار وقيل أن استغفروا ربكم في الماضي ثم توبوا اليه في المستأنف ﴿يمتعكم متاعا حسنا﴾ يعيشكم عيشا حسنا في خفض ودعة وامن وسعة قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور ﴿الى أجل مسمى﴾ الى حين الموت ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ أي ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في الآخرة في الجنة لان الدرجات تكون بالاعمال ، وقال ابن

وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول هلك من غلب آحاده على أعشاره ، وقوله (وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله فان العذاب يناله يوم القيامة لامحالة (إلى الله مرجعكم) أي معادكم يوم القيامة (وهو على كل شيء قدير) أي وهو القادر على مايشاء من احسانه إلى أوليائه وانتقامه من أعدائه ، وإعادة الخلائق يوم القيامة وهذا مقام الترهيب كما أن الاول مقام ترغيب

ألا إنهم يَثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايُسِرُّون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور (٥)

قال ابن عباس كانوا يكرهون أن يستقبلوا السماء بفروجهم وحال وقاعهم فأنزل الله هذه الآية روى البخاري من طريق ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ (ألا انهم يثنون صدورهم) الآية فقلت يا أبا العباس ما يثنون صدورهم ؟ قال الرجل كان يجامع امرأته فيستحي أو يتخلى فيستحي فنزلت (ألا إنهم يثنون صدورهم) وفي لفظ آخر له قال ابن عباس أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم ثم قال : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال قرأ ابن عباس (ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم) قال البخاري وقال غيره عن ابن عباس (يستغشون) يغطون رؤسهم ،

عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم يدخل الجنة بعد . وقيل يؤت كل ذي فضل فضله يعني من عمل لله عز وجل وفقه الله فيما يستقبل على طاعته ﴿وان تولوا﴾ أعرضوا ﴿فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ وهو يوم القيامة ﴿ الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾

قوله تعالى ﴿ ألا انهم يثنون صدورهم ﴾ قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره قوله (يثنون صدورهم) أي يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ، وقال عبد الله بن شداد نزلت هذه الآية في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وحنى ظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لايراه النبي ﷺ وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله مافي قلبي؟ وقال السدى [يثنون] أي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني وقيل يعطفون ومنه ثنى الثوب وقرأ ابن عباس يثنونى على وزن يحلولى جعل الفعل للصدور ومعناه المبالغة في الثني ﴿ليستخفوا منه﴾ أي من رسول الله ﷺ وقال مجاهد ليستخفوا من الله ان استطاعوا ﴿ الا حين

وقال ابن عباس في رواية أخرى في تفسير هذه الآية يعني به الشك في الله وعمل السيئات وكذا روي عن مجاهد والحسن وغيرهم أي أنهم كانوا يثنون صدورهم اذا قالوا شيئا أوعملوه فيظنون أنهم يستخفون من الله بذلك فأخبرهم الله تعالى أنهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل (يعلم مايسرون) من القول (وما يعلنون * إنه عليم بذات الصدور) أي يعلم ماتكن صدورهم من النيات والضمائر والسرائر وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة

فلا تكتمن الله مافي قلوبكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم

فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء وبكتابة الاعمال في الصحف ليوم القيامة ، وقال عبد الله بن شداد : كان أحدهم اذا مر برسول الله ﷺ ثنى عنه صدره وغطى رأسه فأنزل الله ذلك وعود الضمير إلى الله أولى لقوله (ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون) وقرأ ابن عباس ألا انهم يثنوني صدورهم برفع الصدور على الفاعلية وهو قريب المعنى

(وما من دابّة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كل في كتٰب مبين(٦)

أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الارض صغيرها وكبيرها بحريها وبريها وأنه يعلم مستقرها ومستودعها أي يعلم أين منتهى سيرها في الارض وأين تأوي اليه من وكرها وهو مستودعها . وقال علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس (ويعلم مستقرها) أي حيث تأوي (ومستودعها) حيث تموت ، وعن مجاهد (مستقرها) في الرحم (ومستودعها) في الصلب كالتي في

يستغشون ثيابهم﴾ يغطون رءوسهم بثيابهم ﴿يعلم مايسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور﴾قال الازهري معنى الآية من أولها إلى آخرها ان الذين أضمروا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفى علينا حالهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحسن بن محمد بن صباح ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ الا إنهم (يثنونى صدورهم) فقال سألته عنها فقال كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم

قوله تعالى ﴿وما من دابة في الارض﴾ أي ليس دابة ومن صلة والدابة كل حيوان يدب على وجه الارض وقوله ﴿الا على الله رزقها﴾ أي هو المتكفل بذلك فضلا وهو إلى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل على بمعنى من أي من الله رزقها، وقال مجاهد ماجاءها من رزق فمن الله عز وجل وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ قال ابن مقسم ويروي ذلك عن

الانعام ، وكذا روي عن ابن عباس والضحاك وجماعة ، وذكر ابن أبي حاتم أقوال المفسرين ههنا كما ذكره عند تلك الآية فالله أعلم ، وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك كقوله (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) وقوله (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)

(وهو الذى خلق السمـٰوٰت والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسنُ عملا ، ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولَنَّ الذين كفروا انْ هذا الاسحر مبين (٧) ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولُن مايحبسه ؟ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن (٨)

يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والارض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك كما قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن جامع بن شداد عن صفوان ابن محرز عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « اقبلوا البشرى يابني تميم » قالوا قد بشرتنا فاعطنا ، قال « اقبلوا البشرى ياأهل اليمن » قالوا قد قبلنا . فأخبرنا عن أول هذا الامر كيف كان ؟ قال « كان الله قبل كل شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء » قال . فأتاني آت فقال ياعمران انحلت ناقتك من عقالها ، قال فخرجت في أثرها فلا أدري ما كان بعدي وهذا الحديث مخرج في صحيحي البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة فمنها قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الامر فقال « كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية — غيره — وفي رواية — معه — وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والارض » وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قدر

ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه وتستقر فيه ليلا ونهارا ومستودعها الموضع الذي تدفن فيه إذا ماتت ، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المستقر أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقال عطاء المستقر أرحام الامهات والمستودع أصلاب الآباء ورواه سعيد بن جبير وعلي ابن أبي طلحة وعكرمة عن ابن عباس وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار (حسنت مستقرا ومقاما * انها ساءت مستقرا ومقاما) ﴿ كل في كتاب مبين ﴾ أي كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل ان خلقها

قوله تعالى ﴿ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ قبل ان خلق

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وقال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل أنفق أنفق عليك » وقال « يدالله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار » وقال « أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه وكان عرشه على الماء ، وبيده الميزان يخفض ويرفع »

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عابس عن عمه أبي رزين واسمه لقيط بن عامر بن المنفق العقيلي قال : قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال « كان في عماء ماتحته هواء وما فوقه هواء ، ثم خلق العرش بعد ذلك » وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجه في السنن من حديث يزيد بن هارون به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقال مجاهد (وكان عرشه على الماء) قبل أن يخلق شيئاً ! وكذا قال وهب بن منبه وضمرة وقتادة وابن جرير وغير واحد ، وقال قتادة في قوله (وكان عرشه على الماء) ينبئكم كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والارض ، وقال الربيع بن أنس (وكان عرشه على الماء) فلما خلق السموات والارض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفاً تحت العرش وهو البحر المسجور . وقال ابن عباس انما سمي العرش عرشا لارتفاعه ، وقال اسماعيل بن أبي خالد سمعت سعداً الطائي يقول العرش ياقوتة حمراء ، وقال محمد بن اسحاق في قوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) فكان كما وصف نفسه تعالى إذ ليس الا الماء وعليه العرش وعلى العرش ذو الجلال والاكرام ، والعزة والسلطان ، والملك والقدرة ، والحلم والعلم ، والرحمة والنعمة الفعال لما يريد . وقال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس عن قول الله (وكان عرشه على الماء) على أي شيء كان الماء ؟ قال على متن الريح ، وقوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أي خلق السموات والارض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ولم يخلق ذلك عبثاً كقوله (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش الكريم) وقال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) الآية ، وقوله

السماء والارض وكان ذلك الماء على متن الريح ،قال كعب خلق الله عز وجل ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء، وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه

(ليبلوكم) أي ليختبركم (أيكم أحسن عملا) ولم يقل أكثر عملا ولا يكون العمل حسنا حتى يكون خالصاً لله عز وجل على شريعة رسول الله ﷺ ، فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل . وقوله (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت) الآية . يقول تعالى ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين ان الله سيبعثهم بعد مماتهم كما بداهم مع انهم يعلمون ان الله تعالى هو الذي خلق السموات والارض كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة الذي هو بالنسبة إلى القدرة أهون من البداءة كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال تعالى (ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وقولهم (إن هذا إلا سحر مبين) أي يقولون كفراً وعناداً مانصدقك على وقوع البعث وما يذكر ذلك إلا من سحرته فهو يتبعك على ما تقول ، وقوله (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) الآية . يقول تعالى ولئن أخرنا العذاب والمؤاخذة عن هؤلاء المشركين الى أجل معدود وأمد محصور وأوعدناهم الى مدة مضروبة ليقولن تكذيبا واستعجالا : مايحبسه أي يؤخر هذا العذاب عنا فان سجاياهم قد ألفت التكذيب والشك فلم يبق لهم محيص عنه ولا محيد ، والامة تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة فيراد بها الامد كقوله في هذه الآية (الى أمة معدودة) وقوله في يوسف (وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة) وتستعمل في الامام المقتدى به كقوله (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) وتستعمل في الملة والدين كقوله اخباراً عن المشركين انهم قالوا (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وتستعمل في الجماعة كقوله (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون) وقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) والمراد من الامة هنا الذين يبعث فيهم الرسول مؤمنهم وكافرهم كما في صحيح مسلم « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار » وأما أمة الاتباع فهم المصدقون للرسل كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وفي الصحيح « فأقول أمتي أمتي » وتستعمل الامة في الفرقة والطائفة كقوله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وكقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) الآية

﴿ ليبلوكم ﴾ ليختبركم وهو أعلم ﴿ أيكم أحسن عملا ﴾ اعمل بطاعة الله وأورع عن محارم الله تعالى ﴿ ولئن قلت ﴾ يا محمد ﴿ انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ يعنون القرآن وقرأ حمزة والكسائي ساحر يعنون محمدا ﷺ ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ﴾ الى أجل محدود وأصل الامة الجماعة فكأنه قال الى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى ﴿ ليقولن ما يحبسه ﴾ أي أي شيء يحبسه يقولونه استعجالا للعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشيء قال الله تعالى ﴿ ألا يوم يأتيهم ﴾ يعني العذاب ﴿ ليس مصروفا عنهم ﴾ لا يكون مصروفا عنهم ﴿ وحاق بهم ﴾ نزل بهم ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي وبال استهزائهم.

(ولئن أذقنا الانسن منا رحمة ثم نزعنها منه إنه ليئوس كفور (٩) ولئن أذقنه نعماء

بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني ، إنه لفرح فخور (١٠) إلا الذين صبروا

وعملوا الصلحت أولـئك لهم مغفرة وأجر كبير (١١)

يخبر تعالى عن الانسان وما فيه من الصفات الذميمة الا من رحم الله من عباده المؤمنين أنه اذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة الى المستقبل وكفر وجحود لماضي الحال كأنه لم ير خيراً ولم يرج بعد ذلك فرجا ، وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة (ليقولن ذهب السيآت عني) أي يقول ماينالني بعد هذا ضيم ولا سوء (إنه لفرح فخور) أي فرح بما في يده بطر فخور على غيره قال الله تعالى (الا الذين صبروا) أي على الشدائد والمكاره (وعملوا الصالحات) أي في الرخاء والعافية (أولئك لهم مغفرة) أي بما يصيبهم من الضراء (وأجر كبير) بما أسلفوه في زمن الرخاء كما جاء في الحديث « والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها من خطاياه » وفي الصحيحين « والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً له ، ان أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وان أصابته ضراء فصبر كان خيراً له ، وليس ذلك لاحد غير المؤمن » ولهذا قال الله تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وقال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا) الآيات

(فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه

كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (١٢) أم يقولون افترىه قل فأتوا

بعشر سور مثله مفتريت وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صدقين (١٣) فإن لم

يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله الا هو ، فهل أنتم مسلمون ؟(١٤)

قوله تعالى ﴿ولئن أذقنا الانسان منا رحمة﴾ نعمة وسعة ﴿ثم نزعناها منه﴾ أي سلبناها منه ﴿انه ليؤس﴾ قنوط في الشدة ﴿ كفور ﴾ في النعمة ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾ بعد بلاء أصابه ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ زالت الشدائد عني ﴿انه لفرح فخور﴾ أشر بطر والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه ﴿ الا الذين صبروا ﴾ قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا ﴿وعملوا الصالحات﴾ فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ وهو الجنة ﴿فلعلك﴾ يا محمد ﴿تارك بعض ما يوحى اليك ﴾ فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة لما قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب

يقول تعالي مسلياً لرسوله ﷺ عما كان يتعنت به المشركون فيما كانوا يقولونه عن الرسول كما أخبر تعالى عنهم في قوله (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ؟ لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا) فأمر الله تعالى رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه وأرشده إلى أن لا يضيق بذلك منهم صدره ولا يصدنه ذلك ولا يثنينه عن دعائهم إلى الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) الآية ، وقال ههنا (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا) أي لقولهم ذلك فانما أنت نذير ولك أسوة باخوانك من الرسل قبلك فانهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل، ثم بين تعالى إعجاز القرآن وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ولا بعشر سور مثله ، ولا بسورة من مثله لأن كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات ، وذاته لا يشبهها شيء تعالى وتقدس وتنزه لا إله الا هو ولا رب سواه ثم قال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم) أي فان لم يأتوا بمعارضة ما دعوتموهم اليه فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك ، وان هذا الكلام منزل من عند الله متضمن علمه وأمره ونهيه ، وأنه لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون)

آلهتنا هم النبي ﷺ أن يدع آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك) يعني سب الآلهة ﴿ وضائق به صدرك ﴾ أي فلعلك يضيق صدرك ﴿ أن يقولوا ﴾ أي لان يقولوا ﴿ لولا أنزل عليه كنز ﴾ ينفقه ﴿أو جاء معه ملك﴾ يصدقه قاله عبد الله بن أمية المخزومي قال الله تعالى ﴿انما أنت نذير﴾ ليس عليك الا البلاغ ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ حافظ ﴿أم يقولون افتراه﴾ بل يقولون اختلقه ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ فان قيل قد قال في سورة يونس فأتوا بسورة مثله وقد عجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور؟ فهو كرجل يقول لآخر أعطني درهما فيعجز فيقول أعطني عشرة دراهم الجواب قد قيل سورة هود نزلت أولا وانكر المبرد هذا وقال بل نزلت سورة يونس أولا وقال معنى قوله في سورة يونس (فأتوا بسورة مثله) أي مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود ان عجزتم عن الاتيان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد (فأتوا بعشر سور مثله) من غير خبر ولا وعد ولا عيد وانما هي مجرد البلاغة ﴿ وادعوا من استطعتم ﴾ واستعينوا بمن استطعتم ﴿من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم يستجيبوا لكم﴾ يا أصحاب محمد وقيل لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ وحده ﴿ فاعلموا﴾ قيل هذا خطاب مع المؤمنين وقيل مع المشركين ﴿ أنما أنزل بعلم الله ﴾ يعني القرآن وقيل أنزله وفيه علمه ﴿وأن لا إله الا هو ﴾ أى فاعلموا أن لا إله الا هو ﴿ فهل أنتم مسلمون ؟ ﴾ لفظه استفهام ومعناه أمر أي اسلموا

(من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعملهم فيها وهم فيها لا يبخسون (١٥)

أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وبطل ما كانوا يعملون (١٦)

قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنهم لا يُظلمون نقيرا يقول من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجداً بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا يقول الله تعالى : أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين . وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد ، وقال أنس ابن مالك والحسن نزلت في اليهود والنصارى ، وقال مجاهد وغيره نزلت في أهل الرياء ، وقال قتادة من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة ، وقد ورد في الحديث المرفوع نحو من هذا ، وقال تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه * ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)

(أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتب موسى إماما ورحمة

قوله تعالى ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ أي من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ﴿ وزينتها﴾ نزلت في كل من عمل عملا يريد به غير الله عز وجل ﴿ نوف اليهم أعمالهم فيها ﴾ أي نوف لهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما أشبهها ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ أي في الدنيا لا ينقص حظهم ﴿ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها ﴾ أي في الدنيا ﴿ وباطل ﴾ ماحق ، ﴿ما كانوا يعملون﴾ اختلفوا في المعني بهذه الآية فقال مجاهد هم أهل الرياء وروينا أن النبي ﷺ قال « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر ؟ قال « الرياء » وقيل هذا في الكفار ، وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطي بها خيرا »

قوله تعالى ﴿ أفمن كان على بينة ﴾ بيان ﴿من ربه﴾ قيل في الآية حذف ومعناه (أفمن كان على

أولـئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولـكنّ أكثر الناس لا يؤمنون (١٧)

يخبر تعالى عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده من الاعتراف له بأنه لا إله إلا هو كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) الآية وفي الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟» الحديث

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ قال «يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا» وفي المسند والسنن «كل مولود يولد على هذه الملة حتى يعرب عنه لسانه» الحديث ، فالمؤمن باق على هذه الفطرة ، وقوله (ويتلوه شاهد منه) أي وجاءه شاهد من الله وهو ما أوحاه إلى الانبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية والضحاك وابراهيم النخعي والسدي وغير واحد في قوله تعالى (ويتلوه شاهد منه) أنه جبريل عليه السلام ، وعن علي رضي الله عنه والحسن وقتادة هو محمد ﷺ وكلاهما قريب في المعنى لان كلا من جبريل ومحمد صلوات الله عليهما بلغ رسالة الله تعالى فجبريل إلى محمد ومحمد إلى الامة ، وقيل هو علي وهو ضعيف لا يثبت له قائل والاول والثاني هو الحق ، وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة والتفاصيل تؤخذ من الشريعة والفطرة تصدقها وتؤمن بها ، ولهذا قال تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وهو القرآن بلغه جبريل إلى النبي ﷺ وبلغه النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى أمته ، ثم قال تعالى (ومن قبله كتاب موسى) أي ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة

بينة من ربه) كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها أو من كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة والجهالة والمراد بالذي هو على بينة من ربه النبي ﷺ ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ أي يتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في هذا الشاهد فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر أهل التفسير إنه جبريل عليه السلام . وقال الحسن وقتادة هو لسان رسول الله ﷺ وروى ابن جريج عن مجاهد قال هو ملك يحفظه ويسدده وقال الحسين بن الفضل هو القرآن ونظمه واعجازه وقيل هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علي ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه آية من القرآن فقال له رجل وأنت أي شيء نزل فيك قال (ويتلوه شاهد منه) وقيل شاهد منه هو الانجيل ﴿ومن قبله﴾ ومن قبل مجيء محمد ﷺ وقيل من قبل نزول القرآن ﴿كتاب موسى﴾ أي كان كتاب موسى

(اماما ورحمة) أي أنزله الله تعالى إلى تلك الامة إماما لهم وقدوة يقتدون بها ورحمة من الله بهم فمن آمن بها حق الايمان قاده ذلك الى الايمان بالقرآن ، ولهذا قال تعالى (أولئك يؤمنون به) ثم قال متوعداً لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) أي ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الارض ومشركهم وكافرهم وأهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن كما قال تعالى (لانذركم به ومن بلغ) وقال تعالى (قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً) وقال تعالى (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده)

وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار » وقال أيوب السختياني عن سعيد بن جبير قال : كنت لا أسمع بحديث عن النبي ﷺ على وجهه الا وجدت مصداقه أو قال تصديقه في القرآن فبلغني أن النبي ﷺ قال « لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار » فجعلت أقول أين مصداقه في كتاب الله ؟ قال وقلما سمعت عن رسول الله ﷺ الا وجدت له تصديقاً في القرآن حتى وجدت هذه الآية (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) قال من الملل كلها

وقوله (فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك) الآية ، أي القرآن حق من الله لا مرية ولا شك فيه كما قال تعالى (الم ، تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) وقال تعالى (الم ، ذلك الكتاب لاريب فيه) وقوله (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) كقوله تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين)

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء

﴿ اماما ورحمة ﴾ لمن اتبعها يعني التوراة وهي مصدقة للقرآن شاهدة للنبي ﷺ ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ يعني أصحاب محمد ﷺ وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب ﴿ ومن يكفر به ﴾ أي بمحمد ﷺ وقيل بالقرآن ﴿ من الاحزاب ﴾ من الكفار من أهل الملل كلها ﴿ فالنار موعده ﴾ أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا ابو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان أنا احمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار ، قوله تعالى ﴿ فلا تك في مرية منه ﴾ أي في شك منه ﴿ انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فزعم أن له ولداً أو شريكا أي لا أحد أظلم

الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (١٨) الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون (١٩) أولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (٢٠) أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢١) لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون (٢٢)

يبين تعالى حال المفترين عليه وفضيحتهم في الدار الآخرة على رؤس الخلائق من الملائكة والرسل والانبياء وسائر البشر والجان كما قال الامام احمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام حدثنا قتادة عن صفوان ابن محرز قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل قال كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال سمعته يقول «إن الله عز وجل يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأني أغفرها لك اليوم» ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول (الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) الآية أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث قتادة وقوله (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا) أي يردون الناس عن اتباع الحق وسلوك طريق الهدى الموصلة إلى الله عز وجل ويجنبونهم الجنة (ويبغونها عوجا) أي ويريدون أن يكون طريقهم عوجا غير معتدلة (وهم بالآخرة هم كافرون) أي جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما

منه ﴿أولئك﴾ يعني الكاذبين والمكذبين ﴿يعرضون على ربهم﴾ فيسألهم عن أعمالهم ﴿ويقول الاشهاد﴾ يعني الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم قاله مجاهد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو قول الضحاك، وقال قتادة الخلائق كلهم وروينا عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ «ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي رب حتي اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله﴾ يمنعون عن دين الله ﴿ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين﴾ قال ابن عباس سابقين قال قتادة هاربين وقال مقاتل فائتين ﴿في الارض وما كان

كان لهم من دون الله من أولياء) أي بل كانوا تحت قهره وغلبته ، وفي قبضته وسلطانه ، وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة (ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) وفي الصحيح «ان الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ولهذا قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) الآية أي يضاعف عليهم العذاب ، وذلك أن الله تعالى جعل لهم سمعا وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم بل كانوا صما عن سماع الحق عميا عن اتباعه كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) الآية ولهذا يعذبون على كل أمر تركوه ، وعلى كل نهي ارتكبوه. ولهذا كان أصح الاقوال أنهم مكلفون بفروع الشرائع أمرها ونهيها بالنسبة إلى الدار الآخرة وقوله (أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي خسروا أنفسهم لانهم أدخلوا ناراً حامية فهم معذبون فيها لا يفتر عنهم من عذابها طرفة عين كما قال تعالى (كلما خبت زدناهم سعيراً) (وضل عنهم) أي ذهب عنهم (ما كانوا يفترون) من دون الله من الانداد والاصنام فلم تجد عنهم شيئا بل ضرتهم كل الضرر كما قال تعالى (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقال الخليل لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) وقوله (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على خسارهم ودمارهم ولهذا قال (لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون) يخبر تعالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة لانهم استبدلوا بالدركات عن الدرجات ، واعتاضوا عن نعيم الجنان ، بحميم آن ؛ وعن شرب الرحيق المختوم ، بسموم وحميم وظل من يحموم ، وعن الحور العين ، بطعام من غسلين ،

لهم من دون الله من أولياء ﴾ يعني أنصاراً وأعوانا يحفظونهم من عذابنا ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ أي يزاد في عذابهم قيل يضاعف العذاب عليهم لاضلالهم الغير واقتداء الاتباع بهم قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف مشددة العين بغير ألف وقرأ الباقون يضاعف بالالف مخففة العين ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ الهدى قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعونه وما كانوا يبصرون الهدى قال ابن عباس رضي الله عنهما أخبر الله عز وجل أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة . أما في الدنيا قال ما كانوا يستطيعون السمع وهو طاعته وفي الآخرة قال (فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم) ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ غبنوا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يزعمون من شفاعة الملائكة والاصنام ﴿لاجرم﴾ أي حقا وقيل بلى وقال الفراء لامحالة

وعن القصور العالية بالهاوية ، وعن قرب الرحمن ورؤيته ، بغضب الديان وعقوبته ، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٣) مثل الفريقين كالأعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ؟ (٢٤)

لما ذكر تعالى حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فآمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الاعمال الصالحة قولا وفعلا من الاتيان بالطاعات وترك المنكرات ولهذا ورثوا الجنات ، المشتملة على الغرف العاليات ، والسرر المصفوفات ، والقطوف الدانيات ، والفرش المرتفعات ، والحسان الخيرات ، والفواكه المتنوعات ، والمآكل المشتهيات ، والمشارب المستلذات ، والنظر إلى خالق الارض والسموات ، وهم في ذلك خالدون لايموتون ولا يهرمون ولا يمرضون ولا ينامون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخطون ، ان هو إلا رشح مسك يعرقون ، ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين فقال (مثل الفريقين) أي الذين وصفهم أولا بالشقاء والمؤمنين بالسعادة فأولئك كالأعمى والاصم وهؤلاء كالبصير والسميع فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا وفي الآخرة لايهتدي إلى خير ولا يعرفه ، أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ماينتفع به (ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم) الآية ، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشر سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يروج عليه باطل فهل يستوي هذا وهذا ؟ (أفلا تذكرون) أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء كما قال في الآية الاخرى (لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وكقوله (وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة الا خلا فيها نذير)

﴿أنهم في الآخرة هم الاخسرون﴾ يعني من غيرهم وان كان الكل في الخسار ﴿ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا﴾ قال ابن عباس خافوا وقال قتادة أنابوا وقال مجاهد اطمأنوا وقيل خشعوا وقوله ﴿ الى ربهم ﴾ أي لربهم ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * مثل الفريقين ﴾ المؤمن والكافر ﴿ كالأعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا ﴾ قال الفراء لم يقل هل يستوون لان الاعمى والاصم في حيز كانهما واحد لانهما من وصف الكافر والبصير والسميع في حيز كانهما واحد لانهما من وصف المؤمن ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أي تتعظون

(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين (٢٥) أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم (٢٦) فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين (٢٧)

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض من المشركين عبدة الاصنام أنه قال لقومه (إني لكم نذير مبين) أي ظاهر النذارة لكم من عذاب الله إن أنتم عبدتم غير الله ، ولهذا قال (أن لا تعبدوا الا الله)وقوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) أي ان استمررتم على ما أنتم عليه عذبكم الله عذابا أليما موجعا شاقا في الدار الآخرة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) والملأ هم السادة والكبراء من الكافرين منهم (ما نراك إلا بشراً مثلنا) أي لست بملك ولكنك بشر فكيف أوحي اليك من دوننا ثم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا كالباعة والحاكة وأشباههم ولم يتبعك الاشراف ولا الرؤساء منا ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن ترو منهم ولا فكر ولا نظر بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ولهذا قالوا(وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) أي في أول بادي، الرأي (وما نرى لكم علينا من فضل) يقولون ما رأينا لكم علينا فضيلة في خلق ولا خلق ولا رزق ولا حال لما دخلتم في دينكم هذا (بل نظنكم كاذبين) أي فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة والسعادة في الدار الآخرة اذ صرتم اليها، هذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه وهو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم فانه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه ، فان الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الاشراف أو الاراذل بل الحق الذي لاشك فيه أن أتباع الحق هم الاشراف ولو كانوا فقراء والذين يأبونه هم الاراذل ولو كانوا أغنياء ثم الواقع غالبا أن ما يتبع الحق ضعفاء

قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ﴾ قرأ ابن كثير وعمرو والكسائي ويعقوب أنى بفتح الهمزة أي باني وقرأ الباقون بكسرها أي فقال إني لان في الارسال معنى القول اني لكم نذير مبين ﴿أن لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم اليم ﴾ أي مؤلم قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة وقيل بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا وأربعمائة وخمسين سنة قال الله تعالى (فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) أي فلبث فيهم داعيا ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ والملأ هم الاشراف والرؤساء ﴿مانراك﴾ يانوح ﴿الا بشرا﴾ آدميا ﴿مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا ﴾ سفلتنا

الناس ، والغالب على الاشراف والكبراء مخالفته كما قال تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي ﷺ قال له فيما قال : أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم ؟ قال بل ضعفاؤهم . فقال هرقل هم أتباع الرسل وقولهم بادي الرأي ليس بمذمة ولا عيب لان الحق اذا وضح لا يبقى للرأي ولا للفكر مجال بل لا بد من اتباع الحق ، والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء بل لا يفكر ههنا إلا غبي أو عيي والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انما جاءوا بأمر جلي واضح وقد جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ قال «ما دعوت أحداً الى الاسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر فانه لم يتلعثم» أي ما تردد ولا تروى لانه رأى أمراً جلياً عظيماً واضحاً فبادر اليه وسارع . وقوله (وما نرى لكم علينا من فضل) لانهم عمي عن الحق لا يسمعون ولا يبصرون بل هم في ريبهم يترددون في ظلمات الجهل يعمهون وهم الأفاكون الكاذبون الأقلون الأرذلون وهم في الآخرة هم الاخسرون

قال يـٰقوم أرأيتم إن كنتُ على بينةٍ من ربي وآتـٰني رحمة من عنده فعُمِّيَتْ عليكم أنُلزِمُكُموها وأنتم لها كـٰرهون ؟ (٢٨)

يقول تعالى مخبراً عما رد به نوح على قومه في ذلك (أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) أي على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم (فعميت عليكم) أي خفيت عليكم فلم تهتدوا اليها ولا عرفتم قدرها بل بادرتم الى تكذيبها وردها (أنلزمكموها) أي نغصبكم بقبولها وأنتم لها كارهون

(ويـٰقوم لا أسئلكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا

والرذل الدون من كل شيء والجمع أرذل ثم يجمع على أراذل مثل كلب وأكلب وأكالب وقال في سورة الشعراء واتبعك الارذلون يعني السفلة وقال عكرمة الحاكة والاساكفة ﴿بادي الرأي﴾ قرأ أبو عمرو بادىء بالهمزة أي أول الرأي يريدون أنهم اتبعوك في أول الرأي من غير روية وتفكر ولو تفكروا لم يتبعوك وقرأ الآخرون بغير همزة أي ظاهر الرأي من قولهم بدا الشيء إذا ظهر معناه اتبعوك ظاهرا من غير ان يتدبروا ويتفكروا باطنا قال مجاهد رأي العين ﴿ وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال﴾ نوح ﴿ياقوم أرأيت ان كنت على بينة﴾ بيان ﴿من ربي وآتاني رحمة﴾ أي هدى ومعرفة ﴿من عنده فعميت عليكم﴾ أي خفيت والتبست عليكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم أي شبهت والبست عليكم ﴿أنلزمكموها﴾ أي أنلزمكم البينة والرحمة ﴿وانتم لها كارهون﴾ لا تريدونها قال قتادة لو قدر الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن يلزموا قومهم لالزموا ولكن لم يقدروا قوله ﴿ ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ﴾ أي على الوحي وتبليغ الرسالة كناية عن

إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون (٢٩) وياقوم من ينصرني من الله ان طردتهم أفلا تذكرون؟ (٣٠)

يقول لقومه لاأسألكم على نصحي لكم مالا أجرة آخذها منكم انما أبتغي الاجر من الله عزوجل (وما أنا بطارد الذين آمنوا) كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم كما سأل أمثالهم خاتم الرسل ﷺ أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلسا خاصا فأنزل الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية وقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين) الآية

ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين (٣١)

يخبرهم انه رسول من الله يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له باذن الله له في ذلك ولا يسألهم على ذلك أجرا بل هو يدعو من لقيه من شريف ووضيع فمن استجاب له فقد نجا ويخبرهم انه لا قدرة له على التصرف في خزائن الله ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه وليس هو بملك من الملائكة بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات ولا أقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم انهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم الله أعلم بما في أنفسهم فان كانوا مؤمنين باطنا كما هو الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسنى ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا لكان ظالما قائلا مالا علم له به

قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٣٢)

غير مذكور ﴿ان اجري﴾ ما ثوابي ﴿الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ هذا دليل على أنهم طلبوا منه طرد المؤمنين ﴿انهم ملاقوا ربهم﴾ أي صائرون إلى ربهم في المعاد فيجزي من طردهم ﴿ولكني أراكم قوما تجهلون* وياقوم من ينصرني من الله﴾ من يمنعني من عذاب الله ﴿ان طردتهم أفلا تذكرون﴾ تتعظون ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ فآتى منها ما تطلبون ﴿ولا أعلم الغيب﴾ فأخبركم بما تريدون وقيل إنهم لما قالوا لنوح ان الذين آمنوا بك انما اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم قال نوح مجيبا لهم لا اقول لكم عندي خزائن الله غيوب الله التي يعلم منها ما يضمر الناس ولا اعلم الغيب فاعلم ما يسرونه في نفوسهم فسبيلي قبول ما ظهر من ايمانهم ﴿ولا أقول اني ملك﴾ هذا جواب قولهم (ما نراك إلا بشرا مثلنا) ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾ أي تحتقرهم وتستصغرهم أعينكم يعني المؤمنين وذلك أنهم قالوا هم أراذلنا ﴿لن يؤتيهم الله خيرا﴾ أي توفيقا وإيمانا وأجرا ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ من الخير والشر مني ﴿اني إذا لمن الظالمين﴾ لو قلت هذا ﴿قالوا يانوح قد جادلتنا﴾ خاصمتنا ﴿فأكثرت

قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (٣٣) ولا ينفعكم نُصْحي إن أردت أن أَنْصَحَ لكم إن كان الله يريد أن يُغْوِيَكم هو ربُّكم وإليه تُرجعون (٣٤)

يقول تعالى مخبراً عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه وسخطه والبلاء موكل بالمنطق. (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) أي حاججتنا فأكثرت من ذلك ونحن لا نتبعك (فأتنا بما تعدنا) أي من النقمة والعذاب ادع علينا بما شئت فليأتنا ماتدعو به (إن كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين) أي انما الذي يعاقبكم ويعجلها لكم الله الذي لا يعجزه شيء (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) أي أي شيء يجدي عليكم ابلاغي لكم وإنذاري إياكم ونصحي (إن كان الله يريد أن يغويكم) أي اغواءكم ودماركم (هو ربكم واليه ترجعون) أي هو مالك أزمة الامور المتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الامر وهو المبدىء المعيد مالك الدنيا والآخرة

أم يقولون افتراه قل إن افْتريته فعليَّ إجْرامي وأنا بريءٌ مما تجرمون (٣٥)

هذا كلام معترض في وسط هذه القصة مؤكد لها مقرر لها يقول تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون افترى هذا وافتعله من عنده (قل إن افتريته فعلي إجرامي) أي فاثم ذلك عليّ (وأنا بريء مما تجرمون) أي ليس ذلك مفتعلا ولا مفترى لاني أعلم ماعند الله من العقوبة لمن كذب عليه

وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئِسْ بما كانوا يفعلون (٣٦) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٣٧) ويصنع الفلك وكلما مرَّ عليه ملأٌ من قومه سخِروا منه، قال إن تَسخرُوا منا فإنَّا نَسخرُ منكم كما تسخرون (٣٨) فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخزيه ويحلُّ عليه عذابٌ مقيم (٣٩)

جدالنا فاتنا بما تعدنا ﴿ من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله إن شاء ﴾ يعني بالعذاب ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين ﴿ولا ينفعكم نصحي﴾ أي نصيحتي ﴿ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم﴾ يضلكم ﴿هو ربكم﴾ له الحكم والامر ﴿واليه ترجعون﴾ فيجزيكم باعمالكم ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه يعني نوحا عليه السلام وقال مقاتل يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿قل ان افتريته فعلي إجرامي﴾ أي اثمي ووبال جرمي والاجرام كسب الذنوب ﴿ وأنا بريء مما تجرمون ﴾ لا أؤاخذ بذنوبكم

قوله تعالى ﴿وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن﴾ روى الضحاك عن ابن

يخبر تعالى انه أوحى الى نوح لما استعجل قومه نقمة الله بهم وعذابه لهم فدعا عليهم نوح دعوته التي قال الله تعالى مخبراً عنه انه قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) فعند ذلك أوحى الله اليه (انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) فلا تحزن عليهم ولا يهمنك امرهم (واصنع الفلك) يعني السفينة (بأعيننا) أي بمرأى منا (ووحينا) أي تعليمنا لك ما تصنعه (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) فقال بعض السلف أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه وييبسه فكان ذلك في مائة سنة ونجرها في مائة سنة اخرى وقيل في أربعين سنة والله أعلم

وذكر محمد بن اسحاق عن التوراة أن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج وأن يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار وأن يجعل لها جؤجؤاً أزور يشق الماء ، وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين وعن الحسن طولها ستمائة ذراع وعرضها ثلثمائة وعنه مع ابن عباس طولها ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة وقيل طولها ألفا ذراع وعرضها مائة ذراع فالله أعلم قالوا كلهم وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعا ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للانس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها ، وقد ذكر الامام ابو جعفر بن جرير اثراً غريباً من حديث علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن عبدالله بن عباس انه قال: قال الحواريون

عباس أن قوم نوح عليه السلام كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في قعر بيت يظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله عز وجل روي أن شيخا منهم جاء يتوكأ على عصى ومعه ابنه فقال يابني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال له ياأبت امكني من العصى فاخذ العصى من أبيه فضرب نوحا حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله عز وجل اليه ﴿ انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس ﴾ فلا تحزن ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ فاني مهلكهم ومنقذك منهم فحينئذ دعا نوح عليهم فقال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وحكى محمد بن اسحاق عن عبيد بن عمير الليثي أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن الا كان أخبث من الذي قبله حتى ان كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا فشكا الى الله تعالى فقال (رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا - الى أن قال - رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً) فأوحى الله تعالى اليه ﴿ واصنع الفلك باعيننا ﴾ قال ابن عباس بمرأى منا وقال مقاتل بعلمنا وقيل بحفظنا ﴿ ووحينا ﴾ أي بأمرنا ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ﴾ بالطوفان قيل معناه لا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم ، وفي القصة ان جبريل أتى نوحا عليه السلام فقال ان

لعيسى بن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب بكفه فقال أتدرون ما هـذا ؟ قالوا الله ورسوله اعلم ، قال هذا كعب حام بن نوح ، قال فضرب الكثيب بعصاه قال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب قال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت ؟ قال لا . ولكني مت وأنا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت ، قال حدثنا عن سفينة نوح ؟ قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيهـا الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثر روث الدواب أوحى الله عز وجل الى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فلما وقع الفأر بجوف السفينة يقرضها وحبالها أوحى الله اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فقال له عيسى عليه السلام كيف علم نوح ان البلاد قد غرقت ؟ قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان البلاد قد غرقت قال فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون في أنس وامان فمن ثم تألف البيوت قال فقلنا يارسول الله ألا ننطلق به الى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال كيف يتبعكم من لا رزق له قال فقال له عد باذن الله فعاد ترابا. وقوله (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) أي يهزءون به

ربك عز وجل يأمرك أن تصنع الفلك فقال كيف أصنع ولست بنجار ؟ فقال ان ربك يقول اصنع فانك بعيني فاخذ القدوم وجعل يصنع ولا يخطيء، وقيل أوحى الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر قوله تعالى ﴿ويصنع الفلك﴾ فلما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك أقبل نوح عليه السلام على عمل الفلك ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره وجعل قومه يمرون به وهو في عمله ويسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم ولد وزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يصنعه أزور وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا والذراع إلى المنكب وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلى ووسطى وعليا ويجعل فيه كوى ففعله نوح كما أمره الله عز وجل وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لهـا ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعـام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع مايحتاج اليه من الزاد وقال قتادة كان بابها في عرضها وروي عن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والمعروف هو الاول ان طولها ثلثمائة ذراع وعن زيد بن أسلم قال مكث نوح عليه السلام مائة

ويكذبون بما يتوعدهم به من الغرق [قال إن تسخروا منا فانا نسخرمنكم] الآية. وعيد شديد وتهديد أكيد [من يأتيه عذاب يخزيه] اي يهينه في الدنيا [ويحل عليه عذاب مقيم] اى دائم مستمر أبدا

حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه الا قليل (٤٠)

هذه موعدة من الله تعالى لنوح عليه السلام اذا جاء أمر الله من الامطار المتتابعة والهتان الذى لايقلع ولا يفتر ، بل هو كما قال تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر) وأما قوله (وفار التنور) فعن ابن عباس التنور وجه الارض ، أى صارت الارض عيونا تفور حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار صارت تفور ماء وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه التنور فلق الصبح وتنوير الفجر وهو ضياؤه واشراقه والاول أظهر وقال مجاهد والشعبي كان هذا التنور بالكوفة ، وعن ابن عباس عين بالهند ، وعن قتادة عين بالجزيرة يقال لها عين الوردة وهذه أقوال غريبة فحينئذ أمر الله نوحا عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من

سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة سنة يعمل الفلك وقيل غرس الشجر أربعين سنة وقطعه أربعين سنة وعن كعب الاحبار أن نوحا عمل السفينة في ثلاثين سنة وروي أنها كانت ثلاث طبقات الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى فيها الانس والطبقة العليا فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب شكا ذلك الى الله عز وجل فاوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فاكلاه فلما وقع الفأر بجوف السفينة جعل يقرضها ويقرض حبالها أوحى الله تعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنورة وسنور فاقبلا على الفأر فاكلاه قوله تعالى ﴿وكلما مر عليه من قومه سخروا منه﴾ وذلك انهم كانوا يقولون ان هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجاراً وروى أنهم كانوا يقولون له يانوح ماذا تصنع ؟ فقال اصنع بيتا يمشي على الماء فيضحكون منه ﴿ قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم﴾ اذا عاينتم عذاب الله ﴿ كما تسخرون﴾ فان قيل كيف تجوز السخرية من النبي ؟ قيل هذا على ازدواج الكلام يعني إن تستجهلوني فاني استجهلكم اذا نزل العذاب بكم وقيل معناه إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يهينه ﴿ويحل عليه﴾ يجب عليه ﴿عذاب مقيم﴾ دائم ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ عذابنا ﴿وفار التنور﴾ اختلفوا في التنور قال عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح إذا رأيت الماء فار على وجه الارض فاركب السفينة وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال (فار التنور) أي طلع الفجر ونور الصبح ، وقال الحسن ومجاهد والشعبي إنه التنور الذي يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين

كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الارواح ، قيل وغيرها من النباتات اثنين ذكر وأنثى فقيل كان أول من أدخل من الطيور الدرة وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار فتعلق إبليس بذنبه وجعل يريد أن ينهض فيثقله ابليس وهو متعلق بذنبه فجعل يقول له نوح عليه السلام : مالك ويحك ادخل فينهض ولا يقدر ، فقال ادخل وإن كان ابليس معك فدخلا في السفينة ، وذكر بعض السلف أنهم لم يستطيعوا أن يحملوا معهم الاسد حتى ألقيت عليه الحمى

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف تطمئن المواشي ومعها الاسد ؟ فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحى الله إلى الاسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها.

وقوله (وأهلك الا من سبق عليه القول) أي واحمل فيها أهلك وهم أهل بيته وقرابته إلا من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله فكان منهم ابنه يام الذي انعزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله ، وقوله (ومن آمن) أي من قومك (وما آمن معه إلا قليل) أي نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة الا خمسين عاما ، فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً معهم

ورواية عطية عن ابن عباس قال، الحسن كان تنوراً من حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار إلى نوح عليه السلام فقيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب السفينة أنت وأصحابك واختلفوا في موضعه فقال مجاهد والشعبي كان في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف مافار التنور الا من ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الماء منه علما لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك تنور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس أنه كان بالهند والفوران الغليان قوله تعالى ﴿قلنا احمل فيها﴾ أى في السفينة ﴿من كل زوجين اثنين﴾ الزوجان كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر يقال لكل واحد منهما زوج يقال زوج خف وزوج نعل والمراد بالزوجين هنا الذكر والانثى قرأ حفص ههنا وفي سورة المؤمنين من كل بالتنوين أي من كل صنف زوجين اثنين ذكره تأكيدا وفي القصة أن نوحا عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف أحمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه الوحوش والسباع والهوام والطير فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيحملهما في السفينة ﴿واهلك﴾ أي واحمل أهلك أي ولدك وعيالك ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ بالهلاك يعني امرأته واعلة وابنه كنعان ﴿ومن آمن﴾ يعني واحمل من آمن بك كما قال الله تعالى ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ واختلفوا في عددهم . قال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح

نساؤهم ، وعن كعب الاحبار كانوا اثنين وسبعين نفساً ، وقيل كانوا عشرة ، وقيل انما كان نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث وكنائنه الاربع نساء هؤلاء الثلاثة وامرأة يام ، وقيل بل امرأة نوح كانت معهم في السفينة وهذا فيه نظر ، بل الظاهر أنها هلكت لأنها كانت على دين قومها فأصابها ما أصابهم كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها والله أعلم وأحكم

وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسىٰها إن ربي لغفور رحيم (٤١) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يٰبني اركب معنا ولا تكن مع الكفرين (٤٢) قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين (٤٣)

يقول تعالى اخباراً عن نوح عليه السلام أنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة (اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) أي بسم الله يكون جريها على وجه الماء ، وبسم الله يكون منتهى سيرها

وامرأته وثلاثة بنين له سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين له وثلاث كنائن له وقال ابن اسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعا ، وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفراً رجلا وامرأة وبنيه الثلاثة ونسائهم فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان في سفينة نوح ثمانون رجلا أحدهم جرهم قال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوحا جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس رضي الله عنهما أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم يستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك فنهض فلم يستطع حتي قال نوح ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك علي يا عدو الله ؟ قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله فقال مالك بد من أن تحملني معك فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك وروى عن بعضهم أن الحية والعقرب أتتا نوحا فقالتا احملنا فقال انكما سبب الضرر والبلاء فلا أحملكما فقالتا له احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين ما ضرتاه قال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فأما ما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض والذباب فلم يحمل منها شيئا ﴿ وقال اركبوا فيها ﴾ أي وقال لهم نوح اركبوا فيها أي في السفينة ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ﴾ قرأ

وهو رسوها ، وقرأ أبو رجاء العطاردي (بسم الله مجريها ومرسيها) وقال الله تعالى [فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين] ولهذا تستحب التسمية في ابتداء الامور عند الركوب على السفينة وعلى الدابة كما قال تعالى [والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون لتستووا على ظهوره] الآية ، وجاءت السنة بالحث على ذلك والندب اليه كما سيأتي في سورة الزخرف إن شاء الله وبه الثقة

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا ابراهيم بن هاشم البغوي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي وحدثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا محمد بن موسى الحرشي قالا حدثنا عبدالحميد بن الحسن الهلالي عن نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أمان أمتي من الغرق اذا ركبوا في السفن أن يقولوا بسم الله الملك (وماقدروا الله حق قدره) الآية بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم » وقوله (إن ربي لغفور رحيم) مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين باغراقهم أجمعين فذكر أنه غفور رحيم كقوله [إن ربك لسريع العقاب * وانه لغفور رحيم] وقال [وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب] إلى غير ذلك من الآيات التي يقرون فيها بين رحمته وانتقامه

وقوله (وهي تجري بهم في موج كالجبال) أي السفينة سائرة بهم على وجه الماء الذي قد طبق جميع الارض حتى طفت على رءوس الجبال وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا وقيل بثمانين ميلا ، وهذه السفينة جارية على وجه الماء سائرة باذن الله وتحت كنفه وعنايته وحراسته وامتنانه كما قال تعالى [انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية] وقال تعالى [وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر] وقوله (ونادى نوح ابنه) الآية ، هذا هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافراً دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن

حمزة والكسائي وحفص مجريها بفتح الميم ومرساها بضمها وقرأ محمد بن محيصن مجراها ومرساها بفتح الميمين من جرت ورست أي بسم الله جريها ورسوها وهما مصدران وقرأ الآخرون مجريها ومرساها بضم الميمين من أجريت وأرسيت أي بسم الله اجراؤها وارساؤها وهما أيضا مصدران كقوله (أنزلني منزلا مباركا وادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق) والمراد منها الانزال والادخال والاخراج ﴿ ان ربي لغفور رحيم ﴾ قال الضحاك كان نوح إذا أراد أن تجري السفينة فقال بسم الله جرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله رست ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ والموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ كنعان وقال عبيد ابن عمير سام[1] وكان كافرا ﴿ وكان في معزل ﴾ عنه لم يركب السفينة ﴿ يابني اركب معنا ﴾ قرأ نافع وابن عامر وحمزة والبزي عن ابن كثير وأبو بكر عن عاصم ويعقوب اركب باظهار الباء والآخرون يدغمونها في الميم ﴿ ولا تكن مع الكافرين ﴾ فتهلك ﴿ قال ﴾ له ابنه ﴿ سآوي ﴾ سأصير والتجيء ﴿ إلى

١) هذا مخالف لاجماع النقلة

يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل مايغرق الكافرون (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) وقيل أنه اتخذ له مركبًا من زجاج وهذا من الاسرائيليات والله أعلم بصحته، والذي نص عليه القرآن أنه قال (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رءوس الجبال، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق، فقال له أبوه نوح عليه السلام (لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) أي ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله، وقيل إن عاصما بمعنى معصوم كما يقال طاعم وكاس بمعنى مطعوم ومكسو (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)

(وقيل يأرضُ ابلعي ماءكِ ويٰسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بُعداً للقوم الظالمين (٤٤)

يخبر تعالى أنه لما أغرق أهل الارض كلهم إلا أصحاب السفينة أمر الارض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر (وغيض الماء) أي شرع في النقص (وقضي الامر) أي فرغ من أهل الارض قاطبة ممن كفر بالله لم يبق منهم ديار (واستوت) السفينة بمن فيها (على الجودي) قال مجاهد وهو جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام[1] وقال قتادة استوت عليه شهراً حتى نزلوا منها، قال قتادة: قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الامة وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رماداً

وقال الضحاك: الجودي جبل بالموصل وقال بعضهم هو الطور، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا محمد بن عبيد عن توبة بن سالم قال رأيت زر بن حبيش يصلي في الزاوية حين

[1] لا يعقل ارساؤها عليه إلا إذا غرق وكانت سابحة فوقه حين غيض الماء

جبل يعصمني من الماء﴾ يعني من الغرق ﴿قال﴾ له نوح ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ أي من عذاب الله ﴿الا من رحم﴾ قيل من في محل الرفع أي لا مانع من عذاب الله الا الله الراحم وقيل من في محل النصب معناه لا معصوم الا من رحمه الله كقوله (في عيشة راضية) أي مرضية ﴿وحال بينهما الموج فكان﴾ فصار ﴿من المغرقين﴾ ويروى أن الماء علا على رءوس الجبال قدر أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا ويروى أنه لما كثر الماء في السكك خشيت أم صبي عليه وكان تحبه حبا شديدا فخرجت الي الجبل حتي بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي ﴿وقيل﴾ يعني بعد ما تناهى أمر الطوفان ﴿يا أرض ابلعي﴾ تشربي ﴿ماءك وياسماء أقلعي﴾ أمسكي ﴿وغيض الماء﴾ نقص ونضب يقال غاض الماء يغيض غيضاً اذا نقص وغاضه الله أي أنقصه ﴿وقضي الامر﴾ فرغ من الامر وهو هلاك القوم ﴿واستوت﴾ يعني السفينة استقرت ﴿على

يدخل من أبواب كندة على يمينك فسألته إنك لكثير الصلاة ههنا يوم الجمعة قال بلغني ان سفينة نوح أرست من ههنا . وقال علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم وانهم كانوا فيها مائة وخمسين يوما وان الله وجه السفينة إلى مكة فطافت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله إلى الجودى فاستقرت عليه فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الارض فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون فلطخت رجليها بالطين فعرف نوح عليه السلام أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودى فابتنى قرية وسماها ثمانين فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة احداها اللسان العربي ، فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم . وقال كعب الاحبار : ان السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل أن تستقر على الجودى ، وقال قتادة وغيره ركبوا في عاشر شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهراً وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم ، وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير وأنهم صاموا يومهم ذلك فالله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبدالصمد بن حبيب الازدي عن أبيه حبيب بن عبدالله عن شبل عن أبي هريرة قال : مر النبي ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال «ماهذا الصوم ؟» قالوا هذا اليوم الذي نجى الله به موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل : فقال النبي ﷺ « أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم » فصام وقال لأصحابه « من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه ، ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شاهد في الصحيح ، وقوله (وقيل بعداً للقوم الظالمين) أي هلاكا وخساراً لهم وبعداً من رحمة الله فانهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية ، وقد روى الامام أبو جعفر ابن جرير والحبر أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يعقوب بن موسى الزمعي عن قائد مولى عبيدالله بن أبي رافع أن ابراهيم بن عبدالرحمن بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن النبي ﷺ قال « لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم أم الصبي » قال رسول الله ﷺ « كان نوح عليه السلام

الجودي ﴾ وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿ وقيل بعدا ﴾ هلاكا ﴿ للقوم الظالمين ﴾ وروى أن نوحا عليه السلام بعث الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع فبعث حمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح أن الماء قد نضب فقيل إنه دعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة الخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تألف البيوت وروى أن نوحا ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت

مكث في قومه الف سنة يعني وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر فكيف تجري ؟ قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبا شديداً فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد روي عن كعب الاحبار [1] ومجاهد بن جبير قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا

[1] هو آفته

ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحـٰكمين (٤٥) قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجـٰهلين (٤٦) قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخـٰسرين (٤٧)

هذا سؤال استعلام وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق (قال رب إن ابني من أهلي) أي وقد وعدتني بنجاة اهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف فكيف غرق وأنت احكم الحاكمين ؟ (قال يانوح إنه ليس من أهلك) أى الذين وعدت انجاءهم لاني انما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ولهـذا قال (وأهلك الا من سبق عليه القول) منهم فكان هـذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوح عليه السلام ، وقد نص غير واحد من الائمة على

فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق وبقى موضعه وهبطوا به يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه بالصوم شكرا لله عز وجل وقيل ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء إلى حجزته وكان سبب نجاته أن نوحا احتاج الى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج اليه من الشام فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك

قوله تعالى ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي ﴾ وقد وعدتني ان تنجيني واهلي ﴿ وان وعدك الحق ﴾ لا خلف فيه ﴿ وأنت أحكم الحاكمين ﴾ حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك ﴿ قال ﴾ الله عز وجل ﴿ يانوح انه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾ قرأ الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بنصب الراء على الفعل أي عمل الشرك والتكذيب وقرأ الآخرون بفتح الميم ورفع اللام وتنوينه غير برفع الراء معناه أن سؤالك إياي ان انجيه عمل غير صالح ﴿ فلا تسألني ﴾ يانوح ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ قرأ أهل الحجاز والشام فلا تسألني بفتح اللام وتشديد النون ويكسرون النون غير ابن كثير فانه يفتحها وقرأ الآخرون بجزم اللام وكسر النون خفيفة ويثبت أبو جعفر

تخطئة من ذهب في تفسير هذا الى أنه ليس منك انما هو ولد زنية ، ويحكى القول بأنه ليس بابنه وانما كان ابن امرأته عن مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج واحتج بعضهم بقوله (انه عمل غير صالح) وبقوله (فخانتاهما) فممن قاله الحسن البصري احتج بهاتين الآيتين وبعضهم يقول كان ابن امرأته وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن أو أراد أنه نسب اليه مجازاً لكونه كان ربيبا عنده فالله أعلم . وقال ابن عباس وغير واحد من السلف مازنت امرأة نبي قط قال وقوله (انه ليس من أهلك) أي الذين وعدتك نجاتهم ، وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لامحيد عنه فان الله تعالى أعز من أن يمكن من امرأة نبي هذه الفاحشة ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ولهذا قال تعالى (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم * لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وقال عبدالرزاق أنا معمر عن قتادة وغيره عن عكرمة عن ابن عباس قال : هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية قال عكرمة في بعض الحروف انه عمل عملا غير صالح ، والخيانة تكون على غير باب وقد ورد في الحديث أن رسول الله قرأ بذلك فقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقرأ (انه عمل غير صالح) وسمعته يقول (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) ولا يبالي (انه هو الغفور الرحيم) وقال احمد أيضا ثنا وكيع ثنا هارون النحوي عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن ام سلمة أن رسول الله قرأها (انه عمل غير صالح) أعاده أحمد أيضا في مسنده أم سلمة هي أم المؤمنين والظاهر والله أعلم أنها أسماء بنت يزيد فانها تكنى بذلك أيضا وقال عبدالرزاق أيضا أنا الثوري و ابن عيينة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قبة قال سمعت ابن عباس سئل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله (فخانتاهما) قال : اما إنه لم يكن بالزنا ولكن هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل على الاضياف ثم قرأ (انه عمل غير صالح)

وأبو عمرو وورش الياء في الوصل دون الوقف وأثبتها يعقوب في الحالين ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ واختلفوا في هذا الابن قال مجاهد والحسن كان ولد خبثة من غير نوح ولم يعلم بذلك نوح ولذلك قال (ماليس لك به علم) وقرأ الحسن فخانتاهما وقال أبو جعفر الباقر كان ابن امرأته وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والاكثرون إنه كان ابن نوح عليه السلام من صلبه وقال ابن عباس مابغت امرأة نبي قط وقوله إنه ليس من أهلك أي من أهل دينك لانه كان مخالفا لنوح في الدين وقوله فخانتهما أي في الدين والعمل لا في الفراش

قال ابن عيينة وأخبرني عمار الذهبي أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال : كان ابن نوح إن الله لا يكذب . قال تعالى (ونادى نوح ابنه) قال وقال بعض العلماء ما فجرت امرأة نبي قط . وكذا روي عن مجاهد أيضا وعكرمة والضحاك وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج وهو اختيار أبي جعفر ابن جرير وهو الصواب الذي لاشك فيه

قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم (٤٨)

يخبر تعالى عما قيل لنوح عليه السلام حين أرست السفينة على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين وعلى كل مؤمن من ذريته الى يوم القيامة كما قال محمد بن كعب دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وكذلك في العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة وقال محمد بن اسحاق لما أراد الله أن يكف الطوفان أرسل ريحا على وجه الارض فسكن الماء وانسدت ينابيع الارض الغمر الاكبر وأبواب السماء يقول الله تعالى (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) الآية فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤس الجبال فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التي ركب فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما صنع الماء فلم يرجع اليه فأرسل الحمامة فرجعت اليه لم تجد لرجليها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ثم مضى سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتون فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الارض ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع فعلم نوح أن الارض قد برزت فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان الى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الاول من سنة اثنتين برز وجه الارض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في ست وعشرين ليلة منه (قيل يانوح اهبط بسلام منا) الآية

وقوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) يعني أن تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر ﴿ قال ﴾ نوح ﴿ رب اني اعوذ بك أن اسألك ماليس لي به علم والا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين ﴿ قيل يانوح اهبط ﴾ انزل من السفينة ﴿ بسلام منا ﴾ أي بامن وسلامة منا ﴿ وبركات عليك ﴾ البركة هي ثبوت الخير ومنه بروك البعير وقيل البركة ههنا هي أن الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة ﴿ وعلى أمم ممن معك ﴾ أي على ذرية أمم ممن كان معك في السفينة يعني على قرون تجيء بعدك من ذرية من معك في السفينة يعني من ولدك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظي دخل فيه كل مؤمن الى يوم القيامة ﴿ وامم سنمتعهم ﴾ هذا ابتداء أي امم سنمتعهم في الدنيا ﴿ ثم يمسهم منا عذاب اليم ﴾

تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين (٤٩)

يقول تعالى لنبيه ﷺ هذه القصة وأشباهها (من أنباء الغيب) يعني من أخبار الغيوب السالفة نوحيها اليك على وجهها كأنك شاهدها نوحيها اليك أي نعلمك بها وحيا منا اليك (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذبك إنك تعلمتها منه بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الامر الصحيح كما تشهد به كتب الانبياء قبلك فاصبر على تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك فانا سننصرك ونحوطك بعنايتنا ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) الآية وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون) الآية وقال تعالى (فاصبر ان العاقبة للمتقين)

والى عاد أخاهم هودا قال يـٰقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ان أنتم الا مفترون (٥٠)

يـٰقوم لا أسئلكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون؟ (٥١) ويـٰقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين (٥٢)

يقول تعالى (ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً) آمراً لهم بعبادة الله وحده لا شريك له ناهيا لهم عن الاوثان التي افتروها واختلقوا لها أسماء الآلهة وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجرة على هذا النصح والبلاغ من الله انما يبغي ثوابه من الله الذي فطره أفلا تعقلون من يدعوكم إلى ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير

وهم الكافرون وأهل الشقاوة ﴿تلك من أنباء الغيب﴾ من أخبار الغيب ﴿نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ من قبل نزول القرآن ﴿فاصبر﴾ على القيام بأمر الله وتبليغ الرسالة وماتلقى من أذى الكفار كما صبر نوح ﴿ان العاقبة﴾ آخر الامر بالسعادة والنصرة ﴿للمتقين﴾ لاهل التقوى قوله تعالى ﴿والى عاد﴾ أي وأرسلنا إلى عاد ﴿أخاهم هودا﴾ في النسب لا في الدين ﴿قال ياقوم اعبدوا الله﴾ وحدوا الله ﴿مالكم من إله غيره ان أنتم إلا مفترون﴾ ما أنتم في أشراككم إلا كاذبون ﴿ياقوم لا أسألكم عليه﴾ أي على تبليغ الرسالة ﴿أجرا﴾ جعلا ﴿إن أجري﴾ ماثوابي ﴿الا على الذي فطرني﴾ خلقني ﴿أفلا تعقلون * وياقوم استغفروا ربكم﴾ أي آمنوا به فالاستغفار ههنا بمعنى الايمان ﴿ثم توبوا اليه﴾ من عبادة غيره ومن سالف ذنوبكم ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ أي يرسل المطر عليكم

أجرة ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة وبالتوبة عما يستقبلون ، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه ولهذا قال (يرسل السماء عليكم مدرارا) وفي الحديث «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب»

(قالوا يـٰهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين(٥٣)

ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما

تشركون (٥٤)من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون(٥٥) اني توكلت على الله ربي وربكم

مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم(٥٦)

يخبر تعالى أنهم قالوا لنبيهم(ماجئتنا ببينة) أي بحجة وبرهان على ماتدعيه(وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) أي بمجرد قولك اتركوهم نتركهم (ومانحن لك بمؤمنين)بمصدقين إن نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) يقولون مانظن الا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها(قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه) يقول اني بريء من جميع الانداد والاصنام(فكيدوني جميعا) أي أنتم وآلهتكم إن كانت حقا (ثم لا تنظرون) أي طرفة عين وقوله(إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها) أي تحت قهره وسلطانه وهو الحاكم العادل الذى لا يجور في حكمه فانه على صراط مستقيم

متتابعا مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ أي شدة مع شدتكم وذلك أن الله عز وجل حبس عنهم المطر ثلاث سنين. وأعقم أرحام نسائهم فلم يلدن فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله عليكم المطر فتزدادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة في الدين الى قوة في البدن ﴿ ولا تتولوا مجرمين ﴾ أي لاتدبروا مشركين ﴿قالوا يا هود ماجئتنا ببينة﴾ أي ببرهان وحجة واضحة على ماتقول ﴿ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك﴾ أي بقولك ﴿ومانحن لك بمؤمنين﴾ بمصدقين ﴿ ان نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ يعني لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا ان بعض آلهتنا اعتراك اي اصابك بسوء بخبل وجنون وذلك انك سببت آلهتنا فانتقموا منك بالتخبيل لانحمل امرك الا على هذا ﴿قال﴾ لهم هود ﴿اني اشهد الله﴾ على نفسي ﴿واشهدوا﴾ ياقوم ﴿ اني بريء مما تشركون من دونه ﴾ يعني الاوثان ﴿فكيدوني جميعا﴾ فاحتالوا في مكركم وضري انتم واوثانكم ﴿ثم لا تنظرون﴾ لا تؤخرون ولا تمهلون ﴿اني توكلت﴾ اي اعتمدت ﴿على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها﴾ قال الضحاك محييها ومميتها قال الفراء مالكها والقادر عليها وقال بعض العلماء آخذ بناصيتها لاتتوجه الا

قال الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أنفع بن عبد الكلاعي انه قال في قوله تعالى (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) قال فيأخذ بنواصي عباده فيكر المؤمن حتى يكون لهم أشفق من الوالد لولده ويقال للكافر (ماغرّك بربك الكريم) وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ماجاءهم به وبطلان ماهم عليه من عبادة الاصنام التي لاتنفع ولا تضر بل هي جماد لاتسمع ولاتبصر ولا توالي ولا تعادي وانما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لاشريك له الذي بيده الملك وله التصرف وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه فلا إله إلا هو ولا رب سواه

فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه

شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ (٥٧) ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة

منا ونجيناهم من عذاب غليظ (٥٨) وتلك عاد جحدوا بآيت ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر

كل جبار عنيد (٥٩) واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة .ألا ان عادا كفروا ربهم الا

بعداً لعاد قوم هود (٦٠)

يقول لهم هود فان تولوا عما جئتكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له فقد قامت عليكم الحجة بابلاغي إياكم رسالة الله التي بعثني بها (ويستخلف ربي قوما غيركم) يعبدونه وحده لايشركون به ولا يبالي بكم فانكم لاتضرونه بكفركم بل يعود وبال ذلك عليكم (إن ربي على كل شيء حفيظ) أي شاهد وحافظ لاقوال عباده وأفعالهم ويجزيهم عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر (ولما جاء أمرنا)

حيث يلهمها وقال القتيبي يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته وقيل إنما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك اذا وصفت انسانا بالذلة فتقول ناصية فلان بيد فلان وكانوا إذا اسروا انسانا وارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفون ﴿ان ربي على صراط مستقيم﴾ يعني ان ربي وان كان قادرا عليهم فانه لايظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي صراط مستقيم وقيل فيه اضمار اى ان ربي يحثكم ويحملكم على صراط مستقيم ﴿فان تولوا﴾ اى تتولوا يعني تعرضوا عما دعوتكم اليه ﴿ فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ﴾ اى ان اعرضتم يهلككم الله عز وجل ويستبدل قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه ﴿ولا تضرونه شيئا﴾ بتوليكم واعراضكم إنما تضرون أنفسكم وقيل لاتنقصونه شيئاً إذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء ﴿ان ربي على كل شيء حفيظ﴾ اى لكل شيء حافظ يحفظني من ان تنالوني بسوء

قوله تعالى ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ عذابنا ﴿ نجينا هوداً والذين آمنوا معه ﴾ وكانوا أربعة آلاف

وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم ونجى هوداً وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها وعصوا رسل الله وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الانبياء لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الايمان به فعاد كفروا بهود فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) تركوا اتباع رسولهم الرشيد، واتبعوا أمر كل جبار عنيد، فلهذا أتبعوا في هـذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا وينادى عليهم يوم القيامة على رءوس الاشهاد (ألا ان عاداً كفروا ربهم) الآية قال السدي ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه

وإلى ثمود أخاهم صٰلحاً قال يٰقوم اعبدوا الله مالكم من إلٰه غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها، فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (٦١)

يقول تعالى ولقد أرسلنا الى ثمود وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة وكانوا بعد عاد فبعث الله منهم أخاهم صالحا فأمرهم بعبادة الله وحده ولهذا قال (هو أنشأكم من الارض) أي ابتدأ خلقكم منها، خلق منها أباكم آدم واستعمركم فيها أي جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها

﴿ برحمة ﴾ بنعمة ﴿ منا ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ وهو الريح التي أهلك بها عاداً، وقيل العذاب الغليظ عذاب يوم القيامة أي كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة ﴿ وتلك عاد ﴾ رده إلى القبيلة ﴿ جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ﴾ يعني هوداً وحده ذكره بلفظ الجمع لان من كذب رسولا واحداً كان كمن كذب جميع الرسل ﴿ واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾ أي واتبع السفلة والسقاط أهل التكبر والعناد، والجبار المتكبر، والعنيد الذي لايقبل الحق. يقال عند الرجل يعند عنوداً إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه، وقال أبو عبيدة: العنيد والعاند والعنود والمعاند المعارض لك بالخلاف ﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ﴾ أي أردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم، واللعنة هي الابعاد والطرد عن الرحمة ﴿ ويوم القيامة ﴾ أي وفي يوم القيامة أيضاً لعنوا كما لعنوا في الدنيا والآخرة ﴿ ألا إن عاداً كفروا ربهم ﴾ أى بربهم يقال كفرته وكفرت به كما يقال شكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له ﴿ ألا بعداً لعاد قوم هود ﴾ قيل بعداً من رحمة الله وقيل هلاكا والبعد له معنيان (أحدهما) ضد القرب يقال منه بعد يبعد بعداً (والآخر) بمعنى الهلاك يقال منه بعد يعد بعداً وبعدا

قوله تعالى ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ أى وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا في النسب لافي الدين ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله ﴾ وحدوا الله عز وجل ﴿ مالكم من إله غيره هو أنشأكم ﴾ ابتدأ خلقكم ﴿ من الارض ﴾ وذلك انهم من آدم وآدم خلق من الارض ﴿ واستعمركم فيها ﴾ أى جعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال عمركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى الف سنة وكذلك قوم عاد. وقال مجاهد أعمركم من العمرى أى جعلها لكم ماعشتم وقال قتادة أسكنكم فيها ﴿ فاستغفروه

(فاستغفروه) لسالف ذنوبكم (ثم توبوا اليه) فيما تستقبلونه(إن ربي قريب مجيب) كما قال تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) الآية

قالوا يٰصٰلح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهٰنا أن نعبد مايعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب (٦٢) قال يٰقوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي وآتٰني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير (٦٣)

يذكر تعالى ما كان من الكلام بين صالح عليه السلام وبين قومه وما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم (قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) أي كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ماقلت (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) وما كان عليه أسلافنا (وانناالفي شك مما تدعونا اليه مريب) أي شك كثير (قال ياقوم ارأيتم إن كنت على بينة من ربي)فيما أرسلني به اليكم على يقين وبرهان (وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته) وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده ، فلو تركته لما نفعتموني ولما زدتموني (غير تخسير) أي خسارة

(ويٰقوم هٰذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب (٦٤) فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة أيام ، ذلك وعد غير

ثم توبوا اليه ان ربي قريب﴾ من المؤمنين ﴿ مجيب﴾ لدعائهم ﴿ قالوا ﴾ يعني ثمود ﴿ ياصالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ﴾ القول أي كنا نرجو أن تكون سيداً فينا وقيل كنا نرجو أن تعود إلى ديننا وذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته فلما أظهر دعاءهم إلى الله عز وجل وترك الاصنام زعموا ان رجاءهم انقطع عنه فقالوا ﴿ أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا ﴾ من الآلهة ﴿ واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ﴾ موقع للريبة والتهمة يقال أربته ارابة اذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة ﴿ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة ﴾ نبوة وحكمة ﴿ فمن ينصرني من الله ﴾ أى من يمنعني من عذاب الله ﴿ إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ﴾ قال ابن عباس معناه ماتزيدونني غير بصارة في خسارتكم . قال الحسين بن الفضل : لم يكن صالح عليه السلام في خسارة حتى قال (فما تزيدونني غير تخسير) وإنما المعنى ماتزيدونني بما تقولون من الفحش الا نسبتي اياكم الى الخسارة والتفسيق والتفجير في اللغة هو النسبة الى الفسق والفجور وكذلك التخسير هو النسبة الى الخسران ﴿ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ نصب على الحال والقطع وذلك ان قوما طلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من

مكذوب (٦٥) فلما جاء أمرنا نجينا صلحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ

ان ربك هو القوي العزيز (٦٦) وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديرهم جثمين (٦٧)

كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود (٦٨)

وتقدم الكلام على هذه القصة مستوفى في سورة الاعراف بما أغني عن اعادته ههنا وبالله التوفيق

(ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلما قال سلم فما لبث أن جاء بعجل

حنيذ (٦٩) فلما رءا أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا

هذه الصخرة - وأشاروا الى صخرة - فدعا صالح عليه السلام فخرجت منها ناقة وولدت في الحال ولداً مثلها وقد بيناه في سورة الاعراف فهذا معنى قوله (هذه ناقة الله لكم آية) ﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾ من العشب والنبات فليست عليكم مؤنتها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ ولا تصيبوها بعقر ﴿فيأخذكم﴾ ان قتلتموها ﴿عذاب قريب * فعقروها فقال لهم﴾ صالح ﴿تمتعوا﴾ عيشوا ﴿في داركم﴾ أي في دياركم ﴿ثلاثة أيام﴾ ثم تهلكون ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ أي غير كذب روي انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون اليوم الأول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كما قال وأتاهم العذاب اليوم الرابع

قوله تعالى ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة﴾ بنعمة ﴿منا ومن خزي يومئذ﴾ أي من عذابه وهوانه ، قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي: خزي يومئذ ، وعذاب يومئذ ، بفتح الميم ، وقرأ الباقون بالكسر ﴿إن ربك هو القوي العزيز * وأخذ الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿الصيحة﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعاً ، وقيل أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وانما قال (أخذ) والصيحة مؤنثة لان الصيحة بمعنى الصياح ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ صرعى هلكى ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ يقيموا ويكونوا ﴿ألا أن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ قرأ حمزة وحفص ويعقوب (ثمود) غير منون وكذلك في سورة الفرقان والعنكبوت والنجم وافق أبو بكر في النجم ، وقرأ الباقون بالتنوين ، وقرأ الكسائي (لثمود) بخفض الدال والتنوين ، والباقون بنصب الدال فمن جره فلأنه اسم مذكر ، ومن لم يجره جعله اسما للقبيلة

قوله تعالى ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى﴾ أراد بالرسل الملائكة عليهم السلام واختلفوا

الى قوم لوط (٧٠) وامرأته قائمة فضحكت فبشرنها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب (٧١)

قالت يٰويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ، ان هذا لشيء عجيب (٧٢) قالوا أتعجبين

من أمر الله ؟ رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد (٧٣)

يقول تعالى (ولما جاءت رسلنا) وهم الملائكة ابراهيم بالبشرى قيل تبشره باسحاق وقيل بهلاك قوم لوط ويشهد للأول قوله تعالى [ولما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط] (قالوا سلاما قال سلام) أي عليكم ، قال علماء البيان : هذا أحسن مما حيوه به لان الرفع يدل على الثبوت والدوام (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أي ذهب سريعاً فأتاهم بالضيافة وهو عجل فتى البقر حنيذ مشوي على الرضف وهي الحجارة المحماة . هذا معنى ماروى عن ابن عباس وقتادة وغير واحد كما قال في الآية الاخرى (فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون) وقد تضمنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيرة وقوله (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم) تنكرهم (وأوجس منهم خيفه) وذلك أن الملائكة لاهمة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم (وأوجس منهم خيفة) قال السدى لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشي في صور رجال شبان حتى نزلوا على ابراهيم فتضيفوه ، فلما رآهم أجلهم (فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين) فذبحه ثم شواه في الرضف وأتاهم به فقعد معهم وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول (وامرأته قائمة وهو جالس) في قراءة ابن مسعود فلما قربه اليهم (قال ألا تأكلون ؟) قالوا يا ابراهيم انا لا نأكل طعاما إلا بثمن ، قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه ؟ قال

في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل . وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا . وقال محمد بن كعب كان جبريل ومعه سبعة وقال السدي كانوا أحد عشر ملكا على صورة الغلمان الوضاء وجوههم (بالبشرى) بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط ﴿ قالوا سلاما ﴾ أي سلموا سلاما ﴿ قال ﴾ إبراهيم ﴿ سلام ﴾ أي عليكم سلام ، وقيل هو رفع على الحكاية كقوله تعالى (وقولوا حطة) وقرأ حمزة والكسائي (سلم) ههنا وفي سورة الذاريات بكسر السين بلا الف قيل هو بمعنى السلام كما يقال حل وحلال وحرم وحرام . وقيل هو بمعنى الصلح أي نحن سلم أي صلح لكم غير حرب ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ والحنيذ المحنوذ وهو المشوي على الحجارة في خد من الارض وكان سمينا يسيل دسما كما قال في موضع آخر (فجاء بعجل سمين) قال قتادة كان عامة مال ابراهيم البقر ﴿ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه ﴾ أي إلى العجل ﴿ نكرهم ﴾ أنكرهم ﴿ وأوجس ﴾ أضمر ﴿ منهم خيفة ﴾ خوفا قال مقاتل وقع في قلبه وأصل الوجوس الدخول كأن الخوف دخل قلبه ، وقال

تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا (فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم) يقول فلما رآهم لايأكلون فزع منهم وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت : عجباً لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم وهم لايأكلون طعامنا وقال ابن حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا نصر بن علي ثنا نوح بن قيس عن عثمان بن محيصن في ضيف ابراهيم قال كانوا أربعة : جبريل وميكائيل واسرافيل ورفائيل ، قال نوح بن قيس فزعم نوح ابن ابي شداد أنهم لما دخلوا على ابراهيم فقرب اليهم العجل مسحه جبريل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار ، وقوله تعالى اخباراً عن الملائكة (قالوا لاتخف) أى قالوا لاتخف منا انا ملائكة أرسلنا إلى قوم لوط لنهلكهم فضحكت سارة استبشاراً بهلاكهم لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الاياس ، وقال قتادة ضحكت وعجبت أن قوما يأتيهم العذاب وهم في غفلة ، وقوله (ومن ورا اسحاق يعقوب) قال العوفي عن ابن عباس فضحكت أي حاضت ، وقول محمد بن قيس انها انما ضحكت من أنها ظنت انهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط ، وقول الكلبي انها انما ضحكت لما رأت من الروع بابراهيم ضعيفان جداً وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده اليهما فلا يلتفت إلى

قتادة وذلك انهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يأت بخير وانما جاء بشر ﴿ قالوا لاتخف ﴾ ياإبراهيم ﴿ إنا ﴾ ملائكة الله ﴿ أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته ﴾ سارة بنت هاران بن ناحوزا وهي ابنة عم ابراهيم ﴿ قائمة ﴾ من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس معهم ﴿ فضحكت ﴾ قال مجاهد وعكرمة ضحكت أي حاضت في الوقت ، تقول العرب ضحكت الارنب أى حاضت ، والاكثرون على أن المراد منه الضحك المعروف ، واختلفوا في سبب ضحكها فقيل ضحكت لزوال الخوف عنها وعن ابراهيم حين قالوا (لاتخف) وقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام اليهم فلم يأكلوا خاف ابراهيم وظنهم لصوصاً فقال لهم ألا تأكلون ؟ قالوا انالا نأكل طعاما إلا بثمن قال ابراهيم فان له ثمناً قالوا وما ثمنه ؟ قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهم الصلاة والسلام وقال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لاتصل اليه ضحكت سارة وقالت ياعجباً لأضيافنا انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لايأكلون طعامنا ،وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم ، وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة في بيته وهو فيما بين خدمه وحشمه ، وقيل ضحكت سروراً بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير تقديره : وامرأته قائمة فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت وقالت ياويلتى أألد وأنا عجوز

ذلك والله أعلم . وقال وهب بن منبه : انما ضحكت لما بشرت باسحاق وهذا مخالف لهذا السياق فان البشارة صريحة مرتبة على ضحكها (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) اى بولدلها يكون له ولد وعقب ونسل فان يعقوب ولد اسحاق كما قال في آية البقرة (ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسحاق إلها واحداً ونحن له مسلمون) ومن ههنا استدل من استدل بهذه الآية على أن الذبيح انما هو اسماعيل، وانه يمتنع ان يكون هو اسحاق لانه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب فكيف يؤمر ابراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ووعد الله حق لاخلف فيه فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه فتعين أن يكون هو اسماعيل وهذا من أحسن الاستدلال واصحه وابينه ولله الحمد (قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا) الآية حكى قولها في هذه الآية كما حكى فعلها في الآية الأخرى فانها (قالت ياويلتى أألد وانا عجوز) وفي الذاريات (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم) كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب (قالوا أتعجبين من أمر الله) اي قالت الملائكة لها لاتعجبي من امر الله فانه اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فلا تعجبي من هذا وإن كنت عجوزاً عقيما وبعلك شيخاً كبيراً فان الله على مايشاء قدير (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) اي هو الحميد في جميع افعاله واقواله محمود ممجد في صفاته وذاته ، ولهذا ثبت في الصحيحين انهم قالوا : قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يارسول الله؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد »

قوله تعالى ﴿ فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق ﴾ أي من بعد اسحاق ﴿ يعقوب ﴾ أراد به ولد الولد فبشرت على انها تعيش حتى ترى ولد ولدها ، قرأ ابن عامر وحمزة وحفص ﴿ يعقوب ﴾ بنصب الباء أي من وراء اسحاق يعقوب ، وقيل باضمار فعل أى ووهبنا له يعقوب ، وقرأ الباقون بالرفع على حذف حرف الصفة ، وقيل ومن بعد اسحاق يحدث يعقوب ، فلما بُشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها أي ضربت وجهها تعجباً ﴿ قالت ياويلتا ﴾ نداء ندبة وهي كلمة يقولها الانسان عند رؤية مايتعجب منه أى ياعجبا والاصل ياويلتاه ﴿ أألد وأنا عجوز ﴾ وكانت ابنة تسعين سنة في قول ابن إسحاق وقال مجاهد تسعاً وتسعين سنة ﴿ وهذا بعلي ﴾ أي زوجي سمي بذلك لانه قيم أمرها ﴿ شيخاً ﴾ نصب على الحال وكان سن ابراهيم مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحاق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة ﴿ ان هذا لشيء عجيب قالوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ أتعجبين من أمر الله ﴾ معناه لا تعجبي من أمر الله فان الله عز وجل اذا أراد شيئاً كان ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ أي بيت ابراهيم عليه السلام قيل هذا على معنى الدعاء من الملائكة ، وقيل هذا على معنى الخبر والرحمة النعمة والبركات جمع البركة وهي ثبوت الخير وفيه دليل على أن الازواج من أهل البيت ﴿ انه حميد مجيد ﴾ فالحميد المحمود

﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجٰدلنا في قوم لوط (٧٤) ان ابراهيم لحليم أواه منيب (٧٥) ياابراهيم أعرض عن هـذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (٧٦) ﴾

يخبر تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه لما ذهب عنه الروع وهو ما أوجس من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا وبشروه بعد ذلك بالولد وأخبروه بهلاك قوم لوط أخذ يقول كما قال سعيد بن جبير في الآية قال لما جاءه جبريل ومن معه قالوا له (انا مهلكوا أهل هذه القرية) قال لهم أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا لا ، قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا لا ، قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً ؟ قالوا لا ، قال ثلاثون ؟ قالوا لا ، حتى بلغ خمسة قالوا لا ؟ قال أرأيتكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها ؟ قالوا لا ، فقال ابراهيم عليه السلام عند ذلك (إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته) الآية فسكت عنهم واطمأنت نفسه ، وقال قتادة وغيره قريباً من هذا زاد ابن اسحاق أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا لا قال فان كان فيها لوط يدفع به عنهم العذاب قالوا (نحن أعلم بمن فيها) الآية ، وقوله (إن ابراهيم لحليم أواه منيب) مدح ابراهيم بهذه الصفات الجميلة وقد تقدم تفسيرها ، وقوله تعالى (ياابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك) الآية ، أي إنه قد نفذ فيهم القضاء وحقت عليهم الكلمة بالهلاك وحلول البأس الذي لا يرد عن القوم المجرمين

في أفعاله والمجيد الكريم وأصل المجد الرفعة ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروع ﴾ الخوف ﴿ وجاءته البشرى ﴾ باسحاق ويعقوب ﴿ يجادلنا في قوم لوط ﴾ فيه اضمار أي أخذ وظل يجادلنا قيل معناه يكلمنا لان ابراهيم عليه السلام لا يجادل ربه عز وجل انما يسأله ويطلب اليه . وقال عامة أهل التفسير : معناه يجادل رسلنا وكانت مجادلته انه قال للملائكة أرأيتم لو كان في مدائن لوط خمسون من المؤمنين أتهلكونهم ؟ قالوا لا قال أو أربعون قالوا لا قال أو ثلاثون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها ؟ قالوا لا قال لهم ابراهيم عند ذلك (ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) فذلك قوله اخباراً عن ابراهيم عليه السلام (يجادلنا في قوم لوط) ﴿ ان ابراهيم لحليم أواه منيب ﴾ قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط أربعة آلاف فقالت الرسل عند ذلك لابراهيم ﴿ ياابراهيم أعرض عن هذا ﴾ أي اعرض عن هذا المقال ، ودع عنك الجدال ﴿ انه قد جاء أمر ربك ﴾ أي عذاب ربك وحكم ربك ﴿ وانهم آتيهم ﴾ نازل بهم ﴿ عذاب غير مردود ﴾ أي غير مصروف عنهم

ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (٧٧) وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد؟ (٧٨) قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم مانريد (٧٩)

يخبر تعالى عن قدوم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا ابراهيم بهلاكهم وفارقوه وأخبروه باهلاك الله قوم لوط هذه الليلة فانطلقوا من عنده فأتوا لوطا عليه السلام وهو على ماقيل في أرض له وقيل في منزله ووردوا عليه وهم في أجمل صورة تكون على هيئة شبان حسان الوجوه ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم وخشي ان لم يضيفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينالهم بسوء (وقال هذا يوم عصيب) قال ابن عباس وغير واحد شديد بلاؤه وذلك انه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك، وذكر قتادة انهم أتوه وهو في أرض له فتضيفوه فاستحيا منهم فانطلق أمامهم وقال لهم في أثناء الطريق كالمعرض لهم بأن ينصرفوا عنه انه والله ياهؤلاء ما أعلم على وجه الارض أهل بلد أخبث من هؤلاء، ثم مشى قليلا ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات، قال قتادة وقد كانوا أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك، وقال السدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط

قوله تعالى ﴿ولما جاءت رسلنا﴾ يعني هؤلاء الملائكة ﴿لوطا﴾ على صورة غلمان مرد حسان الوجوه ﴿سيء بهم﴾ أي حزن لوط بمجيئهم يقال سؤته فسيء كما يقال سررته فسر ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ أي قلبا يقال ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه لايطيق الخروج منه وذلك أن لوطا عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ اي شديد كانه عصب به الشر والبلاء أي شد قال قتادة والسدى خرجت الملائكة من عند ابراهيم عليه السلام نحو قرية قوم لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملائكة لاتهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى بهم ساعة قال لهم ما بلغكم أمر أهل هذه القرية قالوا وما أمرهم؟ قال أشهد بالله أنها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله، وروى أنه حمل الحطب وتبعته الملائكة فمر على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم فقال لوط إن قومي شر خلق الله ثم مر على قوم آخرين فغمزوا فقال مثله ثم مر بقوم فقال مثله ثم مر بقوم آخرين فقال مثله فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا حتى أتى منزله وروي أن الملائكة جاءوا إلى بيت لوط ووجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيت لوط

فبلغوا نهر سدوم نصف النهار ولقوا بنت لوط تستقي فقالوا ياجارية هل من منزل؟ فقالت مكانكم حتى آتيكم وفرقت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة مارأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك وكان قومه نهوه أن يضيف رجلا فقالوا خل عنا فلنضيف الرجال فجاء بهم فلم يعلم بهم أحد إلا اهل بيته فخرجت امرأته فأخبرت قومها فجاؤا يهرعون اليه وقوله (يهرعون اليه) أى يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك وقوله (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) اى لم يزل هذا من سجيتهم حتى اخذوا وهم على ذلك الحال وقوله (قال ياقوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) يرشدهم الى نسائهم فان النبي للأمة بمنزلة الوالد فأرشدهم الى ماهو أنفع لهم في الدنيا والآخرة كما قال لهم في الاية الاخرى (أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل انكم قوم عادون) وقوله في الآية الاخرى (قالوا أولم ننهك عن العالمين) أى ألم ننهك عن ضيافة الرجال (قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) وقال في هذه الآية الكريمة (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) قال مجاهد لم يكن بناته ولكن كن من أمته وكل نبي أبو أمته و كذا روى عن قتادة وغير واحد وقال ابن جريج أمرهم أن يتزوجوا النساء لم يعرض عليهم سفاحا وقال سعيد ابن جبير يعني نساءهم هن بناته هو نبيهم ويقال في بعض القراآت (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) وكذا روي عن الربيع بن أنس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم وقوله (فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي) أي اقبلوا ما آمركم به من الاقتصار على نسائكم (أليس منكم رجل رشيد) أي فيه خير يقبل ما آمره به ويترك ما أنهاه عنه (قالوا لقد علمت مالنا

فخرجت امرأته فاخبرت قومها وقالت إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه ، وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن مشي بين مشيتين قال شمر بن عطية بين الهرولة والجمز ﴿ ومن قبل ﴾ أي من قبل مجيئهم الى لوط ﴿ كانوا يعملون السيآت ﴾ كانوا يأتون الرجال في أدبارهم ﴿ قال ﴾ لهم لوط حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان ﴿ ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ﴾ يعني بالتزويج وقى أضيافه ببناته وكان في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جائزاً كما زوج النبي ﷺ ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وكانا كافرين وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد ابن جبير قوله (هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) أراد نساءهم وأضاف الى نفسه لان كل نبي أبو أمته وفي قراءة أبي بن كعب (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه وأمهاتهم وهو أب لهم) وقيل ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق فلم يرضوا هذا القول ﴿ فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي ﴾ أي خافوا الله (ولا تخزون في ضيفي) أي لا تسوؤني ولا تفضحوني في أضيافي ﴿ اليس منكم رجل رشيد ﴾ صالح سديد وقال عكرمة رجل يقول لا إله الا الله وقال ابن اسحاق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

في بناتك من حق) أي انك لتعلم أن نساءنا لا أرب لنا فيهن ولا نشتهيهن (وإنك لتعلم مانريد) أي ليس لنا غرض إلا في الذكور وأنت تعلم ذلك فأي حاجة في تكرار القول علينا في ذلك ؟ قال السدي وانك لتعلم مانريد انما نريد الرجال

قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد (٨٠) قالوا يلوط إنا رُسل ربك لن يصلوا إليك فأسْر بأهلك بِقِطعٍ من الليل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتَكَ إنه مُصيبها ما أصابَهم إن موعِدَهم الصبح أليسَ الصبحُ بقريب؟ (٨١)

يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام ان لوطا توعدهم بقوله (لو أن لي بكم قوة) الآية أي لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل بنفسي وعشيرتي ولهذا ورد في الحديث من طريق محمد ابن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « رحمة الله على لوط لقد كان يأوي الى ركن شديد » يعني الله عز وجل فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه » نعند ذلك أخبرته الملائكة انهم رسل الله اليه وانهم لا وصول لهم اليه (قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا

﴿قالوا لقد علمت﴾ يالوط ﴿مالنا في بناتك من حق﴾ أي لسن أزواجا لنا فنستحقهن بالنكاح وقيل معناه مالنا فيهن من حاجة وشهوة ﴿وانك لتعلم ما نريد﴾ من اتيان الرجال ف﴿قال﴾ لهم لوط عند ذلك ﴿لو أن لي بكم قوة﴾ أراد قوة البدن والقوة بالاتباع ﴿أو آوي الى ركن شديد﴾ أي انضم الى عشيرة مانعة وجواب لو مضمر أي لقتلناكم وحلنا بينكم وبينهم قال أبو هريرة ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنبأنا أبو اليمان أنبأنا شعيب بن أبي حمزة أنبأنا أبو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة أن النبي ﷺ قال « يغفر الله للوط ان كان ليأوي الى ركن شديد » قال ابن عباس وأهل التفسير أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسور الجدار فلما رأت الملائكة مايلقى لوط بسببهم ﴿قالوا يالوط﴾ ان ركنك لشديد ﴿انا رسل ربك لن يصلوا اليك﴾ فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعمى أبصارهم فصاروا لايعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط أسحر قوم في الارض سحرونا وجعلوا يقولون يالوط كما أنت حتى تصبح فسترى مانلقى منا غدا يوعدونه فقالت الملائكة له لاتخف انا أرسلنا لاهلاكهم فقال لهم لوط

اليك) وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل وأن يتبع ادبارهم أي يكون ساقة لاهله (ولا يلتفت منكم أحد) أي اذا سمعت ما نزل بهم ولا تهولنكم تلك الاصوات المزعجة ولكن استمروا ذاهبين (إلا امرأتك) قال الاكثرون هو استثناء من المثبت وهو قوله (فأسر بأهلك) تقديره (إلا امرأتك) وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك لانه من مثبت فوجب نصبه عندهم وقال آخرون من القراء والنحاة هو استثناء من قوله (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) فجوّزوا الرفع والنصب وذكر هؤلاء انها خرجت معهم وانها لما سمعت الوجبة التفتت وقالت: واقوماه فجاءها حجر من السماء فقتلها ثم قربوا له هلاك قومه تبشيراً له لانه قال لهم أهلكوهم الساعة فقالوا (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) هذا وقوم لوط وقوف على الباب وعكوف قد جاءوا يهرعون اليه من كل جانب ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه وهم لا يقبلون منه بل يتوعدونه ويتهددونه فعند ذلك خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب وجوههم بجناحه فطمس اعينهم فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق كما قال تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر) الآية وقال معمر عن قتادة عن حذيفة بن اليمان قال كان ابراهيم عليه السلام يأتي قوم لوط فيقول أنهاكم الله أن تعرضوا لعقوبته فلم يطيعوه حتى اذا بلغ الكتاب أجله انتهت الملائكة الى لوط وهو يعمل في أرض له فدعاهم الى الضيافة فقالوا إنا ضيوفك الليلة وكان الله قد عهد الى جبريل ألا يعذبهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم لوط الى الضيافة ذكر ما يعمل قومه من الشر فمشى معهم ساعة ثم التفت اليهم فقال أما تعلمون ما يعمل اهل هذه القرية ما أعلم على وجه الارض شراً منهم أين اذهب بكم الى قومي وهم أشر خلق الله ، فالتفت جبريل الى الملائكة فقال احفظوها هذه واحدة

الملائكة متى موعد اهلاكهم فقالوا الصبح قال أريد اسرع من ذلك فلو أهلكتموهم الآن فقالوا (اليس الصبح بقريب ؟) ثم قالوا « فاسر » يالوط « بأهلك » قرأ أهل الحجاز فاسر وان اسر بوصل الالف حيث وقع في القرآن من سرى يسري وقرأ الباقون بقطع الالف من اسرى يسرى ومعناهما واحد وهو السير بالليل «بقطع من الليل» قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية وقال قتادة بعد مضي أوله وقيل إنه السحر الاول « ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك » قرأ ابن كثير وأبو عمرو امرأتك برفع التاء على الاستثناء من الالتفات أي لا يلتفت منكم أحد الا امرأتك فانها تلتفت فتهلك وكان لوط قد أخرجها معه ونهى من معه ممن أسرى بهم ان يلتفت سوى زوجته فانها لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت ياقوماه فأدركها حجر فقتلها وقرأ الآخرون بنصب التاء على الاستثناء من الاسراء أي فاسر باهلك إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها فان هواها اليهم وتصديقه قراءة ابن مسعود (فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك ولا يلتفت منكم أحد) « انه مصيبها ما أصابهم» من العذاب «أن موعدهم الصبح» أي موعد هلاكهم وقت الصبح فقال لوط أريد اسرع

ثم مشى معهم ساعة فلما توسط القرية وأشفق عليهم واستحيا منهم قال أما تعلمون مايعمل أهل هـذه القرية ما اعلم على وجه الارض أشر منهم إن قومي اشر خلق الله فالتفت جبريل الى الملائكة فقال احفظوا هاتان اثنتان ، فلما انتهى الى باب الدار بكى حيـاء منهم وشفقة عليهم فقال ان قومي اشر من خلق الله أما تعلمون ما يعمل اهل هذه القرية ما أعلم على وجه الارض اهل قرية شراً منهم . فقال جبريل للملائكة احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب فلما دخلوا ذهبت عجوزه عجوز السوء فصعدت فلوّحت بثوبها فأتاها الفساق يهرعون سراعا قالوا ماعنـدك ؟ قالت ضيف لوط قوماً ما رأيت قط أحسن وجوهاً منهم ولا أطيب ريحاً منهم فهرعوا يسارعون الى الباب فعالجهم لوط على الباب فدافعوه طويلا وهو داخل وهم خارج يناشدهم الله ويقول(هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) فقام الملك فلزّ بالباب يقول فشده واستأذن جبريل في عقوبتهم فأذن الله له فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ، فنشر جناحه ولجبريل جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك حبك مثل المرجان وهو اللؤلؤ كأنه الثلج ورجلاه الى الخضرة فقال يالوط (إنا رسل ربك لن يصلوا اليك) امض يالوط عن الباب ودعني وإياهم، فتنحى لوط عن الباب فخرج اليهم فنشر جناحه فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم فصاروا عمياً لا يعرفون الطريق ثم أمر لوط فاحتمل بأهله في ليلته قال (فأسر بأهلك بقطع من الليل) وروي عن محمد بن كعب وقتادة والسدي نحو هذا

فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل منضود مسوّمة عند ربك وما هي من الظـلمين ببعيد (٨٢)

يقول تعالى (فلما جاء أمرنا) وكان ذلك عند طلوع الشمس (جعلنا عاليها) وهي سدوم (سافلها) كقوله(فغشاها ماغشى) أي أمطرنا عليها حجارة من سجيل وهي بالفارسية حجارة من طين قاله ابن عباس وغيره وقال بعضهم أي من سنك وهو الحجر وكل وهو الطين وقد قال في الآية الأخرى حجارة

من ذلك فقالوا ﴿اليس الصبح بقريب﴾ قوله ﴿فلما جاء أمرنا﴾ عذابنا ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفـكات وهي خمس مدائن وفيها اربعمائة الف وقيل اربعة آلاف الف[1] فرفع المدائن كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ﴿وامطرنا عليها﴾ اي على شذاذها ومسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر عليها ﴿حجارة من سجيل﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد ابن جبير سنك كل فارسية معربة وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله عز وجل (لنرسل عليهم حجارة من طين) قال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم السماء الدنيا وقيل هو جبال في السماء قال

(١) هذا العدد من المحال وما قبله مبالغة وأربعة آلاف غير قليل

من طين أي مستحجرة قوية شديدة ، وقال بعضهم مشوية ، وقال البخاري سجيل الشديد الكبير سجيل وسجين اللام والنون أختان ، وقال تميم بن مقبل :

ورجلة يضربون البيض صاحبة * ضربا تواصت به الابطال سجينا

وقوله (منضود) قال بعضهم منضودة في السماء أي معدة لذلك وقال آخرون (منضود) أي يتبع بعضها بعضها في نزولها عليهم وقوله (مسوّمة) أى معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم الذى ينزل عليه، وقال قتادة وعكرمة (مسومة) مطوقة بها نضح من حمرة وذكروا انها نزلت على أهل البلد وعلى المتفرقين في القرى مما حولها فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث إذ جاءه حجر من السما فسقط عليه من بين الناس فدمره فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد ، وقال مجاهد أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأها وكان حملهم على خوافي جناحه الايمن قال ولما قلبها كان أول ماسقط منها شرفاتها، وقال قتادة بلغنا ان جبريل أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها الى جوّ السماء حتى سمع اهل السماء ضواغي كلابهم ثم دمّر بعضها على بعض ثم اتبع شذاذ القوم صخرا قال وذكر لنا انهم كانوا أربع قرى في كل قرية مائة ألف وفي رواية ثلاث قرى الكبرى منها سدوم ، قال وبلغنا ان ابراهيم عليه السلام كان يشرف على سدوم ويقول سدوم يوم هالك . وفي رواية عن قتادة وغيره بلغنا ان جبريل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه فانتسف بها أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع مافيها فضمها في جناحه فحواها وطواها في جوف جناحه ثم صعد بها الى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب وكانوا أربعة آلاف ألف ألف[1] ثم قلبها فأرسلها الى الارض منكوسة ودمدم بعضها على بعضها فجعل عاليها سافلها ثم أتبعها حجارة من سجيل وقال محمد ابن كعب القرظي كانت قرى قوم لوط خمس قريات سدوم وهي العظمى وصعبه وصعود وغمرة ودوحاء احتملها جبريل بجناحه ثم صعد بها حتى ان أهل السماء الدنيا ليسمعون نابحة كلابها وأصوات دجاجها ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله بالحجارة يقول الله تعالى (جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات ، وقال السدي لما أصبح قوم لوط نزل جبريل فاقتلع الارض من سبع أرضين فحملها حتى بلغ بها السماء حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ثم قلبها فقتلهم فذلك قوله (والمؤتفكة أهوى) ومن لم يمت حتى سقط للارض أمطر

[1] هذه خرافة اسرائية كما تقدم في حاشية علي البغوي فكل فلسطين لاتسع هذ العدد

الله تعالى (وينزل من السماء) من جبال فيها من برد قوله تعالى ﴿منضود﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض ﴿مسومة﴾ من نعت الحجارة وهي نصب على الحال ومعناها معلمة . قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع . قال الحسن والسدى كانت مختومة عليها امثال

الله عليه وهو تحت الارض الحجارة ومن كان منهم شاذاً في الارض يتبعهم في القرى فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله فذلك قوله عز وجل (وأمطرنا عليهم) أي في القرى حجارة من سجيل هكذا قال السدي وقوله (وما هي من الظالمين ببعيد) أي وما هـذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه وقد ورد في الحديث المروي في السنن عن ابن عباس مرفوعا « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » وذهب الامام الشافعي في قول عنه وجماعة من العلماء الى ان اللائط يقتل سواء كان محصناً أو غير محصن عملا بهذا الحديث وذهب الامام ابو حنيفة الى انه يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يـٰقوم اعبدوا الله مالكم من إله غـيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير ، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤)

يقول تعالى ولقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريباً من بلاد معان في بلد يعرف بهم يقال لها مدين فأرسل الله اليهم شعيبا وكان من أشرفهم نسبا ، ولهذا قال (أخاهم شعيباً) يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان (اني أراكم بخير واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) أي في معيشتكم ورزقكم فأخاف أن تسلبوا مما أنتم فيه بانتهاككم محارم الله (واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط) أي في الدار الآخرة

(ويـٰقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين (٨٥) بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ، وما أنا عليكم بحفيظ (٨٦)

الخواتيم وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رمي به ﴿عند ربك وما هي﴾ يعني تلك الحجارة ﴿من الظالمين﴾ أي من مشركي مكة ﴿ببعيد﴾ وقال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذ الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعد وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وروي ان الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم اين كانوا في البلاد ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج فأصابه فاهلكه

قوله عز وجل ﴿ والى مدين ﴾ اي أرسلنا إلى ولد مدين ﴿ أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ أي لاتبخسوا وهم كانوا يطففون مع شركهم ﴿ اني اراكم بخير قال ابن عباس موسرين في نعمة وقال مجاهد في خصب وسعة فحذرهم زوال النعمة وغلاء السعر وحلول النقمة ان لم يتوبوا ﴿واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾ يحيط بكم فيهلككم ﴿وياقوم اوفوا المكيال والميزان ﴾ اتموها ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان ﴿ ولا تبخسوا ﴾

نهاهم أولا عن نقص المكيال والميزان اذا أعطوا الناس ، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين ونهاهم عن العيث في الارض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق، وقوله (بقية الله خير لكم) قال ابن عباس رزق الله خير لكم وقال الحسن رزق الله خير من بخسكم الناس ، وقال الربيع بن أنس وصية الله خير لكم ، وقال مجاهد طاعة الله ، وقال قتادة حظكم من الله خير لكم ، وقال عبدالرحمن بن زيد بن اسلم الهلاك في العذاب والبقية في الرحمة، وقال ابوجعفر بن جرير (بقية الله خير لكم) أي مايفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان أي من اخذ أموال الناس، قال وقد روي هذا عن ابن عباس قلت ويشبه قوله تعالى (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) وقوله (وما أنا عليكم بحفيظ) أي برقيب ولا حفيظ أي افعلوا ذلك لله عز وجل لاتفعلوه ليراكم الناس بل لله عز وجل

قالوا يشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا مانشؤ انك لانت الحليم الرشيد (٨٧)

يقولون له على سبيل التهكم قبحهم الله (أصلواتك) قال الاعمش أي قراءتك (تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا) أي الاوثان والاصنام (أو أن نفعل في أموالنا مانشاء) فنترك التطفيف عن قولك وهي أموالنا نفعل فيها مانريد ، قال الحسن في قوله (اصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا) أي والله ان صلاته لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم ، وقال الثوري في قوله (أو أن نفعل في أموالنا مانشاء) يعنون الزكاة (انك لأنت الحليم الرشيد) قال ابن عباس وميمون بن مهران وابن جريج وأسلم وابن جرير يقولون ذلك اعداء الله على سبيل الاستهزاء قبحهم الله ولعنهم عن رحمته وقد فعل

لا تنقصوا ﴿ الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير مما تأخذونه بالتطفيف ، وقال مجاهد بقيت الله أي طاعة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ان ما عندكم من رزق الله وعطائه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ بوكيل وقيل انما قال ذلك لأنه لم يؤمر بقتالهم ﴿ قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ من الاوثان قال ابن عباس رضي الله عنهما كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة لذلك قالوا هذا ، وقال الاعمش يعني أقراءتك ﴿ أو أن نفعل في أموالنا مانشاء ﴾ أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان ، وقيل كان شعيب عليه السلام قد نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم وزعم أنه محرم عليهم فقالوا (أو أن نفعل في أموالنا مانشاء) من قطعها ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد) قال ابن عباس رضي الله عنهما أرادوا السفيه الغاوي والعرب تصف الشيء بضده فتقول : للديغ سليم وللفلاة مفازة . وقيل قالوه على وجه الاستهزاء وقيل معناه الحليم الرشيد بزعمك ، وقيل هو على الصحة أي إنك ياشعيب فينا حليم رشيد لايجمل بك شق عصا

قال يٰـقوم أرءيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسناً وما أريد أن

أخالفكم إلى ما أنهٰـكم عنه إن أريد الا الاصلٰـح مااستطعت وما توفيقي الا بالله ، عليه

توكلت واليه أنيب (٨٨)

يقول لهم أرأيتم ياقوم ان كنت (على بينة من ربي) أي على بصيرة فيما أدعو اليه (ورزقني منه رزقا حسنا) قيل أراد النبوة وقيل أراد الرزق الحلال ويحتمل الامرين (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) أي لا أنهاكم عن الشيء وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم كما قال قتادة في قوله (وما اريد أن أخالفكم الى ما انهاكم عنه) يقول لم أكن أنهاكم عن أمر وأرتكبه (إن أريد الا الاصلاح مااستطعت) أي فيما آمركم وانهاكم انما اريد اصلاحكم جهدي وطاقتي (وما توفيقي) أي في اصابة الحق (الا بالله عليه توكلت) في جميع أموري (واليه أنيب) أي أرجع قاله مجاهد وغيره .

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو قزعة سويد بن حجر الباهلي عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن أخاه مالكا قال يامعاوية ان محمداً أخذ جيراني فانطلق اليه فانه قد كلمك وعرفك فانطلقت معه فقال : دع لي جيراني فقد كانوا أسلموا فأعرض عنه فقام متغيظا فقال : أما والله لئن فعلت ان الناس يزعمون انك لتأمرنا بالأمر وتخالف إلى غيره وجعلت أجره وهو يتكلم فقال رسول الله « ماتقول ؟ » فقال انك والله لئن فعلت ذلك ان النـاس ليزعمون أنك لتأمر بالأمر وتخالف الى غيره . قال فقال « او قد قالوها ؟ أي قائلهم [1] ولئن فعلت ماذاك إلا عليّ وما عليهم من ذلك من شيء أرسلوا له جيرانه » وقال أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : أخذ النبي ﷺ ناسا من قومي في تهمة فحبسهم فجاء رجل من قومي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال يامحمد علام تحبس جيراني ؟ فصمت رسول الله ﷺ فقال : ان ناسا ليقولون انك تنهى عن الشيء وتستخلي به ، فقال النبي ﷺ « ماتقول » قال فجعلت أعرض بينهما كلاما مخافة أن يسمعها فيدعو على قومي دعوة لا يفلحون بعدها أبداً ، فلم يزل رسول الله ﷺ حتى فهمها فقال « قد قالوها أو قائلها منهم والله لو فعلت لكان عليّ وما كان عليهم خلوا له عن جيرانه » ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الامام احمد ثنا أبو عامر ثنا سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الانصاري قال سمعت أبا حميد وأبا أسيد يقولان عنه ﷺ انه قال « اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون انه منكم قريب ، فأنا أولاكم به ، واذا سمعتم الحديث

[1] وفي الازهرية أو قائلهم - يعني : أو قالها قائلهم ؟

قومك ومخالفة دينهم وهذا كما قال قوم صالح عليه السلام (قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) { قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة } بصيرة وبيان { من ربي ورزقني منه رزقا حسنا } حلالا وقيل كثيراً

عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون انه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه» اسناده صحيح وقد أخرج مسلم بهذا السند حديث «اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، واذا خرج فليقل : اللهم اني أسألك من فضلك» ومعناه والله أعلم مهما بلغكم عني من خير فأنا أولاكم به، ومهما يكن من مكروه فأنا أبعدكم منه (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) وقال قتادة عن عروة عن الحسن العرني عن يحيى بن البزار عن مسروق قال : جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت تنهى عن الواصلة ؟ قال نعم، قالت فلعله بعض نسائك، فقال ماحفظت وصية العبد الصالح اذاً (وما أريد أن أخالفكم إلى ماأنهاكم عنه) وقال عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن أبي سليمان الضبي قال كانت تجيئنا كتب عمر بن عبد العزيز فيها الامر والنهي فيكتب في آخرها وما كنت من ذلك إلا كما قال العبد الصالح (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

ويٰقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صٰلح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود (٩٠)

يقول لهم (وياقوم لايجرمنكم شقاقي) أي لاتحملنكم عداوتي وبغضي على الاصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط من النقمة والعذاب وقال قتادة (وياقوم لايجرمنكم شقاقي) يقول لايحملنكم فراقي، وقال السدي عداوتي، على أن تمادوا في الضلال والكفر فيصيبكم من العذاب ما أصابهم. وقال ابن أبي حاتم ثنا ابن عوف الحمصي ثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج ثنا ابن أبي عيينة حدثني عبد الملك بن أبي سليمان عن ابن أبي ليلى الكندي قال : كنت مع مولاي أمسك دابته وقد أحاط الناس بعثمان بن عفان إذ أشرف علينا من داره فقال (ياقوم لايجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) ياقوم لاتقتلوني انكم إن قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه، وقوله (وماقوم لوط منكم ببعيد) قيل المراد في الزمان، قال قتادة يعني انما هلكوا بين أيديكم بالأمس، وقيل في المكان ويحتمل

وكان شعيب عليه السلام كثير المال، وقيل الرزق الحسن العلم والمعرفة ﴿وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه﴾ أي ما أريد أن أنهاكم عن شيء ثم أرتكبه ﴿أن أريد﴾ ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله﴾ والتوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة ﴿عليه توكلت﴾ اعتمدت ﴿واليه أنيب﴾ أرجع فيما ينزل بي من النوائب وقيل في المعاد

﴿وياقوم لايجرمنكم﴾ لايحملنكم ﴿شقاقي﴾ خلافي ﴿أن يصيبكم﴾ أي على فعل ما أنهاكم عنه ﴿مثل ما أصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الريح ﴿أو قوم صالح﴾ من الصيحة ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ وذلك أنهم كانوا حديثي عهد بهلاك قوم لوط، وقيل معناه وما دار قوم

الامران (واستغفروا ربكم) من سالف الذنوب (ثم توبوا اليه) فيما تستقبلونه من الاعمال السيئة وقوله (إن ربي رحيم ودود) أي لمن تاب

(قالوا يشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمنك

وما أنت علينا بعزيز (٩١) قال يقوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ، ان ربي بما تعملون محيط ٩٢)

يقولون (ياشعيب مانفقه) مانفهم (كثيراً) من قولك (وانا لنراك فينا ضعيفا) قال سعيد بن جبير والثوري وكان ضرير البصر ، وقال الثوري كان يقال له خطيب الانبياء ، قال السدي (وانا لنراك فينا ضعيفا) قال أنت واحد ، وقال أبو روق يعنون ذليلا لان عشيرتك ليسوا على دينك (ولولا رهطك لرجمناك) أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك قيل بالحجارة وقيل لسببناك (وما أنت علينا بعزيز) أي ليس عندنا لك معزة (قال ياقوم ارهطي أعز عليكم من الله) يقول أتتركوني لأجل قومي ولا تتركوني اعظاما لجناب الرب تبارك وتعالى أن تنالوا نبيه بمساءة وقد اتخذتم جانب الله (وراءكم ظهريا) اي نبذتموه خلفكم لاتطيعونه ولا تعظمونه (إن ربي بما تعملون محيط) اي هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم

(ويقوم اعملوا على مكانتكم اني عمل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كذب ، وارتقبوا اني معكم رقيب (٩٣) ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديرهم جثمين (٩٤) كأن لم يغنوا فيها ، ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود ٩٥)

لوط منكم ببعيد وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربي رحيم ودود ﴾ والودود له معنيان (أحدهما) أنه محب للمؤمنين ، وقيل هو بمعنى المودود أي محبوب المؤمنين ، وجاء في الخبر أن شعيبا عليه السلام كان خطيب الانبياء عليهم السلام ﴿ قالوا ياشعيب مانفقه ﴾ مانفهم ﴿ كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ﴾ وذلك أنه كان ضرير البصر فأرادوا ضعف البصر ﴿ ولولا رهطك ﴾ عشيرتك وكان في منعة من قومه ﴿ لرجمناك ﴾ لقتلناك ، والرجم أقبح القتل ﴿ وما أنت علينا ﴾ عندنا ﴿ بعزيز * قال ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله ﴾ أمكان رهطي أهيب عندكم من الله أي إن تركتم قتلي لمكان رهطي فالاولى أن تحفظوني في الله ﴿ واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ أي نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه ﴿ إن ربي بما تعملون محيط * وياقوم اعملوا على مكانتكم ﴾ أي على تؤدتكم

لما يئس نبي الله شعيب من استجابتهم له قال ياقوم (اعملوا على مكانتكم) اي طريقتكم وهذا تهديد شديد (إني عامل) على طريقتي (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) أي مني ومنكم (وارتقبوا) أي انتظروا (اني معكم رقيب) قال الله تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين)وقوله جاثمين اى هامدين لاحراك بهم ، وذكر ههنا أنه أتتهم صيحة ، وفي الاعراف رجفة ، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وانما ذكر في كل سياق مايناسبه ففي الاعراف لما قالوا (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) ناسب ان يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الارض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وههنا لما اساءوا الادب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبثتهم واخمدتهم ، وفي الشعراء لما قالوا (فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين) قال (فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب عظيم) وهذا من الاسرار الدقيقة ولله الحمد والمنة كثيراً دائما ، وقوله (كأن لم يغنوا فيها) أي يعيشوا في دارهم قبل ذلك (ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود)وكانوا جيرانهم قريبا منهم في الدار وشبيها بهم في الكفر وقطع الطريق وكانوا عرباً مثلهم

ولقد أرسلنا موسى بآيـتنا وسلطـن مبين (٩٦) إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧) يقدم قومه يوم القيـمة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨) وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة : بئس الرفد المرفود (٩٩)

يقول تعالى مخبراً عن ارسال موسى بآياته ودلالاته الباهرة إلى فرعون ملك القبط وملئه (فاتبعوا أمر فرعون) أي منهجه ومسلكه وطريقته في الغي (ومامر فرعون برشيد) اى ليس فيه رشد ولاهدى ، وانما هو جهل وضلال وكفر وعناد ، وكما انهم اتبعوه في الدنيا وكان مقدمهم ورئيسهم كذلك هو يقدمهم يوم القيامة إلى

وتمكنكم . يقال فلان يعمل على مكانته اذا عمل على تؤدة وتمكن ﴿ إني عامل ﴾ على تمكني ﴿ سوف تعلمون ﴾ أينا الجاني على نفسه والمخطيء في فعله فذلك قوله ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ يذله ﴿ ومن هو كاذب ﴾ قيل من في محل النصب ؟ أي فسوف تعلمون الـكاذب ، وقيل محله رفع تقديره ومن هو كاذب يعلم كذبه ويذوق وبال أمره ﴿ وارتقبوا ﴾ وانتظروا العـذاب ﴿ إني معكم رقيب ﴾ منتظر ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ قيل ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم ، وقيل أتتهم صيحة من السماء فأهلكتهم ﴿ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ميتين ﴿ كأن لم يغنوا ﴾ أي كأن لم يقيموا ولم يكونوا ﴿ فيها ألا بعـداً ﴾ هلا كا ﴿ لمدين كما بعدت ﴾ هلكت ﴿ ثمود ﴾

قوله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴾ حجة بينة ﴿ إلى فرعون وملئه فاتبعوا

نار جهنم فأوردهم إياها ، وشربوا من حياض رداها ، وله في ذلك الحظ الاوفر ، من العذاب الاكبر ، كما قال تعالى (فعصى فرعون الرسول فأخذناه اخذاً وبيلا) وقال تعالي (فكذب وعصى * ثم ادبر يسعى * فحشر فنادى * فقال انا ربكم الاعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والاولى * ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) وقال تعالى (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ، وبئس الورد المورود) وكذلك شأن المتبوعين يكونون موفرين في العذاب يوم القيامة كما قال تعالى [لكل ضعف ولكن لاتعلمون] وقال تعالى اخباراً عن الكفرة أنهم يقولون في النار [ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب] الآية

وقال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « امرؤ القيس حامل لواء شعراء الجاهلية إلى النار » وقوله (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة) الآية ، أي أتبعناهم زيادة على عذاب النار لعنة في الدنيا (ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) قال مجاهد زيدوا لعنة يوم القيامة فتلك لعنتان ، وقال علي ابن ابي طلحة (بئس الرفد المرفود) قال لعنة الدنيا والآخرة ، وكذا قال الضحاك وقتادة وهو كقوله [وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين] وقال تعالى [النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب]

ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد (١٠٠) وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ، وما زادوهم غير تتبيب (١٠١)

لما ذكر تعالى خبر الانبياء وما جرى لهم مع أممهم وكيف أهلك الكافرين ونجى المؤمنين قال (ذلك من أنباء القرى) أي أخبارهم (نقصه عليك منها قائم) أي عامر (وحصيد) أى هالك (وماظلمناهم)

أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴾ بسديد ﴿ يقدم قومه ﴾ يتقدمهم ﴿ يوم القيامة فأوردهم ﴾ فأدخلهم ﴿ النار وبئس الورد المورود ﴾ أي بئس المدخل المدخول فيه ﴿ وأتبعوا في هذه ﴾ أي في هذه الدنيا ﴿ لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾ أي العون المعان وقيل العطاء المعطى وذلك أنهم ترادفت عليهم اللعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة ﴿ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم ﴾ عامر ﴿ وحصيد ﴾ خراب وقيل منها قائم بقيت الحيطان وسقطت السقوف ، وحصيد أي انمحى أثره ، وقال مقاتل قائم يرى له أثر وحصيد لا يرى له أثر وحصيد بمعنى محصود ﴿ وما ظلمناهم ﴾ بالعذاب

أي اذ اهلكناهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم (فما أغنت عنهم آلهتهم) أوثانهم التي يعبدونها ويدعونها (من دون الله من شيء) مانفعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله باهلاكهم (وما زادوهم غير تتبيب) قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير تخسير وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم انما كان باتباعهم تلك الآلهة فلهذا خسروا في الدنيا والآخرة

وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد (١٠٢)

يقول تعالى وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا كذلك نفعل بأشباههم (إن أخذه أليم شديد) وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة) الآية

(ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣) وما نؤخره إلا لأجل معدود (١٠٤) يوم يأت لا تكلم نفس الا بإذنه، فمنهم شقي وسعيد (١٠٥)

يقول تعالى ان في إهلاكنا الكافرين وانجائنا المؤمنين (لآية) أي عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الآخرة [انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد] وقال تعالى [فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين] الآية، وقوله (ذلك يوم مجموع له الناس) أي أولهم وآخرهم كقوله [وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً] (وذلك يوم مشهود) أي عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم من الانس والجن والطير والوحوش والدواب ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها، وقوله [وما نؤخره إلا لأجل معدود] اي ما نؤخر

والهلاك ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعصية ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك﴾ عذاب ربك ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ أي غير تخسير وقيل تدمير ﴿وكذلك﴾ وهكذا ﴿أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد﴾ أخبرنا عبدالواحد ابن احمد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا صدقة بن الفضل أنبأنا أبو معاوية أنبأنا يزيد بن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ان الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة) الآية

قوله عز وجل ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس﴾ يعني يوم القيامة ﴿وذلك يوم مشهود﴾ أي يشهده أهل السماء والارض ﴿وما نؤخره﴾ أي وما نؤخر

اقامة القيامة إلا أنه قد سبقت كلمة الله في وجود أناس معدودين من ذرية آدم وضرب مدة معينة اذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة ولهذا قال [وما نؤخره إلا لأجل معدود] أي لمدة مؤقتة لايزاد عليها ولا ينتقص منها [يوم يأت لاتكلم نفس الا باذنه] أي يوم يأتي يوم القيامة لايتكلم أحد الا باذن الله كقوله [لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا] وقال [وخشعت الاصوات للرحمن] الآية

وفي الصحيحين في حديث الشفاعة « ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم » وقوله [فمنهم شقي وسعيد] أي فمن أهل الجمع شقي وسعيد كما قال [فريق في الجنة وفريق في السعير] وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده ثنا موسى بن حسان ثنا عبد الملك بن عمرو ثنا سليمان أبو سفيان ثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر قال : لما نزلت [فمنهم شقي وسعيد] سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : على ما نعمل؟ على شيء قد فرغ منه أم على شيء لم يفرغ منه ؟ فقال « على شيء قد فرغ منه ياعمر وجرت به الاقلام ، ولكن كل ميسر لما خلق » ثم بين تعالى حال الاشقياء وحال السعداء فقال

فأما الذين شقُوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق (١٠٦) خلدين فيها مادامت السموٰت والارضُ الا ماشاء ربك ، ان ربك فعالٌ لما يريد (١٠٧)

يقول تعالى (لهم فيها زفير وشهيق) قال ابن عباس الزفير في الحلق والشهيق في الصدر أي تنفسهم

ذلك اليوم فلا نقيم عليكم يوم القيامة ، وقرأ يعقوب وما يؤخره بالياء ﴿ الا لأجل معدود ﴾ معلوم عند الله ﴿ يوم يأت ﴾ باثبات الياء وحذفها ﴿ لا تكلم ﴾ أي لاتتكلم ﴿ نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد ﴾ أي فمنهم من سبقت له الشقاوة ومنهم من سبقت له السعادة . أخبرنا ابو سعيد بن عبدالله بن احمد الطاهري أنبأنا جدي أبو سهل بن عبد الصمد بن عبدالرحمن البزاز أنبأنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنبأنا اسحاق بن ابراهيم بن عباد الديري أنبأنا عبدالرزاق أنا معمر عن منصور عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : خرجنا على جنازة فبينا نحن بالبقيع اذ خرج علينا رسول الله ﷺ وبيده مخصرة فجاء فجلس ثم نكت بها في الارض ساعة ثم قال « مامن نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة أو النار ، والا قد كتبت شقية أو سعيدة » قال فقال رجل أفلا نتكل على كتابنا يارسول الله وندع العمل ؟ قال « لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له . أما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء ، وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة » قال ثم تلا (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) قوله ﴿ فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير

زفير وأخذهم النفس شهيق ، لما هم فيه من العذاب عياذاً بالله من ذلك (خالدين فيها مادامت السموات والارض) قال الامام أبو جعفر بن جرير : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً قالت هذا دائم ودوام السموات والارض ، وكذلك يقولون هو باق مااختلف الليل والنهار ، وما سمر أبناء سمير ، وما لألأت العير بأذنابها . يعنون بذلك كله أبداً فخاطبهم جل ثناؤه بمايتعارفونه بينهم فقال (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) [قلت] ويحتمل ان المراد بما دامت السموات والارض الجنس لانه لابد في عالم الآخرة من سموات وأرض كما قال تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) ولهذا قال الحسن البصري في قوله (مادامت السموات والارض) قال يقول سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الارض . وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس قوله (مادامت السموات والارض) قال لكل جنة سماء وأرض ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مادامت الارض أرضاً والسماء سماء

وقوله (إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد) كقوله (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ، إن ربك حكيم عليم) وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه زاد المسير ، وغيره من علماء التفسير ، ونقل كثيراً منها الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه واختار هو مانقله عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وأبي سنان ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضا أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن

وشهيق ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الزفير الصوت الشديد ، والشهيق الصوت الضعيف ، وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول نهيق الحمار ، والشهيق آخره اذا ردده في جوفه ، وقال أبو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر ﴿ خالدين فيها ﴾ لابثين مقيمين فيها ﴿ مادامت السموات والارض ﴾ قال الضحاك مادامت سموات الجنة والنار وأرضهما وكلما علاك وأظلك فهو سماء ، وكلما استقرت عليه قدمك فهو أرض ، وقال أهل المعاني هذا عبارة عن التأبيد على عادة العرب يقولون لا آتيك مادامت السموات والارض ولايكون كذا ما اختلف الليل والنهار يعنون أبداً قوله ﴿ إلا ماشاء ربك ﴾ اختلفوا في هذين الاستثناءين فقال بعضهم الاستثناء في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء استثناهم الله من جملة الاشقياء ، وهذا كما أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنبأنا احمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا حفص بن عمر ثنا هشام عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال « ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته » فيقال لهم الجهنميون ، وأخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي قال : أنا احمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أخبرنا يحيي عن الحسن بن ذكوان أنبأنا

يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ، من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، حتى يشفعون في أصحاب الكبائر ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من النار من لم يعمل خيراً قط وقال يوما من الدهر لا إله إلا الله كما وردت بذلك الاخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها ، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة . وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر وأبي سعيد من الصحابة ، وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين ، وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة في أقوال غريبة وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير عن أبي امامة صدي بن عجلان الباهلي ولكن سنده ضعيف والله أعلم . وقال قتادة : الله أعلم بثنياه وقال السدي هي منسوخة[1] بقوله (خالدين فيها أبداً)

وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خـٰلدين فيها مادامت السمٰوٰتُ والارضُ الا ماشاء ربك ، عطاءً غير مجذوذ (١٠٨)

يقول تعـالى (وأما الذين سعدوا) وهم أتباع الرسل (ففي الجنة) أي فمأواهم الجنة (خالدين فيها) أي ماكثين فيها أبداً (مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك) معنى الاستثناء ههنا ان

أبو رجاء حدثني عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين » وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة ، وقيل (الا ماشاء ربك) من الفريقين من تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ مابين الموت والبعث قبل مصيرهم الى الجنة أو النار يعني هم خالدون في الجنة أو النار الا هذا المقدار وقيل معنى (الا ماشاء ربك) سوى ماشاء ربك معناه خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى ماشاء الله ربك من الزيادة على قدر مدة بقاء السموات والارض وذلك هو الخلود فيهما كما تقول لفلان علي ألف الا الألفين أي سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو أي وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة كقوله (لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا) أي ولا الذين ظلموا وقيل معناه لو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لايشاء لأنه حكم لهم بالخلود ، وقال الفراء هذا استثناء استثناه الله ولا يفعله كقولك والله لأضربنك الا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن تضربه ﴿ ان ربك فعال لما يريد * وأما الذين سعدوا ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا بضم السين وكسر العين أي رزقوا السعادة وسعد وأسعد بمعنى واحد ، وقرأ الآخرون بفتح السين قياسا على شقوا ﴿ ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ﴾ قال الضحاك الا مامكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة

(١) فيه أن النسخ لايكون فى الاخبار

دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمراً واجبا بذاته بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم دائما ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس . وقال الحسن البصري هي في حق الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها وعقب ذلك بقوله (عطاء غير مجذوذ) أي غير مقطوع قاله مجاهد وابن عباس وأبو العالية وغير واحد لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة ان ثم انقطاعاً أو لبس أو شيء بل حتم له بالدوام وعدم الانقطاع كما بين هناك ان عذاب أهل النار في النار دائماً مردود إلى مشيئته وانه بعدله وحكمته عذبهم ولهذا قال (ان ربك فعال لما يريد) كما قال (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله (عطاء غير مجذوذ) وقد جاء في الصحيحين « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » وفي الصحيح أيضا « فيقال يا أهل الجنة ان لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا »

فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ، ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ، وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (١٠٩) ولقد آتينا موسى الكتب فاختلف فيه ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم ، وانهم لفي شك منه مريب (١١٠) وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعملهم ، إنه بما يعملون خبير (١١١)

يقول تعالى (فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) المشركون إنه باطل وجهل وضلال فانهم إنما يعبدون ما يعبد آباؤهم من قبل أي ليس لهم مستند فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات وسيجزيهم الله على ذلك أتم الجزاء فيعذب كافرهم عذابا لا يعذبه أحدا وإن كان لهم حسنات فقد وفاهم الله إياها في الدنيا قبل الآخرة . قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس (وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) قال ما وعدوا من خير أو شر . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لموفوهم من العذاب غير منقوص ، ثم ذكر تعالى انه آتى موسى الكتاب فاختلف الناس فيه فمن مؤمن به ومن كافر

قال قتادة الله أعلم بثنياه ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ أي غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة فقال (عطاء غير مجذوذ) ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار : وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله ومعناه عند أهل السنة ان ثبت أن لا يبقى فيها أحد من أهل الايمان ، وأما مواضع الكفار فممتلئة أبداً ﴿ فلا تك في مرية ﴾ في شك ﴿ مما يعبد هؤلاء ﴾ انهم ضلال ﴿ ما يعبدون الا كما يعبد ﴾ فيه اضمار أي كما كان يعبد ﴿ آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم ﴾ حظهم من الجزاء ﴿ غير منقوص * ولقد

به فلك بمن سلف من الانبياء قبلك يامحمد أسوة فلا يغيظنك تكذيبهم لك ولا يهيدنك ذلك (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم)قال ابن جرير لولا ماتقدم من تأجيله العذاب إلى أجل معلوم لقضى الله بينهم،ويحتمل أن يكون المراد بالكلمة انه لايعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول اليه كما قال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فانه قد قال في الآية الاخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى * فاصبر على مايقولون) ثم أخبر تعالى انه سيجمع الأولين والآخرين من الامم ويجزيهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر فقال (وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بمايعملون خبير) أي عليم بأعمالهم جميعها جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها،وفي هذه الآية قرآت كثيرة ويرجع معناها الى هذا الذى ذكرناه كما في قوله تعالى (وان كل لما جميع لدينا محضرون)

فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ،إنه بما تعملون بصير (١١٢) ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون (١١٣)

يأمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة وذلك من أكبر العون على النصر على الاعداء ومخالفة الاضداد ونهى عن الطغيان وهو البغي فانه مصرعة حتى ولو كان على مشرك وأعلم تعالى انه بصير بأعمال العباد لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء

آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ فاختلف فيه ﴾ فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ في تأخير العذاب عنهم ﴿ لقضي بينهم ﴾ أي لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم ﴿ وانهم لفي شك منه مريب ﴾ موقع في الريبة والتهمة ﴿ وان كلا ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر (وان كلا) ساكنة النون على تخفيف ان الثقيلة والباقون بتشديدها ﴿ لما ﴾ مشدد هنا وفي يس والطارق قرأها ابن عامر وعاصم وحمزة وافق أبو جعفر ههنا وفي الطارق وفي الزخرف بالتشديد عاصم وحمزة والباقون بالتخفيف فمن شدد قال الاصل فيه وان كلا لمن ما فوصلت من الجارة بما فانقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت إحداهن فبقيت لما بالتشديد وما ههنا بمعنى من وهو اسم لجماعة الناس كما قال تعالى (فانكحوا ماطاب لكم) أي من طاب لكم والمعنى وان كلا لمن جماعة ليوفينهم ومن قرأ بالتخفيف قال ماصلة زيدت بين اللامين لتفصل بينهما كراهة اجتماعهما والمعنى وان كلا ليوفينهم وقيل ما بمعنى من تقديره لمن ليوفينهم واللام في لما لام التأكيد التي تدخل على خبر إن ، وفي ليوفينهم لام القسم ، والقسم مضمر تقديره والله ﴿ ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿ انه بما يعملون خبير ﴾

قوله عز وجل ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ أى استقم على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرت ﴿ ومن تاب معك ﴾ أي من آمن معك فليستقيموا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الاستقامة

وقوله (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تداهنوا وقال العوفي عن ابن عباس هو الركون الى الشرك وقال أبو العالية لا ترضوا بأعمالهم ، وقال ابن جريج عن ابن عباس ولا تميلوا الى الذين ظلموا وهذا القول حسن أي لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بأعمالهم (فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) أي ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم ، ولا ناصر يخلصكم من عذابه

وأقم الصلوٰة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنـٰت يذهبن السيئـٰت ذٰلك ذكرى للذ ٰكرين (١١٤) واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (١١٥)

قال علي بن طلحة عن ابن عباس (وأقم الصلاة طرفي النهار) قال يعني الصبح والمغرب وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال الحسن في رواية قتادة والضحاك وغيرهم هي الصبح والعصر وقال مجاهد هي الصبح في أول النهار والظهر والعصر مرة أخرى وزلفا من الليل . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم يعني صلاة العشاء ، وقال الحسن في رواية ابن المبارك عن مبارك بن فضالة

أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب ، أخبرنا الامام الحسين بن محمد القاضي ، أنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أنا والدي إملاء ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق ثنا محمد بن العلاء بن كريب ثنا أبو اسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك قال « قل آمنت بالله ثم استقم » ﴿ ولا تطغوا ﴾ لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني . وقيل معناه ولا تغلوا فتزيدوا على ما أمرت ونهيت ﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ لا يخفى عليه من أعمالكم شيء ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال « شيبتني هود وأخواتها » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد السلام ابن مطهر ثنا عمرو بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة »

قوله عز وجل ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب . وقال أبو العالية لا ترضوا بأعمالهم ، قال السدي لا تداهنوا الظلمة ، وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل لا تسكنوا إلى الذين ظلموا ﴿ فتمسكم ﴾ فتصيبكم ﴿ النار وما لكم من دون الله من أولياء ﴾ أي أعوان يمنعونكم من عذابه ﴿ ثم لا تنصرون ﴾

قوله عز وجل ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار ﴾ أي الغداة والعشي قال مجاهد طرفا النهار صلاة الصبح

عنه (وزلفا من الليل) يعني المغرب والعشاء قال رسول الله ﷺ « هما زلفا الليل المغرب والعشاء » وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والضحاك أنها صلاة المغرب والعشاء ، وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء فانه انما كان يجب من الصلاة صلاتان . صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها ، وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى الامة ثم نسخ في حق الامة وثبت وجوبه عليه ثم نسخ عنه أيضا في قول والله أعلم

وقوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) يقول ان فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد وأهل السنن عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : كنت اذا سمعت من رسول الله حديثا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه ، واذا حدثني عنه أحد استحلفته فاذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له » وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال : هكذا رأيت رسول الله يتوضأ وقال « من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » وروى الامام احمد وأبو جعفر بن جرير من حديث أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع الحارث مولى عثمان يقول : جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا عثمان بماء في اناء أظنه سيكون فيه قدر مد فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا ثم قال « من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما بينه وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم ان قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات » وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرا غمرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقي من درنه شيئا ؟ » قالوا لا يا رسول الله قال « كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الذنوب والخطايا » وقال مسلم في صحيحه ثنا أبو الطاهر وهو ابن سعيد قالا ثنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر ابن اسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول « الصلوات الخمس

والظهر والعصر ﴿ وزلفا من الليل ﴾ صلاة المغرب والعشاء ، وقال مقاتل صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشاء ، وقال الحسن طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما طرفا النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب ، قوله (وزلفا من الليل) أي ساعاته واحدتها زلفة ، وقرأ أبو جعفر (زلفا) بضم اللام ﴿ ان الحسنات يذهبن السيآت ﴾ يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ، وروي انها نزلت في أبي اليسر وهو عمرو بن غزية الانصاري قال : أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت لها

والجمعة إلى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » وقال الامام احمد ثنا الحكم بن نافع ثنا اسماعيل بن عباس عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد أن أبا رهم السمعي كان يحدث أن أبا أيوب الانصاري حدثه أن رسول الله ﷺ كان يقول « ان كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة » وقال أبو جعفر بن جرير ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبي عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « جعلت الصلوات كفارات لما بينهن » فان الله قال(إن الحسنات يذهبن السيئات)

وقال البخاري حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي عن ابن مسعود ان رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) فقال الرجل يارسول الله ألي هذا ؟ قال « لجميع أمتي كلهم » هكذا رواه في كتاب الصلاة وأخرجه في التفسير عن مسدد عن يزيد بن زريع بنحوه ورواه مسلم وأحمد واهل السنن إلا أبا داود من طرق عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل به . ورواه الامام احمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طرق عن سماك بن حرب انه سمع ابراهيم بن يزيد يحدث عن علقمة والاسود عن ابن مسعود قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله اني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير اني لم أجامعها قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك فافعل بي ماشئت ؟ فلم يقل رسول الله شيئا فذهب الرجل . فقال عمر لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه ، فأتبعه رسول الله بصره ثم قال « ردوه عليّ » فردوه عليه فقرأ عليه (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فقال معاذ وفي رواية عمر يارسول الله أله وحده أم للناس كافة ؟ فقال « بل للناس كافة» وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد ثنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمذاني عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يُسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه » قال قلنا وما بوائقه

ان في البيت تمراً أطيب منه فدخلت معي البيت فأهويت اليها فقبلتها ثم ندمت فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فأتيت عمر رضي الله عنه فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً فلم أصبر فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال « أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟» حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار فأطرق رسول الله ﷺ حتى أوحى الله اليه (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) الآية فقرأها رسول الله ﷺ فقال أصحاب رسول الله ﷺ : ألهذا خاصة أم

يانبي الله ؟ قال « غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا حراما فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده الى النار لا يمحو الله السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث » وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال كان فلان ابن معتب رجلا من الانصار فقال يارسول الله دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا اني لم أواقعها فلم يدر رسول الله ما يجيبه حتى نزلت هذه الآية (وأقم الصلاة طرفي[1] النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فدعاه رسول الله فقرأها عليه . وعن ابن عباس انه عمرو بن غزية الانصاري التمار وقال مقاتل هو أبو نفيل عامر بن قيس الانصاري وذكر الخطيب البغدادي انه ابو اليسر كعب بن عمرو . وقال الامام احمد حدثنا يونس وعفان قالا حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن علي بن زيد قال عفان أنبأنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رجلا أتى عمر فقال : امرأة جاءت تبايعه فأدخلتها الدولج فأصبت منها مادون الجماع ، فقال ويحك لعلها مغيبة في سبيل الله ؟ قال أجل . قال فائت أبا بكر فسله . قال فأتاه فسأله فقال لعلها مغيبة في سبيل الله ؟ فقال مثل قول عمر . ثم أتى النبي ﷺ فقال له مثل ذلك قال « فلعلها مغيبة في سبيل الله » ونزل القرآن (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات) الى آخر الآية . فقال يارسول الله لي خاصة أم للناس عامة ؟ فضرب يعني عمر صدره بيده وقال لا ولا نعمة عين بل للناس عامة فقال رسول الله « صدق عمر » وروى الامام أبو جعفر بن جرير من حديث قيس بن الربيع عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر كعب بن عمرو الانصاري قال أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمراً فقلت ان في البيت تمراً أجود من هذا فدخلت فأهويت اليها فقبلتها فأتيت عمر فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحداً قال فلم أصبر حتى أتيت النبي ﷺ فاخبرته فقال « أخلفت رجلا غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا ؟ » حتى ظننت اني من أهل النار حتى تمنيت اني أسلمت ساعتئذ فأطرق رسول الله ساعة فنزل جبريل فقال ابو اليسر فجئت فقرأ علي رسول الله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) فقال

[1] « ١ » جاءت الروايات ههنا (اقم) بدون عطف وكانوا يعتادونه فى غير التلاوة المتصلة

للناس عامة ؟ قال « بل للناس عامة » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنبأنا قتيبة بن سعيد ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات) فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا ؟ قال « لجميع أمتي كلهم » وأخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنبانا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني

انسان يارسول الله له خاصة أم للناس عامة ؟ قال « للناس عامة » وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني حدثنا الحسين بن سهل المحاملي ثنا يوسف بن موسى ثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى عن معاذ بن جبل انه كان قاعداً عند النبي ﷺ فجاء رجل فقال يارسول الله ماتقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له فلم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا قد اصابه منها غير انه لم يجامعها؟ فقال له النبي ﷺ « توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل » فأنزل الله عز وجل هـذه الآية يعني قوله (وأقم الصلاة طرفي النهار) فقال معاذ أهي له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال « بل للمسلمين عامة » ورواه ابن جرير من طرق عن عبد الملك بن عمير به . وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة ان رجلا من أصحاب النبي ﷺ ذكر امرأة وهو جالس مع رسول الله فاستاذنه لحاجة فأذن له فذهب يطلبها فلم يجدها فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي ﷺ بالمطر فوجد المرأة جالسة على غدير فدفع في صدرها وجلس بين رجليها فصار ذكره مثل الهدبة فقام نادما حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بما صنع فقال له « استغفر ربك وصل أربع ركعات » قال وتلا عليه (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) الآية . وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن احمد ابن سيبويه ثنا إسحاق بن ابراهيم حدثني عمرو بن الحارث حدثني عبدالله بن سالم عن الزبيدي عن سليم بن عامر انه سمع أبا امامة يقول ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله أقم في حد الله . مرة او اثنتين فأعرض عنه رسول الله ثم اقيمت الصلاة فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة قال « أين هذا الرجل القائل أقم في حد الله ؟ » قال أنا ذا . قال « أتممت الوضوء وصليت معنا آنفاً؟ » قال نعم . قال « فانك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعـد » وانزل الله على رسول الله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا حماد بن مسلمة أنبأنا علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال يا أبا عثمان ألا تسألني لم أفعل هـذا . قلت ولم تفعله ؟ قال ان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق وقال (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وقال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب

ابو طاهر وهارون بن سعيد الايلي قالا حدثنا ابن وهب عن أبي صخر أن عمر بن اسحاق مولى زائدة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد الحسين ابن أحمد المخلدي أنبأنا أبو العباس محمد بن اسحاق السراج أنبأنا قتيبة انبأنا الليث وبكر بن مضر عن ابن الهـاد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن ابي سـلمة عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال

عن معاذ ان رسول الله ﷺ قال له يامعاذ « اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » وقال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا سفيان عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب عن ابي ذر ان رسول الله ﷺ قال « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » وقال احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن شمر بن عطية عن أشياخه عن ابي ذر قال قلت يارسول الله أوصني ؟ قال « اذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحوها » قال قلت يارسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله ؟ قال « هي أفضل الحسنات » وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا هذيل بن ابراهيم الجماني ثنا عثمان بن عبد الرحمن الزهري من ولد سعد بن ابي وقاص عن الزهري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « ماقال عبد لا إله إلا الله في ساعة من ليل أو نهار إلا طلست مافي الصحيفة من السيئات حتى تسكن الى مثلها من الحسنات » عثمان بن عبد الرحمن يقال له الوقاصي فيه ضعف . وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا بشر بن آدم وزيد بن أخرم قالا حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا مستور بن عباد عن ثابت عن أنس ان رجلا قال يارسول الله ماتركت من حاجة ولا داجة فقال رسول الله ﷺ « تشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله » قال بلى . قال « فان هذا يأتي على ذلك » تفرد به من هذا الوجه مستور .

فلولا كان من القرون من قبلكم ألوا بقية ينهون عن الفساد في الارض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٦) وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١١٧)

يقول تعالى فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الارض ، وقوله (الا قليلا) أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا

« ارأيتم لو ان نهراً بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً هل يبقى من درنه شيء ؟ » قالوا لا يبقى من درنه شيء قال « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »

قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ اي ذلك الذي ذكرنا وقيل هو اشارة الى القرآن ﴿ ذكرى ﴾ عظة ﴿ للذاكرين ﴾ اى لمن ذكره ﴿ واصبر ﴾ يا محمد على ماتلقى من الاذى ، وقيل على الصلاة ، نظيره (وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها) ﴿ فان الله لا يضيع اجر المحسنين ﴾ في اعمالهم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المصلين

قوله عز وجل ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ كان من القرون ﴾ التي اهلكناهم ﴿ من قبلكم ﴾ الاية للتوبيخ ﴿ اولو بقية ﴾ اى اولو تمييز وقيل اولو طاعة وقيل اولو خير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير معناه

كثيرا وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غيره وفجأة نقمته ولهذا أمر الله تعالى هذه الامة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وفي الحديث « ان الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك ان يعمهم الله بعقاب » ولهذا قال تعالى (فلولا كان من القرون من قبلكم ألوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم) وقوله (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) أي استمروا على ما هم عليه من المعاصي والمنكرات ولم يلتفتوا إلى انكار أولئك حتى فجأهم العذاب (وكانوا مجرمين) ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية الا وهي ظالمة لنفسها ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين كما قال تعالى (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وقال (وما ربك بظلام للعبيد)

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (١١٨) الا من رحم ربك

ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١١٩)

يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان وكفران كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) وقوله (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) أي ولا يزال الخلف بين الناس في اديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم ، وقال عكرمة مختلفين في الهدى وقال الحسن البصري مختلفين في الرزق سخر بعضهم بعضا والمشهور الصحيح الاول ، وقوله (إلا من رحم ربك) أي إلا المرحومين من أتباع الرسل الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين أخبرتهم به رسل الله اليهم ولم يزل ذلك دأبهم حتى كان النبي وخاتم الرسل والانبياء فاتبعوه وصدقوه ووازروه

فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض معناه وقيل اولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير إذا كان على خصلة محمودة ﴿ ينهون عن الفساد في الارض ﴾ أي يقومون بالنهي عن الفساد ومعناه جحد أي لم يكن فيهم أولو بقية ﴿إلا قليلا ﴾ هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا ﴿ممن أنجينا منهم ﴾ وهم أتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الارض ﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا ﴾ نعموا ﴿فيه﴾ والمترف المنعم. وقال مقاتل بن حيان خولوا وقال الفراء عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا أي واتبع الذين ظلموا ما عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ كافرين ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ﴾ أي لا يهلكهم بشركهم (وأهلها مصلحون) فيما بينهم يتعاطون الانصاف ولا يظلم بعضهم بعضا وإنما يهلكهم إذا تظالموا وقيل لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيآت

قوله عز وجل ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس﴾ كلهم ﴿ أمة واحدة ﴾ على دين واحد ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ﴿ الا من رحم ربك ﴾ معناه

ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة لانهم الفرقة الناجية كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد بعضها بعضا « ان اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة وان النصارى افترقت على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة » قالوا ومن هم يارسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابي » رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة ، وقال عطاء (ولا يزالون مختلفين) يعني اليهود والنصارى والمجوس (الا من رحم ربك) يعني الحنيفية وقال قتادة أهل رحمة الله أهل الجماعة وان تفرقت ديارهم وأبدانهم وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم وابدانهم ، وقوله (ولذلك خلقهم) قال الحسن البصري في رواية عنه وللاختلاف خلقهم ، وقال مكي بن أبي طلحة عن ابن عباس خلقهم فريقين كقوله (فمنهم شقي وسعيد) وقيل للرحمة خلقهم قال ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن طاوس أن رجلين اختصما اليه فاكثرا فقال طاوس اختلفتما واكثرتما فقال أحد الرجلين لذلك خلقنا فقال طاوس كذبت فقال اليس الله يقول (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة كما قال الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب ، وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة ويرجع معنى هذا القول إلى قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقيل بل المراد وللرحمة والاختلاف خلقهم كما قال الحسن البصري في رواية عنه في قوله (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال الناس مختلفون على أديان شتى (الا من رحم ربك) فمن رحم ربك غير مختلف فقيل له لذلك خلقهم قال خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لعذابه وكذا قال عطاء ابن أبي رباح والاعمش ، وقال ابن وهب سألت مالكا عن قوله تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال فريق في الجنة وفريق في السعير ، وقد اختار هذا القول ابن جرير وأبو عبيد الفراء وعن مالك فيما روينا عنه من التفسير (ولذلك خلقهم) قال للرحمة وقال قوم للاختلاف وقوله (وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره لعلمه التام وحكمته النافذة ان ممن خلقه من يستحق الجنة ومنهم من يستحق النار وانه لا بد ان يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والانس وله

لكن من رحم ربك فهداهم إلى الحق فهم لا يختلفون ﴿ولذلك خلقهم﴾ قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم وقال اشهب سألت مالكا عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال أبو عبيدة الذي اختاره قول من قال خلق فريقا لرحمته وفريقا لعذابه وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين رحمهم ، وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للاختلاف ومحصول الآية أن أهل الباطل مختلفون وأهل الحق متفقون فخلق الله أهل الحق للاتفاق وأهل الباطل للاختلاف ﴿وتمت كلمة ربك﴾ وتم حكم ربك ﴿لأملان جهنم من الجنة

الحجة البالغة والحكمة التامة ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضعفة الناس وسقطهم وقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء. وقال للنار أنت عذابي انتقم بك ممن أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فأما الجنة فلايزال فيها فضل حتى ينشيء الله لها خلقا يسكن فضل الجنة وأما النار فلاتزال تقول هل من مزيد حتى يضع عليها رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك

وكلاًّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (١٢٠)

يقول تعالى وكل اخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الانبياء من التكذيب والاذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين كل هذا مما نثبت به فؤادك يامحمد أي قلبك ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة ، وقوله (وجاءك في هذه الحق) أي هذه السورة قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة من السلف وعن الحسن في رواية عنه وقتادة فى هذه الدنيا والصحيح في هذه السورة المشتملة على قصص الانبياء وكيف أنجاهم الله والمؤمنين بهم وأهلك الكافرين جاءك فيها قصص حق ونبأ صدق وموعظة يرتدع بها الكافرون وذكرى يتذكر بها المؤمنون

وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون (١٢١) وانتظروا انا منتظرون (١٢٢)

يقول تعالى آمرا رسوله ان يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على وجه التهديد (اعملوا على مكانتكم) أي على طريقتكم ومنهجكم (إنا عاملون) أي على طريقتنا ومنهجنا (وانتظروا إنا منتظرون) أي (فستعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لايفلح الظالمون) وقد أنجز الله لرسوله وعده ونصره وايده وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم

ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه

والناس أجمعين ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك ﴾ معناه وكل الذي يحتاج اليه من أنباء الرسل أي من أخبارهم وأخبار امهم نقصها عليك لنثبت به فؤادك لنزيدك يقينا وتقوي قلبك وذلك ان النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه ﴿وجاءك في هذه الحق﴾ قال الحسن وقتادة في هذه الدنيا وقال غيرهما في هذه السورة وهذا قول الاكثرين خص هذه السورة تشريفا وان كان قد جاءه الحق في جميع السور ﴿وموعظة﴾ أي وجاءتك موعظة ﴿وذكرى للمؤمنين * وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ أمر تهديد ووعيد ﴿انا عاملون وانتظروا﴾ مايحل بنا من رحمة الله ﴿ انا منتظرون ﴾ ما يحل بكم من نقمة الله ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾

وما ربك بغافل عما تعملون (١٢٣)

يخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والارض وانه اليه المرجع والمآب ، وسيؤتي كل عامل عمله يوم الحساب ،فله الخلق والامر فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه ،فانه كاف من توكل عليه وأناب اليه ، وقوله (وما ربك بغافل عما تعملون) أي ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين ، وقال ابن جرير ثنا ابن وكيع ثنا زيد بن الحباب عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن رباح عن كعب قال خاتمة التوراة خاتمة هود [١]

﴿ تم تفسير سورة هود ﴾

١) هذا من مخترعات كعب التى أدخلها على المسلمين فصدقوه

أي علم ما غاب عن العباد فيهما ﴿واليه يرجع الامر كله﴾ في المعاد قرأ نافع وحفص يرجع بضم الياء وفتح الجيم أي يرد وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم أي يعود الأمر كله اليه حتى لا يكون للخلق أمر ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وثق به ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وحفص ويعقوب تعملون بالتاء ههنا وفي آخر سورة النمل وقرأ الآخرون بالياء فيهما قال كعب خاتمة التوراة خاتمة سورة هود أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب حدثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي اسحاق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله قد شبت فقال ﷺ

« شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت »

ويروى « شيبتني هود واخواتها من المفصل »

تفسير سورة يوسف عليه السلام وهي مكية

روى الثعلبي وغيره من طريق سلام بن سلم ويقال سليم المدائني وهو متروك عن هارون بن كثير وقد نص على جهالته أبو حاتم عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ « علموا أرقاكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها أو علمها أهله أو ما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة ان الله لايحسد مسلما » وهذا من هذا الوجه لايصح لضعف اسناده بالكلية ، وقد ساق له الحافظ ابن عساكر متابعا من طريق القاسم بن الحكم عن هارون ابن كثير به ومن طريق شبابة عن محمد بن عبد الواحد النضري عن علي بن زيد بن جدعان ، وعن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ فذكر نحوه وهو منكر من سائر طرقه ، وروى البيهقي في الدلائل أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله ﷺ يتلو هذه السورة أسلموا لموافقتها ما عندهم وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تلكَ آيٰتُ الكتٰبِ المبين (١) إنا أنزلنٰهُ قرآناً عربياً لعلكم تعقلونَ (٢)

نَحْنُ نَقُصُّ عليكَ أحسنَ القَصَصِ بمـا أوحينا إليكَ هٰذا القرآنَ وإن كُنتَ مِن قبلِهِ لمنَ الغٰفلينَ (٣)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة وقوله (تلك آيات الكتاب) أي هذه آيات الكتاب وهو القرآن المبين أي الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وذلك لان لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف

﴿ سورة يوسف عليه السلام ﴾

(مكية وهي مائة واحدى عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ أي البين حلاله وحرامه وحدوده وأحكامه . قال قتادة مبين والله بركته وهداه ورشده فهذا من بان أي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر ﴿انا أنزلناه﴾ يعني الكتاب ﴿قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ أي أنزلناه بلغتكم

الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الارض ، وابتدىء انزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان ، فكمل من كل الوجوه ، ولهذا قال (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) بسبب إيحائنا اليك هذا القرآن ، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي ثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو هو ابن قيس الملائي عن ابن عباس قال : قالوا يارسول الله لو قصصت علينا فنزلت (نحن نقص عليك أحسن القصص) ورواه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسلا . وقال أيضا ثنا محمد بن سعد القطان ثنا عمرو بن محمد أنبأنا خالد الصفار عن عمرو بن قيس عن عمرو بن قرة عن مصعب بن سعد قال أنزل على النبي ﷺ القرآن قال فتلا عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين) الى قوله (لعلكم تعقلون) الآية ثم تلا عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) الآية وذكر الحديث ، ورواه الحاكم من حديث اسحاق بن راهويه عن عمرو بن محمد القرشي المنقري به ، وروى ابن جرير بسنده عن المسعودي عن عون بن عبدالله قال مل أصحاب رسول الله ملة فقالوا : يارسول الله حدثنا فأنزل الله (الله نزل أحسن الحديث) ثم ملوا ملة أخرى فقالوا يارسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب المبين * انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص) فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشتملة على مدح القرآن ، وانه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما رواه الامام احمد ثنا شريح بن النعمان انا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال فغضب وقال « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقدجئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن

لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه ﴿ نحن نقص عليك ﴾ أي نقرأ عليك ﴿ أحسن القصص ﴾ والقاص هو الذي يتبع الآثار ويأتي بالخبر على وجهه معناه نبين لك أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير المملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء وغير ذلك من الفوائد قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم عليهم السلام يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف عليه السلام محزون الا استراح اليها

قوله عز وجل ﴿ بما أوحينا اليك ﴾ ما المصدرية أي بإيحائنا اليك ﴿ هذا القرآن وان كنت ﴾ وقد

شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني » وقال الامام أحمد ثنا عبد الرزاق انا سفيان عن حماد عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال فتغير وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله بن ثابت فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ فقال عمر : رضينا بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، قال فسري عن النبي ﷺ وقال « والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم انكم حظي من الامم وأنا حظكم من النبيين » وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي ثنا عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير ثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن ابن اسحاق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة قال : كنت جالساً عند عمر اذ أتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس فقال له عمر : أنت فلان بن فلان العبدي ؟ قال نعم ، قال وأنت النازل بالسوس قال نعم فضربه بقناة معه ، قال فقال الرجل مالي ياأمير المؤمنين ؟ فقال له عمر اجلس فجلس فقرأ عليه [بسم الله الرحمن الرحيم الر ، تلك آيات الكتاب المبين * انا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص — الى — لمن الغافلين] فقرأها عليه ثلاثا وضربه ثلاثا فقال له الرجل مالي ياأمير المؤمنين ؟ فقال أنت الذي نسخت كتاب دانيال ، قال مرني بأمرك اتبعه قال انطلق فامحه بالحميم والصوف الابيض ثم لاتقرأه ولا تقرئه أحداً من الناس فلئن بلغني عنك انك قرأته او اقرأته أحداً من الناس لانهكتك عقوبة ثم قال اجلس فجلس بين يديه ، فقال انطلقت أنا فانتسخت كتابا من اهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله ﷺ « ماهذا في يدك ياعمر ؟ » قلت يارسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة فقالت الانصار اغضب نبيكم ﷺ السلاح السلاح فجاؤا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال « ياأيها الناس اني قد اوتيت جوامع الكلم وخواتيمه ، واختصر لي اختصاراً ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون » قال عمر فقمت فقلت رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبك رسولا . ثم نزل رسول الله ﷺ

وقد رواه ابن ابي حاتم في تفسيره مختصراً من حديث عبد الرحمن بن اسحاق به وهذا حديث غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن اسحاق هو ابن شيبة الواسطي وقد ضعفوه وشيخه قال

كنت ﴿من قبله﴾ أي من قبل وحينا ﴿لمن الغافلين﴾ لمن الساهين عن هذه القصة لا تعلمها قال سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا فقالوا يارسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل (الله نزل أحسن الحديث) فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فانزل

البخاري لا يصح حديثه ، قلت وقد روي له شاهد من وجه آخر فقال الحافظ ابو بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلي اخبرني الحسن بن سفيان ثنا يعقوب بن سفيان ثنا اسحاق بن ابراهيم بن العلاء الزبيدي حدثني عمرو بن الحارث ثنا عبد الله بن سالم الاشعري عن الزبيدي ثنا سليم بن عامر ان جبير بن نفير حدثهم ان رجلين كانا بحمص في خلافة عمر رضي الله عنه فأرسل اليهما فيمن ارسل من اهل حمص وكانا قد اكتتبا من اليهود ملا صفية (١) فأخذاها معهما يستفتيان فيها امير المؤمنين ويقولون: إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبه ، وان نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالا انا بأرض اهل الكتاب وانا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا افنأخذ منه او نترك ، فقال لعلكما كتبتما منه شيئاً فقالا : لا ، قال سأحدثكما انطلقت في حياة النبي ﷺ حتى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبني فقلت هل أنت مكتبي مما تقول ؟ قال نعم فأتيت بأديم فأخذ يملي عليّ حتى كتبت في الاكراع فلما رجعت قلت يانبي الله وأخبرته قال « ائتني به » فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون جئت رسول الله ببعض مايحب ، فلما أتيت به قال « اجلس اقرأ علي » فقرأت ساعة ثم نظرت إلى وجهه فاذا هو يتلون فتحيرت من الفرق فما استطعت أجيز منه حرفا ، فلما رأى الذي بي رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه وهو يقول « لاتتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكوا وتهوكوا » حتى محا آخره حرفا حرفا . قال عمر رضي الله عنه فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئاً جعلتكما نكالا لهذه الامة ، قالا والله مانكتب منه شيئا أبداً فخرجا بصفيتهما فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا ودفناها فكان آخر العهد منها وكذا روى الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت الانصاري عن عمر بن الخطاب بنحوه ، وروى أبو داود في المراسيل من حديث أبي قلابة عن عمر نحوه والله اعلم

١ » كذا في المكية وفي الازهرية صلا صفة

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ (٤)

يقول تعالى اذكر لقومك يامحمد في قصصك عليهم من قصة يوسف إذ قال لأبيه وأبوه هو يعقوب عليه السلام كما قال الامام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن

الله عز وجل (نحن نقص عليك أحسن القصص) فقالوا يارسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله عز وجل (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله)

قوله عز وجل ﴿ اذ قال يوسف لأبيه ﴾ أي اذكر اذ قال يوسف لابيه ويوسف اسم عبري ولذلك لايجري عليه الصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف عليه السلام فسمي به اخبرنا عبد الواحد بن أحمد

ابراهيم » انفرد باخراجه البخاري فرواه عن عبد الله بن محمد عن عبد الصمد به ، وقال البخاري أيضاً ثنا محمد أنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم ؟ قال « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال « فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله » قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال « فعن معادن العرب تسألوني » قالوا نعم ، قال « فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا » ثم قال تابعه أبو أسامة عن عبيد الله

وقال ابن عباس رؤيا الانبياء وحي وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الاحد عشر كوكبا عبارة عن اخوته وكانوا أحد عشر رجلا سواه والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه. روي هذا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل ثمانين سنة وذلك حين رفع أبويه على العرش وهو سريره وأخوته بين يديه (وخروا له سجداً وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً) وقد جاء في حديث تسمية هذه الاحد عشر كوكبا فقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثني علي بن سعيد الكندي ثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن ابن سابط عن جابر قال : أتى النبي ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي فقال له يامحمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ماأسماؤها ؟ قال فسكت النبي ﷺ فلم يجبه بشيء ونزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها ، قال فبعث رسول الله ﷺ اليه فقال « هل أنت مؤمن اذا أخبرتك بأسمائها ؟ » فقال نعم قال « جريان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكتفات[1] وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق ، والمصبح ، والضروح ، وذو[2] الفرغ ، [3] والضياء ، والنور » فقال اليهودي : أي والله انها لأسماؤها . ورواه البيهقي في الدلائل من حديث سعيد بن منصور عن الحكم بن ظهير

١) في الاميرية ذو الكتفين
٢) وفيها والفرغ
٣) الضياء والنور زيادة في المكية

المليحي أنبأنا احمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل قال قال عبد الله بن محمد ثنا عبد الصمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » ﴿ياابت﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر يا أبت بفتح التاء في جميع القرآن على تقدير ياأبتاه والوجه ان أصله يا أبتا بالالف وهي بدل عن ياء الاضافة فحذفت الالف كما تحذف التاء فبقيت الفتحة تدل على الالف كما تبقى الكسرة تدل على الياء عند حذف الياء وقرأ الآخرون يا أبت بكسر التاء في كل القرآن والوجه أن اصله يا أبتي فحذفت الياء تخفيفا واكتفاء بالكسرة لان باب النداء حذف يدل على ذلك قوله (ياعباد فاتقون) وقرأ الآخرون يا أبت بكسر التاء لان أصله يا أبت والجزم يحرك الى الكسر ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾ أي نجما من نجوم السماء ونصب الكوكب على التفسير ﴿ والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ ولم يقل رأيتها لي ساجدات والهاء والميم والياء والنون من كنايات من يعقل

وقد روى هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلي وأبو بكر البزار في مسنديهما ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، أما أبو يعلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير به وزاد : قال رسول الله ﷺ « لما رآها يوسف قصها على أبيه يعقوب فقال له أبوه هذا أمر مشتت يجمعه الله من بعد قال والشمس أبوه والقمر أمه » تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وقد ضعفه الائمة وتركه الاكثرون وقال الجوزجاني ساقط وهو صاحب حديث حسن يوسف

قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥)

يقول تعالى مخبراً عن قيل يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه مارأى من هذه الرؤيا التى تعبيرها خضوع اخوته له وتعظيمهم اياه تعظيما زائداً بحيث يخرون له ساجدين اجلالا واحتراما واكراما فخشي يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من اخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسداً منهم له ، ولهذا قال له (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً) أي يحتالوا لك حيلة يردونك فيها ، ولهذا ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ قال « اذا رأى أحدكم مايحب فليحدث به واذا رأى مايكره فليتحول إلى جنبه الآخر وليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من شرها ولا يحدث بها أحداً فانها لن تضره »

لانه لما أخبر عنها بفعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل كقوله تعالى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) وكان النجوم في التأويل اخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه قاله قتادة وقال السدى القمر خالته لان أمه راحيل كانت قد ماتت وقال ابن جريج القمر أبوه والشمس أمه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتى عشرة سنة حين رأى هذه الرؤيا وقيل رآها ليلة الجمعة ليلة القدر فلما قصها على أبيه ﴿قال يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك﴾ وذلك ان رؤيا الانبياء عليهم السلام وحي فعلم يعقوب أن اخوته إذا سمعوها حسدوه فامره بالكتمان ﴿فيكيدوا لك كيدا﴾ فيحتالون في اهلاكك لانهم يعلمون تأويلها فيحسدونك واللام في قوله لك صلة كقوله تعالى (لربهم يرهبون) وقيل هو مثل قولهم نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك ﴿إن الشيطان للانسان عدو مبين﴾ أي يزين لهم الشيطان ويحملهم على الكيد لعداوته القديمة أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح انبأنا ابو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنبأنا شعبة عن عبد ربه بن سعيد قال سمعت ابا سلمة قال كنت أرى الرؤيا فتهمني حتى سمعت ابا قتادة يقول كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول «الرؤيا الصالحة من الله تعالى والحلم من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب

وفي الحديث الآخر الذي رواه الامام أحمد وبعض أهل السنن من رواية معاوية بن حيدة (١) القشيري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر ، فاذا عبرت وقعت » ومن هذا يؤخذ الامر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر كما ورد في حديث « استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها فان كل ذي نعمة محسود »

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)

يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب لولده يوسف إنه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك (كذلك يجتبيك ربك) أي يختارك ويصطفيك لنبوته (ويعلمك من تأويل الاحاديث) قال مجاهد وغير واحد يعني تعبير الرؤيا (ويتم نعمته عليك) أي بارسالك والايحاء اليك ، ولهذا قال (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم) وهو الخليل (واسحاق) ولده وهو الذبيح في قول وليس بالرجيح (إن ربك عليم حكيم) أى هو أعلم حيث يجعل رسالاته كما قال في الآية الاخرى

واذا رأى مايكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحدا فانها لن تضره » وأخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انبأنا عبدالرحمن بن أبي شريح انبأنا ابو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد انبأنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من أربعين أوستة وأربعين جزأ من النبوة وهي على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت » وأحسبه قال لايحدث بها الا حبيبا أو لبيبا قوله عز وجل ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ﴾ يصطفيك يقوله يعقوب ليوسف عليهما السلام أي كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا فكذلك يصطفيك ربك ﴿ ويعلمك من تأويل الاحاديث ﴾ يريد تعبير الرؤيا سمي تأويلا لأنه يؤول أمره إلى مارأى في منامه والتأويل مايؤول اليه عاقبة الامر ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ يعني بالنبوة ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ أي على أولاده فان أولاده كلهم كانوا أنبياء ﴿ كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم وإسحاق ﴾ فجعلهما نبيين ﴿ ان ربك عليم حكيم ﴾ وقيل المراد من اتمامه النعمة على ابراهيم الخلة وقيل انجاؤه من النار ، وعلى إسحاق انجاؤه من الذبح ، وقيل باخراج يعقوب والاسباط من صلبه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بين رؤيا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصير أبويه واخوته اليه أربعون سنة وهو قول أكثر أهل التفسير ، وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا مارضي أن تسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه

١) في الاميرية ابن حميد

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)

يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه فانه خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا) أي حلفوا فيما يظنون والله ليوسف وأخوه يعنون بنيامين وكان شقيقه لأمه (أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة) أي جماعة فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة (ان أبانا لفي ضلال مبين) يعنون في تقديمهما علينا، ومحبته اياهما أكثر منا واعلم انه لم يقم دليل على نبوة اخوة يوسف وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك، ومن الناس

فبغوه وحسدوه يقول تعالى ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي في خبره وخبر إخوته واسماؤهم روبيل وقيل روبين بالنون وهو أكبرهم وشمعون، ولاوى، ويهوذا، وزبالون وقيل زبولون وبشوخور وأمهم ليا بنت لابان وهي ابنة خال يعقوب عليه السلام وولد له من سريتين له اسم احداهما زلفة والاخرى بلهمة أربعة أولاد دان ونفتالى وقيل نفتولي وجاد واوشير ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل وابن يامين فكان بنو يعقوب عليه السلام اثني عشر رجلا ﴿آيات﴾ قرأ ابن كثير آية على التوحيد أي عظة وعبرة وقيل عجب، وقرأ الآخرون آيات على الجمع ﴿للسائلين﴾ وذلك أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف عليه السلام وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من كنعان الى مصر فذكر لهم قصة يوسف جميعها فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منها فهذا معني قوله (آيات للسائلين) أي دلالة على نبوة رسول الله ﷺ وقيل آيات للسائلين ولمن لم يسأل كقوله سواء للسائلين، وقيل معناه عبرة للمعتبرين فانها تشتمل على حسد إخوة يوسف وما آل اليه أمرهم في الحسد وتشتمل على رؤياه وماحقق الله منها، وتشتمل على صبر يوسف عليه السلام عن قضاء الشهوة وعلى الرق وعلى اللبث في السجن وما آل اليه أمره من الملك وتشتمل على حزن يعقوب وصبره على فراق يوسف وما آل اليه أمره من الوصول إلى المراد وغير ذلك من الآيات ﴿إذ قالوا ليوسف﴾ اللام فيه جواب القسم تقديره والله ليوسف ﴿وأخوه﴾ بنيامين ﴿أحب إلى أبينا منا﴾ كان يوسف وأخوه بنيامين من أم واحدة، وكان يعقوب عليه السلام شديد الحب ليوسف عليه السلام وكان إخوته يرون منه من الميل اليه مالم يروه مع أنفسهم فقالوا هذه المقالة ﴿ونحن عصبة﴾ أي جماعة وكانوا عشرة. قال الفراء العصبة هي العشرة فمازاد، وقيل العصبة مابين

من يزعم انه أوحي اليهم بعد ذلك وفي هذا نظر ويحتاج مدعي ذلك الى دليل ، ولم يذكروا سوى قوله تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط) وهذا فيه احتمال لان بطون بني اسرائيل يقال لهم الاسباط كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب ، فذكر تعالى انه أوحى الى الانبياء من أسباط بني اسرائيل فذكرهم اجمالا لانهم كثيرون ولكن كل سبط من نسل رجل من اخوة يوسف ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحي اليهم والله أعلم

(اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) يقولون هذا الذي يزاحمكم في محبة ابيكم لكم اعدموه من وجه ابيكم ليخلو لكم وحدكم اما بأن تقتلوه او تلقوه في ارض من الاراضي تستريحوا منه وتخلوا انتم بأبيكم (وتكونوا من بعده قوما صالحين) فأضمروا التوبة قبل الذنب (قال قائل منهم) قال قتادة ومحمد بن إسحاق : وكان أكبرهم واسمه روبيل وقال السدي الذي قال ذلك يهوذا وقال مجاهد هو شمعون الصفا (لا تقتلوا يوسف) أي لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله ولم يكن لهم سبيل إلى قتله لان الله تعالى كان يريد منه أمراً لابد من إمضائه وإتمامه من الايحاء اليه بالنبوة ومن التمكين ببلاد مصر والحكم بها فصرفهم الله عنه بمقالة روبيل فيه وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب وهو أسفله . قال قتادة وهي بئر بيت المقدس (يلتقطه بعض السيارة) أي المارة من المسافرين فتستريحوا

الواحد الى العشرة ، وقيل مابين الثلاثة الى العشرة ، وقال مجاهد مابين العشرة الى خمسة عشر ، وقيل مابين العشرة الى الاربعين ، وقيل جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط ﴿ إن أبانا لفي ضلال مبين ﴾ أي خطأ بين في إيثاره يوسف وأخاه علينا وليس المراد من هذا الضلال الضلال عن الدين ولو أرادوه لكفروا به بل المراد منه الخطأ في تدبير أمر الدنيا ، يقولون نحن أنفع له في أمر الدنيا واصلاح أمر معاشه ورعي مواشيه من يوسف فنحن أولى بالمحبة منه فهو مخطيء في صرف محبته اليه

﴿ اقتلوا يوسف ﴾ اختلفوا في قائل هذا القول فقال وهب قاله شمعون ، وقال كعب قاله دان وقال مقاتل روبيل (مبين اقتلوا) بضم التنوين قرأها ابن كثير ونافع والكسائي وقرأ الباقون مبين اقتلوا بكسر التنوين ﴿ أو اطرحوه أرضا ﴾ أي إلى أرض تبعد عن أبيه ، وقيل في أرض تأكله السباع ﴿ يخل لكم ﴾ يخلص لكم ويصف لكم ﴿ وجه أبيكم ﴾ عن شغله بيوسف ﴿ وتكونوا من بعده ﴾ من بعد قتل يوسف ﴿ قوما صالحين ﴾ تائبين أي توبوا بعد مافعلتم هذا يعف الله عنكم ، وقال مقاتل صالحين يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم ﴿ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف ﴾ وهو يهوذا ، وقال قتادة قاله روبيل وكان ابن خالة يوسف ، وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا فيه والاول أصح أن يهوذا نهاهم عن قتله وقال : القتل كبيرة عظيمة ﴿ وألقوه في غيابة الجب ﴾ قرأ ابو جعفر ونافع غيابات الجب على الجمع في الحرفين وقرأ الباقون غيابة الجب على الواحد أي في أسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه والجب البئر غير المطوية لانه جب أي قطع ولم يطو ﴿ يلتقطه ﴾ يأخذه والالتقاط

منه بهذا ولا حاجة إلى قتله (إن كنتم فاعلين) ان كنتم عازمين على ماتقولون . قال محمد بن اسحاق ابن يسار : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لاذنب له وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه مع مكانه من الله ممن أحبه طفلا صغيراً وسن أبيه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته الى لطف والده وسكونه اليه يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين فقد احتملوا أمراً عظيما . رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه

قَالُوا يَـٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَـٰصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ (١٢)

لما تواطأوا على أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم روبيل جاؤا أباهم يعقوب عليه السلام فقالوا مابالك (لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) وهذه توطئة ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له (أرسله معنا) أي ابعثه معنا (غداً نرتع ونلعب)

أخذ الشيء من حيث لايحتسبه الانسان ﴿ بعض السيارة ﴾ أي بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية أخرى فتستريحوا منه ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ أي إن عزمتم على فعلكم وهم كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا أنبياء بعد ، وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل أنهم قالوا (وتكونوا من بعده قوما صالحين) وقالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له ، وقال محمد بن إسحاق اشتمل فعلهم على جرائم من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرأفة بالصغير الذي لاذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لاييأس أحد من رحمة الله ، وقال بعض أهل العلم انهم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة لهم ولو فعلوا لهلكوا أجمعون وكل ذلك كان قبل أن نبأهم الله تعالى وسئل أبو عمرو بن العلاء كيف قالوا نلعب وهم أنبياء ؟ قال كان ذلك قبل أن نبأهم الله تعالى فلما أجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضروب من الحيل ﴿ قالوا ﴾ ليعقوب ﴿ يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف ﴾ قرأ أبو جعفر تأمنا بلا شمة وهو رواية عن نافع وقرأ الباقون تأمنا باشمام الضمة في النون الاولى المدغمة وهو إشارة الى الضمة من غير امحاض ليعلم أن أصله لاتأمننا بنونين على تفعلنا فأدغمت النون الاولى في الثانية بدؤا بالانكار عليه في ترك ارساله معهم كأنهم قالوا انك لاترسله معنا أتخافنا عليه ﴿ وإنا له لناصحون ﴾ قال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لابيهم (أرسله معنا) فقال أبوهم (إني ليحزنني أن تذهبوا به) فحينئذ قالوا (ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون) النصح ههنا هو القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف معناه إنا عاطفون عليه قائمون بمصلحته نحفظه حتى نرده اليك ﴿ أرسله معنا غدا ﴾ الى الصحراء ﴿ يرتع ويلعب ﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وجزم

وقرأ بعضهم بالياء (يرتع ويلعب) قال ابن عباس يسعى وينشط وكذا قال قتادة والضحاك والسدي وغيرهم (وانا له لحافظون) يقولون ونحن نحفظه ونحوطه من أجلك

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤)

يقول تعالى مخبراً عن نبي الله يعقوب انه قال لبنيه في جواب ماسألوا من ارسال يوسف معهم الى المرعى في الصحراء (اني ليحزنني أن تذهبوا به) أي يشق علي مفارقته مدة ذهابكم به الى أن يرجع وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة والكمال في الخلق والخلق صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) يقول وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون فأخذوا من فمه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه وقالوا مجيبين له عنها في الساعة الراهنة (لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذاً لخاسرون) يقولون لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة انا اذاً لهالكون عاجزون

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)

العين في يرتع وقرأ يعقوب نرتع بالنون ويلعب بالياء وقرأ اهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين في يرتع يعني يوسف وقرأ الآخرون نرتع بالنون ويلعب بالياء والرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله إذا أنفقه في شهواته يريد ونتنعم ونأكل ونشرب ونلهو وننشط وقرأ اهل الحجاز يرتع بكسر العين وهو يفتعل من الرعي ثم ابن كثير قرأ بالنون فيهما أي نتحارس ويحفظ بعضنا بعضا وقرأ أبو جعفر ونافع بالياء اخباراً عن يوسف أي يرعى الماشية كما نرعى نحن ﴿ وإنا له لحافظون قال ﴾ لهم يعقوب ﴿ إني ليحزنني أن تذهبوا به ﴾ أي يحزنني ذهابكم به والحزن ههنا ألم القلب بفراق المحبوب ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴾ وذلك أن يعقوب كان رأى في المنام ان ذئبا شد على يوسف فكان يخاف من ذلك فمن ثم قال (أخاف ان يأكله الذئب) قرأ ابن كثير واسماعيل وقالون عن نافع وعاصم وابن عامر الذئب بالهمزة وكذلك أبو عمرو اذا لم يدرج وحمزة إذا لم يقف وقرأ الكسائي وورش عن نافع وأبو عمرو في الدرج وحمزة في الوقف الذيب بترك الهمزة والوجه في الهمز انه هو الاصل لانه من قولهم تذاءبت الريح إذا جاءت من كل وجه ويجمع الذئب أذؤبا وذئابا بالهمز والوجه في ترك الهمز ان الهمزة خففت فقلبت ياء لسكونها وانكسار ماقبلها ﴿ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة ﴾ عشرة ﴿ إنا إذا لخاسرون ﴾ عجزة ضعفاء ﴿ فلما ذهبوا به واجمعوا ﴾ أي عزموا ﴿ أن

يقول تعالى فلما ذهب به اخوته من عند أبيه بعد مراجعته لهم في ذلك (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على القائه في أسفل ذلك الجب وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرونه له إكراما له وبسطا وشرحا لصدره وإدخالا للسرور عليه فيقال ان يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه اليه وقبله ودعا له فذكر السدي وغيره انه لم يكن بين إلزامهم له وبين اظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه والفعل من ضرب ونحوه ثم جاءوا به الى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه فجعل اذا لجأ الى واحد منهم لطمه وشتمه واذا تشبث بحافات البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة فسقط في الماء فغمره فصعد الى صخرة تكون في وسطه يقال لها الراغوفة فقام فوقها قال الله تعالى (وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) يقول تعالى ذاكراً لطفه ورحمته وعائدته وانزاله اليسر في حال العسر انه أوحى الى يوسف في ذلك الحال الضيق تطبيباً لقلبه وتثبيتا له انك لا تحزن مما أنت فيه فان لك من ذلك فرحا ومخرجا حسنا وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك وسيجزيهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع . وقوله (وهم لا يشعرون) قال مجاهد وقتادة (وهم لا يشعرون) بايحاء الله اليه ، وقال ابن عباس ستنبئهم بصنيعهم هذا في حقك وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك كما قال ابن جرير حدثني الحارث ثنا عبد العزيز ثنا صدقة بن عبادة الاسدى عن أبيه سمعت ابن عباس يقول : لما دخل أخوة يوسف على يوسف فعرفهم وهم له منكرون

يجعلوه ﴾ يلقوه ﴿ في غيابة الجب وأوحينا اليه ﴾ هذه الواو زائدة تقديره أوحينا اليه كقوله تعالى (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه) أي ناديناه ﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ أي وأوحينا الى يوسف عليه السلام لتصدقن رؤياك ولتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحى الله واعلامه إياه ذلك قاله مجاهد وقيل معناه (وهم لا يشعرون) يوم تخبرهم انك يوسف وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون وذكر وهب وغيره أنهم أخذوا يوسف عليه السلام بغاية الاكرام وجعلوا يحملونه فلما برزوا إلى البرية القوه وجعلوا يضربونه فاذا ضربه واحد منهم استغاث بالآخر فضربه الآخر فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا أبتاه لو تعلم مايصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا ان يقتلوه قال لهم يهوذا اليس قد اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فيه وكان ابن اثنتى عشرة سنة وقيل ثمانية عشر سنة فجاءوا به إلى بئر على غير الطريق واسعة الاسفل ضيقة الرأس قال مقاتل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام قال كعب بين مدين ومصر وقال وهب بأرض الاردن وقال قتادة هي بئر ببيت المقدس فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي القميص أتوارى به في الجب فقال ادع الشمس والقمر والكواكب تواريك قال إني لم أر شيئا فالقوه فيها وجعلوه في دلو وأرسلوه فيها حتى

قال جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هـذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيـه دونكم وانكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب ، قال ثم نقره فطن قال فأتيتم أباكم فقلتم إن الذئب أكله وجئتم على قميصـه بدم كذب ، قال فقال بعضهـم لبعض إن هـذا الجام ليخبره بخبركم ، قال ابن عباس فلا نرى هـذه الآية نزلت إلا فيهـم (لتنبئنهـم بأمرهم هذا وهم لايشعرون)

وجاءوا أباهم عشاء يبكون (١٦) قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عندمتعنا

فأكله الذئب ، وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صٰدقين(١٧) وجاءوا علىٰ قميصه بدم كذب قال

بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ، والله المستعان على ماتصفون(١٨)

يقول تعالى مخبراً عن الذى اعتمده اخوة يوسف بعـد ماألقوه في غيابة الجب ثم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون ويظهرون الاسف والجزع على يوسف ويتغممون لأبيهم وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا (انا ذهبنا نستبق) أى نترامى (وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ثيابنا وأمتعتنا (فأكله الذئب) وهو الذى كان قد جزع منـه وحذر عليه ، وقولهم (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) تلطف عظيم في تقرير ما يحاولونه يقولون ونحن نعلم أنك لاتصدقنا والحالة هذه لو كنـا عنـدك صادقين فكيف وأنت تتهمنا في ذلك لأنك خشيت أن يأكله الذئب فأكله الذئب فأنت

إذا بلغ نصفها القوه إرادة أن يموت فـكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها وقيل انهم لما القوه فيها جعل يبكي فنادوه فظن أن رحمة أدركتهم فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وبقي فيها ثلاث ليال وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا والاكثرون على ان الله تعالى أوحى اليه بهذا وبعث اليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويبشره بالخروج ويخبره أنه ينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه (وهم لايشعرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف عليه السلام ﴿ وجاؤا أباهم عشاء يبكون ﴾ قال أهل المعاني جاءوا في ظلمة العشاء ليكون أجرأ على الاعتذار بالكذب ، وروي أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال مالكم يابني هل أصابكم في غنمكم شيء ؟ قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف ﴿ قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق ﴾ أي نترامى وننتضل وقال السدى نشتد على أقدامنا ﴿ وتركنا يوسف عند متاعنا ﴾ أي عند ثيابنا وأقمشتنا ﴿ فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ﴾ بمصدق لنا ﴿ ولو كنا ﴾ وان كنا ﴿ صادقين ﴾ فان قيل كيف قالوا ليعقوب أنت لاتصدق الصادق قيل معناه انك تتهمنا في هذا الامر لانك خفتنا عليه في الابتداء واتهمتنا في حقه وقيل معناه لا تصدقنا لانه

معذور في تكذيبك لنا لغرابة ماوقع وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا (وجاؤا على قميصه بدم كذب) أى مكذوب مفترى وهذا من الافعال التي يؤكدون بها ما تمالؤا عليه من المكيدة وهو أنهم عمدوا إلى سخلة فيما ذكره مجاهد والسدى وغير واحد فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميصه الذى أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه ، ولكنهم نسوا أن يخرقوه فلهذا لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب ، بل قال لهم معرضاً عن كلامهم إلى ماوقع في نفسه من تمالؤهم عليه (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) أى فسأصبر صبراً جميلا على هذا الامر الذى اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه (والله المستعان على ماتصفون) أى على ماتذكرون من الكذب والمحال قال الثورى عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وجاؤا على قميصه بدم كذب) فقالوا لو أكله السبع لخرق القميص ، وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد ، وقال مجاهد الصبر الجميل الذى لاجزع فيه . وروى هشيم عن عبد الرحمن بن يحيي عن حيان بن أبي حبلة قال : سئل رسول الله ﷺ عن قوله (فصبر جميل) فقال صبر لاشكوى فيه وهذا مرسل . وقال عبد الرزاق قال الثوري عن بعض أصحابه أنه قال ثلاث من الصبر : أن لاتحدث بوجعك ، ولا بمصيبتك ، ولا تزكي نفسك . وذكر البخاري ههنا حديث عائشة في الافك حتى ذكر قولها والله لاأجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف (فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون)

وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه ، قال يٰبشرى هذا غلٰم وأسروه بضٰعة ، والله عليم بما يعملون (١٩) وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين (٢٠)

يقول تعالى مخبراً عما جرى ليوسف عليه السلام حين ألقاه إخوته وتركوه في ذلك الجب وحيداً

لادليل لنا على صدقنا وان كنا صادقين عند الله ﴿وجاؤا على قميصه بدم كذب﴾ أي بدم هو كذب لانه لم يكن دم يوسف وقيل بدم مكذوب فيه فوضع المصدر موضع الاسم وفي القصة أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب عليه السلام كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم ﴿قال بل سولت﴾ زينت ﴿لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل﴾ معناه فامري صبر جميل أو فعلي صبر جميل وقيل فصبر جميل اختاره والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي استعين بالله على الصبر على ماتكذبون وفي القصة أنهم جاؤا بذئب وقالوا هذا الذي أكله فقال له يعقوب ياذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فانطقه الله عز وجل فقال تالله ما رأيت وجه ابنك قط قال كيف وقعت بارض كنعان قال جئت لصلة قرابة فصادني هؤلاء فمكث يوسف في البئر ثلاثة أيام ﴿وجاءت سيارة﴾ وهم القوم المسافرون سموا سيارة لانهم يسيرون في الارض كانت رفقة من مدين تريد مصر فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب وكان الجب في قفر بعيد من العمران

فريداً فمكث في البئر ثلاثة أيام فيما قاله أبو بكر بن عياش ، وقال محمد بن اسحاق لما ألقاه اخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك ينظرون مايصنع وما يصنع به فساق الله له سيارة فنزلوا قريبا من تلك البئر وأرسلوا واردهم وهو الذي يتطلب لهم الماء ، فلما جاء ذلك البئر وأدلى دلوه فيها تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به وقال (يابشراي هـذا غلام) وقرأ بعض القراء يابشرى فزعم السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه معلما له أنه أصاب غلاما وهـذا القول من السدي غريب لانه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس والله أعلم . وانما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الاخرى ويكون قد أضاف البشرى إلى نفسه وحذف ياء الاضافة وهو يريدها كما تقول العرب يانفس اصبري وياغلام أقبل بحذف حرف الاضافة ويجوز الكسر حينئذ والرفع وهذا منه ويفسرها القراءة الاخرى يابشراي والله أعلم

وقوله (وأسروه بضاعة) أي وأسره الواردون من بقية السيارة ، وقالوا اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء مخافة أن يشاركوهم فيه اذا علموا خبره قاله مجاهد والسدي وابن جرير هذا قول ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (وأسروه بضاعة) يعني إخوة يوسف اسروا شأنه وكتموا أن يكون

للرعاة والمارة وكان ماؤه مالحا فعذب حين القي يوسف عليه السلام فيه فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر لطلب الماء فذلك

قوله عز وجل ﴿فارسلوا واردهم﴾ والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيء الارشية والدلاء ﴿ فادلى دلوه ﴾ أي ارسلها في البئر يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها في البئر ودلوتها إذا أخرجتها فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون قال النبي ﷺ « أعطي يوسف شطر الحسن » ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن ، وقال ابن اسحاق ذهب يوسف وأمه بثلثي الحسن فلما رآه مالك بن ذعر ﴿قال يابشراي﴾ قرأ الاكثرون هكذا بالالف وفتح الياء والوجه أن بشراي مضافة إلى ياء المتكلم وهو منادى مضاف فموضعه نصب وقرأ الكوفيون يابشرى بغير ياء الاضافة على فعلى وأمال الراء حمزة والكسائي وفتحها عاصم والوجه في افرادها عن ياء المتكلم هو ان بشرى نكرة ههنا فناداها كما تنادى النكرات نحو قولك يارجلا ويارا كبا إذا جعلت النداء شائعا فيكون موضعه نصبا مع التنوين إلا أن فعلى لا سبيل اليها للتنوين ويجوز أن تكون بشرى منادى تعرف بالقصد نحو يارجل يريد نادى المستقي رجلا من أصحابه اسمه بشرى فتكون بشرى في موضع رفع وقيل بشر المستقي أصحابه يقول : ابشروا ﴿ هذا غلام ﴾ وروى ابن مجاهد عن أبيه ان جدران البئر كانت تبكي على يوسف حين أخرج منها ﴿ وأسروه ﴾ أي اخفوه ﴿ بضاعة ﴾ قال مجاهد أسره مالك بن ذعر واصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هذا بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة ان يطلبوا منهم فيه المشاركة وقيل أراد ان أخوة يوسف اسروا

أخاهم وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته واختار البيع فذكره إخوته لوارد القوم فنادى أصحابه (يابشرى هذا غلام) يباع فباعه إخوته وقوله (والله عليم بما يعملون) أي عليم بما يفعله إخوة يوسف ومشتروه وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه ولكن له حكمة وقدر سابق فترك ذلك ليمضي ماقدره وقضاه (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) وفي هذا تعريض لرسوله محمد ﷺ واعلام له بأني عالم بأذى قومك لك وأنا قادر على الانكار عليهم ولكني سأملي لهم ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة على اخوته

وقوله (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) يقول تعالى : وباعه اخوته بثمن قليل . قال مجاهد وعكرمة والبخس هو النقص كما قال تعالى (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) أي اعتاض عنه اخوته بثمن دون قليل ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين أي ليس لهم رغبة فيه بل لو سئلوه بلا شيء لأجابوا . قال ابن عباس ومجاهد والضحاك إن الضمير في قوله (وشروه) عائد على اخوة يوسف ، وقال قتادة بل هو عائد على السيارة والاول أقوى لان قوله (وكانوا فيه من الزاهدين) انما أراد اخوته لا أولئك السيارة لان السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه فترجح من هذا أن الضمير في شروه انما هو لاخوته ، وقيل المراد بقوله (بخس) الحرام ، وقيل الظلم وهذا وان كان كذلك لكن ليس هو المراد هنا لان هذا معلوم يعرفه كل أحد لأن ثمنه حرام على كل حال وعلى كل أحد لانه نبي ابن نبي ابن خليل الرحمن فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم وانما المراد هنا بالبخس الناقص أو الزيوف أو كلاهما أي انهم إخوته وقد باعوه ومع هذا بأنقص الأثمان ولهذا قال (دراهم معدودة) فعن ابن مسعود رضي الله عنه باعوه بعشرين درهما وكذا قال ابن عباس ونوف البكالي والسدي وقتادة وعطية العوفي وزاد اقتسموها درهمين درهمين ، وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما ، وقال محمد بن اسحاق وعكرمة أربعون درهما ، وقال الضحاك في قوله

شأن يوسف وقالوا هذا عبد لنا ابق منا قال الله تعالى ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ فاتى يهوذا يوسف بالطعام فلم يجده في البئر فأخبر بذلك اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك واصحابه نزول فاتوهم فاذا هم بيوسف فقالوا هذا عبد ابق منا ويقال إنهم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله وقال مثل قولهم ثم باعوه فذلك قوله عز وجل ﴿وشروه﴾ أي باعوه ﴿ بثمن بخس ﴾ قال الضحاك ومقاتل والسدي حرام لان ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لانه مبخوس البركة وعن ابن عباس وابن مسعود بخس أي زيوف وقال عكرمة والشعبي بثمن قليل ﴿دراهم﴾ بدل من الثمن ﴿معدودة﴾ ذكر العدد عبارة عن قلتها وقيل انما قال معدودة لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من اربعين درهما إنما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغت اوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة عشرون درهما فاقتسموها درهمين درهمين قال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون

(وكانوا فيه من الزاهدين) وذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل، وقال مجاهد لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون لهم استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر فقال: من يبتاعني وليبشر فاشتراه الملك وكان مسلما

وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢١) ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (٢٢)

يخبر تعالى بالطافه بيوسف عليه السلام أنه قيض له الذي اشتراه من مصر حتى اعتنى به وأكرمه وأوصى أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح فقال لامرأته (أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا او نتخذه ولداً) وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها حدثنا العوفي عن ابن عباس وكان اسمه قطفير، وقال محمد بن إسحاق اسمه أظفير بن روحيب وهو العزيز وكان على خزائن مصر وكان الملك

درهما ﴿وكانوا﴾ يعني اخوة يوسف ﴿فيه﴾ اي في يوسف ﴿من الزاهدين﴾ لانهم لم يعلموا منزلته عند الله وقيل كانوا في الثمن من الزاهدين لانهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن انما كان قصدهم تبعيد يوسف عن ابيه ثم انطلق مالك بن ذعر واصحابه بيوسف فتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأبق قال فذهبوا به حتى قدموا مصر وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وقيل اظفير صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر يسمى العزيز وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن شروان من العمالقة وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف حي قال ابن عباس رضي الله عنهما لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن ذعر فابتاع منه يوسف بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريراً وكان وزنه أربعمائة رطل وهو ابن ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطفير من مالك ابن ذعر بهذا الثمن فذلك

قوله تعالى ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته﴾ واسمها راعل وقيل زليخا ﴿أكرمي مثواه﴾ أي منزله ومقامه والمثوى موضع الاقامة وقيل أكرميه في المطعم والملبس والمقام، وقال قتادة وابن جريج منزلته ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي نبيعه بالربح ان أردنا البيع أو يكفينا إذا بلغ بعض أمورنا ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي نتبناه قال ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته (أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا) وابنة شعيب عليه السلام حيث قالت لابيها في موسى

يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق قال واسم امرأته راعيل بنت رعابيل ، وقال غيره اسمها زليخا ، وقال محمد بن إسحاق أيضا عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس كان الذي باعه بمصر مالك بن ذعر بن قريب بن عنقاء بن مديان بن ابراهيم فالله أعلم وقال أبو إسحاق عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود أنه قال : أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر حين قال لامرأته (أكرمي مثواه) والمرأة التي قالت لابيها (ياأبت استأجره) الآية وابو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . يقول تعالى كما أنقذنا يوسف من اخوته (كذلك مكنا ليوسف في الارض) يعني بلاد مصر (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) قال مجاهد والسدي هو تعبير الرؤيا (والله غالب على أمره) أي اذا أراد شيئا فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف بل هو الغالب لما سواه قال سعيد بن جبير في قوله (والله غالب على أمره) أي فعال لما يشاء ، وقوله (ولـكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول لا تدرون حكمته في خلقه وتلطفه وفعـله لما يريد وقوله (ولما بلغ) أي يوسف عليه السلام (أشده) أي استكمل عقله وتم خلقه (آتيناه حكما وعلما) يعني النبوة انه حباه بها بين اولئك الاقوام (وكذلك نجزي المحسنين) أي إنه كان محسنا في عمله عاملا بطاعة الله تعالى ، وقد اختلف في مقـدار المدة التي بلغ فيها أشده فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ثلاث وثلاثون سنة وعن ابن عباس بضع وثلاثون ، وقال الضحاك عشرون ، وقال الحسن أربعون سنة ، وقال عكرمة خمس وعشرون سنة ، وقال السدي ثلاثون سنة وقال سعيد بن جبير ثمانية عشر سنة ، وقال الامام مالك وربيعة وزيد بن أسلم والشعبي الاشد الحلم وقيل غير ذلك والله أعلم

عليه السلام ياأبت استأجره وأبو بكر في عمر رضي الله عنهما حيث استخلفه ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الارض﴾ أي في أرض مصر أي كما أنقذنا يوسف من القتل وأخرجناه من الجب كذلك مكنا له في الارض فجعلناه على خزائنها ﴿ولنعلمه من تأويل الاحاديث﴾ أي مكنا له في الارض لكي نعلمه من تأويل الاحاديث وهي عبارة عن الرؤيا ﴿والله غالب على أمره﴾ قيل الهاء في أمره كناية عن الله تعالى يقول الله انه غالب على أمره يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ولا يرد حكمه راد وقيل هي راجعة إلى يوسف عليه السلام معناه والله مستول على أمر يوسف بالتدبير والحياطة لا يكله إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ ما الله به صانع ﴿ولما بلغ أشده﴾ منتهى شبابه وشدته وقوته ومعرفته وقال مجاهد ثلاثا وثلاثين سنة وقال السدي ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلاثين وسئل مالك رحمه الله عن الاشد قال هو الحلم ﴿آتيناه حكما وعلما﴾ فالحكم النبوة والعلم الفقه في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء والحكيم الذي يعمل بما يوجبه العلم ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما المؤمنين وعنه أيضا المهتدين ، وقال

وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيْتَ لك، قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون (٢٣)

يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبا كرامه فراودته عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته اليها وذلك أنها أحبته حبا شديداً لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الابواب ودعته إلى نفسها (وقالت هيت لك) فامتنع من ذلك أشد الامتناع و(قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي) وكانوا يطلقون الرب على السيد والكبير أي إن بعلك ربي أحسن مثواي أي منزلي وأحسن إلي فلا أقابله بالفاحشة في أهله (انه لا يفلح الظالمون) قال ذلك مجاهد والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم ، وقد اختلف القراء في قوله (هيت لك) فقرأه كثيرون بفتح الهاء واسكان الياء وفتح التاء قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد معناه أنها تدعوه إلى نفسها ، وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس هيت لك تقول هلم لك وكذا قال زر بن حبيش وعكرمة والحسن وقتادة قال عمرو بن عبيد عن الحسن وهي كلمة بالسريانية أي عليك ، وقال السدي هيت لك أي هلم لك وهي بالقبطية ، وقال مجاهد هي لغة عربية تدعوه بها وقال البخاري وقال عكرمة هيت لك هلم لك بالحورانية هكذا ذكره معلقا وقد أسنده الامام أبو جعفر ابن جرير حدثني أحمد بن سهل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا النضر بن عربي الحريري عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله (هيت لك) قال هلم لك قال : هي بالحورانية ، وقال أبو عبيد القاسم ابن سلام وكان الكسائي يحب هذه القراءة يعني هيت لك ويقول هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز ومعناها تعال ، وقال أبو عبيد سألت شيخا عالما من أهل حوران فذكر أنها لغتهم يعرفها واستشهد الامام بن جرير على هذه القراءة بقول الشاعر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

أبلغ أمير المؤمنين اذا العراق اذا أتيتا
إن العراق وأهله عنق اليك فهيت هيتا

الضحاك الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ يعني امرأة العزيز والمراودة طلب الفعل والمراد ههنا أنها دعته إلى نفسها ليواقعها ﴿ وغلقت الابواب ﴾ اي اطبقتها وكانت سبعة ﴿وقالت هيت لك﴾ أي هلم واقبل قرأ أهل الكوفة والبصرة (هيت لك) بفتح الهاء والتاء جميعا وقرأ أهل المدينة والشام هيت بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هيت بفتح الهاء وضم التاء والوجه أن في هذه الكلمة ثلاث لغات هيت وهيت وهيت والكل بمعنى هلم وقرأ السلمي وقتادة هئت لك بكسر الهاء وضم التاء مهموزا على مثال جئت يعني تهيأت لك وأنكره أبو عمرو والكسائي وقال لم يحك هذا عن العرب والاول هو المعروف عند العرب قال ابن مسعود رضي

بقول فتعال واقترب ، وقرأ ذلك آخرون هئت لك بكسر الهاء والهمز وضم التاء بمعنى تهيأت لك من قول القائل هئت بالامر اهيء هئة ، وممن روي عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبدالرحمن السلمي وأبو وائل وعكرمة وقتادة وكلهم يفسرها بمعنى تهيأت لك قال ابن جرير وكان أبو عمرو والكسائي ينكران هذه القراءة ، وقرأ عبدالله بن إسحاق هيت بفتح الهاء وكسر التاء وهي غريبة ، وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة هيت بفتح الهاء وضم التاء وأنشد قول الشاعر

ليس قومي بالابعدين اذا ما قال داع من العشيرة هيت

قال عبدالرزاق أنبأنا الثوري عن الاعمش عن أبي وائل قال : قال ابن مسعود وقد سمع القراء فقال سمعتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم وإياكم والتنطع والاختلاف وانما هو قول أحدكم هلم وتعال. ثم قرأ عبدالله هيت لك فقال يا أبا عبدالرحمن ان ناسا يقرؤنها هيت قال عبدالله أن أقرأها كما علمت أحب إلي ، وقال ابن جرير حدثني ابن وكيع حدثنا ابن عيينة عن منصور عن أبي وائل قال قال عبدالله هيت لك فقال له مسروق ان ناسا يقرؤنها هيت لك فقال دعوني فاني أقرأ كما أقرئت أحب إلي ، وقال أيضا حدثني المثنى حدثنا آدم بن أبي اياس حدثنا شعبة عن شقيق عن ابن مسعود قال : هيت لك بنصب الهاء والتاء ولا تهمز ، وقال آخرون هيت لك بكسر الهاء وإسكان الياء وضم التاء. قال أبو عبيد معمر ابن المثنى هيت لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث بل يخاطب الجميع بلفظ واحد فيقال هيت لك وهيت لكم وهيت لكما وهيت لكن وهيت لهن

ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رءا برهٰن ربه كذٰلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (٢٤)

اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام ، وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن

الله عنه اقرأني النبي ﷺ هيت لك قال أبو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة لاهل حوران وقعت إلى الحجاز معناها تعال ، وقال عكرمة هي أيضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث واقبال على الشيء قال أبو عبيدة ان العرب لا تثني هيت ولا تجمع ولا تؤنث وإنها صورة واحدة في كل حال (قال) يوسف لها عند ذلك (معاذ الله) أي أعوذ بالله واعتصم بالله مما دعوتني اليه (انه ربي) يريد ان زوجك قطفير سيدي (أحسن مثواي) أي أكرم منزلي هذا قول أكثر المفسرين وقيل الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد ان الله تعالى (ربي أحسن مثواي) أي آواني ومن بلاء الجب عافاني (انه لا يفلح الظالمون) يعني ان فعلت هذا فخنته في أهله بعد ما أكرم مثواي فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل (لا يفلح الظالمون) أي لا يسعد الزناة (ولقد همت به وهم بها) والهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه فهمها عزمها على المعصية والزنا وأما همه فروي عن ابن عباس

جبير وطائفة من السلف في ذلك مارواه ابن جرير وغيره والله أعلم ، وقيل المراد بهمه بها خطرات حديث النفس حكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق ثم أورد البغوي ههنا حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى : إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوهاله حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها ، وإن هم بسيئة فلم يعملهافاكتبوها حسنة فانما تركها من جرائي فان عملها فاكتبوها بمثلها » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها ، وقيل هم بضربها ، وقيل تمناها زوجة وقيل هم بها لولاأن رأى برهان ربه أي فلم يهم بها ، وفي هذا القول نظر من حيث العربية حكاه ابن جرير وغيره ، وأما البرهان الذي رآه ففيه أقوال أيضا فعن ابن عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة وأبي صالح

رضي الله عنها انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وعن مجاهد قال حل سراويله وجعل يعالج ثيابه ، وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان فما بينهما فضرب باحدى يديه إلى جيد يوسف وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال أبو عبيد القاسم بن سلام قدأنكر قوم هذا القول وقالوا هذا لايليق بحال الانبياء والقول ماقال متقدمو هذه الامة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الانبياء من غير علم ، وقال السدي وابن اسحاق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت يايوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسمي قالت ما أحسن عينك قال هي أول ما تسيل على وجهي في قبري قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله وقيل إنها قالت ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال إذاً يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امرأة حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به وهم بها ثم ان الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره وزعم بعض المتأخرين ان هذا لايليق بحال الانبياء عليهم السلام وقالوا تم الكلام عندقوله ولقد همت به ثم ابتدأ الخبر عن يوسف عليه السلام فقال وهم بها لولا أن رأى برهان ربه على التقديم والتأخير أي لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ولكنه رأى البرهان فلم يهم وانكره النحاة وقالوا إن العرب لاتؤخر لولا عن الفعل فلا تقول لقد قمت لولا زيد وهو يريد لولا زيد لقمت وقيل همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يوسف أي تمنى أن تكون له زوجة وهذا التأويل وامثاله غير مرضية لمخالفتها تأويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم ، وقال بعضهم ان القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر والصغائر تجوز على الانبياء عليهم السلام ، وروى أن يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج من السجن وأقرت المرأة قال يوسف (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) قال له جبريل ولا حين هممت بها يايوسف فقال يوسف عند ذلك (وما أبريء نفسي) الآية ، وقال الحسن البصري إن الله تعالى لم يذكر

والضحاك ومحمد بن إسحاق وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على أصبعه بفمه وقيل عنه في رواية فضرب في صدر يوسف ، وقال العوفي عن ابن عباس رأى خيال الملك يعني سيده وكذا قال محمد ابن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم انما هو خيال قطفير سيده حين دنا من الباب :

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي مودود سمعت من محمد بن كعب القرظي قال رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فاذا كتاب في حائط البيت (لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) وكذا رواه أبو معشر المدني عن محمد بن كعب ، وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن أبي صخر قال سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رآه يوسف ثلاث آيات من من كتاب الله (ان عليكم لحافظين) الآية وقوله (وما تكون في شأن) الآية وقوله (أفمن هو قائم

ذنوب الانبياء عليهم السلام في القرآن ليعيرهم ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم ولئلا ييأس أحد من رحمته وقيل إنه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة ويلقاه جميع الخلق يوم القيامة على انكسار المعصية وقيل ليجعلهم أئمة لاهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الاياس من المغفرة والعفو وقال بعض أهل الحقائق الهم همان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز والعبد مأخوذ به ، وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به مالم يتكلم أو يعمل أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل « إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فانا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشر امثالها وإذا تحدث بان يعمل سيئة فانا أغفرها له مالم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها سيئة » قوله عز وجل ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ اختلفوا في ذلك البرهان قال قتادة وأكثر المفسرين انه رأى صورة يعقوب وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الانبياء ، وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عليه السلام عاضا على أصبعه . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله ، وقال السدي نودي يا يوسف تواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لا يطاق ، ومثلك إن تواقعها مثله اذا مات ووقع في الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ، ومثلك إن واقعتها مثل الثور يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفعه عن نفسه ، وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (وهم بها) قال حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها (وإن عليكم لحافظين * كراما

على كل نفس بما كسبت) قال نافع سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي وزاد آية رابعة (ولا تقربوا الزنا) وقال الاوزاعي رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك . قال ابن جرير والصواب أن يقال انه رأى آية من آيات الله تزجره عما كان همّ به وجائز أن يكون صورة يعقوب وجائز أن يكون صورة الملك وجائز أن يكون ماراه مكتوبا من الزجر عن ذلك ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال تعالى وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) أي كما أريناه برهانا صرفه عما كان فيه كذلك نقيه السوء والفحشاء في جميع أموره (انه من عبادنا المخلصين) أي من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الاخيار صلوات الله وسلامه عليه

واستبقا الباب وقدَّت قميصهُ من دُبُرٍ وألفيا سيدها لدى الباب قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم (٢٥) قال هي راودتني عن نفسي وشهد

كاتبين * يعلمون ماتفعلون) فقام هاربا وقامت ، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهرت تلك الكف مكتوبا عليها (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) فقام هاربا وقامت ، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهر ورأى تلك الكف مكتوبا عليها (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام عاضا على أصبعه يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الانبياء ، وروي أنه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من أنامله ، وقال محمد ابن كعب القرظي رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين هم بها فرأى كتابا في حائط البيت (لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) وروى عطية عن ابن عباس في البرهان أنه رأى مثال الملك وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما : البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين مايسخط الله عز وجل ، وعن علي بن الحسين قال : كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب فقال لها يوسف : لم فعلت هذا ؟ فقالت استحييت منه أن يراني على المعصية ، فقال يوسف أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه فأنا أحق أن أستحي من ربي وهرب ، قوله عز وجل (لولا أن رأى برهان ربه) جواب لولا محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لواقع المعصية ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ فالسوء الاثم ، وقيل السوء القبيح والفحشاء الزنا ﴿ انه من عبادنا المخلصين ﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة (المخلصين) بفتح اللام حيث كان اذا لم يكن بعده ذكر الدين زاد الكوفيون مخلصا في سورة مريم عليه السلام ففتحوا ومعنى المخلصين المختارين للنبوة دليله (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) وقرأ الآخرون بكسر اللام أي المخلصين لله الطاعة والعبادة

قوله تعالى ﴿ واستبقا الباب ﴾ وذلك أن يوسف لما رأى البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هاربا

شاهد من أهلها ان كان قميصه قُدَّ من قُبُل فصدقت وهو من الكذبين (٢٦) وان كان قميصه قد من دُبُر فكذبت وهو من الصدقين (٢٧) فلما رءا قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم (٢٨) يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخطئين (٢٩)

يخبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستبقان الى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع الى البيت فلحقته في أثناء ذلك فأمسكت بقميصه من ورائه فقدّته قداً فظيعا يقال انه سقط عنه واستمر يوسف هاربا ذاهبا وهي في أثره فألفيا سيدها وهو زوجها عند الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها (ماجزاء من أراد بأهلك سوءا) أي فاحشة (إلا أن يسجن) أي يحبس (أو عذاب أليم) أي يضرب ضربا شديدا موجعا. فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رمته به من الخيانة، و(قال) باراً صادقا (هي راودتني عن نفسي) وذكر أنها اتبعته تجذبه اليها حتى قدت قميصه (وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل) أي من قدامه (فصدقت) أي في قولها انه راودها على نفسها لانه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته في صدره فقدت قميصه فيصح ماقالت (وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده اليها فقدت قميصه من ورائه وقد اختلفوا في هذا الشاهد هل هو صغير أو كبير؟ على قولين لعلماء السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (وشهد شاهد من أهلها) قال ذو لحية وقال الثوري عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس كان من خاصة الملك وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن

وتبعته المرأة تمسك الباب حتى لايخرج يوسف فسبق يوسف وأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها حتى لايخرج ﴿وقدت قميصه﴾ أي فشقته ﴿من دبر﴾ أي من خلف، فلما خرجا لقيا العزيز وهو قوله ﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾ أي وجدا زوج المرأة قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته و﴿قالت﴾ سابقة بالقول لزوجها ﴿ماجزاء من أراد بأهلك سوأ﴾ يعني الزنا، ثم خافت عليه أن يقتله فقالت ﴿الا أن يسجن﴾ أي يحبس ﴿أو عذاب أليم﴾ أي ضرب بالسياط فلما سمع يوسف مقالتها ﴿قال هي راودتني عن نفسي﴾ يعني طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت منها، وقيل ماكان يريد يوسف أن يذكرها، فلما قالت المرأة (ماجزاء من أراد بأهلك سوأ) ذكره فقال (هي راودتني عن نفسي) ﴿وشهد شاهد﴾ وحكم حاكم ﴿من أهلها﴾ اختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك: كان صبيا في المهد أنطقه الله عز وجل وهو رواية العوفي

وقتادة والسدي ومحمد بن اسحاق وغيرهم أنه كان رجلا ، وقال زيد بن أسلم والسدي كان ابن عمها وقال ابن عباس كان من خاصة الملك ، وقد ذكر ابن اسحاق أن زليخا كانت بنت اخت الملك الريان بن الوليد وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (وشهد شاهد من أهلها) قال كان صبيا في المهد وكذا روي عن أبي هريرة وهلال بن يساف والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبيا في الدار واختاره ابن جرير وقد ورد فيه حديث مرفوع فقال ابن جرير حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « تكلم أربعة وهم صغار » فذكر فيهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان من أمر الله تعالى ولم يكن انسيا وهذا قول غريب

وقوله (فلما رأى قميصه قد من دبر) أي لما تحقق زوجها صدق يوسف و كذبها فيما قذفته ورمته به (قال انه من كيدكن) أي ان هذا البهت واللطخ الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن (إن كيدكن عظيم) ثم قال آمراً ليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع (يوسف أعرض عن هذا) أي اضرب عن هذا صفحا أي فلا تذكره لأحد (واستغفري لذنبك) يقول لامرأته وقد كان لين العريكة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « تكلم في المهد أربعة وهم صغار : ابن ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم عليه السلام » وقيل كان ذلك الصبي ابن خال المرأة ، وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا رأي وقال السدي هو ابن عم راعيل فحكم فقال ﴿ إن كان قميصه قد من قبل ﴾ أي من قدام ﴿ فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى ﴾ قطفير ﴿ قميصه قد من دبر ﴾ عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام ﴿ قال ﴾ لها ﴿ انه ﴾ أي ان هذا الصنيع ﴿ من كيدكن ان كيدكن عظيم ﴾ وقيل ان هذا من قول الشاهد ، ثم أقبل قطفير على يوسف فقال ﴿ يوسف ﴾ أي يا يوسف ﴿ أعرض عن هذا ﴾ أي عن هذا الحديث فلا تذكره لأحد حتى لا يشيع ، وقيل معناه لا تكترث به فقد بان عذرك وبراءتك ثم قال لامرأته ﴿واستغفري لذنبك﴾ أي توبي إلى الله ﴿ انك كنت من الخاطئين ﴾ من المذنبين ، وقيل ان هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعيل وأراد بقوله (واستغفري لذنبك) أى سلي زوجك أن لا يعاقبك ويصفح عنك (انك كنت من الخاطئين) من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه ، وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لانه لم يقصد به الخبر عن النساء ، بل قصد به الخبر عمن

سهلا أي أنه عذرها لأنها رأت مالا صبر لها عنه فقال لها استغفري لذنبك أي الذى وقع منك من ارادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو بريء منه (انك كنت من الخاطئين)

وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتىها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنرىها في ضلال مبين (٣٠) فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حش لله ماهذا بشرا ان هذا إلا ملك كريم (٣١) قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصغرين (٣٢) قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجهلين (٣٣) فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم (٣٤)

يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة وهي مصر حتى تحدث به الناس ، (وقال نسوة في المدينة) مثل نساء الكبراء والامراء ينكرن على امرأة العزيز وهو الوزير ويعبن ذلك عليها (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أي تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها (قد شغفها حبا) أي قد وصل حبه إلى شغاف قلبها وهو غلافه قال الضحاك عن ابن عباس الشغف الحب القاتل والشعف دون ذلك والشغاف حجاب القلب (انا لنراها في ضلال مبين) أي في صنيعها هذا من حبها فتاها ومراودتها اياه عن نفسه (فلما سمعت بمكرهن) قال بعضهم بقولهن ذهب الحب بها

يفعل ذلك تقديره من القوم الخاطئين ، كقوله تعالى (وكانت من القانتين) بيانه قوله تعالى (انها كانت من قوم كافرين)

قوله عز وجل ﴿ وقال نسوة في المدينة ﴾ الآية يقول شاع أمر يوسف والمرأة في المدينة مدينة مصر وقيل مدينة عين الشمس وتحدثت النساء بذلك وقلن وهن خمس نسوة امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب الدواب وامرأة الخباز وامرأة الساقي وامرأة صاحب السجن قاله مقاتل وقيل هن نسوة من أشراف مصر ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها ﴾ أي عبدها الكنعاني ﴿ عن نفسه ﴾ أي تطلب من عبدها الفاحشة ﴿ قد شغفها حبا ﴾ أي علقها حبا قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لاتعقل سواه وقيل أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها أي داخل قلبها قال السدي الشغاف جلدة رقيقة على القلب يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب وقرأ الشعبي والاعرج شعفها بالعين غير المعجمة معناه

وقال محمد بن إسحاق بل بلغهن حسن يوسف فأحببن أن يرينه فقلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته فعند ذلك (أرسلت اليهن) أي دعتهن إلى منزلها لتضيفهن (واعتدت لهن متكأ) قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن والسدي وغيرهم هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه مايقطع بالسكاكين من أترج ونحوه ولهذا قال تعالى (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن في احتيالهن على رؤيته (وقالت اخرج عليهن) وذلك أنها كانت قد خبأته في مكان آخر (فلما) خرج و (رأينه أكبرنه) أى أعظمن شأنه وأجللن قدره وجعلن يقطعن أيديهن دهشا برؤيته وهن يظنن أنهن يقطعن الاترج بالسكاكين والمراد أنهن حززن أيديهن بها قاله غير واحد وعن مجاهد وقتادة قطعن أيديهن حتى ألقينها فالله أعلم

كل مذهب ومنه شعف الجبال وهو رءوسها ﴿ إنا لنراها في ضلال مبين ﴾ أي خطأ ظاهر وقيل معناه انهـا تركت ما يكون عليه أمثـالها من العفاف والستر ﴿ فلما سمعت ﴾ راعيل ﴿ بمكرهن ﴾ بقولهن وحديثهن قاله قتـادة والسدي ، وقال ابن إسحاق انما قلن ذلك مكراً بها لتريهن يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله وقيل انها أفشت اليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك فلذلك سماه مكرا ﴿ أرسلت اليهن ﴾ قال وهب اتخذت مأدبة ودعت أربعـين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيرنها ﴿ وأعتدت ﴾ أي أعدت ﴿ لهن متكأ ﴾ أي مايتكأ عليه ، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد (متكأ) أي طعاما سماه متكأ لأن أهل الطعام اذا جلسوا يتكئون على الوسائد فسمي الطعام متكأ على الاستعارة يقال اتكأنا عند فلان أي طعمنا ويقال المتكأ ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام ويقرأ في الشواذ متكأ بسكون التاء واختلفوا في معناه فقال ابن عباس هو الاترج وقد روي عن مجاهد مثله وقيل هو الاترج بالحبشية ، وقال الضحاك هو الزباورد ، وقال عكرمة هو كل شيء يقطع بالسكين ، وقال أبو زيد الانصاري كل مايحز بالسكين فهو عند العرب متك والمتك والبتك بالميم والباء القطع ، فزينت المأدبة بألوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة ﴿ وآتت ﴾ أعطت ﴿ كل واحدة منهن سكينا ﴾ فكن يأكلن اللحم حزاً بالسكين ﴿ وقالت ﴾ ليوسف ﴿ اخرج عليهن ﴾ وذلك انها كانت أجلسته في مكان آخر فخرج عليهن يوسف ، قال عكرمة : كان فضل يوسف على سائر الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم ، وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت ليلة أسري بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر» قال إسحاق بن أبي فروة : كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران ﴿ فلما رأينه أكبرنه ﴾ أعظمنه ، قال أبو العالية : هالهن أمره وبهتن وقيـل أكبرنه أي حضن لأجله من جماله ولا يصح ﴿ وقطعن ﴾ أي حززن بالسكاكين التي معهن ﴿ أيديهن ﴾ وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف ، قال مجاهد فما أحسسن إلا بالدم وقال قتادة ابن أيديهن

وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعد ما أكلن وطابت أنفسهن ثم وضعت بين أيديهن أترجا وآتت كل واحدة منهن سكينا هل لكن في النظر الى يوسف ؟ قلن نعم فبعثت اليه تأمره أن اخرج اليهن فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلا ومدبرا فرجع وهن يحززن في أيديهن فلما أحسسن بالالم جعلن يولولن فقالت أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا فكيف ألام أنا ؟ (فقلن حاش لله ماهذا بشراً ان هذا الا ملك كريم) ثم قلن لها وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذي رأيناء لأنهن لم يرين في البشر شبيهه ولا قريبا منه فانه عليه السلام كان قد أعطي شطر الحسن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال « فاذا هو قد أعطي شطر الحسن » وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « أعطي يوسف وأمه شطر الحسن » وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عن عبدالله بن مسعود قال أعطي يوسف وأمه ثلث الحسن ، وقال أبو إسحاق أيضا عن أبي الاحوص عن عبدالله قال : كان وجه يوسف مثل البرق وكانت المرأة اذا أتته لحاجة غطى وجهه مخافة أن تفتتن به ورواه الحسن البصري مرسلا عن النبي ﷺ أنه قال « أعطي يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا ، وأعطي الناس الثلثين » أو قال « أعطي يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث »

وقال سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي قال : قسم الحسن نصفين فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق : وقال الامام أبو القاسم السهيلي معناه أن يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام فان الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله وكان يوسف قد أعطي شطر حسنه فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته (حاش لله) قال مجاهد وغير واحد معاذ الله (ماهذا بشرا) وقرأ بعضهم ماهذا بشرى أي بمشترى بشراء (ان هذا الا ملك كريم * قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) تقول

حتى ألقينها والأصح انه كان قطعا بلا ابانة وقال وهب ماتت جماعة منهن ﴿ وقلن حاش لله ماهذا بشراً ﴾ أي معاذ الله أن يكون هذا بشراً. حاشا لله باثبات الالف في الحرفين قرأها أبو عمرو في الوصل على الاصل ، وقرأ الآخرون بحذف الالف في الحرفين لكثرة دورها على الالسن واتباع الكتاب وقوله (ماهذا بشرا) نصب بنزع حرف الصفة أي ببشر ﴿ إن هذا ﴾ أي ماهذا ﴿ إلا ملك ﴾ من الملائكة ﴿ كريم ﴾ على الله ﴿ قالت ﴾ يعني راعيل ﴿ فذلكن الذي لمتنني فيه ﴾ أي في حبه ثم صرحت بما فعلت فقالت ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي امتنع وانما صرحت به لانها علمت أن لا ملامة عليها منهن وقد أصابهن ما أصابها من رؤيته فقلن له أطع مولاتك ؟ فقالت راعيل ﴿ ولئن لم يفعل ما آمره ﴾ ولئن لم يطاوعني فيما دعوته اليه ﴿ ليسجنن ﴾ أي ليعاقبن بالحبس ﴿ وليكونا من الصاغرين ﴾ من الاذلاء ، ونون التوكيد تثقل وتخفف والوقف على قوله (ليسجنن) بالنون لانها

هذا معتذرة إليهن بأن هذا حقيق أن يحب لجماله وكماله (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم)أي فامتنع قال بعضهم لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن وهي العفة مع هذا الجمال ثم قالت تتوعده (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فعند ذلك استعاذ يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن وقال (رب السجن أحب إلي مما يدعونني اليه) أي من الفاحشة (وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن) أي إن وكلتني إلى نفسي فليس لي منها قدرة ولا أملك لها ضراً ولا نفعا الا بحولك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تكلني إلى نفسي (أصب اليهن وأكن من الجاهلين * فاستجاب له ربه) الآية ، وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا في غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهي امرأة عزيز مصر وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه

ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « سبعة يظلهم في ظله يوم لاظل إلا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماأنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »

ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيٰت ليسجننه حتىٰ حين (٣٥)

يقول تعالى ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلى حين أي إلى مدة وذلك بعد

مشددة وعلى قوله (وليكونا) بالالف لأنها مخففة وهي شبيهة نون الاعراب في الاسماء كقولك رأيت رجلا واذا قفت قلت رأيت رجلا بالالف ومثله (لنسفعاً بالناصية) فاختار يوسف عليه السلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة ﴿قال رب﴾ أي يارب ﴿ السجن أحب إليّ مما يدعونني اليه ﴾ قيل كان الدعاء منها خاصة ولكنه أضافه اليهن خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعاً دعونه الى أنفسهن ، قرأ يعقوب وحده (السجن) بفتح السين ، وقرأ الآخرون بكسرها واتفقوا على كسر السين في قوله (دخل معه السجن) وقيل لو لم يقل (السجن أحب إليّ) لم يبتل بالسجن ، والأولى بالمرء أن يسأل الله العافية

قوله تعالى ﴿ وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن ﴾ أمل اليهن وأتابعهن يقال صبا فلان الى كذا يصبو صبوا وصبوًّا وصبوة اذا مال واشتاق اليه ﴿وأكن من الجاهلين ﴾ فيه دليل على ان المؤمن اذا ارتكب ذنباً يرتكبه عن جهالة ﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ﴾ السميع لدعائه العليم بمكرهن ﴿ ثم بدا لهم ﴾ يعني للعزيز وأصحابه في الرأي وذلك انهم أرادوا أن

ماعرفوا براءته وظهرت الآيات وهي الادلة على صدقه في عفته ونزاهته وكأنهم والله أعلم انما سجنوه لما شاع الحديث ايهاما أنه راودها عن نفسها وأنهم سجنوه على ذلك ، ولهذا لما طلبه الملك الكبير في آخر المدة امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نسب اليه من الخيانة ، فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي العرض صلوات الله عليه وسلامه ، وذكر السدي أنهم انما سجنوه لئلا يشيع ما كان منها في حقه ويبرأ عرضه فيفضحها

ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمراً ، وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين (٣٦)

قال قتادة كان أحدهما ساقي الملك والآخر خبازه ، قال محمد بن اسحاق كان اسم الذى على الشراب نبو والآخر مجلث ، قال السدى كان سبب حبس الملك اياهما أنه توهم أنهما تمالأى على سمه في طعامه وشرابه وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والامانة وصدق الحديث وحسن السمت وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه ، ومعرفة التعبير والاحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم ، ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تآلفا به وأحباه حبا شديداً وقالا له : والله لقد أحببناك حبا زائداً ، قال بارك الله فيكما انه ما أحبني أحد الا دخل علي من محبته ضرر ، أحبتنى عمتي فدخل علي الضرر بسببها ، وأحبني أبي فأوذيت بسببه ، وأحبتنى امرأة العزيز

يقتصروا من امر يوسف على الامر بالاعراض ثم بدا لهم أن يحبسوه ﴿ من بعد مارأوا الآيات ﴾ الدالة على براءة يوسف من قدّ القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن ﴿ ليسجننه حتى حين ﴾ الى مدة يرون فيه رأيهم ، وقال عطاء الى أن تنقطع مقالة الناس ، قال عكرمة سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين ، قال السدي وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم اني راودته عن نفسه فاما أن تأذن لي أن أخرج فأعتذر الى الناس وإما أن تحبسه فحبسه وذكر ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف عليه السلام من همه بالمرأة ، قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين همّ بها فسجن وحين قال (اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين) وحين قال للاخوة (انكم لسارقون) فقالوا (إن يسرق فقد سرق اخ له من قبل)

قوله تعالى ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ وهما غلامان كانا للريان بن الوليد بن شروان العمليق ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه غضب الملك عليهما فحبسهما وكان السبب فيه ان جماعة من أهل مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فأجاباهم ثم ان الساقي نكل عنه وقبل الخباز الرشوة فسمّ الطعام ، فلما أحضر الطعام والشراب قال الساقي لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم ، وقال الخباز لا تشرب

فكذلك ، فقالا والله ما نستطيع الا ذلك ، ثم إنهما رأيا مناما فرأى الساقي أنه يعصر خمراً يعني عنبا وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود اني أراني أعصر عنبا ، ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن يزيد بن هارون عن شريك عن الاعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود أنه قرأها أعصر عنبا . وقال الضحاك في قوله (اني أعصر خمراً) يعني عنبا ، قال وأهل عمان يسمون العنب خمراً ، وقال عكرمة : قال له اني رأيت فيما يرى النائم أني غرست حبلة من عنب فنبتت فخرج فيها عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال : تمكث في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خمراً ، وقال الآخر وهو الخباز (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) الآية ، والمشهور عند الاكثرين ما ذكرناه أنهما رأيا مناما وطلبا تعبيره . وقال ابن جرير حدثنا وكيع وابن حميد قالا حدثنا

فان الشراب مسموم ، فقال الملك للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فأبى فجرب ذلك الطعام على دابة فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما ، وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول إني أعبر الاحلام . فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبراني فتراءيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً ، قال ابن مسعود ما رأيا شيئا وانما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا رأيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما غلامان الملك وقد حبسهما وقد رأيا رؤيا غمتهما فقال يوسف قصّا عليّ ما رأيتما فقصا عليه ﴿ فقال أحدهما ﴾ وهو صاحب الشراب ﴿ إني أراني أعصر خمرا ﴾ أي عنبا سمي العنب خمراً باسم ما يؤول اليه كما يقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن للآجر ، وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رأيت كأني في بستان فاذا أنا بأصل حبلة عليها ثلاث عناقيد من العنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه ﴿ وقال الآخر ﴾ وهو الخباز ﴿ إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ﴾ وذلك انه قال اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والالوان من الاطعمة وسباع الطير ينهشن وينهبن منه ﴿ نبئنا بتأويله ﴾ أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول اليه أمر هذه الرؤيا ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ أي العالمين بعبارة الرؤيا والاحسان بمعنى العلم ، وروي ان الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله (إنا نراك من المحسنين) ما كان احسانه ، قال كان اذا مرض انسان في السجن عاده وقام عليه واذا ضاق عليه المجلس وسع له واذا احتاج الى شيء جمع له شيئاً وكان مع هذا يجتهد في العبادة ويقوم الليل كله للصلاة ، وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم وجعل يقول لهم أبشروا واصبروا تؤجروا فيقولون بارك الله فيك يافتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يافتى ؟ قال : أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحق ابن خليل الله ابراهيم . فقال له عامل السجن . يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك فتمكن في أي بيوت

جرير عن عمارة بن القعقاع عن ابراهيم عن عبد الله بن مسعود قال : مارأى صاحبا يوسف شيئا انما كانا تحالما ليجربا عليه

قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمني ربي ، اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون (٣٧) واتبعت ملة آباءي ابراهيم واسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (٣٨)

يخبرهما يوسف عليه السلام أنهما مهما رأيا في منامهما من حلم فانه عارف بتفسيره ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال (لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) قال مجاهد يقول (لا يأتيكما طعام ترزقانه) في يومكما (الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) وكذا قال السدي وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا محمد بن يزيد شيخ له ثنا رشدين عن الحسن بن ثوبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : ماأدري لعل يوسف عليه السلام كان يعتاف وهو كذلك[1] لاني أجد في كتاب الله حين قال للرجلين (لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) قال اذا جاء الطعام حلواً أو مراً اعتاف عند ذلك ، ثم قال ابن عباس انما علم فعلم وهذا أثر غريب ثم قال وهذا انما هو من تعليم الله اياي لأني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر فلا يرجون ثوابا ولا عقابا في المعاد (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب) الآية ، يقول هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين فان الله يهدي قلبه ويعلمه مالم يكن يعلم ويجعله اماما يقتدى به

«١» بل ليس الامر كذلك فالعيافة ضرب من الكهانة وما أبعدها عن الانبياء واعتاف تكهن بحركات الطير أو لحن الكلام بتمن او تشاؤم وانما اخبار يوسف وتأويله للرؤى الصحيحه وحي والهام من تعليم ربه كما قال

السجن حيث شئت . وروي أن الفتيين لما رأيا يوسف قالا له لقد أحببناك حين رأيناك . فقال لهما يوسف أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي بلاء ثم أحبني أبي فألقيت في الجب وأحبتني امرأة العزيز فحبست ، فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبر لهما ماسألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره من اظهار المعجزة والدعاء الى التوحيد و﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه ﴾ قيل أراد به في النوم يقول (لا يأتيكما طعام ترزقانه) في نومكما ﴿ الا نبأتكما بتأويله ﴾ في اليقظة وقيل أراد به في اليقظة يقول (لا يأتيكما طعام) من منازلكما (ترزقانه) تطعمانه وتأكلانه (الا نبأتكما بتأويله) بقدره ولونه والوقت الذي يصل فيه اليكما ﴿ قبل أن يأتيكما ﴾ قبل أن يصل اليكما وأي طعام أكلتم وكم أكلتم

في الخير وداعيا إلى سبيل الرشاد (ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) هذا التوحيد وهو الاقرار بأنه لا إله الا الله وحده لاشريك له (من فضل الله علينا) أي أوحاه الينا وأمرنا به (وعلى الناس) إذ جعلنا دعاة لهم إلى ذلك (ولكن أكثر الناس لايشكرون) أي لايعرفون نعمة الله عليهم بارسال الرسل اليهم بل (بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يجعل الجد أبا ويقول والله لمن شاء لاعنته عند الحجر ماذكر الله جداً ولا جدة قال الله تعالى يعني اخباراً عن يوسف (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب)

يٰصٰحِبَيِ السجنِ ءأربابٌ متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ (٣٩) ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان إن الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون (٤٠)

ثم ان يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لاشريك له وخلع ماسواه من الاوثان التي يعبدها قومهما فقال (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) أي الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه ، ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة انما هو جعل منهم وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله ولهذا قال (ماأنزل الله بها من سلطان) أي حجة ولا برهان ، ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله وقد أمر عباده قاطبة أن لايعبدوا الا إياه ثم قال تعالى (ذلك الدين القيم) أي هذا الذي

ومتى أكلتم فهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال :(وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) فقالا هذا من فعل العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم ؟ فقال ما أنا بكاهن وانما ﴿ذلكما﴾ العلم ﴿ مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ وتكرارهم على التأكيد ﴿ واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ﴾ أظهر انه من أولاد الانبياء ﴿ ما كان لنا ﴾ ماينبغي لنا ﴿ ان نشرك بالله من شيء ﴾ معناه ان الله قد عصمنا من الشرك ﴿ ذلك ﴾ التوحيد والعلم ﴿من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ ما بين لهم من الهدى ﴿ ولكن اكثر الناس لا يشكرون ﴾ ثم دعاهما الى الاسلام فقال ﴿ياصاحبي السجن﴾ جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه كما يقال لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار ﴿أأرباب متفرقون﴾ أي آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة وهذا من حديد وهذا أعلى وهذا أوسط وهذا أدنى متباينون لاتضر ولا تنفع ﴿خير أم الله الواحد القهار﴾ الذي لاثاني له القهار الغالب على الكل ثم بين عجز الاصنام فقال ﴿ماتعبدون من دونه﴾ أي من دون

أدعوكم اليه من توحيد الله واخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فلهذا كان أكثرهم مشركين (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقد قال ابن جريج انما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا لأنه عرف أنها ضارة لأحدهما فأحب أن يشغلهما بغير ذلك لئلا يعاودوه فيها فعاودوه فأعاد عليهم الموعظة ، وفي هذا الذي قاله نظر لأنه قد وعدهما أولا بتعبيرها ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسببا إلى دعائهما إلى التوحيد والاسلام لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والاقبال عليه والانصات اليه ، ولهذا لما فرغ من دعوتهما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال فقال

يٰصٰحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، قضي الامر الذي فيه تستفتيان (٤١)

يقول لهما (ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا) وهو الذي رأى أنه يعصر خمرا ولكنه لم يعينه لئلا يحزن ذاك ولهذا أبهمه في قوله (وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) وهو في نفس الامر الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه وهو واقع لامحالة لان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت ، وقال الثوري عن عمارة بن القعقاع عن ابراهيم عن عبدالله قال : لما قالا ماقالا وأخبرهما قالا مارأينا شيئا فقال (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) ورواه محمد بن فضيل عن عمارة عن ابراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به وكذا فسره مجاهد وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وحاصله أن من تحلم بباطل وفسره فانه يلزم بتاويله والله أعلم ، وقد ورد في الحديث الذي رواه الامام احمد عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ قال « الرؤيا

الله وإنما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للاثنين لانه أراد جميع أهل السجن وكل من هو على مثل حالهما من أهل الشرك ﴿ الا اسماء سميتموها ﴾ آلهة وأربابا خالية عن المعنى لاحقيقة لتلك الاسماء ﴿أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿إن الحكم﴾ ماالقضاء والامر والنهي ﴿ الا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ أي المستقيم ﴿ ولكن اكثر الناس لايعلمون ﴾ ثم فسر رؤياهما فقال ﴿ياصاحبي السجن أما احدكما﴾ وهو صاحب الشراب ﴿فيسقي ربه﴾ يعني الملك ﴿خمرا﴾ والعناقيد الثلاثة ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك بعد الثلاثة أيام ويرده إلى منزلته التي كان عليها ﴿ وأما الآخر ﴾ يعني صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد ثلاثة أيام والسلال الثلاث ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرجه فيأمر به ﴿ فيصلب فتأكل الطير من رأسه ﴾ قال ابن مسعود لما سمعا قول يوسف قالا ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب قال يوسف ﴿ قضي الامر الذي فيه تستفتيان ﴾ أي فرغ من

على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت »[١] وفي مسند أبي يعلى من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا « الرؤيا لأول عابر »

وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (٤٢)

لما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم - لئلا يشعره أنه المصلوب - قال له اذكرني عند ربك يقول اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسي ذلك الموصي أن يذكر مولاه الملك بذلك وكان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن هذا هو الصواب أن الضمير في قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن اسحاق وغير واحد ويقال ان الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير ههنا حديثا فقال : حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال : قال النبي ﷺ « لولم يقل - يعني يوسف - الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله » وهذا الحديث ضعيف جداً لان سفيان بن وكيع ضعيف وابراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضا ، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم ، وأما البضع فقال مجاهد وقتادة هو ما بين الثلاث إلى التسع ، وقال وهب بن منبه مكث أيوب في البلاء سبعا ويوسف في السجن سبعا وعذب بختنصر سبعا ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (فلبث في السجن بضع سنين) قال ثنتا عشرة سنة ، وقال الضحاك أربعة عشر سنة

الامر الذي عنه تسألان ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما به رأيتما أو لم تريا ﴿وقال﴾ يعني يوسف عند ذلك ﴿للذي ظن﴾ علم ﴿أنه ناج منهما﴾ وهو الساقي ﴿اذكرني عند ربك﴾ يعني سيدك الملك وقل له ان في السجن غلاما محبوسا ظلما طال حبسه ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ قيل أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف للملك تقديره فانساه الشيطان ذكره لربه ، وقال ابن عباس وعليه الاكثرون أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان ﴿فلبث﴾ فمكث ﴿في السجن بضع سنين﴾ واختلفوا في معنى البضع فقال مجاهد ما بين الثلاث الى السبع ، وقال قتادة ما بين الثلاث الي التسع ، وقال ابن عباس ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته

« ١ » زاد في حديث ابي رزين عند ابي داود وابن ماجه « ولا تقصها الا على وادأو ذي رأي »

وقال الملك اني أرى سبع بقرٰت سمانٍ يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابست يأيها الملأ أفتوني في رؤيي ان كنتم للرءيا تعبرون (٤٣) قالوا أضغٰث أحلٰم وما نحن بتأويل الأحلٰم بعٰلمين (٤٤) وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلونِ (٤٥) يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرٰت سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابست، لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون (٤٦) قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون (٤٧) ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون (٤٨) ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون (٤٩)

اثنا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وعذب بختنصر بحول في السباع سبع سنين قال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ولن اعود وقال الحسن دخل جبريل على يوسف في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يا أخا المنذرين، مالي أراك بين الخاطئين؟ فقال له جبريل يا طاهر بن الطاهرين، يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول لك اما استحييت مني ان استشفعت بالآدميين؟ فوعزتي وجلالي لألبثنك في السجن بضع سنين، فقال يوسف وهو في ذلك عني راض؟ قال نعم قال إذاً لا أبالي. وقال كعب قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول من خلقك؟ قال الله عز وجل، قال فمن حببك إلى أبيك؟ قال الله، قال فمن نجاك من كرب البئر؟ قال الله، قال فمن علمك تأويل الرؤيا؟ قال الله قال، فمن صرف عنك السوء والفحشاء؟ قال الله قال فكيف استشفعت بآدمي مثلك؟ فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف رأى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن فلم ير منهن شيئا ولم يتبين على العجاف منها شيء ثم رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ولم يبق من خضرتها شيء فجمع السحرة والكهنة والحادة والمعبرين وقص عليهم رؤياه فذلك قوله تعالى ﴿وقال الملك إني أري سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر

هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سببا لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززاً مكرما ، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها فجمع الكهنة والحادة وكبار دولته وأمراءه فقص عليهم مارأى وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا اليه بأنها (أضغاث أحلام) أي أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) أي لو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها فعند ذلك تذكر الذي نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك فعند ذلك تذكر بعد أمة أي مدة وقرأ بعضهم بعد أمة أي بعد نسيان فقال لهم أي للملك والذين جمعهم لذلك (أنا أنبئكم بتأويله) أي بتأويل هذا المنام (فأرسلون) أي فابعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن ، ومعنى الكلام فبعثوه فجاء فقال (يوسف أيها الصديق أفتنا) وذكر المنام الذي رآه الملك فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف للفتى في نسيانه ماوصاه به ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك بل قال (تزرعون سبع سنين دأبا) أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الارض التي تستغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر ثم أرشدهم الى مايعتدونه في تلك السنين فقال (فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون) أي مهما استغللتم في هذه السبع السنين الخصب فادخروه في سنبله ليكون أبقى له وأبعد

وأخر يابسات﴾ فقال لهم ﴿يا أيها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون *قالوا اضغاث احلام﴾ اخلاط احلام مشتبهة اهاويل واحدها ضغث واصله الحزمة من انواع الحشيش والاحلام جمع الحلم وهو الرؤيا والفعل منه حلمت احلم بفتح اللام في الماضي وضمها في الغابر حلما وحلما مثقلا ومخففا ﴿وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين*وقال الذي نجا﴾ من القتل ﴿منهما﴾ من الفتيين وهو انساقي ﴿وادكر﴾ اي تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك ﴿بعد امة﴾ اي بعد حين وهو سبع سنين ﴿انا انبئكم بتأويله﴾ وذلك ان الغلام جثا بين يدي الملك وقال ان في السجن رجلا يعبر الرؤيا ﴿فارسلون﴾ وفيه اختصار تقديره فارسلني أيها الملك اليه فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن السجن في المدينة فقال ﴿يوسف﴾ يعني يا يوسف ﴿أيها الصديق﴾ والصديق الكثير الصدق ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ فان الملك رأى هذه الرؤيا ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أهل مصر ﴿لعلهم يعلمون﴾ تأويل الرؤيا وقيل (لعلهم يعلمون) منزلتك في العلم فقال لهم يوسف معبراً ومعلما أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب والبقرات العجاف والسنبلات اليابسات فالسنون المجدبة فذلك قوله تعالى اخباراً عن يوسف ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبا﴾ هذا خبر بمعنى الامر يعني ازرعوا سبع سنين على عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل بجد واجتهاد وقرأ عاصم برواية حفص دأبا بفتح الهمزة وهما لغتان يقال دأبت في الامر ادأب دأبا ودأبا إذا اجتهدت

عن اسراع الفساد اليه الا المقدار الذي تأكلونه وليكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه لتنتفعوا في السبع الشداد وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف اللاتي تأكل السمان لان سني الجدب يؤكل فيها ماجمعوه في سني الخصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئا وما بذروه فلا يرجعون منه الى شيء ولهذا قال (يأكلن ماقدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون) ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أي يأتيهم الغيث وهو المطر وتغل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عاداتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه حتى قال بعضهم يدخل فيه حلب اللبن أيضا . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وفيه يعصرون) يحلبون

وقال الملك ائتوني به ، فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسئله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن ؟ إن ربي بكيدهن عليم (٥٠) قال ماخطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن حش لله ماعلمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصدقين (٥١) ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين (٥٢) وما أبرىء نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم (٥٣)

يقول تعالى إخباراً عن الملك لما رجعوا اليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأنيقه فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه فقال (ائتوني به) أي أخرجوه من السجن وأحضروه فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى

فيه ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ أمرهم بترك الحنطة في السنبلة لتكون أبقى على الزمان ولا تفسد ﴿الا قليلا مما تأكلون﴾ أي تدرسون قليلا للاكل امرهم بحفظ الاكثر والاكل بقدر الحاجة ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ سمى السنين المجدبة شدادا لشدتها على الناس ﴿يأكلن﴾ أي يفنين ويهلكن ﴿ما قدمتم لهن﴾ أي يؤكل فيهن ماأعددتم لهن من الطعام اضاف الاكل الى السنين على طريق التوسع ﴿إلا قليلا مما تحصنون﴾ تحرزون وتدخرون للبذر ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس﴾ أي يمطرون من الغيث وهو المطر وقيل ينقذون من قول العرب استغثت فلانا فاغاثني ﴿وفيه يعصرون﴾ قرأ حمزة والكسائي تعصرون بالتاء لان الكلام كله على الخطاب وقرأ الآخرون بالياء رداً إلى الناس ومعناه يعصرون العنب خمراً والزيتون زيتا والسمسم دهنا وأراد به كثرة النعيم والخير وقال أبوعبيدة يعصرون أي ينجون من الكرب والجدب والعصرة والعصر المنجا والملجأ ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ وذلك أن الساقي لما رجع الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه وعرف الملك ان الذي

يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة عرضه مما نسب اليه من جهة امرأة العزيز وان هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال (ارجع إلى ربك) الآية وقد وردت السنة بمدحه على على ذلك والتنبيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه ففي المسند والصحيحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « نحن أحق بالشك من ابراهيم إذ قال (رب أرني كيف تحيي الموتى) الآية ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن مالبث يوسف لأجبت الداعي » وفي لفظ لأحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم) فقال رسول الله ﷺ « لو كنت أنا لأسرعت الاجابة وما ابتغيت العذر » وقال عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال قال رسول الله ﷺ « لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشترط أن يخرجوني ، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر » هذا حديث مرسل

وقوله تعالى (قال ماخطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه) إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطبا لهن كلهن وهو يريد امرأة وزيره وهو العزيز قال الملك للنسوة اللاتي قطعن أيديهن (ماخطبكن) أي شأنكن وخبركن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) يعني يوم الضيافة (قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء) أي قالت النسوة جوابا للملك حاش لله أن يكون يوسف متهما والله ماعلمنا عليه من سوء فعند ذلك (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) قال

قاله كائن قال (ائتوني به) ﴿ فلما جاءه الرسول ﴾ وقال له أجب الملك أبى أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته ثم ﴿قال﴾ للرسول ﴿ارجع الى ربك﴾ يعني سيدك الملك ﴿فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ ولم يصرح بذكر امرأة العزيز أدبا واحتراما قال النبي ﷺ « لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي » ﴿ ان ربي بكيدهن عليم ﴾ أي ان الله بصنيعهن عالم وإنما أراد يوسف بذكرهن بعد طول المدة حتى لاينظر اليه الملك بعين التهمة والخيانة ويصير اليه بعد زوال الشك عن أمره فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة وامرأة العزيز ﴿ قال ﴾ لهن ﴿ ماخطبكن ﴾ ما شأنكن وأمركن ﴿ إذ راودتن يوسف عن نفسه ﴾ خاطبهن والمراد امرأة العزيز ، وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن جميعاً ﴿ قلن حاش لله ﴾ معاذ الله ﴿ ماعلمنا عليه من سوء ﴾ خيانة ﴿ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ﴾ ظهر وتبين ، وقيل ان النسوة أقبلن على امرأة العزيز فقررنها فأقرت وقيل خافت أن يشهدن عليها

ابن عباس ومجاهد وغير واحد تقول الآن تبين الحق وظهر وبرز (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) أي في قوله (هي راودتني عن نفسي) (ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب) تقول انما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي اني لم أخنه بالغيب في نفس الامر ولا وقع المحذور الاكبر وانما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا اعترفت ليعلم اني بريئة (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي) تقول المرأة ولست أبرئ نفسي فان النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لان (النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) أي الا من عصمه الله تعالى (ان ربي غفور رحيم) وهذا القول هو الاشهر والأليق والانسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الامام أبو العباس بن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة وقد قيل ان ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول ذلك ليعلم اني لم أخنه في زوجته بالغيب الآيتين أى انما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته (بالغيب وان الله لايهدى كيد الخائنين) الآية وهذا القول هو الذى لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ (قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) الآية قال يوسف (ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب) فقال جبريل عليه السلام : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال (وما أبرئ نفسي) الآية وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي والقول الاول أقوى وأظهر لان سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك

فأقرت وقالت ﴿ أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ في قوله هي راودتني عن نفسي ، فلما سمع ذلك يوسف قال ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه ﴿ ليعلم ﴾ العزيز ﴿ أني لم أخنه ﴾ في زوجته ﴿ بالغيب ﴾ أي في حال غيبته ﴿ وأن الله لايهدي كيد الخائنين ﴾ فقوله ذلك ليعلم من كلام يوسف اتصل بقول امرأة العزيز (أنا راودته عن نفسه) من غير تمييز لمعرفة السامعين وقيل فيه تقديم وتأخير تقديرمعناه (ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم * ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) قيل لما قال يوسف هذه المقالة قال له جبريل ولاحين هممت بها ؟ فقال يوسف عند ذلك (وما أبرئ نفسي) قال السدي انما قالت له امرأة العزيز ولا حين حللت سراويلك يايوسف ؟ فقال يوسف ﴿وما أبرئ نفسي﴾ من الخطأ والزلل فأزكيها ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ بالمعصية ﴿ إلا مارحم ربي ﴾ أي الا من رحم ربي فعصمه وما بمعنى من كقوله تعالى (فانكحوا ماطاب لكم) أي من طاب لكم وهم الملائكة عصمهم الله عز وجل فلم يركب فيهم الشهوة وقيل (إلا مارحم ربي) اشارة الى حالة العصمة عند رؤية البرهان ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ فلما تبين

وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين (٥٤)

قال اجعلني على خزائن الارض ، اني حفيظ عليم (٥٥)

يقول تعالى إخباراً عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ونزاهة عرضه مما نسب اليه قال (ائتوني به أستخلصه لنفسي) أى أجعله من خاصتي وأهل مشورتي (فلما كلمه) أى خاطبه

للملك عذر يوسف عليه السلام وعرف أمانته وعلمه اشتاق لرؤيته وكلامه وذلك معنى قوله تعالى اخباراً عنه ﴿ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴾ أي أجعله خالصاً لنفسي ﴿ فلما كلمه ﴾ فيه اختصار تقديره (فجاء الرسول) يوسف فقال له أجب الملك الآن . روي انه قام ودعا لأهل السجن فقال : اللهم عطف عليهم قلب الاخيار ولا تعمّ عليهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار في كل بلد . فلما خرج من السجن كتب على بابه : هـذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ، ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسانا وقصد الملك، قال وهب فلما وقف بباب الملك قال: حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إلـه غيره . ثم دخل الدار فلما دخل على الملك قال : اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ، فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ماهذا اللسان؟ قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له ماهذا اللسان ؟ قال هـذا لسان آبائي ولم يعرف الملك هذين اللسانين . قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما تكلم بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان وزاد عليه بلسان العربية والعبرانيـة فأعجب الملك مارأى منه مع حداثة سنه ، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة فأجلسه و ﴿ قال انك اليوم لدينـا مكين ﴾ المـكانة في الجاه ﴿ أمين ﴾ أى صادق . وروي ان الملك قال له اني أحب أن أسمع رؤياى منك شفاها ؟ فقال له يوسف نعم أيها الملك . رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حـسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليـك من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر اليهن ويعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث غـبر متقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن السمان افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع أخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما أنت تقول في نفسك أي شيء هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في المـاء إذهبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فأحرقتهن فصرن سوداً فهذا مارأيت فانتبهت من نومك مذعوراً . فقال الملك والله ماشأن هـذه الرؤيا وإن كانت عجيبة بأعجب مما سمعت منك فما ترى في رؤياي أيها الصديق ؟ فقال يوسف عليه السلام : أرى أن تجمع

الملك وعرفه ورأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال قال له الملك (إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى انك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة فقال يوسف عليه السلام (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) مدح نفسه ويجوز للرجل ذلك اذا جهل أمره للحاجة وذكر انه حفيظ أى خازن أمين (عليم) ذو علم وبصيرة بما يتولاه . وقال شيبة بن نعامة : حفيظ لما استودعتني عليم بسني الجدب رواه ابن أبي حاتم ، وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس وانما سأله أن

الطعام وتزرع زرعا كثيراً في هذه السنين المخصبة وتجعل الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله ليكون القصب والسنبل علفا للدواب والحب طعاما للناس وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي للميرة فتبيع منهم الطعام وتأخذ ثمنه فيجتمع عندك من الكنوز مالم يجتمع لأحد قبلك . فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفيني الشغل فيه ﴿ فقال ﴾ يوسف ﴿ اجعلني على خزائن الارض ﴾ الخزائن جمع خزانة وأراد خزائن الطعام والاموال والارض أرض مصر أي خزائن أرضك ، وقال الربيع بن أنس أى على خراج مصر ودخله ﴿ إني حفيظ عليم ﴾ أى حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها ، وقيل (حفيظ عليم) أى كاتب حاسب ، وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني ، وقيل حفيظ للحساب عليم بالالسن أعلم لغة من يأتيني ، وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع . فقال له الملك ومن أحق به منك فولاه ذلك وقال له (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة ومنزلة أمين على الخزائن أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو إسحاق الثعلبي أخبرني ابو عبدالله الحسين بن محمد الفنجوى حدثنا مخلد بن جعفر اليافوحى ثنا الحسن بن علوية ثنا اسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله أخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه أخره لذلك سنة فأقام في بيته سنة مع الملك » وباسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما انصرمت السنة من اليوم الذى سأل الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وضرب عليه حلة من استبرق وطول السرير ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع عليه ثلاثون فراشا وستون مقرمة ثم أمره ان يخرج فخرج متوّجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه ، فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوّض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قاله ابن اسحاق ، وقال ابن زيد وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل أمره وقضاءه نافذاً ، قالوا ثم ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك ليوسف راعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال أليس هذا خيراً مما كنت تريدين مني ؟ فقالت ايها الصديق لاتلمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي

يجعله على خزائن الارض وهي الاهرام التي يجمع فيها الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها فيتصرف لهم على الوجه الاحوط والاصلح والارشد فاجيب الى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ولهذا قال تعالى

وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦) ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٧)

يقول تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) أي أرض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يتصرف فيها كيف يشاء ، وقال ابن جرير يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والاسار (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى اخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز فلهذا أعقبه الله عزوجل السلام والنصر والتأييد (ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) يخبر تعالى أن ماادخره الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا كقوله في حق سليمان عليه السلام (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) والغرض أن يوسف عليه السلام ولاه ملك مصر

النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وجمالك وهيئتك فغلبتني نفسي وقويت عليَّ شهوتي ولم اتمالك عقلي في محبتي فيك فقرب منها يوسف فوجدها عذراء فأصابها فولدت له ولدين افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف ، واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل وأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الارض﴾ يعني أرض مصر ملكناه ﴿يتبوأ﴾ أي ينزل ﴿منها حيث يشاء﴾ ويصنع فيها مايشاء قرأ ابن كثير وحده نشاء بالنون رداً على قوله (مكنا) وقرأ الآخرون بالياء ردا على قوله (يتبوأ) ﴿نصيب برحمتنا﴾ أي بنعمتنا ﴿من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ قال ابن عباس ووهب يعني الصابرين قال مجاهد وغيره فلم يزل يوسف عليه السلام يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فهذا في أمر الدنيا ﴿ولأجر الآخرة﴾ ثواب الآخرة ﴿خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام باحسن التدبير وبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وانفق بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول لم يعهد الناس بمثله ، وروي أنه كان قد دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط كان أول من اخذه الجوع هو الملك في نصف الليل فنادى يايوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط ففي السنة الاولى من سنين الجدب هلك كل شيء أعدوه في السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في اول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي

الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته وأسلم الملك على يدي يوسف عليه السلام . قاله مجاهد

وقال محمد بن اسحاق لما قال يوسف للملك (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) قال الملك قد فعلت فولاه فيما ذكروا عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه يقول الله عز وجل (وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) قال فذكر لي والله أعلم أن اطفير هلك في تلك الليالي وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال لها : أليس هذا خيراً مما كنت تريدين ، قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لاتلمني فاني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لايأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك على مارأيت فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف ، وولد لافرائيم نون والد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه السلام ، وقال الفضيل بن عياض وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق حتى مر يوسف فقالت : الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته ، والملوك عبيداً بمعصيته

وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (٥٨) ولما جهزهم بجهازهم قال

الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق في يد أحد عبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى استرقهم لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبداً له فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا اعظم من هذا ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في ذلك فقال له الملك الرأي رأيك والامر اليك ونحن لك تبع فقال إني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم ، وروي أن يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الأيام فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال أخاف ان شبعت ان انسى الجائع وأمر يوسف عليه السلام طباخي الملك أن يجعلوا غداءه نصف النهار وارادوا بذلك بأن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال وقصد الناس مصر من كل النواحي يمتارون الطعام فجعل يوسف لايمكن أحداً منهم وان كان عظيما أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتزاحم الناس عنيه فأصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب الناس في سائر البلاد من القحط والشدة ونزل بيعقوب ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر للميرة وامسك بنيامين أخا يوسف لامه فذلك قوله تعالى ﴿ وجاء اخوة يوسف ﴾ وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من ارض فلسطين بغور

ائتوني بأخ لكم من أبيكم ،ألا ترون اني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين (٥٩) فان لم تأتوني

به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون (٦٠) قالوا سنراودعنه أباه وانا لفعلون (٦١) وقال لفتينه

اجعلوا بضعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون (٦٢)

ذكر السدي ومحمد بن اسحاق وغيرهما من المفسرين أن السبب الذي أقدم أخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع سنين المخصبة ثم تلتها السبع سنين المجدبة وعم القحط بلاد مصر بكمالها ووصل إلى بلاد كنعان وهي التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع فحصل من ذلك مبلغ عظيم وهدايا متعددة هائلة وورد عليه الناس من سائر الاقاليم والمعاملات،يمتارون لأنفسهم وعيالهم فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة ، وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما الا أكلة واحدة في وسط النهار حتى يتكفى الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين وكان رحمة من الله على أهل مصر ، وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الاولى بالاموال ،وفي الثانية بالمتاع ، وفي الثالثة بكذا ، وفي الرابعة بكذا حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعد ماتملك عليهم جميع مايملكون ، ثم أعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها الله أعلم بصحة ذلك وهو من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب ، والغرض أنه كان في جملة من ورد للميرة اخوة يوسف عن أمر أبيهم لهم في ذلك فانه

الشام وكانوا أهل بادية وابل وشاء فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال يابني بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا له فاذهبوا لتشتروا منه الطعام فأرسلهم فقدموا مصر ﴿فدخلوا عليه﴾ على يوسف ﴿فعرفهم﴾ يوسف عليه السلام قال ابن عباس ومجاهد وعرفهم بأول ما نظر اليهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه ﴿وهم له منكرون﴾ أي لم يعرفوه قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في البئر وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك أنكروه ، وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وعلى رأسه تاج الملك وقيل لانه كان بزي ملوك مصر عليه ثياب من حرير وفي عنقه طوق من ذهب فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما امركم فاني أنكرت شأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاء اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنوأب واحد وهو شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله فقال وكم أنتم قال كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا إلى أبينا قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال واين الآخر ؟ قالوا عندابينا لأنه أخوالذي هلك من امه فابونا يتسلي به فقال فمن يعلم ان الذي تقولونه حق وصدق قالوا أيها الملك انا ببلاد

بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه فأخذوا معهم بضاعة يعتاضون بها طعاما وركبوا عشرة نفر واحتبس يعقوب عليه السلام عنده ابنه بنيامين شقيق يوسف عليه السلام وكان أحب ولده اليه بعد يوسف ، فلما دخلوا على يوسف وهو جالس في أبهته ورياسته وسيادته عرفهم حين نظر اليهم وهم له منكرون أي لا يعرفونه لانهم فارقوه وهو صغير حدث وباعوه للسيارة ولم يدروا أين يذهبون به ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلى ماصار اليه فلهذا لم يعرفوه ، وأما هو فعرفهم فذكر السدى وغيره أنه شرع يخاطبهم فقال لهم كالمنكر عليهم ماأقدمكم بلادي ؟ فقالوا أيها العزيز انا قدمنا للميرة ، قال فلعلكم عيون ؟ قالوا معاذ الله ، قال فمن أين أنتم ؟ قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله ، قال وله أولاد غيركم ؟ قالوا نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان احبنا إلى أبيه وبقي شقيقه فاحتبسه أبوه ليتسلى به عنه فأمر بانزالهم واكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم) أي أوفى لهم كيلهم وحمل لهم احمالهم قال ائتوني بأخيكم هذا الذى ذكرتم لأعلم صدقكم فيما ذكرتم (ألا ترون اني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين) يرغبهم في الرجوع اليه ثم رهبهم فقال (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى) الآية ، اى ان لم تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندى ميرة (ولا تقربون * قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون) أى سنحرص على مجيئه اليك بكل ممكن ولا نبقي مجهوداً لتعلم صدقنا فيما قلناه وذكر السدي أنه أخذ منهم رهائن حتى يقدموا به معهم وفي هذا نظر لأنه أحسن اليهم ورغبهم كثيراً وهذا لحرصه على رجوعهم (وقال لفتيانه) اى غلمانه (اجعلوا بضاعتهم) أي التي قدموا بها ليمتاروا عوضاً عنها (في رحالهم) أى في أمتعتهم من حيث لا يشعرون

لا يعرفنا فيها أحد من أهلها فقال لهم يوسف فأتوني بأخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين وانا ارضى بذلك قالوا فان ابانا يحزن على فراقه وسنراود عنه اباه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم الذي من ابيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله عز وجل ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أي حمل لكل واحد بعيراً بعدتهم ﴿قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم﴾ يعني بنيامين ﴿الا ترون أني أوفي الكيل﴾ أي أتمه ولا أبخس الناس شيئا فأزيدكم حمل بعير لاجل اخيكم واكرم منزلتكم واحسن اليكم ﴿وانا خير المنزلين﴾ قال مجاهد أي خير المضيفين وكان قد احسن ضيافتهم ﴿فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾ اي ليس لكم عندى طعام اكيله لكم ﴿ولا تقربون﴾ اى لا تقربوا داري وبلادي بعد ذلك وهو جزم على النهي ﴿قالوا سنراود عنه اباه﴾ اى نطلبه و نسأله ان يرسله معنا ﴿وانا لفاعلون﴾ ما امرتنا به ﴿وقال لفتيانه﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه بالالف والنون وقرأ الباقون لفتيته بالتاء من غير الف يريد لغلمانه وهما لغتان مثل الصبيان والصبية ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ ثمن طعامهم وكانت دراهم وقال الضحاك عن ابن عباس كانت النعال والادم وقيل كانت ثمانية جرب من سويق المقل والاول أصح ﴿في رحالهم﴾ أوعيتهم وهي جمع

(لعلهم يرجعون) بها قيل خشي يوسف عليه السلام أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها ، وقيل تذمم ان يأخذ من أبيه واخوته عوضا عن الطعام ، وقيل أراد أن يردهم اذا وجدوها في متاعهم تحرجا وتورعا لأنه يعلم ذلك منهم والله أعلم

فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحفظون (٦٣) قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل ؟ فالله خير حفظا ، وهو أرحم الراحمين (٦٤)

يقول تعالى عنهم انهم رجعوا إلى أبيهم (قالوا ياأبانا منع منا الكيل) يعنون بعد هذه المرة إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين (فارسله معنا نكتل وانا له لحافظون) وقرأ بعضهم بالياء أي يكتل هو (وانا له لحافظون) أي لا تخف عليه فانه سيرجع اليك وهذا كما قالوا له في يوسف (ارسله معنا غداً يرتع ويلعب وانا له لحافظون) ولهذا قال لهم (هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) اى هل أنتم صانعون به الا كما صنعتم بأخيه من قبل تغيبونه عني وتحولون بيني وبينه (فالله خير حفظا)

رحل ﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا﴾ انصرفوا ﴿إلى اهلهم لعلهم يرجعون﴾ واختلفوا في السبب الذى فعله يوسف من اجله قيل اراد ان يريهم كرمه في رد البضاعة وتقديم الضمان في البر والاحسان ليكون ادعى لهم إلى العود لعلهم يعرفونها أى كرامتهم علينا وقيل رأى لؤما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وقال الكلبي تخوف ان لا يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة نفيا للغلط ولا يستحلون امساكها ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا﴾ انا قدمنا على خير رجل أنزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من اولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب إذا أتيتم ملك مصر فاقرئوه مني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال أين شمعون ؟ قال ارتهنه ملك مصر واخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه قالوا إنه اخذنا وقال انتم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية وقصوا عليه القصة وقالوا ياأبانا ﴿منع منا الكيل﴾ قال الحسن معناه يمنع منا الكيل ان لم نحمل اخانا معنا وقيل معناه اعطى باسم كل واحد منا حملا ويمنع منا الكيل لبنيامين والمراد بالكيل الطعام لانه كان يكال ﴿فارسل معنا أخانا﴾ بنيامين ﴿ نكتل ﴾ قرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء يعني يكيل لنفسه كما نحن نكتال وقرأ الآخرون نكتل بالنون يعني نكتل نحن وهو الطعام وقيل نكتل له ﴿وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه﴾ يوسف ﴿من قبل﴾ أي كيف آمنكم عليه وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم ﴿فالله خير حافظا﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص حافظا بالالف على

وقرأ بعضهم حافظا (وهو أرحم الراحمين) اى هو أرحم الراحمين بي وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي وأرجو من الله ان يرده علي ويجمع شملي به انه أرحم الراحمين

ولما فتحوا متـٰعهم وجدوا بضـٰعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضـٰعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير (٦٥) قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل (٦٦)

يقول تعالى ولما فتح اخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وهي التي كان أمر يوسف فتيانه بوضعها في رحالهم فلما وجدوها في متاعهم (قالوا يا أبانا ما نبغي) أي ماذا نريد (هذه بضاعتنا ردت الينا) كما قال قتادة ما نبغي وراء هذا ان بضاعتنا ردت الينا وقد أوفى لنا الكيل (ونمير أهلنا) أي اذا أرسلت أخانا معنا نأتي بالميرة الى أهلنا (ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) وذلك أن يوسف عليه السلام كان يعطي كل رجل حمل بعير ، وقال مجاهد حمل حمار ، وقد يسمى في بعض اللغات بعيراً كذا قال (ذلك كيل يسير) هذا من تمام الكلام وتحسينه أي ان هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ما يعدل هذا هذا (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله) أي تحلفون بالعهود والمواثيق لتأتنني

التفسير كما يقال هو خير رجلا وقرأ الآخرون حفظا بغير الف على المصدر يعني خيركم حفظا يقول حفظه خير من حفظكم ﴿ وهو ارحم الراحمين * ولما فتحوا متاعهم ﴾ الذي حملوه من مصر ﴿ وجدوا بضاعتهم ﴾ ثمن الطعام ﴿ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ أي ماذا نبغي وأي شيء نطلب وذلك انهم ذكروا ليعقوب عليه السلام إحسان الملك اليهم وحثوه على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة قالوا يا أبانا ما نبغي ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا ﴾ أي شيء نطلب بالكلام فهذا هو العيان من الاحسان والاكرام أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن أرادوا تطييب نفس أبيهم ﴿ ونمير أهلنا ﴾ أي نشتري لهم الطعام فنحمله اليهم يقال مار أهله يمير ميراً إذا حمل اليهم الطعام من بلد آخر ومثله امتار يمتار امتياراً ﴿ ونحفظ أخانا ﴾ بنيامين أي مما تخاف عليه ﴿ ونزداد ﴾ على احمالنا ﴿ كيل بعير ﴾ أي حمل بعير يكال لنا من أجله لانه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير ﴿ذلك كيل يسير﴾ أي ما حملناه قليل لا يكفينا وأهلنا وقيل معناه نزداد كيل بعير ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه ولا مشقة وقال مجاهد البعير ههنا هو الحمار كيل بعير أي حمل حمار وهي لغة يقال للحمار بعير وهم كانوا أصحاب حمر والاول أصح أنه البعير المعروف ﴿قال﴾ لهم يعقوب ﴿لن ارسله معكم حتى تؤتون﴾ تعطوني ﴿موثقا﴾

به الا أن يحاط بكم الا أن تغلبوا كلكم ولا تقدرون على تخليصه (فلما آتوه موثقهم) أكده عليهم فقال (الله على ما نقول وكيل) قال ابن إسحاق وانما فعل ذلك لانه لم يجد بدا من بعثهم لاجل الميرة التي لاغنى لهم عنها فبعثه معهم

وقال يابني لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون (٦٧) ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لايعلمون (٦٨)

يقول تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام إنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين الى مصر أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة فانه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد إنه خشي عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فان العين حق تستنزل الفارس عن فرسه ، وروى ابن أبي حاتم عن ابراهيم النخعي في قوله (وادخلوا من أبواب متفرقة) علم أنه سيلقى اخوته في بعض تلك الابواب وقوله (وما أغني عنكم من الله من شيء) أي ان هذا الاحتراز لايرد قدر الله وقضاءه فان الله اذا أراد شيئا لايخالف ولا يمانع (إن الحكم الا لله عليه

أي ميثاقا وعهداً ﴿من الله﴾ والموثق العهد المؤكد بالقسم وقيل المؤكد باشهاد الله على نفسه ﴿لتأتنني به﴾ وادخل اللام فيه لان معنى الكلام اليمين ﴿الا ان يحاط بكم﴾ قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا وقال قتادة الا ان تغلبوا حتى لاتطيقوا ذلك وفي القصة ان الاخوة ضاق الامر عليهم وجهدوا أشد الجهد فلم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ أعطوه عهودهم ﴿قال﴾ يعني يعقوب ﴿الله على ما نقول وكيل﴾ شاهد وقيل حافظ قال كعب لما قال يعقوب (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) قال الله عز وجل وعزتي لاردن عليك كليهما بعد ما توكلت علي ﴿وقال﴾ لهم يعقوب لما أرادوا الخروج من عنده ﴿يابني لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ وذلك أنه خاف عليهم العين لانهم كانوا اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا ولد رجل واحد فأمرهم ان يتفرقوا في دخولها لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وجاء في الاثر «ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر» وعن ابراهيم النخعي انه قال ذلك لانه كان يرجو أن يروا يوسف في التفرق والاول أصح ثم قال ﴿وما اغني عنكم من الله شيء﴾ معناه ان كان الله قضى فيكم قضاء فيصيبكم مجتمعين كنتم أو متفرقين فان المقدور كائن والحذر لاينفع عن القدر ﴿ان الحكم﴾ ما الحكم ﴿إلا الله﴾ هذا تفويض

توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها) قالوا هي دفع اصابة العين لهم وانه لذو علم لما علمناه . قال قتادة والثوري لذو عمل بعلمه ، وقال ابن جرير لذو علم لتعليمنا إياه (ولكن أكثرهم لا يعلمون)

ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون (٦٩)

يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين وأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته وأفاض عليهم الصلة والالطاف والاحسان واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له وعرفه أنه أخوه ، وقال له لا تبتئس أي لا تأسف على ما صنعوا بي وأمره بكتمان ذلك

يعقوب أموره إلى الله ﴿ عليه توكلت ﴾ اعتمدت ﴿ وعليه فليتوكل المتوكلون * ولما دخلوا من حيث أمرهم ابوهم﴾ أي من الابواب المتفرقة وقيل كانت المدينة مدينة الفرماء ولها أربعة أبواب فدخلوها من ابوابها ﴿ما كان يغني﴾ يدفع ﴿عنهم من الله من شيء﴾ صدق الله تعالى يعقوب فيما قال ﴿الا حاجة﴾ مرادا ﴿في نفس يعقوب قضاها﴾ أشفق عليهم اشفاق الآباء على أبنائهم وجرى الامر عليه ﴿وانه﴾ يعني يعقوب عليه السلام ﴿لذو علم﴾ يعني كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل ﴿لما علمناه﴾ أي لتعليمنا إياه وقيل انه لعامل بما علم قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما وقيل انه لذو حفظ لما علمناه ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ ما يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم ، وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه

قوله تعالى ﴿ ولما دخلوا على يوسف ﴾ قالوا هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به فقال احسنتم وأصبتم وستجدون جزاء ذلك عندي ثم انزلهم فأكرم منزلتهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف لقد بقي احدكم هذا وحيدا فاجلسه معه على مائدته فجعل يواكله فلما كان الليل أمر لهم بمثل وقال لينم كل اخوين منكم على مثال فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام معي على فراشي فنام معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح وجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم إني ارى هذا الرجل ليس معه ثان فساضمه إلي فيكون منزله معي ثم انزلهم منزلا واجرى عليهم الطعام وانزل أخاه لامه معه فذلك قوله تعالى ﴿ آوى اليه اخاه ﴾ أي ضم اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك ؟ قال بنيامين قال وما بنيامين ؟ قال ابن المثكل وذلك أنه لما ولد هلكت أمه قال وما اسم امك ؟ قال راحيل قال راحيل بنت من ؟ قال راحيل بنت لاوي قال فهل لك من ولد ؟ قال نعم عشرة بنين قال أتحب ان اكون أخاك بدل اخيك الهالك فقال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عند ذلك وقام اليه وعانقه و ﴿ قال إني أنا

عنهم وأن لايطلعهم على ما أطلعه عليه من أنه أخوه وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززاً مكرما معظما

فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن: أيتها العير انكم لسارقون (٧٠) قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون (٧١) قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم (٧٢)

لما جهزهم وحمل لهم أبعرتهم طعاما أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية وهي اناء من فضة في قول الا كثرين ، وقيل من ذهب قاله ابن زيد كان يشرب فيه ويكيل للناس به من عزة الطعام اذ ذاك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعبدالرحمن بن زيد ، وقال شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس صواع الملك قال : كان من فضة يشربون فيه وكان مثل الملوك وكان للعباس مثله في الجاهلية فوضعها في متاع بنيامين من حيث لايشعر أحد ثم نادى مناد بينهم (أيتها العير انكم

أخوك فلا تبتئس﴾ أي لاتحزن ﴿بما كانوا يعملون﴾ بشيء فعلوه بنا فيما مضى فان الله تعالى قدأحسن الينا ولا تعلمهم شيئا مما أعلمتك ثم أوفى يوسف لاخوته الكيل وحمل لهم بعيراً بعيراً ولبنيامين بعيراً باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل بنيامين قال السدي جعلت السقاية في رحل أخيه والاخ لا يشعر وقال كعب لما قال له يوسف (إني انا اخوك) قال بنيامين أنا لاأفارقك فقال يوسف قدعلمت اغتمام والدي بي وإذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد أن اشهرك بامر فظيع وانسبك الى مالا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فاني لاافارقك قال فاني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما تريد فذلك قوله تعالى ﴿ فلماجهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه﴾ وهي المشربة التي كان الملك يشرب منها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب منها والسقاية والصواع واحد جعلت في وعاء طعام بنيامين ثم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث من خلفهم من استوقفهم وحبسهم ﴿ ثم اذن مؤذن ﴾ نادى مناد ﴿ أيتها العير ﴾ وهي القافلة التي فيها الأحمال قال مجاهد كانت العير حميراً ، وقال الفراء كانوا اصحاب ابل ﴿ إنكم لسارقون ﴾ قفوا قيل قالوه من غير امر يوسف وقيل قالوه بأمره وكان هفوة منه وقيل قالوه على تأويل انهم سرقوا يوسف من أبيه فلما انتهى اليهم الرسول قال لهم ألم نكرم ضيافتكم ونحسن منزلتكم ونوفكم كيلكم ونفعل بكم مالم نفعل بغيركم ؟ قالوا بلى قالوا وما ذاك قالوا سقاية الملك

لسارقون) فالتفتوا الى المنادي وقالوا (ماذا تفقدون * قالوا نفقدصواع الملك) أي صاعه الذي يكيل به (ولمن جاء به حمل بعير)وهذا من باب الجعالة وأنا به (زعيم)وهذا من باب الضمان والكفالة

قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين (٧٣) قالوا فما جزاؤه ان كنتم كٰذبين (٧٤) قالوا جزاؤه من وُجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظلمين (٧٥) فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه ، كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يَشاء الله ، نرفعُ دَرَجاتٍ مَن نشاءُ وفوق كلّ ذي علم عليم (٧٦)

لما اتهمهم أولئك الفتيان بالسرقة قال لهم اخوة يوسف (تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) أي لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا لانهم شاهدوا منهم سيرة حسنة انا ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين أي ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة فقال لهم الفتيان (فما جزاؤه) أي السارق ان كان فيكم (ان كنتم كاذبين) أي أي شيء يكون عقوبته ان وجدنا فيكم من أخذه ؟(قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) وهكذا كانت شريعة

فقدناها ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله عز وجل ﴿ قالوا وأقبلوا عليهم ﴾ عطفوا على المؤذن وأصحابه ﴿ ماذا تفقدون ﴾ ماالذي ضل عنكم والفقدان ضد الوجدان ﴿ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير ﴾ من الطعام ﴿ وأنا به زعيم ﴾ كفيل يقوله المؤذن ﴿ قالوا ﴾ يعني إخوة يوسف ﴿ تالله ﴾ أي والله وخصت هذه الكلمة بأن أبدلت الواو فيها بالتاء في اليمين دون سائر أسماء الله تعالى ﴿ لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض ﴾ لنسرق في أرض مصر فان قيل كيف قالوا (لقد علمتم) ومن أين علموا ذلك قيل قالوا لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض فانا منذ قطعنا هذا الطريق لم نرزأ أحداً شيئا فاسألوا عنا من مررنا به هل ضررنا أحداً ، وقيل لانهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم قالوا فلو كنا سارقين مارددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بأنهم لايتناولون ماليس لهم وكانوا إذا دخلوا مصر كمموا أفواه دوابهم كيلا تتناول شيئا من حروث الناس ﴿ وما كنا سارقين * قالوا ﴾ يعني المنادي وأصحابه ﴿ فما جزاؤه ﴾ يعني ماجزاء السارق ﴿ إن كنتم كاذبين ﴾ في قولكم وما كنا سارقين ﴿ قالوا ﴾ يعني إخوة يوسف ﴿ جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ﴾ أي فالسارق جزاؤه أن يسلم بسرقته إلى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق فأراد يوسف أن يحبس أخاه عنده فرد

ابراهيم عليه السلام أن السارق يدفع الى المسروق منه وهذا هو الذي أراد يوسف عليه السلام ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه أي فتشها قبله تورية (ثم استخرجها من وعاء أخيه) فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم والزاما لهم بما يعتقدونه ولهذا قال تعالى (كذلك كدنا ليوسف) وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة . وقوله (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) أي لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر قاله الضحاك وغيره وانما قيض الله له أن التزم له إخوته بما التزموه وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحه الله تعالى فقال (نرفع درجات من نشاء) كما قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم) الآية (وفوق كل ذي علم عليم) قال الحسن

الحكم اليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم فأخذ في تفتيشها وروي انه ردهم الى يوسف فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه ﴿ فبدأ بأوعيتهم ﴾ لازالة التهمة ﴿ قبل وعاء أخيه ﴾ فكان يفتش أوعيتهم واحداً واحداً ، قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء الا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى إذا لم يبق الا رحل بنيامين قال ما أظن هذا أخذه فقال إخوته والله لا نبرك حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك ولأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه فذلك قوله تعالى ﴿ ثم استخرجها من وعاء أخيه ﴾ وانما أنث الكناية في قوله (ثم استخرجها) والصواع مذكر بدليل قوله (ولمن جاء به حمل بعير) لانه رد الكناية ههنا إلى السقاية ، وقيل الصواع يذكر ويؤنث فلما أخرج الصواع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين وقالوا : ما الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا ، يا بني راحيل ما يزال لنا منكم البلاء متى أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فاهلكتموه في البرية والله قد وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فأخذوا بنيامين رقيقا ، وقيل ان ذلك الرجل أخذ برقبته ورده إلى يوسف كما يرد السراق ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ والكيد ههنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم وقد قال يعقوب عليه السلام ليوسف (فيكيدوا لك كيداً) فكدنا ليوسف في أمرهم والكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق ، وقيل كدنا : ألهمنا وقيل دبرنا وقيل أردنا ومعناه صنعنا ليوسف حتى ضم أخاه إلى نفسه وحال بينه وبين اخوته ﴿ ماكان ليأخذ أخاه ﴾ فيضمه إلى نفسه ﴿ في دين الملك ﴾ أى في حكمه قاله قتادة وقال ابن عباس في سلطانه ﴿ الا أن يشاء الله ﴾ يعني ان يوسف لم يكن يتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما أجرى على ألسنة الاخوة ان جزاء السارق الاسترقاق فحصل مراد يوسف بمشيئة الله تعالى ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ بالعلم كما رفعنا درجة يوسف

البصري ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي الى الله عز وجل وكذا روى عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الاعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس فحدث بحديث عجيب فتعجب رجل فقال: الحمد لله فوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس بئس ماقلت الله العليم فوق كل عالم وكذا روى سماك عن عكرمة عن ابن عباس (وفوق كل ذي علم عليم) قال يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم وهكذا قال عكرمة وقال قتادة وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم الى الله منه بديء وتعلمت العلماء واليه يعود، وفي قراءة عبدالله وفوق كل عالم عليم

قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (٧٧)

وقال اخوة يوسف لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين (ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يتنصلون الى العزيز من التشبه به ويذكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل يعنون به يوسف عليه السلام قال سعيد بن جبير عن قتادة كان يوسف عليه السلام قد سرق صنما لجده أبي أمه فكسره، وقال محمد بن اسحاق عن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد قال كان أول مادخل على يوسف من البلاء فيما بلغني أن عمته ابنة اسحاق وكانت أكبر ولد اسحاق وكانت عندها منطقة اسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكان من اختبأها ممن وليها كان له سلما لاينازع فيه يصنع فيه ما يشاء، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حضنته عمته وكان لها به وله فلم تحب أحداً حبها اياه حتى اذا ترعرع وبلغ سنوات تاقت اليه نفس يعقوب عليه السلام فأتاها فقال يا أخية سلمي الي يوسف فوالله ماأقدر على أن يغيب عني ساعة قالت فوالله ماأنا بتاركته ثم قالت فدعه عندي أياما أنظر اليه وأسكن عنه لعل

على اخوته، وقرأ يعقوب يرفع ويشاء بالياء فيهما واضافة درجات الى من في هذه السورة والوجه ان الفعل فيهما مسند الى الله تعالى وقد تقدم ذكره في قوله (الا أن يشاء الله) أى يرفع الله درجات من يشاء، وقرأ الباقون بالنون فيهما الا أن الكوفيين قرأوا درجات بالتنوين ومن سواهم بالاضافة أى نرفع به نحن والرافع أيضاً هو الله تعالى ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينتهي العلم الى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم ﴿قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ يريدون أخاً له من أمه يعنون به يوسف واختلفوا في السرقة التي وصفوا بها يوسف فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده أبي أمه صنم يعبده فأخذه سراً وكسره والقاه في الطريق لئلا يعبد، وقال مجاهد ان يوسف جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها السائل، وقال سفيان بن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلا، وقال وهب كان يخبأ الطعام من

ذلك يسليني عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت الى منطقة اسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحاق عليه السلام فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لي لسلم أصنع فيه ماشئت فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذاك ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت قال فهو الذى يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ماصنع حين أخذه (ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وقوله (فأسرها يوسف في نفسه) يعني الكلمة التي بعدها وهي قوله (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) أي تذكرون قال هذا في نفسه ولم يبده لهم وهذا من باب الاضمار قبل الذكر وهو كثير كقول الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

وله شواهد كثيرة في القرآن والحديث واللغة في منثورها وأخبارها وأشعارها قال العوفي عن ابن عباس (فأسرها يوسف في نفسه) قال أسر في نفسه (أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون)

قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين (٧٨)

قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متعنا عنده إنا إذاً لظالمون (٧٩)

لما تعين أخذ بنيامين وتقرر تركه عند يوسف بمقتضى اعترافهم شرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم (فقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) يعنون وهو يحبه حبا شديدا ويتسلى به عن ولده

المائدة للفقراء ، وذكر محمد بن اسحاق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته وأحبته حباً شديداً فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأتاها وقال يا أختاه سلمي الي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة قالت لا والله فقال والله ماأنا بتاركه فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة لاسحاق كانوا يتوارثونها بالكبر فكانت عندها لانها كانت أكبر ولد إسحاق فحزمت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وهو صغير ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحاق اكشفوا أهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لسلم لي فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم فأمسكته حتى ماتت فذلك الذي قال إخوة يوسف (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) ﴿ فأسرها ﴾ أضمرها ﴿ يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ وانما أنث الكناية لانه عنى بها الكلمة وهي قوله ﴿ قال أنتم شر مكانا ﴾ ذكرها سرا في نفسه ولم يصرح بها يريد أنتم شر مكانا أي منزلا عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف لانه لم يكن من يوسف سرقة حقيقة وخيانتكم حقيقة ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ تقولون ﴿ قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيراً ﴾ في القصة أنهم غضبوا غضبا شديداً لهذه الحالة وكان بنو يعقوب اذا غضبوا

الذي فقده (فخذ أحدنا مكانه) أي بدله يكون عندك عوضا عنه (انا نراك من المحسنين) أي العادلين المنصفين القابلين للخير (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) أي كما قلتم واعترفتم (إنا اذاً لظالمون) أي إن أخذنا بريئاً بسقيم [1]

فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف؟ فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين (٨٠) ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (٨١) وسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وإنا لصادقون (٨٢)

[1] المناسب أن يقال بمذنب أو جان

لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء ، واذا صاح ألقت كل امرأة حامل سمعت صوته ولدها ، وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب سكن غضبه وقيل كان هذا صفة شمعون من ولد يعقوب ، وروي أنه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر ؟ فقالوا عشرة فقال اكفوني أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل اتردن علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل الا ألقت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب روبيل فمسه وروي خذ بيده فأتني به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان ههنا لبذرا من بذر يعقوب فقال يوسف من يعقوب ؟ وروي أنه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض ، وقال أنتم يامعشر العبرانيين تظنون أن لا أحد أشد منكم فلما صار امرهم إلى هذا ورأوا ان لاسبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا ياأيها العزيز ان له ابا شيخا كبيراً يحبه ﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ بدلا منه ﴿انا نراك من المحسنين﴾ في افعالك وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة ، وقيل يعنون ان فعلت ذلك كنت من المحسنين ﴿قال﴾ يوسف ﴿معاذ الله﴾ أعوذ بالله ﴿ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ ولم يقل الا من سرق تحرزاً من الكذب ﴿انا اذاً لظالمون﴾ ان أخذنا بريئا بجرم

قوله تعالى ﴿فلما استيأسوا منه﴾ اي أيسوا من يوسف ان يجيبهم إلى ماسألوه ، وقال أبوعبيدة استيأسوا استيقنوا ان الاخ لايرد اليهم ﴿خلصوا نجيا﴾ أي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لايخالطهم غيرهم والنجي يصلح للجماعة كما قال ههنا ويصلح للواحد كقوله (وقربناه نجيا) وانما جاز

يخبر تعالى عن اخوة يوسف انهم لما يئسوا من تخليص أخيهم بنيامين الذي قد التزموا لابيهم برده اليه وعاهدوه على ذلك فامتنع عليهم ذلك (خلصوا) أي انفردوا عن الناس (نجيا) يتناجون فيما بينهم (قال كبيرهم) وهو روبيل وقيل يهوذا وهو الذي أشار عليهم بالقائه في البئر عند ماهموا بقتله قال لهم (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) لتردنه اليه فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ماتقدم لكم من اضاعة يوسف عنه (فان أبرح الارض) أي لن أفارق هذه البلدة (حتى يأذن لي ابي) في الرجوع اليه راضيا عني (أو يحكم الله لي) قيل بالسيف ، وقيل بأن يمكنني من أخذ أخي (وهو خير الحاكمين) ثم امرهم ان يخبروا أباهم بصورة ماوقع حتى يكون عذراً لهم عنده ويتنصلوا اليه ويبرؤا مما وقع بقولهم وقوله[1] (وما كنا للغيب حافظين) قال قتادة وعكرمة ماعلمنا ان

للواحد والجمع لانه مصدر جعل نعتا كالعدل والزور ومثله النجوى يكون اسما ومصدراً قال الله تعالى (وإذ هم نجوى) اي متناجون ، وقال (مايكون من نجوى ثلاثة) وقال في المصدر انما النجوى من الشيطان ﴿ قال كبيرهم ﴾ يعني في العقل والعلم لافي السن ، قال ابن عباس والكلبي هو يهوذا وهو أعقلهم ، وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرياسة على اخوته ، وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان أكبرهم في السن وهو الذي نهى الاخوة عن قتل يوسف ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد اخذ عليكم موثقا ﴾ عهداً ﴿ من الله ومن قبل مافرطتم ﴾ قصرتم ﴿ في يوسف ﴾ واختلفوا في محل « ما » قيل هو نصب بايقاع العلم عليه يعنى الم تعلموا من قبل تفريطكم في يوسف ، وقيل هو في محل الرفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله من الله ، ثم قال ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف وقيل ماصلة أي ومن قبل هذا فرطتم في يوسف ﴿ فلن أبرح الارض ﴾ التي انابها وهي أرض مصر ﴿ حتى يأذن لي ابي ﴾ بالخروج منها ويدعوني ﴿ أو يحكم الله لي ﴾ برد أخي إليّ او بخروجي وترك أخي ، وقيل او يحكم الله لي بالسيف فأقاتلهم واسترد أخي ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ أعدل من فصل بين الناس

قوله تعالى ﴿ ارجعوا إلى أبيكم ﴾ يقوله الاخ المحتبس بمصر لاخوته ارجعوا إلى أبيكم ﴿ فقولوا ﴾ ياأبانا ﴿ ان ابنك ﴾ بنيامين ﴿ سرق ﴾ وقرأ ابن عباس والضحاك سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها يعنى نسب إلى السرقة كما يقال خونته اي نسبته إلى الخيانة ﴿ وما شهدنا إلا بما علمنا ﴾ يعنى ماقلنا هذا الا بما علمنا فانا رأينا اخراج الصواع من متاعه ، وقيل معناه (وماشهدنا إلا بما علمنا) أي ماكانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمنا وليست هذه شهادة منا انما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب عليه السلام مايدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم فقالوا ماشهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق إلا بما علمنا وكان الحكم ذلك عند يعقوب وبنيه ﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ قال مجاهد وقتادة ماكنا نعلم أن ابنك سيسرق ويصير أمرنا إلى هذا ، ولو علمنا ذلك ماذهبنا به معنا ، وانما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه منه سبيل ، وعن ابن عباس ماكنا لليله

[1] لم يذكر تفسير أول الآية وهكذا هو في النسخة المكيه والاميرية

ابنك يسرق . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ماعلمنا في الغيب انه سرق له شيئا ، انما سألنا ماجزاء السارق (واسأل القرية التي كنا فيها) قيل المراد مصر قاله قتادة وقيل غيرها (والعير التي أقبلنا فيها) اي التى رافقناها عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا (وانا لصادقون) فيما أخبرناك به من انه سرق وأخذوه بسرقته

قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً ، انه هو العليم الحكيم (٨٣) وتولى عنهم وقال يأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (٨٤) قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهلكين (٨٥) قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون (٨٦)

قال لهم كما قال لهم حين جاؤا على قميص يوسف بدم كذب (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) قال محمد بن اسحاق لما جاؤا يعقوب وأخبروه بما جرى اتهمهم فظن انها كفعلتهم بيوسف قال (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) وقال بعض الناس لما كان صنيعهم هذا مرتبا على فعلهم الاول أسحب حكم الاول عليه وصح قوله (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) ثم ترجى من الله ان يرد عليه أولاده الثلاثة يوسف وأخاه بنيامين وروبيل الذي أقام بديار مصر ينتظر امر الله فيه اما أن يرضى

ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين ، وقال عكرمة (وما كنا للغيب حافظين) فلعلها دست بالليل في رحله

قوله تعالى ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾ أى اهل القرية وهي مصر ، قال ابن عباس هي قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها إلى مصر ﴿ والعير التي أقبلنا فيها ﴾ اى القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب ، قال ابن اسحاق عرف الاخ المحتبس بمصر ان اخوته أهل تهمة عند أبيهم لما كانوا صنعوا في أمر يوسف فأمرهم ان يقولوا هذه المقالة لأبيهم ﴿ وانا لصادقون ﴾ فان قيل كيف استجاز يوسف أن يعمل مثل هذا بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه مع علمه بشدة وجد أبيه عليه وفيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة قيل قد أكثر الناس فيه ، والصحيح انه عمل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى أمره به ليزيد في بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر ويلحقه في الدرجة بآبائه الماضين ، وقيل انه لم يظهر نفسه لاخوته لأنه لم يأمن ان يدبروا في أمره تدبيراً فيكتموه عن أبيه والاول اصح

قوله تعالى ﴿ قال بل سولت لكم ﴾ زينت ﴿ أنفسكم أمراً ﴾ وفيه اختصار معناه فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ماقال كبيرهم فقال يعقوب (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) اى حمل اخيكم إلى

عنه أبوه فيأمره بالرجوع اليه ، واماأن يأخذ أخاه خفية ، ولهذا قال (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم) أي العليم بحالي (الحكيم) في أفعاله وقضائه وقدره (وتولى عنهم وقال ياأسفا على يوسف) أي أعرض عن بنيه وقال متذكراً حزن يوسف القديم (ياأسفا على يوسف) جدد له حزن الابنين الحزن الدفين قال عبد الرزاق انا الثوري عن سفيان العصفري عن سعيد بن جبير انه قال لم يعط أحد غير هذه الامة الاسترجاع ألا تسمعون إلى قول يعقوب عليه السلام (ياأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) اي ساكت لايشكو أمره إلى مخلوق . قاله قتادة وغيره ، وقال الضحاك فهو كظيم كئيب حزين

وقال ابن ابي حاتم ثنا أبي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الاحنف بن قيس أن النبي ﷺ قال « ان داود عليه السلام قال : يارب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحاق ويعقوب فاجعلني لهم رابعا فأوحى الله تعالى اليه ان ياداود ان ابراهيم القي في النار بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وان اسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وإن يعقوب أخذت منه حبيبه فابيضت عيناه من الحزن وتلك بلية لم تنلك » وهذا مرسل وفيه نكارة فان الصحيح أن اسماعيل هو الذبيح ، ولكن علي بن زيد بن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة والله أعلم وأقرب مافي هذا أن الاحنف بن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بني اسرائيل ككعب ووهب ونحوهما والله أعلم فان بني اسرائيل ينقلون ان يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس اخاه بسبب السرقة يتلطف له في رد ابنه ويذكر له انهم أهل بيت مصابون بالبلاء فابراهيم ابتلي بالنار وإسحاق بالذبح ويعقوب بفراق يوسف في حديث طويل لايصح والله أعلم ، فعند ذلك رق له بنوه وقالوا له على سبيل الرفق به

مصر لطلب نفع عاجل ﴿ فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا ﴾ يعني يوسف وبنيامين وأخاهم المقيم بمصر ﴿ انه هو العليم ﴾ بحزني ووجدي على فقدهم ﴿ الحكيم ﴾ في تدبير خلقه

قوله تعالى ﴿ وتولى عنهم ﴾ وذلك ان يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين تتام حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم ﴿ وقال ياأسفا ﴾ ياحزنا ﴿ على يوسف ﴾ والاسف أشد الحزن ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ يعني عمي بصره ، قال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين ﴿فهو كظيم ﴾ أى مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لايبثه ، وقال قتادة تردد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيراً ، قال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاما لاتجف عينا يعقوب وما على وجه الارض أكرم علي الله من يعقوب ﴿ قالوا ﴾ يعنى أولاد يعقوب ﴿ تالله تفتؤ تذكر يوسف ﴾ اى لاتزال تذكر يوسف لاتفتر من حبه يقال مافتيء يفعل كذا اى مازال يفعل ولا محذوفة من قوله تفتؤ يقال مافتيء يفعل كذا ، اى مازال كقول امريء القيس :

فقلت يمين الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي

والشفقة عليه (تالله تفتؤ تذكر يوسف) أي لاتفارق تذكر يوسف (حتى تكون حرضا) أي ضعيف القوة (أو تكون من الهالكين) يقولون ان استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) أي أجابهم عما قالوا بقوله (إنما أشكو بثي وحزني) أي همي وما أنا فيه (إلى الله) وحده (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أرجو منه كل خير وعن ابن عباس (وأعلم من

أي لا أبرح ﴿ حتى تكون حرضا ﴾ قال ابن عباس دنفا ، وقال مجاهد الحرض مادون الموت ، يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحاق فاسدا لا عقل لك والحرض الذي فسد جسمه وعقله ، وقيل ذائبا من الهم ، ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل وأصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن والهرم أو العشق أو الهم يقال رجل حرض وامرأة حرض ورجلان وامرأتان حرض ، ورجال ونساء كذلك يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مصدر وضع موضع الاسم ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ أي من الميتين ﴿ قال ﴾ يعقوب عليه السلام عند ذلك لما رأى غلظتهم ﴿ انما أشكوا بثي وحزني إلى الله ﴾ والبث أشد الحزن سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه اى يظهره ، قال الحسن بثي اى حاجتي ، وروي انه دخل على يعقوب جار له وقال يا يعقوب ما الذي غير حالك ؟ مالي أراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك قال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه : يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي . فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي ، فقال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ، وروي انه قيل له يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك ؟ فقال أذهب بصري بكائي على يوسف وقوس ظهري حزني على أخيه فأوحى الله اليه : أتشكوني فوعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني . فعند ذلك قال (انما أشكو بثي وحزني إلى الله) فأوحى الله تعالى اليه : وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لأخرجتهما لك ، وانما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيئا ، وان أحب خلقي إلي الانبياء ، ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين . فصنع طعاما ثم قال : من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب ، وروي أنه كان بعد ذلك اذا تغدى أمر من ينادي من أراد الغداء فليأت يعقوب ، واذا أفطر أمر من ينادي من اراد ان يفطر فليأت يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين ، وعن وهب بن منبه قال لما أوحى الله تعالى إلى يعقوب : أتدري لما عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة ؟ قال لا الهي قال لأنك شويت عناقا وقترت على جارك واكلت ولم تطعمه ، وروي ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي تخور ، وقال وهب والسدى وغيرهما أتى جبريل إلى يوسف في السجن فقال هل تعرفني أيها الصديق ؟ قال أرى صورة طاهرة وريحا طيبة قال إني رسول رب العالمين ، وانا الروح الامين ، قال فما أدخلك مدخل المذنبين ، وانت اطيب الطيبين ، ورأس المقربين ، وامين رب العالمين ، قال الم تعلم يا يوسف ان الله تعالى يطهر البيوت بطهر النبيين ؟ وان الارض

الله ما لاتعلمون) يعني رؤيا يوسف أنها صدق وان الله لابد أن يظهرها ، وقال العوفي عنه في الآية أعلم ان رؤيا يوسف صادقة واني سوف أسجد له . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي عيينة عن حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم ما الذى أذهب بصرك وقوس ظهرك ؟ قال أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف ، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال يايعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكوني الى غيرى فقال يعقوب انما أشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل عليه السلام الله أعلم بما تشكو » وهذا حديث غريب فيه نكارة

التي يدخلونها هي أطهر الارضين، وان الله تعالى قد طهر بك السجن وما حوله ياأطهر الطاهرين، وابن الصالحين المخلصين، قال كيف لي باسم الصديقين ، وتعدني من المخلصين الطاهرين ، وقد أدخلت مدخل المذنبين ، وسميت باسم الفاسقين؟ قال جبريل لانه لم يفتتن قلبك ، ولم تطع سيدتك في معصية ربك، لذلك سماك الله في الصديقين ، وعدك من المخلصين ، والحقك بآبائك الصالحين ، قال له يوسف هل لك علم بيعقوب ايها الروح الامين ؟ قال نعم وهب الله له الصبر الجميل ، وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم ، قال فما قدر حزنه ؟ قال حزن سبعين ثكلى ، قال فماذا له من الاجر ياجبريل ؟ قال أجر مائة شهيد قال أفتراني لاقيه ؟ قال نعم ، فطابت نفسه وقال ما أبالي بما لقيت ان رأيته . قوله تعالى ﴿ واعلم من الله مالا تعلمون ﴾ يعني اعلم من حياة يوسف مالا تعلمون ، روي ان ملك الموت زار يعقوب فقال : أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته هل قبضت روح ولدي في الارواح ؟ قال لا ، فسكن يعقوب وطمع في رؤيته وقال وأعلم ان رؤيا يوسف صادقة واني وانتم سنسجد له . وقال السدي لما اخبره ولده بسيرة الملك أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف فقال (يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) وروي عن عبد الله بن يزيد بن أبي فروة أن يعقوب عليه السلام كتب كتابا إلى يوسف عليه السلام حين حبس بنيامين : من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما انا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من البكاء عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من امه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته إلي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك . فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره فاظهر نفسه على مانذكره

يٰبني اذهبوا فتحسَّسُوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من رَوْحِ الله ، انه لا ييأس من رَوْحِ الله الا القوم الكٰفرون (٨٧) فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلَنا الضر وجئنا ببضٰعة مزجٰة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ، ان الله يجزي المتصدقين (٨٨)

يقول تعالى مخبراً عن يعقوب عليه السلام انه ندب بنيه على الذهاب في الارض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين والتحسس يكون في الخير والتجسس يكون في الشر ، ونهضهم وبشرهم وأمرهم أن لا ييأسوا من روح الله أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه فانه لا يقطع الرجاء، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

وقوله (فلما دخلوا عليه) تقدير الكلام : فذهبوا فدخلوا مصر ودخلوا على يوسف (قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) يعنون من الجدب والقحط وقلة الطعام (وجئنا ببضاعة مزجاة) أي ومعنا ثمن الطعام الذي نمتاره وهو ثمن قليل قاله مجاهد والحسن وغير واحد ، وقال ابن عباس الردي، لا ينفق مثل خلق الغرارة والحبل والشيء ، وفي رواية عنه الدراهم الرديئة التي لا تجوز إلا بنقصان وكذا قال قتادة والسدي وقال سعيد بن جبير: هي الدراهم الفسول وقال أبو صالح هو الصنوبر وحبة الخضراء ، وقال الضحاك كاسدة لا تنفق ،وقال أبو صالح جاءوا بحب البطم الاخضر والصنوبر وأصل الازجاء الدفع لضعف الشيء كما قال حاتم طي .

ليبك على ملحان ضيف مدافع وأرملة تزجي مع الليل أرملا

وقال أعشى بني ثعلبة

الواهب المائة الهجان وعبدها عوذا تزجى خلفها أطفالها

أن شاء الله تعالى ﴿يابني اذهبوا فتحسسوا﴾ تخبروا واطلبوا الخبر ﴿ من يوسف وأخيه ﴾ والتحسس بالحاء والجيم لا يبعد أحدهما من الآخر إلا أن التحسس بالحاء في الخير وبالجيم في الشر والتحسس هو طلب الشيء بالحاسة قال ابن عباس معناه التمسوا﴿ولا تيأسوا﴾ ولا تقنطوا ﴿من روح الله﴾ أي من رحمة الله وقيل من فرج الله ﴿إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه﴾ وفيه اضمار تقديره فخرجوا راجعين الى مصر حتى وصلوا اليها فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه﴿قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾ أي الشدة والجوع ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ أي قليلة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البائع فيها وأصل الازجاء السوق والدفع وقيل للبضاعة مزجاة لانها غير نافقة وإنما تجوز على دفع من أخذها واختلفوا فيها فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل

وقوله إخباراً عنهم (فأوف لنا الكيل) أي اعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك وقرأ ابن مسعود : فأوقر ركابنا وتصدق علينا . وقال ابن جريج وتصدق علينا برد أخينا الينا ، وقال سعيد بن جبير والسدي (وتصدق علينا) يقولون تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجوز فيها ، وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء قبل النبي ﷺ فقال ألم تسمع قوله (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين) ؟ رواه ابن جرير عن الحارث عن القاسم عنه . وقال ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا القاسم حدثنا مروان بن معاوية عن عثمان بن الاسود سمعت مجاهداً وسئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق علي؟ قال نعم إنما الصدقة لمن يبتغي الثواب

قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جٰهلون ؟ (٨٩) قالوا أءنك لأنت يوسف

قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر

المحسنين (٩٠) قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخٰطئين (٩١) قال لا تثريب عليكم

اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (٩٢)

يقول تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام انه لماذكر له اخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجدب وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه واخوته وبدره البكاء فتعرف اليهم فيقال انه رفع التاج عن جبهته وكان فيها شامة وقال (هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) يعني كيف فرقوا

كانت الحبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم والنعال ﴿فأوف لنا الكيل﴾ أي اعطنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافي ﴿وتصدق علينا﴾ أي تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والرديء ولا تنقصنا هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا برد اخينا الينا ﴿ان الله يجزي﴾ يثيب ﴿المتصدقين﴾ وقال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا أنه مؤمن وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا عليه الصلاة والسلام فقال سفيان ألم تسمع قوله تعالى (وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين) يريد أن الصدقة كانت حلالا لهم وروي ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبغي الثواب قل اللهم اعطني أو تفضل علي ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا أنتم جاهلون﴾ اختلفوا في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول قال ابن أسحاق ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة فارفض دمعه فباح بالذي كان يكتمه ، وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكى لاخوته ان مالك ابن ذعر قال اني وجدت غلاما في بئر من حاله كيت وكيت فابتعته بكذا درهما فقالوا أيها الملك نحن

بينه وبين أخيه (إذ أنتم جاهلون) أي إنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه كما قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقرأ (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) الآية والظاهر والله أعلم ان يوسف عليه السلام انما تعرف اليهم بنفسه باذن الله تعالى له في ذلك كما انه أخفى منهم نفسه في المرتين الاوليين بأمر الله تعالى له في ذلك والله أعلم ، ولكن لما ضاق الحال واشتد الامر فرج الله تعالى من ذلك الضيق كما قال تعالى (فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً) فعند ذلك قالوا (أئنك لأنت يوسف) وقرأ أبي بن كعب (انك لأنت يوسف) وقرأ ابن محيصن (أنت يوسف) والقراءة المشهورة هي الاولى لان الاستفهام يدل على الاستعظام أي أنهم تعجبوا من ذلك انهم يترددون اليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام (أئنك لأنت يوسف ؟ قال أنا يوسف وهذا أخي)

وقوله (قد من الله علينا) أي بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد المدة (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) الآية يقولون معترفين له بالفضل والاثرة

بعنا ذلك الغلام منه فغاظ يوسف ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يحزن ويبكي لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف به إذا أتاه قتل بنيه كلهم ؟ ثم قالوا له ان فعلت ذلك فابعث بأمتعتنا إلى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين رحمهم وبكى وقال ذلك القول وقيل قاله حين قرأ كتاب أبيه الذي كتب اليه فلم يتمالك البكاء فقال : (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) إذ فرقتم بينهما وصنعتم ماصنعتم (اذا أنتم جاهلون) بما يؤول اليه امر يوسف ؟ وقيل مذنبون وعاصون وقال الحسن إذ أنتم شبان ومعكم جهل الشباب . فان قيل كيف قال مافعلتم بيوسف واخيه وما كان منهم الى اخيه شيء وهم لم يسعوا في حبسه ؟ قيل قد قالوا له في الصاع ما رأينا منكم يا بني راحيل خيرا وقيل لما كانا من أم واحدة كانوا يؤذونه من بعد فقد يوسف ﴿قالوا ائنك لأنت يوسف﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر انك على الخبر وقرأ الآخرون على الاستفهام قال ابن اسحاق كان يوسف يتكلم من وراء ستر فلما قال يوسف هل علمتم مافعلتم كشف عنهم الغطاء ورفع عنهم الحجاب فعرفوه وقال الضحاك عن ابن عباس لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ المنظوم فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما (ائنك لأنت يوسف) وقال عطاء عن ابن عباس ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في قرنه علامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحاق مثلها ولسارة مثلها مثل الشامة فعرفوه فقالوا أئنك لانت يوسف وقيل قالوه على التوهم حتى ﴿قال أنا يوسف وهذا أخي﴾ بنيامين ﴿قد من الله علينا﴾ أنعم الله علينا بان جمع بيننا ﴿ انه من يتق﴾ بأداء الفرائض واجتناب المعاصي ﴿ ويصبر ﴾ عما حرم الله عز وجل عليه ، قال ابن عباس يتقي الزنا ويصبر على العزوبة ، وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن ﴿ فان الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ قالوا معتذرين ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ أي اختارك الله وفضلك علينا

عليهم في الأقوال والخلوة والبسطة أو الملك والتصرف فيه والنبوة أيضاً على قول من لم يجعلهم أنبياء وأقروا بأنهم أساءوا إليه وأخطأوا في حقه (قال لا تثريب عليكم اليوم) يقول أي لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) قال السدي اعتذروا إلى يوسف فقال (لا تثريب عليكم اليوم) يقول لا أذكر لكم ذنبكم ، وقال ابن إسحاق والثوري (لا تثريب عليكم) أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم (يغفر الله لكم) أي يستر الله عليكم فيما فعلتم (وهو أرحم الراحمين)

اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين (٩٣)

ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون (٩٤) قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم (٩٥)

يقول اذهبوا بهذا القميص (فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً) وكان قد عمي من كثرة البكاء (وأتوني بأهلكم أجمعين) أي بجميع بني يعقوب (ولما فصلت العير) أي خرجت من مصر (قال أبوهم

﴿ وإن كنا لخاطئين ﴾ أي وما كنا في صنيعنا بك إلا مخطئين مذنبين يقال خطئ خطأ إذا تعمد وأخطأ إذا كان غير متعمد ﴿ قال ﴾ يوسف وكان حليماً ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ لا تعيير عليكم ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم ﴿ يغفر الله لكم ﴾ وهو أرحم الراحمين ﴾ فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدي؟ قالوا ذهبت عيناه من البكاء ، فأعطاهم قميصه ثم قال ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً ﴾ أي يعد مبصراً وقيل يأتيني بصيراً لأنه كان قد دعاه ثم قال الحسن لم يعلم أنه يعود بصيراً إلا بعد أن أعلمه الله عز وجل ، قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة ، وعن مجاهد قال أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم عليه السلام وذلك أنه جرد من ثيابه وألقي في النار عرياناً فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم عليه السلام فلما مات ورثه إسحاق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة وسد رأسها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في البئر عرياناً جاءه جبريل عليه السلام وعلى يوسف ذلك التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه إياه ففي هذا الوقت جاء جبريل عليه السلام الى يوسف عليه السلام وقال له أرسل الى أبيك ذلك القميص فإن فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص الى اخوته وقال (ألقوه على وجه أبي يأت بصيراً) ﴿ وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير ﴾ أي خرجت من عريش مصر متوجهة الى كنعان ﴿ قال أبوهم ﴾ أي قال يعقوب

يعني يعقوب عليه السلام لمن بقي عنده من بنيه (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) تسفهوني
الحمق الفند والكبر قال عبد الرزاق أنبأنا اسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت
ابن عباس يقول: ولما فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص
يوسف فقال (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) قال فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام وكذا
رواه سفيان الثوري وشعبة وغيرهما عن أبي سنان به وقال الحسن وابن جريج كان بينهما ثمانون
فرسخا وكان بينه وبينه منذ افترقا ثمانون سنة وقوله (لولا أن تفندون) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء
وقتادة وسعيد بن جبير تسفهون وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون وقولهم (إنك لفي ضلالك القديم)
قال ابن عباس لفي خطئك القديم وقال قتادة أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه قالوا لوالدهم
كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم [1] ولا لنبي الله صلى الله عليه وسلم وكذا قال السدي وغيره

فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله
ما لا تعلمون (٩٦) قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين (٩٧) قال سوف أستغفر
لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم (٩٨)

قال ابن عباس والضحاك (البشير) البريد، وقال مجاهد والسدي كان يهوذا بن يعقوب قال

لولده (إني لأجد ريح يوسف) روي أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح
يوسف قبل أن يأتيه البشير، قال مجاهد أصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة أيام، وحكي
عن ابن عباس من مسيرة ثمان ليال، وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح الصبا
فصفقت القميص فاحتملت ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أن ليس في الأرض من
ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فلذلك قال (إني لأجد ريح يوسف) قبل البشير (لولا أن
تفندون) تسفهوني وعن ابن عباس تجهلوني وقال الضحاك تهرموني تقولون شيخ كبير قد خرف
وذهب عقله وقيل تضعفوني وقال أبو عبيدة تضللوني وأصل الفند الفساد (قالوا) يعني أولاد أولاده
(تالله إنك لفي ضلالك القديم) أي خطئك السابق من ذكرك يوسف لا تنساه والضلال هو الذهاب
عن طريق الصواب فإن عندهم أن يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره (فلما أن جاء البشير)
وهو المبشر عن يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدي العير قال ابن عباس هو يهوذا، قال
أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب فأنا أذهب اليوم
بالقميص فأخبره أن ولده حي فأفرحه كما أحزنته، قال ابن عباس فحمله يهوذا وخرج حافيا حاسرا
يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا وقيل البشير مالك

«١» الذين قالوا له ما ذكر ليسوا أولاده بل من حضر من أهله وقومه وأولاده كانوا غائبين من مصر وكلمة الضلال ليست غليظة بذاتها وإنما تكون غليظة باعتبار ما تتعلق به والمراد بها هنا خطأ الرأي في أن يوسف حي

السدي انما جاء به لانه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب فأحب أن يغسل ذلك بهذا فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه فرجع بصيرا وقال لبنيه عند ذلك (ألم أقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون) أي أعلم أن الله سيرده إلي وقلت لكم (اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين * قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) أي من تاب اليه تاب عليه قال ابن مسعود وابراهيم التيمي وعمرو ابن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم الى وقت السحر ، وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن ادريس سمعت عبدالرحمن بن إسحاق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر رضي الله عنه يأتي المسجد فيسمع إنسانا يقول : اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي قال فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبدالله بن مسعود فسئل عبدالله عن ذلك فقال ان يعقوب أخر بنيه الي السحر بقوله (سوف أستغفر لكم ربي) وقد ورد في الحديث إن ذلك كان ليلة الجمعة كما قال

ابن ذعر ﴿ ألقاه على وجهه ﴾ يعني ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿ فارتد بصيرا ﴾ فعاد بصيراً بعد ما كان أعمى وعادت اليه قوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن ﴿ قال ﴾ يعني يعقوب عليه السلام ﴿ ألم أقل لكم اني أعلم من الله مالا تعلمون ﴾ من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا ، وروي انه قال للبشير كيف تركت يوسف ؟ قال انه ملك مصر . فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته ؟ قال على دين الاسلام . قال الآن تمت النعمة ﴿ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إن كنا خاطئين ﴾ مذنبين ﴿ قال سوف أستغفر لكم ربي ﴾ قال أكثر المفسرين أخر الدعاء الى السحر وهو الوقت الذي يقول الله تعالى : هل من داع فأستجيب له . فلما انتهى يعقوب الى الموعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال: اللهم اغفرلي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما أتوا الى أخيهم يوسف فأوحى الله تعالى اليه إني قد غفرت لك ولهم أجمعين ، وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (سوف أستغفر لكم ربي) يعني ليلة الجمعة ، قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة ، وقال طاوس أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء ، وعن الشعبي (قال سوف أستغفر لكم ربي) قال أسأل يوسف ان عفا عنكم أستغفر لكم ربي ﴿ انه هو الغفور الرحيم ﴾ روي ان يوسف كان قد بعث مع البشير الى يعقوب مائتي راحلة وجهازاً كثيراً ليأتوا بيعقوب وأهله وأولاده فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فخرجوا وهم اثنان وسبعون من بين رجل وامرأة ، وقال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه فخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يايهوذا هذا فرعون مصر ؟ قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه

ابن جرير أيضا حدثني المثنى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي حدثنا أبو الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ « سوف أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخي يعقوب لبنيه » وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والله أعلم

فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين (٩٩)

ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رءياي من قبل قد جعلها

ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ

الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم (١٠٠)

يخبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام وقدومه بلاد مصر لما كان يوسف قد تقدم لاخوته أن يأتوه بأهلهم أجمعين فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم خرج لتلقيهم وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب عليه السلام ويقال إن الملك خرج أيضا لتلقيه وهو الاشبه وقد أشكل قوله (آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر) على كثير من المفسرين فقال بعضهم هذا من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) وآوى اليه أبويه ورفعهما ورد ابن جرير هذا وأجاد في ذلك ثم اختار ماحكاه عن السدي أن يوسف آوى اليه أبويه لما تلقاهما ثم لما وصلوا باب البلد قال (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) وفي هذا نظر أيضا لان الايواء انما يكون في المنزل كقوله (آوى اليه أخاه) وفي الحديث «من آوى محدثا» وما المانع أن يكون قال لهم بعد ما دخلوا عليه وآواهم اليه ادخلوا مصر وضمنه أسكنوا مصر ان شاء الله آمنين أي مما كنتم فيه

ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فقال جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يامذهب الاحزان ، وروي أنهما نزلا وتعانقا وقال الثوري لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يابني ولكن فارقتك وانت صغير فخشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى اليه﴾ أي ضم اليه ﴿أبويه﴾ قال اكثر المفسرين هو أبوه وخالته ليا وكانت أمه راحيل قد ماتت في نفاس بنيامين وقيل هو ابوه وأمه وكانت حية وفي بعض التفاسير ان الله عز وجل أحيا أمه حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر ﴿وقال ادخلوا إلى مصر ان شاء الله آمنين﴾ فان قيل فقد قال (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه) فكيف قال (ادخلوا مصر) بعد ما أخبر

من الجهد والقحط ويقال والله أعلم ان الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة حين قال «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» ثم لما تضرعوا اليه واستشفعوا لديه وأرسلوا أبا سفيان في ذلك فدعا لهم فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عليه السلام وقوله (آوى اليه أبويه) قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم انما كان أبوه وخالته وكانت أمه قدماتت قديما، وقال محمد بن اسحاق وابن جرير كان أبوه وأمه يعيشان قال ابن جرير ولم يقم دليل على موت أمه وظاهر القرآن يدل على حياتها وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق وقوله (ورفع أبويه على العرش) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني السرير أي أجلسهما معه على سريره (وخروا له سجداً) أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلا (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) أي التي كان قصها على أبيه من قبل (اني رأيت أحد عشر كوكبا) الآية وقد كان هذا سائغا في شرائعهم اذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم هذا في هذه الملة وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره، وفي الحديث أن معاذاً قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ماهذا يامعاذ؟» فقال اني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يارسول الله فقال «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها من عظم حقه عليها» وفي حديث آخر أن سلمان لقي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث عهد بالاسلام فسجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «لا تسجد

انهم دخلوها فما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول؟ قيل ان يوسف انما قال لهم هذا القول حين تلقاهم قبل دخولهم مصر وفي الآية تقديم وتأخير والاستثناء يرجع إلى الاستغفار وهو من قول يعقوب لبنيه (سوف أستغفر لكم ربي) ان شاء الله وقيل الاستثناء يرجع الى الامن من الجواز لانهم كانوا لايدخلون مصر قبله الا بجواز من ملوكهم يقول آمنين من الجواز ان شاء الله كما قال (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وقيل إن هاهنا بمعنى إذ يريد إذ شاء الله كقوله تعالى (وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) أي إذ كنتم مؤمنين ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي على السرير أجلسهما والرفع هو النقل إلى العلو ﴿وخروا له سجدا﴾ يعني يعقوب وخالته واخوته وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض وإنما هو الانحناء والتواضع وقيل وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم لا على طريق العبادة وكان ذلك جائزاً في الأمم السالفة فنسخ في هذه الشريعة

وروي عن ابن عباس انه قال معناه خروا لله عز وجل سجداً بين يدي يوسف والأول أصح ﴿وقال﴾ يوسف عند ذلك ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا﴾ هو قوله (اني

لي يا سليمان او اسجد للحي الذي لا يموت". والغرض أن هذا كان جائزاً في شريعتهم ولهذا خروا له
سجداً فعندها قال يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) أي هذا ما آل
اليه الامر. فان التأويل يطلق على ما يصير اليه الامر كما قال تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي
تأويله) أي يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا به من خير وشر وقوله (قد جعلها ربي حقا) أي صحيحة
صدقا ثم ذكر نعم الله عليه (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو) أي البادية قال
ابن جرير وغيره كانوا أهل بادية وماشية، وقال كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين من
غور الشام قال وبعض يقول كانوا بالاولاج من ناحية شعب أسفل من حسمى وكانوا أصحاب بادية
وشاء وابل (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء) أي اذا أراد أمرا
قيض له أسبابه وقدره ويسره (إنه هو العليم) بمصالح عباده (الحكيم) في أقواله وأفعاله وقضائه وقدره
وما يختاره ويريده قال أبو عثمان النهدي عن سلمان كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة قال
عبد الله بن شداد والبهاية هي أقصى الرؤيا رواه ابن جرير وقال أيضا حدثنا عمرو بن علي حدثنا
عبد الوهاب الثقفي حدثنا هشام عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب الى أن التقيا ثمانون
سنة لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديه وما على وجه الارض عبد أحب الى الله من يعقوب
وقال هشيم عن يونس عن الحسن ثلاث وثمانون سنة، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن ألقي يوسف
في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة فغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فمات
وله عشرون ومائة سنة وقال قتادة كان بينهما خمس وثلاثون سنة.

وقال محمد بن اسحاق : ذكر والله أعلم أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثماني عشرة سنة، قال
وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها، وأن يعقوب عليه السلام بقي مع يوسف بعد

رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) ﴿وقد أحسن بي﴾ أي أنعم علي
﴿إذ أخرجني من السجن﴾ ولم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من السجن استعمالا للكرم لكيلا
يخجل اخوته بعد ما قال لهم (لا تثريب عليكم اليوم) ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن
أعظم لانه بعد الخروج من الجب صار الى العبودية والرق وبعد الخروج من السجن صار الى الملك
ولان وقوعه في البئر كان لحسد اخوته وفي السجن كان مكافأة من الله تعالى لزلة كانت منه ﴿وجاء بكم
من البدو﴾ والبدو بسيط من الارض يسكنه أهل المواشي بماشيتهم وكانوا أهل بادية ومواشي يقال
﴿بدا يبدو بدوا﴾ اذا صار الى البادية ﴿من بعد أن نزغ﴾ أفسد ﴿الشيطان بيني وبين اخوتي﴾ بالحسد
﴿إن ربي لطيف﴾ أي ذو لطف ﴿لما يشاء﴾ وقيل معناه لمن يشاء وحقيقة اللطيف الذي
يوصل الاحسان الى غيره بالرفق ﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ قال أهل التاريخ أقام يعقوب بمصر عند
يوسف أربعا وعشرين سنة في أغبط حال وأهنأ عيش ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة أوصى الى

«١» فيها في
في متسع ثلاثة

أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضهما الله اليه . وقال أبو اسحاق السبيعي عن ابي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال : دخل بنو اسرائيل مصر وهم ثلاثة (١) وستون انسانا وخرجوا منها وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا ، وقال أبو اسحاق عن مسروق دخلوا وهم ثلثمائة و تسعون بين رجل وامرأة فالله أعلم ، وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن شداد اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون انسانا صغيرهم و كبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم وخرجوا منها وهم ستمائة ألف ونيف

«١» في المكية ثلاثمائة وستون

رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض ، أنت ولي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلما وألحقني بالصلحين ١٠١)

هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه واخوته وما من الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه قاله الضحاك ، وأن يلحقه بالصالحين وهم اخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول « اللهم في الرفيق الاعلى » ثلاثا ويحتمل أنه سأل الوفاة على الاسلام واللحاق بالصالحين اذا جاء أجله وانقضى عمره لا انه سأله ذلك منجزاً كما يقول الداعي لغيره أماتك الله على الاسلام ، ويقول الداعي اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ، ويحتمل أنه سأل ذلك منجزاً وكان ذلك سائغا في ملتهم كما قال قتادة

قوله (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) لما جمع الله شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها ونضارتها اشتاق إلى الصالحين قبله ، وكان ابن عباس يقول ماتمنى نبي قط الموت قبل يوسف

ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق ففعل يوسف ذلك ومضى به حتى دفنه بالشام ثم انصرف الى مصر ، وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب عليه السلام في تابوت من ساج الى بيت المقدس فوافق ذلك موت يوم العيص فدفنا في قبر واحد وكانا ولدا في بطن واحد وكان عمرهما مائة وسبعا وأربعين سنة فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله علم ان نعيم الدنيا لايدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال ﴿ رب قد آتيتني من الملك ﴾ يعني ملك مصر والملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ يعني تعبير الرؤيا ﴿ فاطر ﴾ أى يافاطر ﴿ السموات والارض ﴾ أي خالقهما ﴿ أنت وليي ﴾ أي معيني ومتولي أمري ﴿ في الدنيا والآخرة توفني مسلما ﴾ يقول اقبضني اليك مسلما ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ يريد بآبائي النبيين ، قال قتادة لم يسأل نبي من الانبياء الموت إلا يوسف ، وفي القصة لما جمع الله شمله وأوصل اليه أبويه وأهله اشتاق الى ربه عز وجل فقال هذه

عليه السلام ، وكذا ذكر ابن جرير والسدي عن ابن عباس انه أول نبي دعا بذلك وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الاسلام كما أن نوحا أول من قال (رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا) ويحتمل انه أول من سأل انجاز ذلك وهو ظاهر سياق قول قتادة ، ولكن هذا لايجوز في شريعتنا قال الامام احمد بن حنبل حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فان كان ولا بد متمنيا الموت فليقل اللهم أحيني ماكانت الحياة خيراً لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيراً لي » وأخرجاه في الصحيحين ، وعندهما « لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به إما محسنا فيزداد ، وإما مسيئا فلعله يستعتب ، ولكن ليقل اللهم أحيني ماكانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي »

وقال الامام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة قال : جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ورققنا فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء وقال ياليتني مت ، فقال النبي ﷺ « ياسعد أعندي تتمنى الموت؟ » فردد ذلك ثلاث مرات ثم قال « ياسعد إن كنت خلقت للجنة فما طال من عمرك وحسن من عملك فهو خير لك »

وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو يونس هو سليم بن جبير عن ابي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولا يدع به من قبل أن يأتيه الا أن يكون قد وثق بعمله ، فانه اذا مات أحدكم انقطع عنه عمله وانه لايزيد المؤمن عمله الا خيراً » تفرد به أحمد وهذا فيما اذا كان الضر خاصا به ، وأما اذا كان فتنة في الدين فيجوز سؤال الموت كما قال الله تعالى اخباراً عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل (قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقالت مريم لما جاءها المخاض وهو الطلق إلى جذع النخلة (ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) لما علمت من أن الناس يقذفونها بالفاحشة لانها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت وقد قالوا (يامريم لقد جئت شيئا فريا * ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) فجعل الله لها من ذلك الحال فرجا ومخرجا وأنطق الصبي في المهد بأنه عبد الله ورسوله فكان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه . وفي حديث معاذ الذي رواه الامام أحمد والترمذي في قصة المنام والدعاء الذي فيه « واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون »

المقالة ، قال الحسن عاش بعد هذا سنين كثيرة ، وقال غيره لما قال هذا القول لم يمض عليه أسبوع حتى توفي ، واختلفوا في مدة غيبة يوسف عن أبيه فقال الكلبي اثنتان وعشرون سنة وقيل أربعون سنة ، وقال الحسن ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد لقاء يعقوب ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وفي التوراة مات وهو ابن مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلاثة أولاد افرائيم وميشا ورحمة امرأة ايوب المبتلى عليه السلام

وقال الامام أحمد حدثنا أبو سلمة انا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن عاصم عن كثير بن قتادة عن محمود بن لبيد مرفوعا أن النبي ﷺ قال « اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتن ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب » فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت ، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر خلافته لما رأى أن الامور لا تجتمع له ولا يزداد الامر الا شدة فقال اللهم خذني اليك فقد سئمتهم وسئموني . وقال البخاري رحمه الله لما وقعت له تلك الفتنة وجرى له مع أمير خراسان ماجرى قال : اللهم توفني اليك . وفي الحديث « إن الرجل ليمر بالقبر أي في زمان الدجال فيقول ياليتني مكانك » لما يرى من الفتن والزلازل والبلابل والامور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون قال أبو جعفر بن جرير وذكروا أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف مافعلوا استغفر لهم أبوهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم

﴿ ذكر من قال ذلك ﴾

حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج بن صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله بعينيه خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض ألستم قد علمتم ماصنعتم وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا بلى ، قال فيغركم عفوهما عنكم فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب ابيه قاعد قالوا ياأبانا انا أتيناك لأمر لم نأتك لأمر مثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط حتى حركوه والانبياء عليهم السلام أرحم البرية فقال مالكم يابني ؟ قالوا ألست قد علمت ما كان منا اليك وما كان منا إلى أخينا يوسف ؟ قال بلى ، قالوا أولستما قد غفرتما لنا ؟ قالا بلى ، قالوا فان عفوكما لا يغني عنا شيئا إن كان الله لم يعف عنا قال فما تريدون يابني ؟ قالوا نريد أن تدعو الله لنا ، فاذا جاءك الوحي من الله بأنه قد عفا عنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرة عين في الدنيا لنا أبداً ، قال فقام الشيخ فاستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما اذلة خاشعين ، قال فدعا وأمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة ، قال صالح المري يخيفهم قال حتى اذا كان على رأس العشرين نزل جبريل عليه السلام على يعقوب عليه السلام فقال إن الله تعالى بعثني اليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك وأن الله تعالى قد عفا عما صنعوا وانه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة . هذا الأثر موقوف عن أنس ويزيد الرقاشي

وقيل عاش يوسف بعد أبيه ستين سنة وقيل اكثر واختلفت الاقاويل فيه وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة فدفنوه في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس فيه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفنوه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجري الماء عليه وتصل بركته إلى جميعهم وقال عكرمه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر فنقل إلى الجانب الايسر فاخصب ذلك الجانب وأجدب الجانب

وصالح المري ضعيفان جداً ، وذكر السدي أن يعقوب عليه السلام لماحضره الموت أوصى إلى يوسف بأن يدفن عند ابراهيم واسحاق ، فلما مات صبره وأرسله إلى الشام فدفن عندهما عليهم السلام

ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (١٠٢) وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (١٠٣) وما تسئلهم عليه من أجر إن هو الا ذكر للعلمين (١٠٤)

يقول تعالى لمحمد ﷺ لما قص عليه نبأ اخوة يوسف وكيف رفعه الله عليهم وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم مع ماأرادوا به من السوء والهلاك والاعدام هـذا وأمثاله يامحمد من أخبار الغيوب السابقة (نوحيه اليك) ونعلمك به يامحمد لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك (وما كنت لديهم) حاضراً عندهم ولامشاهداً (إذ أجمعوا أمرهم) أي على القائه في الجب (وهم يمكرون) به ، ولكنا أعلمناك به وحيا اليك وانزالا عليك كقوله [وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم] الآية وقال تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الامر) الآية إلى قوله (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) الآية ،وقال (وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا) الآية وقال (ما كان لي من علم بالملأ الاعلى إذ يختصمون * إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين) يقول تعالى انه رسوله وانه قد أطلعه على أنباء من قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ولهذا قال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) كقوله (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الى غير ذلك من الآيات وقوله (وما تسألهم عليه من أجر) أي ماتسألهم يامحمد على هذا النصح والدعاء الى الخير والرشد من أجر أي من جعالة ولا أجرة بل تفعله ابتغاء وجه الله ونصحاً لخلقه (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والآخرة

وكأين من آية في السموت والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون (١٠٥) وما يؤمن

الآخر فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان جميعا الى أن أخرجه موسى فدفنه بقرب آبائه بالشام ﴿ذلك﴾ الذي ذكرت ﴿من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم﴾ أي ماكنت يامحمد عند أولاد يعقوب ﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ أي عزموا على القاء يوسف في الجب ﴿وهم يمكرون﴾ بيوسف ﴿وما أكثر الناس﴾ يامحمد ﴿ولو حرصت بمؤمنين﴾ على ايمانهم وروي أن اليهود وقريشا سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فلما أخبرهم على موافقة التوراة لم يسلموا فحزن النبي ﷺ لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون وان حرصت على إيمانهم ﴿وما تسألهم عليه﴾ أي على تبليغ الرسالة والدعاء إلى الله تعالى ﴿من أجر﴾ جعل وجزاء ﴿ إن هو﴾ ماهو يعني القرآن ﴿إلا ذكر﴾ عظة وتذكير ﴿للعالمين وكأين﴾ وكم ﴿من آية ﴾ عبرة ودلالة ﴿في السموات والأرض

أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦) أفأمنوا أن تأتيهم غشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون؟ (١٠٧)

يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والارض من كواكب زاهرات، ثوابت وسيارات، وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في الارض من قطع متجاورات، وحدائق وجنات، وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات، وحيوان ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفات، في الطعوم والروائح والالوان والصفات، فسبحان الواحد الاحد خالق أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية للاسماء والصفات، وغير ذلك

وقوله (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال ابن عباس: من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم من خلق السموات ومن خلق الارض ومن خلق الجبال؟ قالوا الله وهم مشركون به. وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وفي الصحيحين ان المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لاشريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك، وفي صحيح مسلم انهم كانوا إذا قالوا: لبيك لاشريك لك قال رسول الله ﷺ «قدقد» أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا وقال الله تعالى (أن الشرك لظلم عظيم) وهذا هو الشرك الاعظم يعبد مع الله غيره كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت يارسول الله أي الذنب أعظم؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» وقال الحسن البصري في قوله (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ذلك المنافق يعمل إذا عمل رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك يعني قوله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وثم شرك آخر خفي لا يشعر به غالبًا فاعله كما روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قال: دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيراً فقطعه — أو انتزعه — ثم قال (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وفي الحديث «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه الترمذي وحسنه من رواية ابن عمر وفي الحديث الذي رواه احمد وأبو داود وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ان الرقى والتمائم والتولة شرك» وفي لفظهما «الطيرة شرك وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل» ورواه

يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون﴾ فكان من ايمانهم إذا سئلوا من خلق السموات والارض؟ قالوا الله، وإذا قيل لهم من ينزل القطر؟ قالوا الله، ثم مع ذلك يعبدون الاصنام ويشركون، وعن ابن عباس أنه قال إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك الا شريك هو

الامام احمد بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجزار عن ابن أخي زينب عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود قالت : كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه قالت وانه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير قالت فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطا فقال : ماهذا الخيط ؟ قالت قلت خيط رقي لي فيه فاخذه فقطعه ثم قال ان آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » قالت قلت له لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها فكان إذا رقاها سكنت ؟ فقال إنما ذاك من الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقاها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ « أذهب الباس ، ربّ الناس ، اشف وأنت الشافي لاشفاء الاشفاؤك شفاء لايغادر سقما » وفي حديث آخر رواه الامام أحمد عن وكيع عن ابن أبي ليلى عن عيسى بن عبدالرحمن قال دخلت على عبد الله ابن عكيم وهو مريض نعوده فقيل له لو تعلقت شيئاً فقال أتعلق شيئا وقد قال رسول الله ﷺ « من تعلق شيئاً وكل اليه » ورواه النسائي عن أبي هريرة . وفي مسند الامام أحمد من حديث عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ « من علق تميمة فقد أشرك » وفي رواية « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وعن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » رواه مسلم . وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم لاريب فيه ينادي مناد : من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » رواه الامام أحمد ، وقال أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن يزيد يعني ابن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر » قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله ؟ قال « الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » وقد رواه اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن عاصم بن عمرو عن قتادة عن محمود بن لبيد به ، وقال الامام احمد حدثنا حسن أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا ابن هبيرة عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » قالوا يارسول الله ما كفارة ذلك ؟ قال « أن يقول أحدهم اللهم لاخير الاخيرك

لك تملكه وما ملك وقال عطاء هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء كما قال الله تعالى (وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين) الآية واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وغير ذلك

ولا طير إلا طيرك ولا اله غيرك » وقال الامام احمد حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا عبدالملك بن أبي سليمان العرزمي عن أبي علي رجل من بني كاهل قال: خطبنا أبو موسى الاشعري فقال: يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل. فقام عبدالله بن حارث وقيس بن المضارب فقالا والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون قال بل أخرج مما قلت خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال « ياأيها الناس اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل » فقال له من شاء الله أن يقول فكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يارسول الله ؟ قال قولوا « اللهم انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه » وقد روي من وجه آخر وفيه أن السائل في ذلك هو الصديق كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي من حديث عبدالعزيز بن مسلم عن ليث بن أبي سليم عن أبي محمد عن معقل بن يسار قال شهدت النبي ﷺ أو قال حدثني أبو بكر الصديق عن رسول الله ﷺ أنه قال « الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل » فقال أبو بكر وهل الشرك الا من دعا مع الله إلها آخر ؟ فقال رسول الله ﷺ « الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل » ثم قال « ألا أدلك على مايذهب عنك صغير ذلك وكبيره . قل اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك مما لا أعلم » وقد رواه الحافظ أبو القاسم البغوي عن شيبان بن فرج عن يحيى بن أبي كثير عن الثوري عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق قال قال رسول الله ﷺ « الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا » قال فقال أبو بكر يارسول الله فكيف النجاة والمخرج من ذلك ؟ فقال « ألا أخبرك بشيء اذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره » قال بلى يارسول الله قال قل « اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم » قال الدارقطني يحيى بن أبي كثير هذا يقال له أبو النضر متروك الحديث ، وقد روى الامام احمد وابو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث يعلى بن عطاء سمعت عمرو بن عاصم سمعت أبا هريرة قال قال أبو بكر الصديق يارسول الله علمني شيئا أقوله اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعي قال قل « اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه » رواه ابو داود والنسائي وصححه وزاد الامام احمد في رواية له من حديث ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن ابي بكر الصديق قال : امرني رسول الله ﷺ ان اقول فذكر هذا الدعاء وزاد في آخره « وان اقترف على نفسي سوأ او اجره الى مسلم »

وقوله (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) الآية أي أفأمن هؤلاء المشركون بالله ان يأتيهم امر يغشاهم من حيث لا يشعرون كقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم

من الآيات ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ أي عقوبة مجللة قال مجاهد عذاب يغشاهم نظير قوله تعالى (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم) قال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع

الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون * او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين * او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم) وقوله (أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون؟* او أمن اهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون* أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون)

قُلْ هذه سبيلي أدعوا إلى الله علىٰ بصيرة أنا ومن اتبعني وسُبحٰن الله وما أنا من المشركين (١٠٨)

يقول تعالى لرسوله ﷺ الى الثقلين الانس والجن آمراً له ان يخبر الناس ان هذه سبيله اي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة الى شهادة ان لا إله الا هو وحده لاشريك له يدعو الى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو و كل من اتبعه يدعو الى مادعا اليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي شرعي وقوله (وسبحان الله) أي وانزه الله واجله واعظمه وأقدسه عن ان يكون له شريك او نظير او عديل او نديد او ولد او والد اوصاحبة او وزير او مشير تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عن ذلك كله علوا كبيراً (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا)

وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض

﴿أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في أسواقهم ﴿قل﴾ يامحمد ﴿هذه﴾ الدعوة التي أدعو اليها والطريقة التي أنا عليها ﴿ سبيلي ﴾ سنتي ومنهاجي وقال مقاتل ديني نظيره قوله (أدع الى سبيل ربك) أي الى دينه ﴿ ادعو الى الله على بصيرة ﴾ على يقين والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل ﴿أنا ومن اتبعني﴾ أي ومن آمن بي وصدقني أيضا يدعو إلى الله هذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من اتبعه أن يدعو الى مادعا اليه ويذكر بالقرآن وقيل تم الكلام عند قوله (ادعو إلى الله) ثم استأنف (على بصيرة أنا ومن اتبعني) يقول اني على بصيرة من ربي وكل من اتبعني قال ابن عباس يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن قال عبد الله بن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لاتؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الامة أبرها قلوبا واعمقها علما وأقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من اخلاقهم وسيرهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم

قوله تعالى ﴿وسبحان الله﴾ أي وقل سبحان الله تنزيها له عما أشركوا به ﴿وما أنا من المشركين* وما أرسلنا من قبلك ﴾ يا محمد ﴿ إلا رجالا ﴾ لا ملائكة ﴿ نوحي اليهم ﴾ قرأ أبو جعفر وحفص (نوحي)

فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون (١٠٩)

يخبر تعالى أنه انما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة ان الله تعالى لم يوح الى امرأة من بنات آدم وحي تشريع وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وام موسى ومريم بنت عمران ام عيسى نبيات واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وبقوله (وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه) الآية وبأن الملك جاء الى مريم فبشرها بعيسى عليه السلام وبقوله تعالى (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) وهذا القدر حاصل لهن ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك، فان أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لاشك فيه ويبقى الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرده أم لا ؟ الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية وانما فيهن صديقات كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والاعظام فهي صديقة بنص القرآن، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (وما أرسلنا من قبلك الارجالا) الآية أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم وهذا القول عن ابن عباس يعتضد بقوله تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) الآية وقوله تعالى (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين * ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين) وقوله تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) الآية وقوله (من أهل القرى) المراد بالقرى المدن لا أنهم من أهل البوادي الذين هم من أجفى الناس طبعا وأخلاقا وهذا هو المعهود المعروف أن اهل المدن أرق طباعا وألطف من أهل بواديهم وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون في البوادي ولهذا قال تعالى (الاعراب أشد كفراً ونفاقا) الآية وقال قتادة في قوله (من أهل القرى) لانهم أعلم وأحلم من أهل العمود، وفي الحديث الآخر أن رجلا من الاعراب أهدى لرسول الله ﷺ ناقة فلم يزل يعطيه ويزيده حتى رضي فقال رسول الله ﷺ « لقد هممت أن لا أتهب هبة الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي »

بالنون وكسر الحاء، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء ﴿ من أهل القرى ﴾ يعني من أهل الامصار دون أهل البوادي لأن أهل الامصار أعقل من أهل البوادي لغلظهم وجفائهم ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ يعني هؤلاء المشركين المكذبين ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة ﴾ آخر أمر ﴿ الذين من قبلهم ﴾ يعني

وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قال الاعمش هو ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم » وقوله (أفلم يسيروا في الارض) يعني هؤلاء المكذبين لك يا محمد في الارض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي من الامم المكذبة للرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) الآية ، فاذا استمعوا خبر ذلك رأوا أن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين وهذه كانت سنته تعالى في خلقه ولهذا قال تعالى (ولدار الآخرة خير للذين اتقوا) أي وكما نجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة وهي خير لهم من الدنيا بكثير كقوله (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وأضاف الدار إلى الآخرة فقال (ولدار الآخرة) كما يقال صلاة الاولى ومسجد الجامع وعام أول وبارحة الاولى ويوم الخميس قال الشاعر :

أتمدح فقعسا وتذم عبسا ألا لله أمك من هجين
ولو أقوت عليك ديار عبس عرفت الذل عرفان اليقين

حتى اذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا جاءهم نصرنا فنُجِّي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (١١٠)

يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الاوقات الى ذلك كقوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) الآية ، وفي قوله (كذبوا) قراءتان احداهما بالتشديد قد كذّبوا ، وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها تقرؤها . قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى (حتى اذا استيأس الرسل) قال قلت أكذبوا أم كذبوا ؟ قالت عائشة كذّبوا ، قلت فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن ؟ قالت أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك ، فقلت لها (وظنوا أنهم قد كذبوا)

الامم المكذبة فيعتبروا ﴿ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ﴾ يقول جل ذكره هذا فعلنا بأهل ولايتنا وطاعتنا أن ننجيهم عند نزول العذاب وما في الدار الآخرة خير لهم فترك ما ذكرنا اكتفاء بدلالة الكلام عليه قوله (ولدار الآخرة) قيل معناه ولدار الحال الآخرة خير ، وقيل هو اضافة الشيء الى نفسه كقوله (ان هذا لهو حق اليقين) وكقولهم يوم الخميس وربيع الآخر ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتؤمنون ﴿ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ اختلف القراء في قوله (كذبوا) فقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر كذبوا بالتخفيف وكانت عائشة تنكر هذه القراءة ، وقرأ الآخرون

قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها ، قلت فما هذه الآية ؟ قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر (حتى اذا استيأس الرسل) ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك . حدثنا أبو اليمان انبأنا شعبة عن الزهري قال أخبرنا عروة فقلت لها لعلها قد كذبوا مخففة قالت معاذ الله . انتهى ماذكره

وقال ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن ابن عباس قرأها (وظنوا أنهم قد كذبوا) خفيفة قال عبد الله هو ابن أبي مليكة ثم قال لي ابن عباس كانوا بشرا ثم تلا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب) قال ابن جريج وقال لي ابن أبي مليكة وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت ماوعد الله محمداً ﷺ من شيء الا قد علم أنه سيكون حتى مات ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة كانت عائشة تقرؤها (وظنوا أنهم قد كذبوا) مثقلة من التكذيب

وقال ابن أبي حاتم انا يونس بن عبد الاعلى قراءة انا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : جاء انسان إلى القاسم بن محمد فقال ان محمد بن كعب القرظي قرأ هذه الآية (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فقال القاسم أخبره عني أني سمعت عائشة زوج النبي ﷺ تقول (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) تقول كذبتهم أتباعهم . اسناد صحيح أيضا . والقراءة الثانية بالتخفيف واختلفوا في تفسيرها فقال ابن عباس ماتقدم ، وعن ابن مسعود فيما رواه سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قرأ (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) مخففة قال عبد الله هو الذي تكره وهذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما مخالف لما رواه آخرون عنهما ، أما ابن عباس فروى الاعمش عن مسلم عن ابن عباس في قوله (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) قال لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك (فنجي من نشاء) وكذا روي عن سعيد بن جبير وعمران بن الحارث السلمي وعبد الرحمن بن معاوية وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس مثله

بالتشديد فمن شدده قال معناه (حتى اذا استيأس الرسل) من ايمان قومهم (وظنوا) أي أيقنوا يعني الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيباً لايرجى بعده ايمانهم ، والظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه (حتى اذا استيأس الرسل) ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم (وظنوا) ان من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم واستبطاء النصر ومن قرأ بالتخفيف قال معناه (حتى اذا استيأس الرسل) من ايمان قومهم (وظنوا) أي ظن قومهم ان الرسل قد كذبتهم في وعيد العقاب ، وروي عن ابن عباس ان معناه ضعف قلوبهم يعني وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر وكانوا بشراً فضعفوا ويئسوا وظنوا أنهم قد أخلفوا

وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا عارم أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد حدثنا شعيب حدثنا ابراهيم بن ابي حمزة الجزري قال : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير قال أخبرنا أبا عبد الله كيف هذا الحرف فاني اذا أتيت عليه تمنيت ان لا أقرأ هذه السورة (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا) قال نعم حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا ، فقال الضحاك بن مزاحم مارأيت كاليوم قط رجلا يدعى إلى علم فيتلكأ لو رحلت إلى اليمن في هذه كان قليلا ، ثم روى ابن جرير أيضاً من وجه آخر أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير عن ذلك فأجابه بهذا الجواب فقام إلى سعيد فاعتنقه وقال فرج الله عنك كما فرجت عني وهكذا روي من غير وجه عن سعيد بن جبير أنه فسرها كذلك ، وكذا فسرها مجاهد بن جبر وغير واحد من السلف حتى إن مجاهداً قرأها (وظنوا أنهم قد كذبوا) بفتح الذال . رواه ابن جرير إلا أن بعض من فسرها كذلك يعيد الضمير في قوله (وظنوا أنهم قد كذبوا) إلى أتباع الرسل من المؤمنين ومنهم من يعيده إلى الكافرين منهم أي وظن الكفار أن الرسل قد كذبوا مخففة فيما وعدوا به من النصر ، وأما ابن مسعود فقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن فضيل عن محمش[1] بن زياد الضبي عن تميم بن حزم[2] قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية (حتى اذا استيأس الرسل) من ايمان قومهم أن يؤمنوا بهم وظن قومهم حين ابطأ الامر انهم قد كذبوا بالتخفيف. فهاتان روايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس وقد أنكرت ذلك عائشة على من فسرها بذلك وانتصر لها ابن جرير ووجه المشهور عن الجمهور وزيف القول الآخر بالكلية ورده وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه والله أعلم

«١» في نسخة ابن جرير جحش «٢» في المكية جثامة وفي نسخة ابن جرير حذلم بالذال والصواب الذي في التقريب انه حزلم بالزاى المعجمة

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ، ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١١١)

يقول تعالى لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين (عبرة لأولي الالباب) وهي العقول (ماكان حديثا يفترى) أي وما كان لهذا القرآن أن يفترى من

ثم تلا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) ﴿جاءهم﴾ أي جاء الرسل ﴿ نصرنا فنجي من نشاء ﴾ قرأ العامة بنونين أي نحن ننجي من نشاء وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وفتح الياء على مالم يسم فاعله لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة مضمومة فيكون محل من رفعا على هذه القراءة وعلى القراءة الاولى يكون نصبا فنجي من نشاء عند نزول العذاب وهم المؤمنون المطيعون ﴿ ولا يرد بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ أي المشركين ﴿ لقد كان في قصصهم ﴾ أي في خبر يوسف واخوته ﴿ عبرة ﴾ عظة ﴿ لأولي الالباب ما كان ﴾ يعني

دون الله ، أي يكذب ويختلق (ولكن تصديق الذي بين يديه) أي من الكتب المنزله من السماء هو يصدق مافيها من الصحيح وينفي ماوقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير (وتفصيل كل شيء) من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه وغير ذلك من الامر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والاخبار عن الامور الجلية وعن الغيوب المستقبلة المجملة والتفصيلية والاخبار عن الرب تبارك وتعالى بالاسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات فلهذا كان (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) تهتدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، ويبتغون به الرحمة من رب العباد ، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد ، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ، يوم يفوز بالربح المبيضة وجوههم الناضرة ، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة

آخر تفسير سورة يوسف عليه السلام ولله الحمد والمنة وبه المستعان

تفسير سورة الرعد وهى مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

المر، تلك آيات الكتب، والذي أُنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لايؤمنون (١)

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم في سورة البقرة وقدمنا ان كل سورة ابتدئت بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وتبيان أن نزوله من عند الله حق لاشك فيه ولا مرية ولاريب ولهذا قال (تلك آيات الكتاب) أي هذه آيات الكتاب وهو القرآن وقيل التوراة والانجيل قاله مجاهد وقتادة وفيه نظر بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صفات فقال (والذي أنزل اليك)

القرآن ﴿ حديثا يفترى ﴾ أي يختلق ﴿ ولكن تصديق الذي ﴾ أي ولكن كان تصديق الذي ﴿ بين يديه ﴾ من التوراة والانجيل ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ مما يحتاج العباد اليه من الحلال والحرام والأمر والنهي ﴿ وهدى ورحمة ﴾ بيانا ونعمة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾

﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

﴿ سورة الرعد ﴾ مكية إلا قوله (ولا يزال الذين كفروا) وقوله (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) وهي ثلاث وأربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ المر ﴾ قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم وأرى ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ يعني تلك الاخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقدمة ﴿ والذي أنزل اليك ﴾ يعني وهذا

أي يا محمد (من ربك الحق) خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله (والذى أنزل اليك من ربك) هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة أو عاطفة صفة على صفة كما قدمنا واستشهد بقول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) كقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) أى مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق ، والعناد والنفاق

الله الذي رفع السموٰت بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى ، يدبّر الامر يفصّل الآيٰت لعلكم بلقاء ربكم توقنون (٢)

يخبر تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه الذي باذنه وأمره رفع السموات بغير عمد بل باذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الارض بعدا لاتنال ولا يدرك مداها ، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الارض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها مرتفعة عليها من كل جانب على السواء وبعد ما بينها وبين الارض من كل ناحية[1] مسيرة خمسمائة عام وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام ، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت وبينهما من بعد المسير خمسمائة عام وسمكها خمسمائة عام وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الآية . وفي الحديث « ما السموات السبع ومافيهن وما بينهن في الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة » وفي رواية « والعرش لايقدر قدره إلا الله عزوجل » وجاء عن بعض السلف : ان بُعدمابين العرش الى الارض مسيرة خمسين الف سنة وبعد مابين قطريه مسيرة خمسين الف سنة وهو من ياقوتة حمراء . وقوله (بغير عمد ترونها) روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد انهم قالوا لها عمد ولكن لاترى ، وقال اياس بن معاوية السماء على الارض مثل القبة يعنى بلا عمد وكذا روي عن قتادة وهذا هو اللائق بالسياق ، والظاهر

«١» مسافة الابعاد بين السموات والارض الخ لايصح منها شيء وسيفصل المؤلف ماورد فيها في اخر تفسيره لسورة الطلاق

القرآن الذي أنزل اليك ﴿ من ربك الحق ﴾ أي هو الحق فاعتصم به فيكون محل الذي رفعا على الابتداء والحق خبره وقيل محله خفض يعني تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك ثم ابتدأ الحق يعني ذلك الحق ، وقال ابن عباس أراد بالكتاب القرآن ومعناه هذه (آيات الكتاب) يعني القرآن ثم قال : وهذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ﴿ ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ قال مقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا ان محمداً تقوله من تلقاء نفسه فرد قولهم ، ثم بين دلائل ربوبيته فقال عز من قائل ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ﴾ يعني السواري واحدها عمود

من قوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه) فعلى هذا يكون قوله (ترونها) تأكيداً لنفي ذلك أي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الاكمل في القدرة ، وفي شعر أمية بن أبي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث ، ويروى لزيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

وأنت الذي من فضل منٍّ ورحمة ... بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا ... الى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه ... بلا وتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه ... بلا عمد أو فوق ذلك بانيا ؟
وقولا له هل أنت سويت وسطها ... منيراً اذا ماجنك الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة ... فيصبح مامست من الارض ضاحيا
وقولا له من أنبت الحب في الثرى ... فيصبح منه العشب يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رءوسه ... ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره في سورة الأعراف وإنه يمر كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، ولا تمثيل تعالى الله علواً كبيراً . وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) قيل المراد انهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة كقوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) وقيل المراد إلى مستقرهما وهو تحت العرش مما يلي بطن الارض من الجانب الآخر فانهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبعد ما يكون عن العرش لانه على الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة قبة مما يلي العالم من هذا الوجه وليس بمحيط كسائر الافلاك لان له قوائم وحملة يحملونه ولا يتصور هذا في الفلك المستدير وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والاحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة . وذكر الشمس والقمر لانهما أظهر الكواكب السيارة السبعة التي هي أشرف وأعظم من الثوابت ، فاذا كان قد سخر هذه فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الاولى والأحرى كما نبه بقوله تعالى (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) مع أنه قد صرح بذلك بقوله (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين)

مثل أديم وأدم وعمد أيضاً جمعه مثل رسول ورسل ومعناه نفي العمد أصلا وهو الاصح يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها قال اياس بن معاوية السماء مقبية على الارض مثل القبة وقيل ترونها راجعة الى العمد معناه لها عمد ولكن لاترونها وزعم أن عمدها جبل قاف وهو محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ علا عليه ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران ﴿ كل يجري ﴾ أي يجريان على مايريد الله عز وجل ﴿ لاجل مسمى ﴾ أي الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا ، وقال ابن عباس أراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان

وقوله (يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) أي يوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو وانه يعيد الخلق إذا شاء كما بدأه

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشي الليل النهار ، ان في ذلك لآيت لقوم يتفكرون (٣) وفي الارض قطع متجورات وجنت من أعنب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، ان في ذلك لآيت لقوم يعقلون (٤)

لما ذكر تعالى العالم العلوي شرع في ذكر قدرته وحكمته وأحكامه للعالم السفلي فقال (وهو الذي مد الارض) أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض وأرساها بجبال راسيات شامخات وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الالوان والاشكال والطعوم والروائح (من كل زوجين اثنين) أي من كل شكل صنفان (يغشي الليل النهار) أي جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا فاذا ذهب هذا غشيه هذا وإذا انقضى هذا جاء الآخر فيتصرف أيضا في الزمان كما يتصرف في المكان والسكان (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أي في آلاء الله وحكمه ودلائله

وقوله (وفي الارض قطع متجاورات) أي أراض يجاور بعضها بعضا مع ان هذه طيبة تنبت ماينفع الناس ، وهذه سبخة مالحة لاتنبت شيئا . هكذا روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد . ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الارض فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء وهذه سوداء وهذه محجرة وهذه سهلة وهذه مرملة وهذه سميكة وهذه رقيقة والكل متجاورات فهذه بصفتها وهذه بصفتها الاخرى فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار . لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وقوله (وجنات من أعناب وزرع ونخيل) يحتمل أن تكون عاطفة على جنات فيكون

اليها ولا يجاوزانها ﴿ يدبر الامر ﴾ يقضيه وحده ﴿ يفصل الآيات ﴾ يبين الدلالات ﴿ لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ لكي توقنوا بوعده وتصدقوه ﴿ وهو الذي مدّ الارض ﴾ بسطها ﴿ وجعل فيها رواسي ﴾ جبالا ثابتة واحدتها راسية ، قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الارض ﴿ وأنهارا ﴾ أي وجعل فيها أنهارا ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ أى صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلواً وحامضا ﴿ يغشي الليل النهار ﴾ أى يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فيستدلون والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الاشياء ﴿ وفي الارض قطع متجاورات ﴾ متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع ﴿ وجنات ﴾ أى بساتين ﴿ من أعناب وزرع ونخيل صنوان ﴾

(وزرع ونخيل) مرفوعين . ويحتمل أن يكون معطوفا على أعناب فيكون مجروراً ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الائمة . وقوله (صنوان وغير صنوان) الصنوان هو الاصول المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك ، وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الاشجار ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه كما جاء في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال لعمر « أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟ » وقال سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه : الصنوان هي النخلات في أصل واحد وغير الصنوان المتفرقات . وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد . وقوله (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) قال الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (ونفضل بعضها على بعض في الاكل) قال « الدقل والفارسي والحلو والحامض » رواه الترمذي وقال حسن غريب أى هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع في أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها فهذا في غاية الحلاوة وهذا في غاية الحموضة وذا في غاية المرارة وذا عفص وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا ثم يستحيل إلى طعم آخر باذن الله تعالى ، وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق ، وكذلك

رفعها كلها ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب عطفا على الجنات ، وجرها الآخرون نسقا على الاعناب والصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد ﴿ وغير صنوان ﴾ هي النخلة المنفردة بأصلها، وقال أهل التفسير (صنوان) مجتمع (وغير صنوان) متفرق نظيره من الكلام (قنوان) جمع قنو ومنه قول النبي ﷺ في العباس « ان عم الرجل صنو أبيه » ولا فرق في الصنوان والقنوان بين التثنية والجمع إلا في الاعراب وذلك ان النون في التثنية مكسورة غير منونة وفي الجمع منونة ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (يسقى) بالياء أي يسقى ذلك كله بماء واحد وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى (وجنات) ولقوله تعالى (من بعد ونفضل بعضها على بعض) ولم يقل بعضه ، والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام ﴿ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾ في الثمر والطعم قرأ حمزة والكسائي (ويفضل) بالياء لقوله تعالى (يدبر الامر يفصل الآيات) وقرأ الآخرون بالنون على معنى (ونحن نفضل بعضها على بعض في الاكل) وجاء في الحديث (ونفضل بعضها على بعض في الأكل) قال الفارسي كجيد التمر والدقل والحلو والحامض، قال مجاهد كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد ، قال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم : كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل فسطحها فصارت قطعاً متجاورة فينزل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد ، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع وتقسو قلوب فتلهو ، قال الحسن والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى

الزهورات مع انها كلها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضبط ففي ذلك آيات لمن كان واعيا . وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الاشياء وخلقها على مايريد ولهذا قال تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

وإن تعجب فعجب قولهم أءذا كنا ترابا أءنا لفي خلق جديد ؟ أولئك الذين كفروا بربهم وأولـٰئك الأغلل في أعناقهم وأولئك أصحب النار هم فيها خلدون (٥)

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ (وان تعجب) من تكذيب هؤلاء المشركين بالمعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلائله في خلقه على انه القادر على مايشاء ومع مايعترفون به من انه ابتدأ خلق الاشياء فكونها بعد ان لم تكن شيئا مذكوراً ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في انه سيعيد العالم خلقا جديداً وقد اعترفوا وشاهدوا ماهو أعجب مما كذبوا به فالعجب من قولهم (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) وقد علم كل عالم وعاقل ان خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ، وان من بدأ الخلق فالاعادة عليه أسهل كما قال تعالى (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) ثم نعت المكذبين بهذا فقال (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم) أي يسحبون بها في النار (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى ماكثون فيها أبداً لا يحولون عنها ولا يزولون

(وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) ﴿ إن في ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ لآيات لقوم يعقلون * وإن تعجب فعجب قولهم ﴾ العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة والخطاب للرسول ﷺ ومعناه إنك إن تعجب من انكارهم النشأة الآخرة مع اقرارهم بابتداء الخلق فعجب أمرهم وكان المشركون ينكرون البعث مع اقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى وقد تقرر في القلوب ان الاعادة أهون من الابتداء فهذا موضع العجب وقيل معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم مالا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ماضرب لهم به الامثال (فعجب قولهم) أي فتعجب أيضاً من قولهم ﴿ أئذا كنا ترابا ﴾ بعد الموت ﴿ أئنا لفي خلق جديد ﴾ أي نعاد خلقا جديداً كما كنا قبل الموت ، قرأ نافع والكسائي ويعقوب (أئذا) مستفهما إنا بتركه على الخبر ضده أبوجعفر وابن عامر وكذلك في (سبحان) في موضعين (والمؤمنون والم السجدة) وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما وفي (الصافات) في موضعين هكذا إلا أن أبا جعفر يوافق نافعا في أول (الصافات) فيقدم الاستفهام ويعقوب لايستفهم الثانية (أئذا متنا إنا لمدينون) قال الله تعالى ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم ﴾ يوم القيامة ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثُلٰت وان ربك لذو مغفرة للناس على[١] ظلمهم وان ربك لشديد العقاب (٦)

يقول تعالى (ويستعجلونك) أي هؤلاء المكذبون (بالسيئة قبل الحسنة) أي بالعقوبة كما أخبر عنهم في قوله (وقالوا ياأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون * لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين * ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا اذا منظرين) وقال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب) الا يتين وقال تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) وقال (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها) ويعلمون أنها الحق (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) الآية أي عقابنا وحسابنا كما قال مخبراً عنهم (واذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية فكانوا من شدة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم يطلبون أن يأتيهم بعذاب الله قال الله تعالى (وقد خلت من قبلهم المثلات) أي قد أوقعنا نقمنا بالامم الخالية وجعلناهم عبرة وعظة لمن اتعظ بهم ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة كما قال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أي انه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بانه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) وقال (إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وان عذابي هو العذاب الاليم) إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى ابن اسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) الآية قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزه ماهنأ أحداً العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد » وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الرمادي[١] أنه رأى رب العزة في النوم ورسول الله ﷺ واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته فقال له ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ثم انتبهت

«١» في المكية الزيادي

قوله ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجيء وقته والسيئة ههنا هي العقوبة والحسنة العافية وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم يقولون (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم) ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ أي مضت من قبلهم في الامم التي عصت ربها و كذبت رسلها العقوبات والمثلات جمع المثلة بفتح الميم وضم الثاء مثل صدقة وصدقات ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد (٧)

يقول تعالى إخباراً عن المشركين أنهم يقولون كفراً وعناداً لولا يأتينا بآية من ربه كما أرسل الاولون كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن يزيح عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجاً وأنهارا قال تعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) الآية قال الله تعالى (انما أنت منذر) أي انما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها، و(ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله (ولكل قوم هاد) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي ولكل قوم داع ، وقال العوفي عن ابن عباس في الآية يقول الله تعالى أنت يامحمد منذر وأنا هادي كل قوم ، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد (ولكل قوم هاد) أي نبي كقوله (وان من أمة إلا خلا فيها نذير) وبه قال قتادة وعبدالرحمن بن زيد وقال ابو صالح ويحيى بن رافع (ولكل قوم هاد) أي قائد ، وقال ابو العالية الهادي القائد والقائد الامام والامام العمل ، وعن عكرمة والضحاك (ولكل قوم هاد) قالا هو محمد ﷺ وقال مالك (ولكل قوم هاد) يدعوهم الى الله عز وجل وقال أبو جعفر بن جرير حدثني احمد بن يحيى الصوفي حدثنا الحسن بن الحسين الانصاري حدثنا معاذ بن مسلم حدثنا الهروي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) قال وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال « أنا المنذر ولكل قوم هاد » وأومأ بيده الى منكب علي فقال « أنت الهادي ياعلي بك يهتدي المهتدون من بعدي » وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا المطلب بن زياد عن السدي عن عبد خير عن علي (ولكل قوم هاد) قال الهادي رجل من بني هاشم قال الجنيد هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن أبي حاتم وروي عن ابن عباس في إحدى الروايات ، وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك

الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار (٨)

وان ربك لشديد العقاب * ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه﴾ أي على محمد ﷺ ﴿ آية من ربه﴾ أي علامة وحجة على نبوته قال الله تعالى ﴿إنما أنت منذر﴾ مخوف ﴿ ولكل قوم هاد﴾ أي لكل قوم نبي يدعوهم الى الله تعالى وقال الكلبي داع يدعوهم إلى الحق أو الى الضلالة وقال عكرمة الهادي محمد ﷺ يقول إنما انت منذر وأنت هاد لكل قوم أي داع وقال سعيد بن جبير الهادي هو الله تعالى. قوله تعالى ﴿الله يعلم ماتحمل كل أنثى﴾ من ذكر أو انثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحد

عـٰلم الغيب والشهـٰدة الكبير المتعال (٩)

يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء وانه محيط بما تحمله الحوامل من كل اناث الحيوانات كما قال تعالى (ويعلم ما في الارحام) أي ما حملت من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره كقوله تعالى (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة) الآية، وقال تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث) أي خلقكم طوراً من بعد طور كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله اليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وعمره وعمله وشقي أو سعيد» وفي الحديث الآخر فيقول الملك «أي رب أذكر أم أنثى؟ أي رب أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الاجل؟ فيقول الله ويكتب الملك» وقوله (وما تغيض الارحام وما تزداد) قال البخاري حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثنا مالك عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الارحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» وقال العوفي عن ابن عباس (وما تغيض الارحام) يعني السقط (وما تزداد) يقول ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماما، وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر، ومن تحمل تسعة أشهر، ومنهن من تزيد في الحمل ومنهن من تنقص فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله تعالى وكل ذلك بعلمه تعالى. وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (وما تغيض الارحام وما تزداد) قال ما نقصت من تسعة وما زاد عليها، وقال الضحاك وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وقد نبتت ثنيتي

أو اثنين أو اكثر ﴿وما تغيض الارحام﴾ أي ما تنقص ﴿وما تزداد﴾ قال أهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان نقصانا في الولد لان دم الحيض غذاء الولد في الرحم فاذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم وقيل إذا حاضت ينتقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهراً فان رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء والزيادة في المدة، وقال الحسن غيضها نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة

وقال ابن جرير عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت : لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحرك ظل مغزل ، وقال مجاهد (وما تغيض الارحام وما تزداد) قال ماترى من الدم في حملها وما تزداد على تسعة أشهر ، وبه قال عطية العوفي والحسن البصري وقتادة والضحاك ، وقال مجاهد أيضا اذا رأت المرأة الدم دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض ، وقاله عكرمة وسعيد بن جبير وابن زيد وقال مجاهد أيضا (وما تغيض الارحام) اراقة الدم حتى يحبس الولد (وما تزداد) ان لم تهرق الدم تم الولد وعظم ، وقال مكحول الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم وانما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضتها ، فمن ثم لا تحيض الحامل فاذا وقع إلى الارض استهل واستهلاله استنكاره لمكانه فاذا قطعت سرته حول الله رزقه إلى ثديي أمه حتى لا يحزن ولا يطلب ولا يغتم ثم يصير طفلا يتناول الشيء بكفه فيأكله فاذا هو بلغ قال هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق ؟ فيقول مكحول يا ويحك غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير حتى اذا اشتددت وعقلت قلت هو الموت أو القتل أنى لي بالرزق؟ ثم قرأ مكحول (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) الآية ، وقال قتادة (وكل شيء عنده بمقدار) أي بأجل ، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم وجعل لذلك أجلا معلوما

وفي الحديث الصحيح أن احدى بنات النبي ﷺ بعثت اليه أن ابنا لها في الموت وأنها تحب أن يحضره فبعث اليها يقول « ان لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمروها فلتصبر ولتحتسب » الحديث بتمامه ، وقوله (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم ولا يخفى عليه منه شيء (الكبير) الذي هو اكبر من كل شيء (المتعال) اي على كل شيء (قد أحاط بكل شيء علما) وقهر كل شيء فخضعت له الرقاب ودان له العباد طوعا وكرها

سواءٌ منكم من أسرّ القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (١٠)

له معقبٰت من بين يديه ومن خلفه ، يحفظونه من أمر الله ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١١)

أشهر وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وأقل مدة الحمل ستة أشهر فقد يولد المولود لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثرها فقال قوم أكثرها سنتان وهو قول عائشة رضي الله عنها ، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى ان اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعي رحمه الله قال حماد بن سلمة انما سمي هرم بن حيان هرما لانه بقي في بطن أمه اربع سنين ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ أي بتقدير وحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه ﴿ عالم الغيب والشهادة الكبير ﴾ الذي كل شيء دونه ﴿المتعال﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته .

قوله تعالى ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾ أي يستوي في علم الله المسر بالقول والجاهر

يخبر تعالى عن احاطة علمه بجميع خلقه وأنه سواء منهم من أسر قوله أو جهر به فانه يسمعه لايخفى عليه شيء كقوله (وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) وقال (ويعلم ماتخفون وما تعلنون) وقالت عائشة رضي الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الاصوات ، والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وأنا في جنب البيت وانه ليخفى علي بعض كلامها فأنزل الله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير) وقوله (ومن هو مستخف بالليل) أي مختف في قعر بيته في ظلام الليل (وسارب بالنهار) أي ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه فان كلاهما في علم الله على السواء كقوله تعالى (ألا حين يستغشون ثيابهم) الآية وقوله تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)

وقوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الاسواء والحادثات ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الاعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الاعمال صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيآت وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من قدامه فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان

به ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي مستتر بظلمة الليل ﴿وسارب بالنهار﴾ أي ذاهب في سربه ظاهر والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق قال القتيبي سارب بالنهار أي متصرف في حوائجه قال ابن عباس في ظاهر هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل فاذا خرج بالنهار أرى الناس انه بريء من الاثم وقيل مستخف بالليل أي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا كتمته وسارب بالنهار أى متوار داخل في سرب ﴿له معقبات﴾ أى لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار واذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل والتعقيب العود بعد البدء ، وانما ذكر بلفظ التأنيث لان واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع الجمع معقبات كما قيل انثاوات سعد ورجالات بكر أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » قوله تعالى ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ يعني من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه من وراء ظهره ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ يعني بأمر الله أي يحفظونه باذن الله مالم يجيء القدر فاذا

كما جاء في الصحيح «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون» وفي الحديث الآخر «ان معكم من لايفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم» وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) والمعقبات من الله هي الملائكة، وقال عكرمة عن ابن عباس (يحفظونه من أمر الله) قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فاذا جاء قدر الله خلوا عنه، وقال مجاهد مامن عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال له الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه

وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) قال ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس، وقال العوفي عن ابن عباس (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) يعني ولي السلطان يكون عليه الحرس، وقال عكرمة في تفسيرها هؤلاء الامراء المواكب من بين يديه ومن خلفه، وقال الضحاك في الآية هو السلطان المحروس من أمر الله وهم أهل الشرك والظاهر والله أعلم أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبد يشبه حرس هؤلاء لملوكهم وأمرائهم

وقد روى الامام أبو جعفر بن جرير ههنا حديثاً غريباً جداً فقال حدثني المثنى حدثنا ابراهيم ابن عبد السلام بن صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر

جاء القدر خلوا عنه وقيل يحفظونه من أمر الله أى مما أمر الله به من الحفظ منه قال مجاهد ما من عبد الا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شيء يأتيه يريده الا قال وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه، قال كعب الاحبار لولا أن الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفكم الجن، وقال عكرمة الآية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم وقيل الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات كما قال الله تعالى (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) وقال ابن جريج معنى (يحفظونه) أي يحفظون عليه من أمر الله يعني الحسنات والسيئات وقيل الهاء في له راجعة الى رسول الله ﷺ، روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال (له معقبات) يعني لمحمد ﷺ حرس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله يعني من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآيات في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخلا

عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ فقال « ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشراً، واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتبها ؟ قال لا لعله يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات ، فاذا قال ثلاثا قال اكتبها أراحنا الله منه فبئس القرين ماأقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا يقول الله (مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) الآية ، وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك ، واذا تجبرت على الله قصمك ، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد ﷺ ، وملك قائم على فيك لايدع أن تدخل الحية في فيك ،وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لان ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وابليس بالنهار وولده بالليل » .

وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا اسود بن عامر حدثنا سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « مامنكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا واياك يارسول الله ؟ قال « واياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني الا بخير » انفرد باخراجه مسلم وقوله (يحفظونه من أمر الله) قيل المراد حفظهم له من أمر الله رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وغيرهم وقال قتادة (يحفظونه من أمر الله) قال وفي بعض القراآت يحفظونه بأمر الله ، وقال كعب الاحبار

المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان اعور وكان من أجمل الناس فقال رجل يارسول الله هذا عامر ابن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيراً يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يامحمد مالي ان اسلمت ؟ قال « لك ما للمسلمين وعليك ماعلى المسلمين » قال تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله عز وجل يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر ؟ قال لا قال فاذا تجعل لي ؟ قال اجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم ؟ قم معي أكلمك فقام معه رسول الله ﷺ وكان عامر أوصى الى اربد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه فدار اربد خلف رسول الله ﷺ ليضربه بالسيف فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومىء اليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما صنع بسيفه فقال « اللهم اكفنيهما بما شئت » فارسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قائظ فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يامحمد دعوت ربك فقتل اربد والله لأملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال النبي ﷺ « يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة » يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز ياملك

لو تجلى لابن آدم كل سهل وكل حزن لرأى كل شيء من ذلك شيئا يقينه لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم اذا لتخطفتم ، وقال أبو امامة ما من آدمي الا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له ، وقال أبو مجلز جاء رجل من مراد الى علي رضي الله عنه وهو يصلي فقال احترس فان ناسا من مراد يريدون قتلك . فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه إن الاجل جُنة حصينة ، وقال بعضهم (يحفظونه من أمر الله) بامر الله كما جاء في الحديث أنهم قالوا يارسول الله أرأيت رقى نسترقي بها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال « هي من قدر الله » ، وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا حفص بن غياث عن أشعث عن جهم عن ابراهيم قال أوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل: أن قل لقومك انه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها الى معصية الله الا حول الله عنهم مايحبون إلى مايكرهون ثم قال ان تصديق ذلك في كتاب الله (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقد ورد هذا في حديث مرفوع [1] فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه صفة العرش حدثنا الحسن ابن علي حدثنا الهيثم بن الاشعث السلمي حدثنا أبو حنيفة اليماني الانصاري عن عمير بن عبد الملك قال : خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة قال كنت اذا أمسكت عن رسول الله ﷺ ابتدأني واذا سألته عن الخبر أنبأني وانه حدثني عن ربه عز وجل قال « قال الرب وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي مامن قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها الى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى مايحبون من رحمتي » وهذا غريب وفي اسناده من لا أعرفه

١) هذا الحديث بجملته غير موجود في المكية

الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن أبصرت محمداً وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب وخرجت على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره فاجاب الله دعاء رسول الله ﷺ فقتل عامرا بالطعن واربد بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في هذه القصة قوله (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار * له معقبات من بين يديه) يعني لرسول الله ﷺ معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله يعني تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير وقال لهذين ﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾ من العافية والنعمة ﴿حتى يغيروا ما بانفسهم﴾ من الحال الجميلة فيعصوا ربهم ﴿وإذا أراد الله بقوم سوأ﴾ أي عذابا وهلاكا ﴿فلا مرد له﴾ أي لاراد له ﴿وما لهم من دونه من وال﴾ أي ملجأ

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشيء السحاب الثقال (١٢) ويسبح الرعد

بحمده والملئكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجدلون في الله وهو

شديد المحال (١٣)

يخبر تعالى أنه هو الذي يسخر البرق وهو مايرى من النور اللامع ساطعا من خلل السحاب ، وروى ابن جرير أن ابن عباس كتب الى أبي الجلد يسأله عن البرق فقال البرق الماء . وقوله (خوفا وطمعا) قال قتادة خوفا للمسافر يخاف أذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله (وينشيء السحاب الثقال) أي ويخلقها منشأة جديدة وهي لكثرة مائها ثقيلة قريبة الى الارض قال مجاهد السحاب الثقال الذي فيه الماء. قال (ويسبح الرعد بحمده) كقوله (وان من شيء إلا يسبح بحمده) وقال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا ابراهيم بن سعد أخبرني أبي قال كنت جالسا الى جنب حميد بن عبدالرحمن في المسجد فمر شيخ من بني غفار فأرسل اليه حميد فلما أقبل قال يا ابن أخي وسع فيما بيني وبينك فانه قد صحب رسول الله ﷺ فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه فقال له حميد ما الحديث الذي حدثتني عن رسول الله ﷺ فقال له الشيخ سمعت عن شيخ من بني غفار أنه سمع النبي ﷺ يقول « ان الله ينشيء السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك » والمراد والله أعلم ان نطقها الرعد وضحكها البرق ، وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن ابراهيم قال يبعث الله الغيث فلا أحسن منه ضحكا ولا آنس منه منطقا فضحكه البرق ومنطقه الرعد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه انسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد فاذا مصع بذنبه فذاك البرق وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبدالواحد بن زياد حدثنا الحجاج حدثنا أبو مطر عن سالم عن

يلجؤن اليه وقيل وال يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم قوله ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ﴾ قيل خوفا من الصاعقة وطمعا في نفع المطر وقيل الخوف للمسافر يخاف منه الاذى والمشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة وقيل الخوف من المطر في غير مكانه وابانه والطمع إذا كان في مكانه وابانه ومن البلدان ما إذ أمطروا قحطوا وإذا لم يمطروا أخصبوا ﴿ وينشيء السحاب الثقال ﴾ بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي ابداها فبدت والسحاب جمع واحدتها سحابة قال علي رضي الله عنه السحاب غربال الماء ﴿ ويسبح الرعد بحمده ﴾ أكثر المفسرين على أن الرعد اسم ملك يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته وعن عبدالله بن الزبير

أبيه قال كان رسول الله ﷺ اذا سمع الرعد والصواعق قال « اللهم لاتقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » ورواه الترمذي والبخاري في كتاب الادب والنسائي في اليوم والليلة والحاكم في مستدركه من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر ولم يسم به وقال الامام أبو جعفر ابن جرير حدثنا احمد بن إسحاق حدثنا أبو احمد حدثنا إسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رفعه أنه كان اذا سمع الرعد قال « سبحان من يسبح الرعد بحمده » وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان اذا سمع صوت الرعد يقول سبحان من سبحت له وكذا روي عن ابن عباس وطاوس والاسود بن يزيد أنهم كانوا يقولون كذلك، وقال الاوزاعي كان ابن أبي زكريا يقول: من قال حين يسمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة، وعن عبدالله بن الزبير أنه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. ويقول ان هذا لوعيد شديد لاهل الارض رواه مالك في موطئه والبخاري في كتاب الادب

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود الطيالسي حدثنا صدقة بن موسى حدثنا محمد بن واسع عن شمس بن نهار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قال ربكم عز وجل لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد » وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر حدثنا عبد الكريم حدثنا عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « اذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فانه لايصيب ذاكراً » وقوله تعالى (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) أي يرسلها نقمة ينتقم بها ممن يشاء ولهذا تكثر في آخر الزمان كما قال الامام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا عمارة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول من صعق قبلكم الغداة فيقولون صعق فلان وفلان وفلان »

وقد روي في سبب نزولها مارواه الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا اسحاق حدثنا علي بن أبي سارة

أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول ان هذا لوعيد لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار يقول الله تعالى «لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد» وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وان بحور الماء في نقرة إبهامه وإنه يسبح الله تعالى فاذا سبح لايبقى ملك في السماء الارفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر ﴿والملائكة من خيفته﴾ أي تسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته وقيل أراد بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعوانا فهم خائفون خاضعون طائعون

قوله تعالى ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البحر فيحرق من

الشيباني حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال « اذهب فادعه لي » قال فذهب اليه فقال يدعوك رسول الله ﷺ فقال له من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة هو أم من نحاس هو ؟ قال فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال يارسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك قال لي كذا وكذا ، فقال لي « ارجع اليه الثانية » فذهب فقال له مثلها فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك ، فقال « ارجع اليه فادعه » فرجع اليه الثالثة قال فأعاد عليه ذلك الكلام فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله عز وجل (ويرسل الصواعق) الآية ، ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به ، ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبدة بن عبد الله عن يزيد بن هارون عن ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس فذكر نحوه وقال : حدثنا الحسن ابن محمد حدثنا عفان حدثنا أبان بن يزيد حدثنا ابو عمران الجوني عن عبد الرحمن بن صحار العبدي أنه بلغه أن النبي ﷺ بعثه إلى جبار يدعوه فقال أرأيتم ربكم أذهب هو أم فضة هو أم لؤلؤ هو ؟ قال فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سحابة فرعدت فأرسل عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ونزلت هذه الآية . وقال أبو بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال : جاء يهودي فقال يامحمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو من نحاس هو أم من لؤلؤ أو ياقوت ؟ قال فجاءت صاعقة فأخذته وأنزل الله (ويرسل الصواعق) الآية

وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ فأرسل الله صاعقة فأهلكته وأنزل الله (ويرسل الصواعق) الآية ، وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة لما قدما على رسول الله ﷺ المدينة فسألاه أن يجعل لهما نصف الامر فأبى عليهما رسول الله ﷺ فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله : أما والله لاملأنها عليك خيلا جرداً ورجالا مرداً ، فقال له رسول الله ﷺ « يأبى الله عليك ذلك وأبناء قيلة » يعني الانصار ، ثم إنهما هما بالفتك برسول الله ﷺ فجعل أحدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه فحماه الله تعالى منهما وعصمه ، فخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب يجمعان الناس لحربه عليه الصلاة والسلام فأرسل الله على أربد سحابة فيها صاعقة فأحرقته ، وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل يقول يا آل عامر غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ، حتى ماتا لعنهما الله ، وأنزل الله في مثل ذلك (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله) وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد يرثيه :

أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والاسد

بصيبه ﴿فيصيب بها من يشاء﴾ كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم

فجعني الرعد والصواعق بالـ   فـارس يوم الـكريهة النجـد

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثني عبد العزيز بن عمران حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن أربد بن قيس بن حز بن جلد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله ﷺ فانتهيا اليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل يا محمد ماتجعل لي إن أسلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ « لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم » قال عامر بن الطفيل أتجعل لي الامر ان أسلمت من بعدك ؟ قال رسول الله ﷺ « ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنة الخيل » قال أنا الآن في أعنة خيل نجد اجعل لي الوبر ولك المدر قال رسول الله ﷺ « لا » فلما قفلا من عنده قال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا فقال له رسول الله ﷺ « يمنعك الله » فلما خرج أربد وعامر قال عامر يا أربد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه بالسيف فان الناس إذا قتلت محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فنعطيهم الدية ، قال أربد افعل فأقبلا راجعين اليه فقال عامر يا محمد قم معي أكلمك فقام معه رسول الله ﷺ فجلسا إلى الجدار ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه وسل أربد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف فلم يستطع سل السيف فأبطأ أربد على عامر بالضرب فالتفت رسول الله ﷺ فرأي أربد وما يصنع فانصرف عنهما فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كانا بالحرة ـ حرة راقم ـ نزلا فخرج اليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا اشخصا ياعدوي الله لعنكما الله فقال عامر من هذا ياسعد ؟ قال أسيد بن حضير الكتائب فخرجا حتى اذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته وخرج عامر حتى إذا كان بالخريم أرسل الله قرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول غدة كغدة الجمل في بيت سلولية يرغب أن يموت في بيتها ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعاً فأنزل الله فيهما (الله يعلم ما تحمل كل أنثى ـ إلى قوله ـ وما لهم من دونه من وال) قال المعقبات من أمر الله يحفظون محمداً ﷺ ، ثم ذكر أربد وماقتله به فقال (ويرسل الصواعق) الآية وقوله (وهم يجادلون في الله) أي يشكون في عظمته وانه لا إله الا هو (وهو شديد المحال) قال

وغير المسلم ولا تصيب الذاكر ﴿وهم يجادلون﴾ يخاصمون ﴿في الله﴾ نزلت في شأن أربد بن ربيعة حيث قال للنبي ﷺ مم ربك أمن در أم من ياقوت أم من ذهب ؟ فنزلت صاعقة من السماء فاحرقته وسئل الحسن عن قوله عز وجل (ويرسل الصواعق) الآية قال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي ﷺ نفراً يدعونه إلى الله ورسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه مم هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس ؟ فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا إلى النبي ﷺ فقالوا يارسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتي على الله منه فقال (ارجعوا اليه) فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم

ابن جرير شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتى وتمادى في كفره ، وهذه الآية شبيهة بقوله (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين) وعن علي رضى الله عنه (وهو شديد المحال) أي شديد الاخذ وقال مجاهد شديد القوة

له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكفرين الا في ضلل (١٤)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (له دعوة الحق) قال التوحيد رواه ابن جرير ، وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر (له دعوة الحق) لا اله الا الله (والذين يدعون من دونه) الآية أي ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله (كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه) قال علي بن أبي طالب كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبداً بيده فكيف يبلغ فاه . وقال مجاهد (كباسط كفيه) يدعو الماء بلسانه ويشير اليه فلا يأتيه أبداً . وقيل المراد كقابض يده على الماء فانه لا يحكم منه على شيء كما قال الشاعر

فاني واياكم وشوقا اليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله

وقال الآخر

فأصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد

ومعنى هذا الكلام ان الذي يبسط يده الى الماء اما قابضا واما متناولا له من بعد كما انه لا ينتفع

على مثل مقالته الاولى وقال أجيب محمدا إلى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا وقالوا يارسول الله مازادنا على مقالته الاولى وأخبث فقال « ارجعوا اليه » فرجعوا اليه فبيناهم جلوس عنده ينازعونه ويدعونه وهو يقول هذه المقالة إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رءوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس فجاءوا يسعون ليخبروا رسول الله ﷺ فاستقبلهم قوم من أصحاب النبي ﷺ فقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من أين علمتم ؟ فقالوا أوحى الله الى النبي ﷺ ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ﴾ قال علي رضي الله عنه شديد الاخذ وقال ابن عباس شديد الحول وقال الحسن شديد الحقد وقال مجاهد شديد القوة وقال أبو عبيدة شديد العقوبة وقيل شديد المكر والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة

﴿ له دعوة الحق ﴾ أي لله دعوة الصدق قال علي رضي الله عنه دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وقيل الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أي يعبدون الاصنام من دون الله تعالى ﴿ لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ أي لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضر ﴿ الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ﴾ أي الا كباسط

بالماء الذي لم يصل الى فيه الذي جعله محلا للشرب فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله الها غيره لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال (وما دعاء الكافرين الا في ضلال)

ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظللهم بالغدو والآصال (١٥)

يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء ولهذا يسجد له كل شيء طوعا من المؤمنين وكرها من الكافرين (وظلالهم بالغدو) أي البكرات (والآصال) وهو جمع أصيل وهو آخر النهار كقوله تعالى (أولم يروا الى ماخلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله) الآية

قل من رب السموات والارض ؟ قل الله، قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم

نفعا ولا ضراً ؟ قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمت والنور ؟ أم جعلوا لله

شركاء خلقوا كخلقه فتشبه الخلق عليهم ؟ قل الله خلق كل شيء وهو الواحد القهر (١٦)

يقرر تعالى انه لا اله الا هو لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والارض وهو ربها

كفيه ليقبض على الماء والقابض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء وقيل معناه كالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً هذا معنى قول مجاهد ومثله عن علي وعطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر يمد يده الى البئر فلا يبلغ قعر البئر الى الماء ولا يرتفع اليه الماء فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له وهو لا يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها وهي لا تقدر على شيء وعن ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء لا ينفعه ذلك مالم يغرف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسطا كفيه . مثل ضربه الله لخيبة الكفار ﴿ وما دعاء الكافرين ﴾ أصنامهم ﴿ الا في ضلال ﴾ يضل عنهم اذا احتاجوا اليه كما قال (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وما كانوا يدعون ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وما دعاء الكافرين) ربهم (الا في ضلال) لان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى ﴿ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا ﴾ يعني الملائكة والمؤمنين ﴿ وكرها ﴾ يعني المنافقين والكافرين الذين اكرهوا على السجود بالسيف ﴿ وظلالهم ﴾ يعني ظلال الساجدين طوعا وكرها تسجد لله عز وجل طوعا قال مجاهد ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره ﴿ بالغدو والآصال ﴾ يعني إذا سجد بالغدو والعشي يسجد معه ظله والآصال جمع الاصل والاصل جمع الاصيل وهو ما بين العصر الى غروب الشمس وقيل ظلالهم أي أشخاصهم بالغدو والآصال بالبكرات والعشايا وقيل سجود الظل تذليله لما أريد له

قوله تعالى ﴿ قل من رب السموات والارض ﴾ أي خالقهما ومدبرهما فسيقولون الله لانهم يقرون

ومد برهاوهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم وأولئك الآلهة لا تملك لانفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعا ولا ضراً أي لا تحصل لهم منفعة ولا تدفع عنهم مضرة فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله ومن عبد الله وحده لا شريك له فهو على نور من ربه ولهذا قال (قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أي أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون انها مخلوقة من مخلوق غيره أي ليس الامر كذلك فانه لا يشابهه شيء ولا يماثله ولا ند له ولا عدل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وانما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك. وكما أخبر تعالى عنهم في قوله (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فانكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده الا باذنه ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له (وكم من ملك في السموات) الآية وقال (ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) فاذا كان الجميع عبيداً فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع ثم قد أرسل رسله من أولهم الى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم وخالفوهم فحقت عليهم كلمة العذاب لامحالة ولا يظلم ربك أحداً

أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله. كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال (١٧)

بأن الله خالقهم وخالق السموات والارض، فاذا أجابوك فقل أنت أيضا يا محمد الله، وروي انه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا أجب أنت فأمره الله عز وجل فقال ﴿قل﴾ أنت يا محمد ﴿الله﴾ ثم قال الله لهم إلزاما للحجة ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ معناه انكم مع اقراركم بأن الله خالق السموات والارض اتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله يعني الاصنام وهم ﴿لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا﴾ فكيف يملكون لكم ثم ضرب لهم مثلا فقال ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير﴾ كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ﴿أم هل تستوي﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يستوي بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لانه لا حائل بين الفعل والاسم المؤنث ﴿الظلمات والنور﴾ أي كما لا يستوى الظلمات والنور لا يستوى الكفر والايمان ﴿أم جعلوا﴾ أي أجعلوا ﴿لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ أي اشتبه ماخلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ماخلق الله وما خلق آلهتهم ﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل فقال عز وجل ﴿أنزل﴾ يعني الله عز وجل

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفنائه فقال تعالى (أنزل من السماء ماء) أي مطرا (فسالت أودية بقدرها) أي أخذ كل واحد بحسبه فهذا كبير وسع كثيراً من الماء وهذا صغير فوسع بقدره وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها مايسع علما كثيراً ومنها مالا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها (فاحتمل السيل زبداً رابيا) أي فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الاودية زبد عال عليه هذا مثل وقوله (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع) الآية هذا هو المثل الثاني وهو مايسبك في النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية أي ليجعل حلية أونحاسا أو حديداً فيجعل متاعا فانه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي اذا اجتمعا لاثبات للباطل ولا دوام له كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك في النار بل يذهب ويضمحل ولهذا قال (فأما الزبد فيذهب جفاء) أي لاينتفع به بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى الا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به ولهذا قال (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال) كقوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقال بعض السلف كنت اذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لان الله تعالى يقول (وما يعقلها الا العالمون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الشك فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله (فأما الزبد) وهو الشك (فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض) وهو اليقين وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا) يقول احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمنة، ومما يوقدون عليه في النار فهو

﴿ من السماء ماءاً ﴾ يعنى المطر ﴿ فسالت ﴾ من ذلك الماء ﴿ أودية بقدرها ﴾ أى في الصغر والكبر ﴿ فاحتمل السيل ﴾ الذي حدث من ذلك الماء ﴿ زبداً رابيا ﴾ الزبد الخبث الذى يظهر على وجه الماء وكذلك على وجه القدر (رابيا) أى عاليا مرتفعا فوق الماء فالماء الصافي الباقي هو الحق والذاهب الزائل الذى يتعلق بالاشجار وجوانب الاودية هو الباطل وقيل قوله (أنزل من السماء ماء) هذا مثل للقرآن (والاودية) مثل للقلوب يريد ينزل القرآن فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل فهذا أحد المثلين ، والمثل الآخر قوله عز وجل ﴿ ومما توقدون عليه في النار ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص (يوقدون) بالياء لقوله تعالى (ماينفع الناس) ولا مخاطبة ههنا، وقرأ الآخرون بالتاء (ومما توقدون) أى ومن الذى توقدون عليه النار والايقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب

الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد فللنحاس والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء فأما ماينفع الناس فالذهب والفضة ، وأما ماينفع الارض فما شربت من الماء فأنبتت فجعل ذاك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السيء يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد وكذلك الهدى والحق جاءا من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقي كما بقي ماينفع الناس في الارض وكذلك الحديد لايستطاع أن يعمل منه سكين ولاسيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه ويخرج جيده فينتفع به فكذلك يضمحل الباطل فاذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الاعمال فيزيغ الباطل ويهلك وينتفع أهل الحق بالحق وهكذا روي في تفسيرها عن مجاهد والحسن البصري وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف ، وقد ضرب سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ناريا ومائيا وهما قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله) الآية ثم قال (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) الآية وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين (أحدهما) قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) الآية والسراب انما يكون في شدة الحر ولهذا جاء في الصحيحين فيقال لليهود يوم القيامة فما تريدون فيقولون أى ربنا عطشنا فاسقنا فيقال ألا تردون؟ فيردون النار فاذا هي كسراب يحطم بعضها بعضاً ثم قال تعالى في المثل الآخر (أو كظلمات في بحر لجي) الآية

وفي الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا وأصابت طائفة منها أخرى انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني ونفع به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » فهذا مثل مائي وقال في الحديث الآخر الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا

﴿ابتغاء حلية﴾ أي لطلب زينة وأراد الذهب والفضة لأن الحلية تطلب منهما (أو متاع) أى طلب متاع وهو ماينتفع به وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص والصفر تذاب فيتخذ منه الأواني وغيرها مما ينتفع بها ﴿ زبد مثله كذلك يضرب الحق والباطل ﴾ أى اذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق والزبد الذى لاينتفع به مثل الباطل ﴿فأما الزبد﴾ الذى علا السيل والفلز ﴿فيذهب جفاء﴾ أى ضائعا باطلا والجفاء مارمى به الوادي من الزبد والقدر الى جنباته يقال جفا الوادي وأجفأ إذا ألقى غثاءه وأجفأت القدر وجفأت اذا غلت وألقت زبدها فاذا سكنت لم يبق فيها شيء . معناه ان الباطل وإن علا في وقت فانه يضمحل وقيل (جفاء) أى متفرقا يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته وذهبت به ﴿ وأما ماينفع الناس ﴾ يعني الماء والفلز من الذهب

معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها — قال — فذلكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها » وأخرجاه في الصحيحين أيضا فهذا مثل ناري

للذين استجابوا لربهم الحسنى . والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم مافي الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد (١٨)

يخبر تعالى عن مآل السعداء والاشقياء فقال (للذين استجابوا لربهم) أي أطاعوا الله ورسوله وانقادوا لأوامره وصدقوا أخباره الماضية والآتية فلهم (الحسنى) وهو الجزاء الحسن كقوله تعالى مخبراً عن ذي القرنين أنه قال (أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكراً * وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً) وقال تعالى [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة] وقوله (والذين لم يستجيبوا له) أي لم يطيعوا الله (لو أن لهم مافي الارض جميعا) أي في الدار الآخرة لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الارض ذهبا ومثله معه لافتدوا به ولكن لايتقبل منهم لانه تعالى لايقبل منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا (أولئك لهم سوء الحساب) أي في الدار الآخرة ، أي يناقشون على النقير والقطمير والجليل والحقير ومن نوقش الحساب عذب، ولهذا قال (ومأواهم جهنم وبئس المهاد)

أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟ انما يتذكر أولوا الالباب ؟ (١٩)

يقول تعالى (لايستوي من يعلم من الناس أن الذي (أنزل اليك) يامحمد (من ربك) هو الحق

والفضة والصفر والنحاس ﴿ فيمكث في الارض ﴾ أي يبقى ولا يذهب ﴿ كذلك يضرب الله الامثال ﴾ جعل الله هذا مثالا للحق والباطل يعني أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع والحق كالماء والفلز يبقى في القلوب وقيل هذا تسلية للمؤمنين يعني ان أمر المشركين كالزبد يرى في الصورة شيئا وليس له حقيقة وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات

قوله تعالى ﴿ للذين استجابوا ﴾ أجابوا ﴿ لربهم ﴾ فأطاعوه ﴿ الحسنى ﴾ الجنة ﴿ والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم مافي الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به ﴾ أي لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداء من النار ﴿ أولئك لهم سوء الحساب ﴾ قال ابراهيم النخعي سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله لايغفر له منه شيئا ﴿ ومأواهم ﴾ في الآخرة ﴿ جهنم وبئس المهاد ﴾ الفراش أي بئس ما مهد لهم .

قوله تعالى ﴿ أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق ﴾ فيؤمن به ويعمل بما فيه ﴿ كمن هو أعمى ﴾

الذي لاشك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضا لا يضاد شيء منه شيئا آخر فأخباره كلها حق وأوامره ونواهيه عدل كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار ، وعدلا في الطلب فلا يستوي من تحقق صدق ماجئت به يا محمد ومن هو أعمى لايهتدي إلى خير ولا يفهمه ولو فهمه ماانقاد له ولا صدقه ولا اتبعه كقوله تعالى [لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزن] وقال في هذه الآية الكريمة (أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الالباب) أي انما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة جعلنا الله منهم

الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثٰق (٢٠) والذين يَصِلون ماأمر الله به أن يوصل ويَخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (٢١) والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوٰة وأنفقوا مما رزقنٰهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولٰئك لهم عقبى الدار (٢٢) جنّٰت عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّٰتهم والملٰئكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (٢٤)

يقول تعالى مخبرا عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة بأن لهم عقبى الدار وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وليسوا كالمنافقين الذين اذا عاهد أحدهم غدر ، واذا خاصم فجر ، واذا حدث كذب ، واذا ائتمن خان (والذين يصلون ماأمر الله به أن يوصل) من صلة الارحام والاحسان اليهم وإلى الفقراء والمحاويج وبذل المعروف (ويخشون ربهم) أي

عنه لايعلمه ولا يعمل به قيل نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمار وأبي جهل فالاول حمزة أوعمار والثاني أبو جهل وهو الاعمى أي لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه ﴿ انما يتذكر ﴾ يتعظ ﴿ أولوا الالباب ﴾ ذوو العقول ﴿ الذين يوفون بعهد الله ﴾ بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه ﴿ ولا ينقضون الميثاق ﴾ وقيل أراد العهد الذي أخذه على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ قيل أراد به الايمان بجميع الكتب والرسل ولا يفرقون بينها والاكثرون على أنه أراد به صلة الرحم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي سلمة أن عبدالرحمن بن عوف عاد أبا الدرداء فقال يعني عبدالرحمن سمعت رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل « أنا الله وأنا الرحمن خلقت

فيما يأتون وما يذرون من الاعمال يراقبون الله في ذلك ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) أي عن المحارم والمآثم ففطموا أنفسهم عنها لله عز وجل ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه (وأقاموا الصلاة) بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي (وأنفقوا مما رزقناهم) أي على الذين يجب عليهم الانفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحاويج ومساكين (سراً وعلانية) أي في السر والجهر لم يمنعهم من ذلك حال من الاحوال

الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابن أبي أويس قال حدثني سليمان بن بلال عن معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فاخذت بحقوي الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى يارب قال فذاك لك» ثم قال أبو هريرة اقرأوا ان شئتم (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني أنبأنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا كثير بن عبدالله اليشكرى ثنا الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن النبي ﷺ «ثلاثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج العباد له ظهر وبطن والامانة والرحم تنادي ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه ثنا عبدالله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني انس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأله في اثره فليصل رحمه» أخبرنا عبد الواحد المليحي انا عبدالرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا شعبة عن عيينة بن عبدالرحمن قال سمعت أبي يحدث عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال «ما من ذنب احرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحي أنا ابو الحسين ابن بشران انا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لايدخل الجنة قاطع» أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا احمد بن اسحاق الصيدلاني أنا أبو نصر احمد بن محمد بن نصر ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا عمرو ابن عثمان قال سمعت موسى بن طلحة يذكر عن أبي ايوب الانصاري ان أعرابيا عرض لرسول الله ﷺ في مسير له فقال اخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال ﷺ «تعبد الله ولا تشرك

في آناء الليل وأطراف النهار (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أى يدفعون القبيح بالحسن ، فاذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبراً واحتمالا وصفحا وعفواً كقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) ولهذا قال مخبراً عن هؤلاء السعداء المتصفين بهؤلاء الصفات الحسنة بأن لهم عقبي الدار ثم فسر ذلك بقوله (جنات عدن) والعدن الاقامة أي جنات اقامة يخلدون فيها ، وعن عبدالله بن عمرو أنه قال إن في الجنة قصراً يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد ، وقال الضحاك في قوله (جنات عدن) مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها رواهما ابن جرير ، وقوله (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والاهلين والابناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم حتى انه ترفع درجة الأدنى الى درجة الأعلى امتنانا من الله وإحسانا من غير تنقيص للأعلى عن درجته كما قال تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) الآية وقوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) أي وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا للتهنئة بدخول الجنة ، فعند دخولهم إياها تفد عليهم

به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم» أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى وأبو نعيم قالا ثنا قطر عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ «ليس الواصل بالمكافي، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» رواه محمد بن اسماعيل عن محمد بن كثير عن سفيان عن قطر وقال «إذا قطعت رحمه وصلها»

قوله تعالى ﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب * والذين صبروا﴾ على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله عز وجل ،وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل عن الشهوات وقيل عن المعاصي ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلب تعظيمه أن يخالفوه ﴿وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ يعني يؤدون الزكاة ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يدفعون بالصالح من العمل السيء من العمل وهو معنى قوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال «إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها :السر بالسر والعلانية بالعلانية» أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن ابي حبيب حدثنا أبو الخير أنه سمع عقبة بن عامر يقول قال رسول الله ﷺ «إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت عنه حلقة ثم عمل أخري فانفكت أخرى حتى يخرج الى الارض» وقال ابن كيسان معنى

الملائكة مسلمين ، مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والانعام والاقامة في دار السلام في جوار الصديقين والانبياء والرسل الكرام ، وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبدالرحمن حدثني سعيد بن أبي أيوب حدثنا معروف بن سويد الحزامي عن أبي عشانة المعافري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقي بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فحيوهم فتقول الملائكة نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم ؟ فيقول انهم كانوا عباداً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً وتسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء - قال - فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) » ورواه أبو القاسم الطبراني عن أحمد بن رشدين عن أحمد بن صالح عن عبد الله بن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي عشانة سمع عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « أول ثلة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره واذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وان الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي أدخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وقال عبد الله بن المبارك عن بقية بن الوليد حدثنا أرطاة بن المنذر سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول جلست الى أبي امامة فقال : ان المؤمن ليكون

الآية يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير ، وقال القتيبي معناه إذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة ، وقال قتادة ردوا عليهم معروفا نظيره قوله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبدالله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة إلى ثمانية أبواب الجنة ﴿ أولئك لهم عقبى الدار ﴾ يعني الجنة أي عاقبتهم دار الثواب ثم بين ذلك فقال ﴿ جنات عدن ﴾ بساتين إقامة ﴿ يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ قيل من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور ﴿ سلام عليكم ﴾ أي يقولون سلام عليكم وقيل يقولون سلمكم الله من الآفات التي تخافون منها قال مقاتل يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل يقولون سلام عليكم ﴿ بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ أخبرنا أبو

متكئاً على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك فيستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا فيقول أقربهم للمؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا له حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف. رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث اسماعيل بن عياش عن أرطاة بن المنذر عن أبي الحجاج يوسف الالهاني قال سمعت أبا امامة فذكر نحوه وقد جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول فيقول لهم « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان

والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثـٰقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولـٰئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار (٢٥)

هذا حال الاشقياء وصفاتهم وذكر ما لهم في الآخرة ومصيرهم إلى خلاف ماصار اليه المؤمنون كما انهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء ينقضون عهدالله بعد ميثاقه (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض) كما ثبت في الحديث « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفي رواية « وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر » ولهذا قال(أولئك لهم اللعنة)وهي الابعاد عن الرحمة(ولهم سوء الدار)وهي سوء العاقبة والمآل ومأواهم جهنم وبئس القرار . وقال أبو العالية في قوله تعالى (والذين ينقضون عهدالله) الآية قال هي ست خصال في المنافقين اذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال اذا حدثوا كذبوا واذا وعدوا أخلفوا واذا ائتمنوا خانوا ونقضوا عهدالله من بعد ميثاقه وقطعوا

بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبوالحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا ابراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن بقية بن الوليد حدثني أرطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له الحجاج يقول جلست الى أبي أمامة فقال: ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل ملك من ملائكة الله فيستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فاذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ اقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ هذا في الكفار ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ أي يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون

ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض ، واذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث خصال : اذا حدثوا كذبوا واذا وعدوا أخلفوا واذا اؤتمنوا خانوا

الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة إلا متع (٢٦)

يذكر تعالى انه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ويقتر على من يشاء لما له في ذلك من الحكمة والعدل وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا من الحياة الدنيا استدراجا لهم وامهالا كما قال (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة الى ماادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) كما قال (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) وقال (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال الامام احمد حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قالا حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن المستورد أخي بني فهر قال قال رسول الله ﷺ « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بم ترجع » وأشار بالسبابة رواه مسلم في صحيحه . وفي الحديث الآخر ان رسول الله ﷺ مر بجدي أسك ميت والاسك الصغير الاذنين فقال « والله للدنيا أهون على الله من هذا على أهله حين ألقوه »

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إن الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب (٢٧) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨) الذين آمنوا وعملوا الصلحت طوبى لهم وحسن مآب (٢٩)

يخبر تعالى عن قيل المشركين (لولا) أي هلا (أنزل عليه آية من ربه) كقولهم (فليأتنا بآية كما أرسل الاولون) وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة وان الله قادر على إجابة ما سألوا ، وفي الحديث

يعض وقيل يقطعون الرحم ﴿ويفسدون في الارض﴾ أي يعملون بالمعاصي ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ يعني النار وقيل سوء المنقلب لان منقلب الناس دورهم

قوله تعالى ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ يعني مشركي مكة أشروا وبطروا والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا حرام ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴾ أي قليل ذاهب ، قال الكلبي كمثل السكرجة والقصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ من أهل

ان الله أوحى إلى رسوله لما سألوه أن يحول لهم الصفا ذهباً وأن يجري لهم ينبوعا وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين : ان شئت يامحمد أعطيتهم ذلك فان كفروا أعذبهم عذابا لاأعذبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة فقال « بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة » ولهذا قال لرسوله (قل إن الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب) أي هو المضل والهادي سواء بعث الرسول بآية على وفق مااقترحوا أو لم يجبهم إلى سؤالهم فان الهداية والاضلال ليس منوطا بذلك ولاعدمه كما قال (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) وقال (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) ولهذا قال (قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب) أي ويهدي من أناب إلى الله ورجع اليه واستعان به وتضرع لديه (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أي تطيب وتركن إلى جانب الله وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيراً ولهذا قال (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي هو حقيق بذلك وقوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فرح وقرة عين . وقال عكرمة نعم مالهم ، وقال الضحاك غبطة لهم ، وقال ابراهيم النخعي خير لهم ، وقال قتادة هي كلمة عربية يقول الرجل طوبى لك أي أصبت خيراً وقال في رواية طوبى لهم حسنى لهم (وحسن مآب) أي مرجع وهذه الأقوال شيء واحد لامنافاة بينها ، وقال سعيد بن جبير عن ابن

مكة ﴿ لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب ﴾ أي يهدي اليه من يشاء بالانابة وقيل يرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه ﴿ الذين آمنوا ﴾ في محل النصب بدل من قوله من أناب ﴿ وتطمئن ﴾ تسكن ﴿ قلوبهم بذكر الله ﴾ قال مقاتل بالقرآن والسكون يكون باليقين والاضطراب يكون بالشك ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين قال ابن عباس هذا في الحلف يقول اذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين اليه ، فان قيل أليس قد قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة ؟ قيل الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه ، وتطمئن اذا ذكرت فضل الله وكرمه ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ابتداء وقوله ﴿ طوبى لهم ﴾ خبره واختلفوا في تفسير (طوبى) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فرح لهم وقرة عين ، وقال عكرمة نعم مالهم ، وقال قتادة حسنى لهم ، وقال معمر عن قتادة هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيراً ، وقال ابراهيم خير لهم وكرامة ، قال الفراء أصله من الطيب والواو فيه لضمة الطاء ، وفيه لغتان تقول العرب طوباك وطوبى لك أي لهم الطيب ﴿ وحسن مآب ﴾ أي حسن المنقلب ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس

عباس (طوبى لهم) قال هي أرض الجنة بالحبشية ، وقال سعيد بن مسجوع طوبى اسم الجنة بالهندية وكذا روى السدي عن عكرمة طوبى لهم أى الجنة وبه قال مجاهد وقال العوفي عن ابن عباس لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) وذلك حين أعجبته .

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن جعفر عن شهر بن حوشب قال طوبى شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس ومغيث بن سُمي وأبي إسحاق السبيعي وغير واحد من السلف ان طوبى شجرة في الجنة في كل دار منها غصن منها ، وذكر بعضهم ان الرحمن تبارك وتعالى غرسها بيده من حبة لؤلؤة وأمرها أن تمتد فامتدت إلى حيث يشاء الله تبارك وتعالى وخرجت من أصلها ينابيع أنهار الجنة من عسل وخمر وماء ولبن ، وقد قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا « طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »

وقال الامام احمد حدثنا حسين بن موسى سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال يارسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك قال « طوبى لمن رآني وآمن بي . ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » قال له رجل وما طوبى ؟ قال « شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » وروى البخاري ومسلم جميعا عن اسحاق بن راهويه عن مغيرة المخزومي عن وهيب عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها » قال فحدثت به النعمان بن أبي عياش الزرقي فقال حدثني ابو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام مايقطعها » وفي صحيح البخاري من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى (وظل ممدود) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها » وقال الامام احمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرءوا إن شئتم وظل ممدود »

طوبى اسم الجنة بالحبشية ، وقال الربيع هو البستان بلغة الهند ، وروي عن أبي امامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قالوا طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها ، وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي ﷺ وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد ولم يخلق الله تعالى فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة ، عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح ، وروي عن أبي سعيد الخدري ان رجلا سأل رسول الله ﷺ ما طوبى ؟ قال « شجرة في الجنة ظلها مسيرة مائة

أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ لاحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد » وقال محمد بن اسحاق عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى فقال « يسير في ظل الغصن منها الراكب مائة سنة - أو قال - يستظل في الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال » رواه الترمذي وقال اسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الاسود قال سمعت أبا امامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ « مامنكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء ان شاء أبيض وان شاء أحمر ، وان شاء أصفر ، وان شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عبدالاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أشعث بن عبدالله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : طوبى شجرة في الجنة يقول الله لها تفتقي لعبدي عما شاء فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها ، وعن الابل بأزمتها ، وعما شاء من الكسوة ، وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ههنا أثراً غريبا عجيبا

قال وهب رحمه الله ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها زهرتها رياط وورقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت وترابها كافور ووحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهي مجلس لاهل الجنة فبينما هم في مجلسهم اذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها كالمصابيح حسنا ووبرها كخز المرعزي من لينه عليها رحال ألواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وثيابها من سندس واستبرق فيفتحونها يقولون ان ربنا أرسلنا اليكم لتزوروه وتسلموا عليه قال فيركبونها فهي أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش نجبا من غير مهنة يسير الرجل الى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب أذن راحلة منها اذن الاخرى ولا برك راحلة برك الاخرى حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه . قال فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا اليه فاذا رأوه قالوا اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والاكرام قال فيقول تعالى عند ذلك : أنا السلام ومني السلام وعليكم

سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه «طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة » أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن اسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها

حقت رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادي الذين خشوني بغيب وأطاعوا أمري . قال فيقولون ربنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فائذن لنا في السجود قدامك . قال فيقول الله انها ليست بدار نصب ولا عبادة ولكنها دار ملك ونعيم ، واني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ماشئتم فان لكل رجل منكم أمنيته فيسألونه حتى ان أقصرهم أمنية ليقول ربي تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها الى أن انتهت الدنيا فيقول الله تعالى لقد قصرت بك أمنيتك ولقد سألت دون منزلتك هذا لك مني لانه ليس في عطائي نكد ولا قصر يد قال ثم يقول اعرضوا على عبادي مالم يبلغ أمانيهم ولم يخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيهم التي في أنفسهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة متظاهرة في كل قبة منها جاريتان من الحور العين على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما ، ولا ريح ولا طيب إلا قد عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الابيض في ياقوتة حمراء يريان له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل ، ويرى هو لهما مثل ذلك ويدخل اليهما فيحييانه ويقبلانه ويتعلقان به ويقولان له والله ماظننا أن الله يخلق مثلك ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له .

وقد روى هذا الاثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد فانظروا إلى موهوب ربكم الذي وهب لكم ، فاذا هو بقباب في الرفيق الاعلى وغرف مبنية من الدر والمرجان أبوابها من ذهب وسررها من ياقوت وفرشها من سندس واستبرق ، ومنابرها من نور يفور من أبوابها وعراصها نور مثل شعاع الشمس عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء ، واذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهو نورها ، فلولا أنه مسخر اذاً لالتمع الابصار ، فما كان من تلك القصور من الياقوت الابيض فهو مفروش بالحرير الابيض وما كان فيها من الياقوت الاحمر فهو مفروش بالعبقري الاحمر وما كان فيها من الياقوت الاخضر فهو مفروش بالسندس الاخضر ، وما كان فيها من الياقوت الاصفر فهو مفروش بالارجوان الاصفر مبوبة بالزمرد الاخضر والذهب الاحمر والفضة البيضاء قوائمها وأركانها من الجوهر وشرفها

اقرؤا إن شئتم (وظل ممدود) فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام والقرآن على محمد ﷺ لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة مابلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان أفنانها لمن وراء سور الجنة مافي الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة ، وبهذا الاسناد عن عبدالله بن المبارك عن معمر عن الاشعث ابن عبدالله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله عز وجل

قباب من لؤلؤ ، وبروجها غرف من المرجان ، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قربت لهم براذين من ياقوت أبيض منفوخ فيها الروح تجنبها الولدان المخلدون بيد كل وليد منهم حكمة برذون من تلك البراذين ، ولجمها وأعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت سروجها سرر موضونة مفروشة بالسندس والاستبرق فانطلقت بهم تلك البراذين تزف بهم ببطن رياض الجنة ، فلما انتهوا إلى منازلهم وجدوا الملائكة قعوداً على منابر من نور ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامة ربهم ، فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم وما سألوا وتمنوا ، واذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنان : جنتان ذواتا أفنان وجنتان مدهامتان ، وفيهما عينان نضاختان ، وفيهما من كل فاكهة زوجان ، وحور مقصورات في الخيام ، فلما تبوءوا منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم وربنا ، قال هل رضيتم ثواب ربكم ؟ قالوا ربنا رضينا فارض عنا ، قال برضاي عنكم حللتم داري ونظرتم إلى وجهي وصافحتكم ملائكتي فهنيئا لكم (عطاء غير مجذوذ) ليس فيه تنغيص ولا قصر يد فعند ذلك قالوا (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأدخلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب * إن ربنا لغفور شكور) وهذا سياق غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد ، ففي الصحيحين أن الله تعالى يقول لذلك الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة « تمن فيتمنى حتى اذا انتهت به الاماني يقول الله تعالى تمن من كذا وتمن من كذا يذكره ثم يقول ذلك لك وعشرة أمثاله »

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل « ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المخيط اذا أدخل في البحر » الحديث بطوله . وقال خالد بن معدان إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ضروع كلها ترضع صبيان أهل الجنة ، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة . رواه ابن أبي حاتم

كذلك أرسلنك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربي لا إله الا هو عليه توكلت واليه متاب (٣٠)

يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد في هذه الامة (لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك) أي تبلغهم

لها تفتقي لعبدي عما شاء فتفتقت له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء وتفتقت له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وعن الثياب

قوله تعالى ﴿ كذلك أرسلناك في أمة ﴾ أي كما أرسلنا الانبياء الى الامم أرسلناك الى هذه الامة ﴿ قد خلت ﴾ مضت ﴿ من قبلها أمم لتتلو ﴾ لتقرأ ﴿ عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن ﴾

رسالة الله اليهم كذلك أرسلنا في الامم الماضية الكافرة بالله وقد كذب الرسل من قبلك فلك بهم أسوة وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا باولئك فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم فان تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين قال الله تعالى [تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك] الآية ، وقال تعالى [ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين] أي كيف نصرناهم وجعلنا العاقبة لهم ولاتباعهم في الدنيا والآخرة وقوله (وهم يكفرون بالرحمن) أي هذه الامة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن لايقرون به لانهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم ، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا ماندري ماالرحمن الرحيم . قاله قتادة والحديث في صحيح البخاري ، وقد قال الله تعالى [قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى] وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن » (قل هو ربي لا إله الا هو) أي هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والالاهية هو ربي لا إله إلا هو (عليه توكلت) أي في جميع أموري (واليه متاب) أي اليه أرجع وأنيب فانه لا يستحق ذلك أحد سواه

ولو أن قرآنا سيِّرَت به الجبال أو قُطِّعَتْ به الأرض أو كُلِّمَ به الموتى بل لله الأمر

جميعا ، أفلم يَيْئَسِ الذين آمنوا أنْ لَوْ يشاء الله لهدى الناس جميعا ، ولا يزال الذين كفروا

تصيبهم بما صنعوا قارعةٌ أو تحلُّ قريبا من دارهم حتى يأتِيَ وعد الله إن الله لا يخلفُ الميعاد (٣١)

قال قتادة ومقاتل وابن جريج الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء الى النبي ﷺ واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » قالوا لانعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله (وهم يكفرون بالرحمن) والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو يا ألله يارحمن فرجع الى المشركين فقال إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلهاً آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ماتدعوا فله الاسماء الحسنى) وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ « اسجدوا للرحمن » قالوا وما الرحمن ؟ قال الله تعالى ﴿ قل ﴾ لهم يامحمد ان الرحمن الذي أنكرتم معرفته ﴿ هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت ﴾ اعتمدت ﴿ واليه متاب ﴾ أي توبتي ومرجعي

قوله ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ﴾ الآية نزلت في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل بن هشام

يقول تعالى مادحا للقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) أي لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها أو تقطع به الارض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الاعجاز الذي لا يستطيع الانسان والجن عن آخرهم اذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ولا بسورة من مثله ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به جاحدون له (بل لله الامر جميعا) أى مرجع الامور كلها الى الله عز وجل ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ومن يضلل الله فلا هادي له ومن يهد الله فما له من مضل ، وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة لانه مشتق من الجمع ، قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته أن تسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلا من عمل يديه » انفرد باخراجه البخاري ، والمراد بالقرآن هو الزبور وقوله (أفلم ييأس الذين آمنوا) أي من ايمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فانه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في العقول والنفوس من هذا القرآن الذي لو أنزله الله على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله ، وثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال « ما من نبي إلا وقد أوتي ما آمن على مثله البشر وانما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » معناه ان معجزة كل نبي انقرضت بموته وهذا القرآن حجة باقية على الآباد لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث أنبأنا بشر بن عمارة حدثنا عمر بن حسان عن عطية العوفي قال قلت له (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية قالوا لمحمد ﷺ لو سيرت لنا

وعبدالله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة فارسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله بن ابي أمية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها عيونا وأنهاراً لنغرس فيها الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود عليه السلام حيث سخر له الجبال تسبح معه أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت ولست بأهون على ربك من سليمان أو أحي لنا جدك قصيا أو من شئت من آبائنا وموتانا لنسأله عن أمرك أحق ما تقول أم باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله عزوجل (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) فأذهبت عن وجه الارض ﴿أو قطعت به الارض﴾ أي شققت فجعلت أنهاراً وعيونا ﴿أو كلم به الموتى﴾ واختلفوا في جواب لو فقال قوم جوابه محذوف اكتفاء بمعرفة السامعين مراده وتقديره لكان هذا القرآن كقول الشاعر :

جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها أو قطعت بنا الارض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه فأنزل الله هذه الآية ، قال قلت هل تروون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ ؟ قال نعم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ وكذا روي عن ابن عباس والشعبي وقتادة والثوري وغير واحد في سبب نزول هذه الآية والله أعلم . وقال قتادة لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم ، وقوله (بل لله الامر جميعا) قال ابن عباس أي لايصنع من ذلك إلا ما شاء ولم يكن ليفعل رواه ابن اسحاق بسنده عنه وقاله ابن جرير أيضا وقال غير واحد من السلف في قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا) أفلم يعلم الذين آمنوا ، وقرأ آخرون (أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) وقال أبو العالية قد يئس الذين آمنوا أن يهدوا ولو يشاء لهدى الناس جميعا ، وقوله (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم) أي بسبب تكذيبهم لاتزال القوارع تصيبهم في الدنيا أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا كما قال تعالى (ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) وقال (أفلم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) قال قتادة عن الحسن (أو تحل قريبا من دارهم) أي القارعة وهذا هو الظاهر من السياق ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) قال سرية (أو تحل قريبا من دارهم) قال محمد ﷺ (حتى يأتي وعد الله) قال « فتح مكة » وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في رواية ، وقال العوفي عن ابن عباس (تصيبهم بما صنعوا قارعة) قال عذاب من السماء ينزل عليهم

فاقسم لو شيء أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أراد لرددناه وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم ، وقال الآخرون جواب لو مقدم وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال كأنه قال : لو سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا لما سبق من علمنا فيهم كما قال (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) ثم قال ﴿بل لله الامر جميعا﴾ أي في هذه الاشياء إن شاء فعل وان شاء لم يفعل ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ قال اكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هي لغة النخع وقيل هي لغة هوازن يدل عليه قراءة ابن عباس أفلم يتبين الذين آمنوا وأنكر الفراء أن يكون ذلك بمعنى العلم وزعم انه لم يسمع أحداً من العرب يقول يئست بمعنى علمت ولكن معنى العلم فيه مضمر وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا من المشركين طمعوا في أن يفعل الله ماسألوا فيؤمنوا فنزل (أفلم ييأس الذين آمنوا) يعني الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء أي لم ييأسوا علما وكل من علم شيئا يئس من خلافه يقول ألم ييئسهم العلم ﴿ أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين

(أو تحل قريبا من دارهم) يعني نزول رسول الله ﷺ بهم وقتاله إياهم وكذا قال مجاهد وقتادة وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس (قارعة) أي نكبة وكلهم قال (حتى يأتي وعد الله) فتح مكة وقال الحسن البصري يوم القيامة ، وقوله (ان الله لايخلف الميعاد) أي لاينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولاتباعهم في الدنيا والآخرة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام)

ولقد استهزيء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب (٣٢)

يقول تعالى مسليا لرسوله في تكذيب من كذبه من قومه (ولقد استهزيء برسل من قبلك) أي فلك فيهم أسوة (فأمليت للذين كفروا) أي أنظرتهم وأجلتهم (ثم أخذتهم) أخذة رابية فكيف بلغك ماصنعت بهم وعاقبتهم وأمليت لهم كما قال تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير) وفي الصحيحين « إن الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد)

أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣)

يقول تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة يعلم مايعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) وقال تعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وقال (وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين)

كفروا تصيبهم بما صنعوا ﴾ من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿ قارعة ﴾ أي نازلة وداهية تقرعهم من أنواع البلاء أحيانا بالجدب وأحيانا بالسلب واحيانا بالقتل والاسر ، وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله ﷺ يبعثها اليهم ﴿ أو تحل ﴾ يعني السرية أو القارعة ﴿ قريبا من دارهم ﴾ وقيل (أو تحل) أي تنزل انت يامحمد بنفسك (قريبا من دارهم) ﴿ حتى يأتي وعد الله ﴾ قيل يوم القيامة وقيل الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ ودينه ﴿ ان الله لايخلف الميعاد ﴾ وكان الكفار يسألون هذه الاشياء على سبيل الاستهزاء فانزل الله تسلية لنبيه ﷺ ﴿ ولقد استهزيء برسل من قبلك ﴾ كما استهزؤا بك ﴿ فامليت للذين كفروا ﴾ امهلتهم وأطلت لهم المدة ومنه الملوان وهما الليل والنهار ﴿ ثم أخذتهم ﴾ عاقبتهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ أي عقابي لهم ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ أى حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما عملت وجوابه محذوف

وقال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وقال (يعلم السر وأخفى) وقال (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) أفمن هو كذلك كالاصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تملك نفعا لانفسها ولا لعابديها ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها ؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه وهو قوله (وجعلوا لله شركاء) أي عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان (قل سموهم) أي أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فانهم لا حقيقة لهم ولهذا قال (أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض) أي لا وجود له لانه لو كان لها وجود في الارض لعلمها لانه لا تخفى عليه خافية (أم بظاهر من القول) قال مجاهد بظن من القول، وقال الضحاك وقتادة بباطل من القول أي انما عبدتم هذه الاصنام بظن منكم انها تنفع وتضر وسميتموها آلهة [إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان * إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى] (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال مجاهد قولهم أي ماهم عليه من الضلال والدعوة اليه آناء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم) الآية (وصدوا عن السبيل) من قرأها بفتح الصاد معناه انه لما زين لهم ماهم فيه وانه حق دعوا اليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل، ومن قرأها بالضم أى بما زين لهم من صحة ماهم عليه صدوا به عن سبيل الله ولهذا قال (ومن يضلل الله فما له من هاد) كما قال (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) وقال (إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين)

لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق (٣٤)

مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهر أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكفرين النار (٣٥)

تقديره كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾ بينوا أسماءهم وقيل صفوهم ثم انظروا هل هي أهل لان تعبد ﴿أم تنبئونه﴾ أي اتخبرون الله ﴿بما لا يعلم في الارض﴾ فانه لا يعلم لنفسه شريكا ولا في الارض إلها غيره ﴿أم بظاهر﴾ يعني أم تتعلقون بظاهر ﴿من القول﴾ مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له وقيل بزائل من القول قال الشاعر:

وعيرني الواشون اني أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أي زائل ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ كيدهم وقال مجاهد شركهم وكذبهم على الله ﴿وصدوا عن السبيل﴾ أي صرفوا عن الدين قرأ اهل الكوفة ويعقوب وصدوا وفي حم المؤمن وصد بضم الصاد فيهما وقرأ الآخرون بالفتح لقوله تعالى (ان الذين كفروا يصدون عن سبيل الله) وقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) ﴿ومن يضلل الله﴾ بخذلانه إياه ﴿فما له من هاد * لهم عذاب في الحيوة الدنيا﴾

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الابرار فقال بعد إخباره عن حال المشركين وماهم عليه من الكفر والشرك (لهم عذاب في الحياة الدنيا) أي بأيدي المؤمنين قتلا وأسراً (ولعذاب الآخرة) أي المدخر مع هذا الخزي في الدنيا (أشق) أي من هذا بكثير كما قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين « ان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة » وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه فان عذاب الدنيا له انقضاء وذاك دائم أبداً في نار هي بالنسبة الى هذه سبعون ضعفا ووثاق لا يتصور كثافته وشدته كما قال تعالى (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) وقال تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً * اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاوزفيراً * واذا ألقوا منهامكاناضيقامقرنين دعوا هنالك ثبوراً * لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبورا كثيراً * قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا) ولهذا قرن هذا بقوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفتها ونعتها تجري من تحتها الانهار أى سارحة في ارجائها وجوانبها وحيث شاء أهلها يفجرونها تفجيرا أي يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا كقوله (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة) الآية وقوله (أكلها دائم وظلها) أي فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لا انقطاع ولا فناء ، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف وفيه قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك ثم رأيناك تكعكعت فقال « اني رأيت الجنة أو أريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه مابقيت الدنيا »

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيدالله حدثنا أبوعقيل قال : بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر ، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يارسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئا مارأيناك كنت تصنعه فقال « اني عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والارض لاينقصونه » وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر شاهدا لبعضه وعن عتبة بن عبد السلمي أن اعرابيا سأل النبي ﷺ عن الجنة فقال فيها عنب ؟ قال « نعم » قال فما عظم العنقود ؟ قال « مسيرة شهر للغراب الابقع ولا يفتر » رواه الامام أحمد

وقال الطبراني حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا علي بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن

بالقتل والاسر ﴿ ولعذاب الآخرة اشق ﴾ أشد ﴿وما لهم من الله من واق ﴾ مانع يمنعهم من العذاب قوله عز وجل ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي صفة الجنة كقوله تعالى (ولله المثل الاعلى) أي الصفة العليا ﴿تجري من تحتها الانهار﴾ أي صفة الجنة التي وعد المتقون ان الانهار تجري من تحتها

منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل اذا نزع شجرة من الجنة عادت مكانها أخرى » وعن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ويلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس » رواه مسلم ، وروى الامام أحمد والنسائي من حديث الاعمش عن ثمام بن عقبة سمعت زيد بن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب فقال ياأبا القاسم : تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال « نعم والذي نفس محمد بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة » قال إن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال « تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كريح المسك فيضمر بطنه » رواه الامام أحمد والنسائي وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ « انك لتنظر إلى الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويا » وجاء في بعض الاحاديث أنه اذا فرغ منه عاد طائراً كما كان باذن الله تعالى ، وقد قال الله تعالى (وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة) وقال [ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا] وكذلك ظلها لايزول ولا يقلص كما قال تعالى [والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا]

وقد تقدم في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لايقطعها » ثم قرأ [وظل ممدود] وكثيراً مايقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار ليرغب في الجنة ويحذر من النار ، ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر قال بعده [تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار] كما قال تعالى [لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون] وقال بلال بن سعد خطيب دمشق في بعض خطبه : عباد الله هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئا من عبادتكم تقبل منكم ، أو أن شيئا من خطاياكم غفرت لكم ؟ (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون) والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستقللتم كلكم ماافترض عليكم ، أو ترغبون في طاعة الله لتعجيل دنياكم ولا تنافسون في جنة [أكلها دائم] رواه ابن أبي حاتم

والذين آتينٰهم الكتٰب يفرحون بما أنزل اليك ، ومن الاحزاب من ينكر بعضه ،

وقيل « مثل » صلة مجازها (الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار) ﴿ أكلها دائم ﴾ اي لا ينقطع ثمرها ونعيمها ﴿ وظلها ﴾ أي ظلها ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا أن نعيم الجنة يفنى ﴿ تلك عقبى ﴾ اى عاقبة ﴿ الذين اتقوا ﴾ يعني الجنة ﴿ وعقبى الكافرين النار ﴾

قوله تعالى ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعني القرآن وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿ يفرحون بما أنزل

قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، اليه أدعو واليه مآب (٣٦) وكذلك أنزلنه

حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ماجاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق (٣٧)

يقول تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) وهم قائمون بمقتضاه (يفرحون بما أنزل اليك) أى من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به كما قال تعالى [الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته] الآية ، وقال تعالى [قل آمنوا به أو لا تؤمنوا — إلى قوله — إن كان وعد ربنا لمفعولا] أى إن كان ماوعدنا الله به في كتبنا من ارسال محمد ﷺ لحقا وصدقا مفعولا لامحالة وكائنا ، فسبحانه ما أصدق وعده ، فله الحمد وحده [ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا] وقوله (ومن الاحزاب من ينكر بعضه) أى ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل اليك ، وقال مجاهد (ومن الاحزاب) أى اليهود والنصارى (من ينكر بعضه) أى بعض ماجاءك من الحق ، وكذا قال قتادة وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وهذا كما قال تعالى [وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله] الآية (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) أى انما بعثت بعبادة الله وحده لاشريك له كما أرسل الانبياء من قبلي (اليه أدعو) أى إلى سبيله أدعو الناس (واليه مآب) أى مرجعي ومصيري

وقوله (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي وكما أرسلنا قبلك المرسلين وأنزلنا عليهم الكتب من السماء كذلك أنزلنا عليك القرآن محكما معربا شرفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلي الذي [لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد] وقوله (ولئن اتبعت أهواءهم) أي آراءهم (بعد ماجاءك من العلم) أى من الله سبحانه (مالك من الله من ولي ولا واق)

اليك ﴾ من القرآن ﴿ ومن الاحزاب ﴾ يعني الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم اليهود والنصارى ﴿ من ينكر بعضه ﴾ هذا قول مجاهد وقتادة ، وقال الآخرون كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله ذكره في القرآن فرحوا به فانزل الله سبحانه وتعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه) يعني مشركي مكة حين كتب رسول الله ﷺ في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله عز وجل (وهم بذكر الرحمن هم كافرون) (وهم يكفرون بالرحمن) وإنما قال بعضه لأنهم كانوا لاينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ إنما أمرت ان أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب ﴾ أي مرجعي ﴿ وكذلك أنزلناه حكما عربيا ﴾ يقول كما انزلنا اليك الكتاب يامحمد فانكره الاحزاب كذلك أنزلنا اليك الحكم والدين عربيا نسب إلى العرب لانه نزل بلغتهم فكذب به الاحزاب وقيل نظم الآية كما أنزل الكتب على الرسل بلغاتهم فكذلك أنزلنا عليك الكتاب حكما

وهذا وعيد لاهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعد ماصاروا اليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب (٣٨) يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٩)

يقول تعالى وكما أرسلناك يامحمد رسولا بشريا كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ويأتون الزوجات ويولد لهم وجعلنا لهم أزواجا وذرية وقد قال تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) وفي الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال « أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن مكحول قال: قال أبو أيوب قال رسول الله ﷺ « أربع من سنن المرسلين التعطر والنكاح والسواك والحناء » وقد رواه أبو عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن حفص بن غياث عن الحجاج عن مكحول عن أبي الشمال عن أبي أيوب فذكره ثم قال وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال

وقوله (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله) أي لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه ليس ذلك اليه بل إلى الله عز وجل يفعل مايشاء ويحكم مايريد (لكل أجل كتاب) أي لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار (ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله (لكل أجل كتاب) أي لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين فلهذا (يمحو الله مايشاء) منها (ويثبت) يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله

عربيا ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ في الملة وقيل في القبلة ﴿بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق﴾ يعنى من ناصر ولا حافظ

قوله تعالى ﴿ولقد ارسلنا رسلا من قبلك﴾ روي أن اليهود وقيل ان المشركين قالوا ان هذا الرجل ليست له همة الا في النساء فانزل الله تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) ﴿وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله﴾ هذا جواب عبدالله بن أبي أمية ثم قال ﴿لكل أجل كتاب﴾ يقول لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه وقيل لكل أجل أجله الله كتاب أثبت فيه وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره أي لكل كتاب أجل ومدة أي الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه

وسلامه عليه ، وقوله (يمحو الله مايشاء ويثبت) اختلف المفسرون في ذلك فقال الثوري ووكيع وهشيم عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : يدبر أمر السنة فيمحو الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت، وفي رواية (يمحو الله مايشاء ويثبت) قال كل شيء إلا الموت والحياة والشقاء والسعادة فانهما قد فرغ منهما ، وقال مجاهد (يمحو الله مايشاء ويثبت) الا الحياة والموت والشقاء والسعادة فانهما لا يتغيران ، وقال منصور سألت مجاهدا فقلت أرأيت دعاء أحدنا يقول : اللهم ان كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم وإن كان في الاشقياء فامحه عنهم واجعله في السعداء فقال حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر فسألته عن ذلك فقال (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) الآيتين قال يقضي في ليلة القدر مايكون في السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء ويؤخر مايشاء فأما كتاب السعادة والشقاوة فهو ثابت لا يغير ، وقال الاعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة انه كان كثيراً يدعو بهذا الدعاء : اللهم ان كنت كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء وان كنت كتبتنا سعدا فاثبتنا فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، رواه ابن جرير ، وقال ابن جرير أيضاً حدثنا عمرو بن علي حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن ابي حكيمة عصمة [1] عن أبي عثمان النهدى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكي : اللهم ان كنت كتبت علي شقوة أو ذنبا فامحه فانك تمحو ماتشا وتبت وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة

وقال حماد عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضا ورواه شريك عن هلال بن حميد عن عبدالله بن عليم عن ابن مسعود بمثله ، وقال ابن

[1] كلمة عصمة غير موجودة في نسخة ابن جرير

﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب ويثبت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد واختلفوا في معني الآية وقال سعيد بن جبير وقتادة (يمحو الله ما يشاء) من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله (ويثبت) ما يشاء منها فلا ينسخه ، وقال ابن عباس (يمحو الله ما يشاء ويثبت) إلا الرزق والاجل والسعادة والشقاء وروينا عن حذيفة بن أسيد عن النبي ﷺ يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي أو سعيد ؟ فيكتبان فيقول أى رب أذكر أم انثي ؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص وعن عمرو بن مسعود انهما قالا يمحو السعادة والشقاوة أيضا ويمحو الرزق والاجل ويثبت مايشاء روي عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني على الشقاوة فامحني واثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ومثله عن ابن مسعود وفي بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فترد إلى ثلاثة أيام والرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فتمد إلى ثلاثين سنة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني

جرير حدثني المثنى ثنا حجاج حدثنا خصاف [1] عن أبي حمزة عن ابراهيم أن كعبا قال لعمر بن الخطاب: ياأمير المؤمنين لولا آية في كتاب الله لانبأتك بما هو كائن الى يوم القيامة [2] قال وماهي ؟ قال قول الله تعالى (يمحو الله مايشاء) الآية ومعنى هذه الاقوال أن الاقدار ينسخ الله مايشاء منها ويثبت منها مايشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن عبدالله ابن عيسى عن عبدالله بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري به وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر ، وفي حديث آخر « إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والارض » وقال ابن جرير حدثني محمد بن سهل بن عسكر حدثنا عبد الرزاق أنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت - والدفتان لوحان - لله عز وجل كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب

وقال الليث بن سعد عن زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل في الساعة الاولى ينظر في الذكر الذي لاينظر فيه أحد غيره فيمحو مايشاء ويثبت وذكر تمام الحديث » رواه ابن جرير وقال الكلبي يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو من الرزق ويزيد فيه ، ويمحو من الاجل ويزيد فيه فقيل له من حدثك بهذا ؟ فقال أبو صالح عن جابر بن عبدالله بن رباب عن النبي ﷺ ثم سئل بعد ذلك عن هذه الآية فقال يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك أكلت وشربت دخلت وخرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ويثبت

ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبدالله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني زياد بن محمد الانصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء أنه قال قال رسول الله ﷺ « ينزل الله عز وجل في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في أم الكتاب الذي لاينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت » وقيل معنى الآية ان الحفظة يكتبون جميع اعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قوله أكلت شربت دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صادق فيه ويثبت مافيه ثواب وعقاب ، هذا قول الضحاك والكلبي وقال الكلبي يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال عطية عن ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو ، والذي يثبت الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في طاعة الله

[1] في نسخة ابن جرير حماد
[2] من الغريب ان تبلغ الجرأة بكعب الى هذا الحد الباطل شرعا وعقلا ثم يعتدون بدينه وعلمه ويروون عنه

ما كان فيه الثواب وعليه العقاب ، وقال عكرمة عن ابن عباس الكتاب كتابان فكتاب يمحو الله منه مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) يقول هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت ، وروي عن سعيد بن جبير أنها بمعنى (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) وقال علي بن أبي طالحة عن ابن عباس (يمحو الله ما يشاء ويثبت) يقول يبدل مايشاء فينسخه ويثبت مايشاء فلا يبدله (وعنده أم الكتاب) وجملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب ، وقال قتادة في قوله (يمحو الله مايشاء ويثبت) كقوله (ماننسخ من آية أو ننسها) الآية ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (يمحو الله مايشاء ويثبت) قال قالت كفار قريش لما نزلت (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله) ماتراك يامحمداً تملك شيئا وقد فرغ من الامر فأنزلت هذه الآية تخويفا ووعيداً لهم انا إن شئنا أحدثناله من أمرنا ماشئنا ونحدث في كل رمضان فيمحو مايشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم ، وقال الحسن البصري (يمحو الله مايشاء ويثبت) قال من جاء أجله يذهب ويثبت الذي هو حي يجري إلى أجله ، وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله وقوله (وعنده أم الكتاب) قال الحلال والحرام ، وقال قتادة أي جملة الكتاب وأصله ، وقال الضحاك (وعنده أم الكتاب) قال كتاب عند رب العالمين ، وقال سنيد بن داود حدثني معتمر عن أبيه عن سيار عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن أم الكتاب فقال : علم الله ماهو خالق وما خلقه عاملون ثم

عز وجل فهو الذي يثبت ، وقال الحسن (يمحو الله مايشاء) أي من جاء اجله يذهب به ويثبت من لم يجيء أجله الى يوم أجله ، وعن سعيد بن جبير قال (يمحو الله مايشاء) من ذنوب العباد فيغفرها (ويثبت) ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة (يمحو الله ما يشاء) من الذنوب بالتوبة (ويثبت) بدل الذنوب حسنات كما قال الله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقال السدى (يمحو الله مايشاء) يعنى القمر (ويثبت) يعنى الشمس بيانه قوله تعالى (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه فامسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه بيانه قوله عز وجل (الله يتوفى الانفس حين موتها) الآية ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أي اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لايبدل ولا يغير وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه مايشاء ويثبت وأم الكتاب الذي لايغير منه شيء وعن عطاء عن ابن عباس قال ان لله تعالى لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت لله في كل يوم فيه ثلثمائة وستون لحظة يمحو مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وسأل ابن عباس

قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ، وقال ابن جريج عن ابن عباس (وعنده أم الكتاب) قال الذكر

وان ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلغ وعلينا الحساب (٤٠) أولم

يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها؟ والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب (٤١)

يقول تعالى لرسوله (وإما نرينك) يامحمد بعض الذي نعد أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا (أو نتوفينك) أي قبل ذلك (فانما عليك البلاغ) أي إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد فعلت ماأمرت به (وعلينا الحساب) أي حسابهم وجزاؤهم كقوله تعالى (فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * إلا من تولى وكفر * فيعذبه الله العذاب الاكبر * إن الينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم) وقوله (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) قال ابن عباس أو لم يروا أنا نفتح لمحمد ﷺ الارض بعد الارض ، وقال في رواية أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية وقال مجاهد وعكرمة ننقصها من أطرافها قال خرابها ، وقال الحسن والضحاك هو ظهور المسلمين على المشركين ، وقال العوفي عن ابن عباس نقصان أهلها وبركتها ؛ وقال مجاهد نقصان الانفس والثمرات وخراب الارض ، وقال الشعبي لو كانت الارض تنقص لضاق عليك حشك ولكن تنقص الانفس والثمرات وكذا قال عكرمة لو كانت الارض تنقص لم تجد مكانا تقعد فيه ولكن هو الموت ، وقال ابن عباس

كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ماهو خالق وما خلقه عاملون

قوله تعالى ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب قبل وفاتك ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فانما عليك البلاغ﴾ ليس عليك الا ذلك ﴿ وعلينا الحساب ﴾ الجزاء يوم القيامة

قوله تعالى ﴿او لم يروا﴾ يعني أهل مكة الذين يسألون محمداً ﷺ الآيات ﴿ أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها﴾ اكثر المفسرين على أن المراد منه فتح ديار الشرك فان ما زاد في ديار الاسلام فقد نقص من ديار الشرك يقول (أو لم يروا انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها) فنفتحها لمحمد أرضا بعد ارض حوالي أرضهم أفلا يعتبرون هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وقال قوم هو خراب الارض معناه أو لم يروا انا نأتي الارض فنخربها ونهلك أهلها افلا يخافون ان نفعل بهم ذلك ؛ وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة قال قبض الناس وعن الشعبي مثله وقال عطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنبأنا احمد بن عبدالله النعيمي انبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسماعيل بن أبي اويس حدثني مالك عن هشام عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا » وقال الحسن قال عبدالله بن مسعود موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها

في رواية خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها وكذا قال مجاهد أيضا هو موت العلماء وفي هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة احمد بن عبدالعزيز أبي القاسم المصري الواعظ سكن أصبهان حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المري بدمشق أنشدنا أبو بكر الآجري بمكة قال أنشدنا احمد بن غزال لنفسه

الارض تحيا اذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرف

كالارض تحيا اذا ما الغيث حل بها وان أبى عاد في أكنافها التلف

والقول الاول أولى، وهو ظهور الاسلام على الشرك قرية بعد قرية كقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) الآية وهذا اختيار ابن جرير [1]

وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا، يعلم ما تكسب كل نفس، وسيعلم الكفر لمن عقبى الدار (٤٢)

يقول تعالى (وقد مكر الذين من قبلهم) برسلهم وأرادوا اخراجهم من بلادهم فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين كقوله (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين) وقوله تعالى [ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا] الآيتين، وقوله (يعلم ما تكسب كل نفس) أي أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر وسيجزي كل عامل بعمله (وسيعلم الكافر) والقراءة الاخرى الكفار (لمن عقبى الدار) لمن تكون الدائرة والعاقبة لهم أو لأتباع الرسل كلا، بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة ولله الحمد والمنة

شيء ما اختلف الليل والنهار، وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال علي رضي الله عنه انما مثل الفقهاء كمثل الاكف إذا قطعت كف لم تعد وقال سليمان لايزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ لا راد لقضائه ولا ناقض لحكمه ﴿وهو سريع الحساب * وقد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني من قبل مشركي مكة والمكر إيصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر ﴿فلله المكر جميعا﴾ أي عند الله جزاء مكرهم وقيل ان الله خالق مكرهم جميعا بيده الخير والشر واليه النفع والضر فلا يضر مكر أحد أحداً الا باذنه ﴿يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو الكافر على التوحيد وقرأ الآخرون الكفار على الجمع ﴿لمن عقبى الدار﴾ أي عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة

«١» ولكنه يقتضى ان تكون السورة او الاية مدنية وفي السورة خلاف والاشبه انها مكية

ويقول الذين كفروا لستَ مرسلا ، قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتبُ (٤٣)

يقول تعالى يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون (لست مرسلا) أي ماأرسلك الله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) أي حسبي الله هو الشاهد عليّ وعليكم شاهد عليّ فيما بلغت عنه من الرسالة وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان ، وقوله (ومن عنده علم الكتاب) قيل نزلت في عبد الله بن سلام . قاله مجاهد وهذا القول غريب لان هذه الآية مكية ، وعبد الله بن سلام انما أسلم في أول مقدم النبي ﷺ المدينة والاظهر في هذا ماقاله العوفي عن ابن عباس قال هم من اليهود والنصارى ، وقال قتادة منهم ابن سلام وسلمان وتميم الداري ، وقال مجاهد في رواية عنه هو الله تعالى وكان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ويقول هي مكية وكان يقرؤها (ومن عنده علم الكتاب) ويقول من عند الله ، وكذا قرأها مجاهد والحسن البصري . وقد روى ابن جرير من حديث هارون الاعور عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأها (ومن عنده علم الكتاب) ثم قال لا أصل له من حديث الزهري عند الثقاة ، قلت وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من طريق هارون بن موسى هذا عن سليمان بن أرقم وهو ضعيف عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعا كذلك ولا يثبت والله أعلم ، والصحيح في هذا أن (ومن عنده) اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الانبياء به كما قال تعالى [ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل] الآية ، وقال تعالى [أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل] الآية وأمثال ذلك مما فيه الاخبار عن علماء بني اسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة . وقد ورد في حديث الاحبار عن عبد الله ابن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة

قال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني في كتاب دلائل النبوة وهو كتاب جليل حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن مصفى حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف

﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ اني رسول اليكم ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ يريد مؤمني أهل الكتاب يشهدون على ذلك . قال قتادة هو عبد الله بن سلام وأنكر الشعبي هذا وقال السورة مكية وعبدالله بن سلام أسلم بالمدينة وقال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير (ومن عنده علم الكتاب)أهو عبدالله بن سلام ؟ فقال وكيف يكون عبدالله بن سلام وهذه السورة مكية وقال الحسن ومجاهد (ومن عنده علم الكتاب)هو الله عز وجل يدل عليه قراءة عبد الله بن عباس (ومن

ابن عبد الله بن سلام عن أبيه عبد الله بن سلام أن قال لأحبار اليهود : اني أردت أن أحدث بمسجد أبينا ابراهيم واسماعيل عهداً فانطلق إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج فوجد رسول الله ﷺ بمنى والناس حوله فقام مع الناس ، فلما نظر اليه رسول الله ﷺ قال « أنت عبد الله بن سلام ؟ » قال قلت نعم ، قال « ادن » قال فدنوت منه قال « أنشدك بالله ياعبدالله ابن سلام أما تجدني في التوراة رسول الله ؟ » فقلت له انعت ربنا ، قال فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال له (قل هو الله أحد الله الصمد) إلى آخرها ، فقرأها علينا رسول الله ﷺ ، فقال ابن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فكتم اسلامه ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنا فوق نخلة لي أجذها فألقيت نفسي فقالت أمي لله أنت لو كان موسى بن عمران ماكان لك أن تلقي نفسك من رأس النخلة فقلت والله لأنا أسر بقدوم رسول الله ﷺ من موسى بن عمران إذ بعث . وهذا حديث غريب جداً

آخر تفسير سورة الرعد ولله الحمد والمنة

تفسير سورة ابراهيم عليه السلام وهي مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الر ، كتاب أنزلنه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد (١) الله الذي له مافي السموات ومافي الارض ، وويل للكافرين من عذاب

عنده بكسر الميم والدال أي من عندالله عز وجل وقرأ الحسن وسعيد بن جبير ومن عنده بكسر الميم والدال علم الكتاب على الفعل المجهول دليل هذه القراءة (وعلمناه من لدنا علما) وقوله (الرحمن علم القرآن)

﴿ سورة ابراهيم عليه السلام ﴾

مكية وهي إحدى وخمسون آية الا آيتين من قوله تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ـ إلى قوله ـ فان مصيركم إلى النار)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ الر ، كتاب ﴾ أي هذا كتاب ﴿ أنزلناه اليك ﴾ يامحمد يعني القرآن ﴿ لتخرج الناس من الظلمات

شديد (٢) الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلل بعيد (٣)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور (كتاب أنزلناه اليك) أي هذا كتاب أنزلناه اليك يامحمد وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله في الارض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) أي انما بعثناك يامحمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد كما قال تعالى [الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات] الآية

وقال تعالى (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور) الآية وقوله (باذن ربهم) أي هو الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم (إلى صراط العزيز الحميد) أي العزيز الذي لايمانع ولا يغالب بل هو القاهر لكل ماسواه (الحميد) أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه أمره ونهيه الصادق في خبره وقوله (الله الذي له مافي السموات وما في الارض) قرأ بعضهم مستأنفا مرفوعا وقرأ آخرون على الاتباع صفة للجلالة كقوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض) الآية وقوله (وويل للكافرين من عذاب شديد) أي ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك يامحمد وكذبوك ، ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أي يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم (ويصدون عن سبيل الله) وهي اتباع الرسل (ويبغونها عوجا) أي ويحبون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة عائلة وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق لا يرجى لهم والحالة هذه صلاح

إلى النور﴾ أى لتدعوهم من ظلمات الضلالة إلى نور الايمان ﴿ باذن ربهم ﴾ بامر ربهم وقيل بعلم ربهم ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي الى دينه والعزيز هو الغالب والحميد هو المستحق للحمد ﴿الله﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر الله بالرفع على الاستئناف وخبره فيما بعده وقرأ الآخرون بالخفض نعتاً للعزيز الحميد وكان يعقوب إذا وصل خفض وقال أبو عمرو الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد ﴿ الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد * الذين يستحبون ﴾ يختارون ﴿ الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ﴾ أي يمنعون الناس عن قبول دين الله ﴿ويبغونها عوجا﴾ يطلبونها زيغا وميلا يريد يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق أي بجهة الحرام ﴿ أولئك في ضلال بعيد ﴾

وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (٤)

هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل اليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به اليهم كما روى الامام احمد حدثنا وكيع عن عمر بن ذر قال قال مجاهد عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ « لم يبعث الله عز وجل نبيا الا بلغة قومه » وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل الله من يشاء عن وجه الهدى ويهدي من يشاء إلى الحق وهو (العزيز) الذي ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن (الحكيم) في أفعاله فيضل من يستحق الاضلال ويهدي من هو أهل لذلك ، وقد كانت هذه سنته في خلقه أنه مابعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم فاختص كل نبي بابلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم واختص محمد بن عبدالله رسول الله ﷺ بعموم الرسالة إلى سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » وله شواهد من وجوه كثيرة وقال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا)

ولقد أرسلنا موسى بآيٰتنا أن أخرج قومك من الظلمٰت الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيٰت لكل صبار شكور (٥)

يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم تدعوهم الى الخروج من الظلمات الى النور كذلك أرسلنا موسى الى بني إسرائيل بآياتنا قال مجاهد وهي التسع الآيات (أن أخرج قومك) أي أمرناه قائلين له (أخرج قومك من الظلمات الى النور) أي ادعهم الى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال الى نور الهدى وبصيرة الايمان (وذكرهم بايام الله) أي بأياديه ونعمه عليهم في اخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه

قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم﴾ بلغتهم ليفهموا عنه فان قيل كيف هذا وقد بعث النبي ﷺ الى كافة الخلق ؟ قيل بعث من العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بعث الرسل الى الاطراف يدعونهم إلى الله عز وجل ويترجمون لهم بألسنتهم ﴿ فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور﴾ أي من الكفر إلى الايمان بالدعوة ﴿وذكرهم بايام الله﴾ قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد وقتادة بنعم

وانجائه اياهم من عدوهم وفلقه لهم البحر وتظليله اياهم بالغمام وانزاله عليهم المن والسلوى الى غير ذلك من النعم قال ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد ، وقد ورد فيه الحديث المرفوع الذي رواه عبدالله بن الامام احمد بن حنبل في مسند أبيه حيث قال حدثني يحيى بن عبدالله مولى بني هاشم حدثنا محمد بن أبان الجعفي عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وذكرهم بأيام الله) قال بنعم الله ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبان به ورواه عبدالله ابنه أيضا موقوفا وهو أشبه وقوله (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي إن فيما صنعنا بأوليائنا بني اسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبرة لكل صبار أي في الضراء شكور أي في السراء كما قال قتادة نعم العبد عبد اذا ابتلي صبر واذ أعطي شكر . وكذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان أمر المؤمن كله عجب لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وان أصابته سراء شكر فكان خيراً له »

واذ قال موسىٰ لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجـٰكم من آل فرعون يسومونكم سوء العـذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذٰلـكم بلاءٌ من ربكم عظـيم (٦) واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (٧) وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد (٨)

يقول تعالى مخبراً عن موسى حين ذكر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم اذ أنجاهم من آل فرعون وما كانوا يسومونهم به من العذاب والاذلال حيث كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم ويتركون إناثهم فأنقذهم الله من ذلك وهذه نعمة عظيمة ولهذا قال (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك أنتم عاجزون عن القيام بشكرها . وقيل : وفيما كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الافاعيل (بلاء) أي اختبار عظيم . ويحتمل أن يكون المراد هذا وهذا والله أعلم كقوله تعالى (وبلوناهم بالحسنات

الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة فاجتزأ بذكر الايام عنها لانها كانت معلومة عندهم ﴿ ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وأراد لكل مؤمن لان الصبر والشكر من خصال المؤمنين ﴿ وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ﴾ قال الفراء العلة الجالبة لهذا الواو أن الله تعالى أخبرهم أن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع العذاب غير التذبيح وبالتذبيح وحيث طرح الواو في يذبحون ويقتلون أراد تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم ﴿ ويستحيون نساءكم ﴾ يتركونهن أحياء ﴿ وفي ذلكم بلاء من

والسيئات لعلهم يرجعون) وقوله (وإذ تأذن ربكم) أي آذنكم وأعلمكم بوعده لكم ، ويحتمل أن يكون المعنى : واذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه كقوله تعالى (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة) وقوله (لئن شكرتم لأزيدنكم) أي لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها (ولئن كفرتم) أي كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها (ان عذابي لشديد) وذلك بسلبها عنهم وعقابه اياهم على كفرها وقد جاء في الحديث « أن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » وفي المسند أن رسول الله ﷺ مر به سائل فأعطاه تمرة فتسخطها ولم يقبلها ثم مر به آخر فأعطاه اياها فقبلها وقال تمرة من رسول الله ﷺ فأمر له بأربعين درهما أو كما قال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا عمارة الصيدلاني عن ثابت عن أنس قال أتى النبي ﷺ سائل فأمر له بتمرة فلم يأخذها أو وحش بها - قال - وأتاه آخر فأمر له بتمرة فقال سبحان الله تمرة من رسول الله ﷺ فقال للجارية « اذهبي الى أم سلمة فاعطيه الأربعين درهما التي عندها » تفرد به الامام أحمد وعمارة بن زاذان وثقه ابن حبان وأحمد ويعقوب بن سفيان ، وقال ابن معين صالح وقال أبو زرعة لا بأس به وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين ، وقال البخاري ربما يضطرب في حديثه وعن أحمد أيضا انه قال روى أحاديث منكرة ، وقال أبو داود ليس بذاك وضعفه الدارقطني وقال ابن عدي لا بأس به ممن يكتب حديثه

وقوله تعالى (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) أي هو غني عن شكر عباده وهو الحميد المحمود وان كفره من كفره كقوله (ان تكفروا فان الله غني عنكم) الآية وقوله (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد) وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال « ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا ، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك في ملكي شيئا ، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا الا كما ينقص المحيط اذا دخل البحر » فسبحانه وتعالى الغني الحميد

ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا

ربكم عظيم * وإذ تأذن ربكم﴾ أي اعلم يقال أذن وتأذن بمعنى واحد مثل أوعد وتوعد ﴿لئن شكرتم﴾ نعمتي فآمنتم وأطعتم ﴿لازيدنكم﴾ في النعمة وقيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل (لئن شكرتم) بالطاعة (لازيدنكم) بالثواب ﴿ ولئن كفرتم ﴾ نعمتي فجحدتموها ولم تشكروها ﴿ان عذابي لشديد * وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد﴾ أي غني عن خلقه حميد محمود في فعاله لانه فيها متفضل أو عادل ﴿ألم يأتكم نبأ الذين﴾ خبر الذين ﴿من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين

الله جاءتهم رسلهم بالبينٰت فردوا أيديهم في أفوٰههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب (٩)

قال ابن جرير هذا من تمام قول موسى لقومه يعني وتذكيره اياهم بأيام الله بانتقامه من الامم المكذبة بالرسل وفيما قال ابن جرير نظر والظاهر أنه خبر مستأنف من الله تعالى لهذه الامة فانه قد قيل إن قصة عاد وثمود ليست في التوراة فلو كان هذا من كلام موسى لقومه وقصصه عليهم لاوشك أن تكون هاتان القصتان في التوراة والله أعلم وبالجملة فالله تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم المكذبة للرسل مما لا يحصي عددهم الا الله عز وجل (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات وقال ابن اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله أنه قال في قوله (لا يعلمهم الا الله) كذب النسابون وقال عروة بن الزبير ماوجدنا أحداً يعرف مابعد معد بن عدنان وقوله (فردوا ايديهم في أفواههم) اختلف المفسرون في معناه قيل معناه أنهم أشاروا الى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت عنهم لما دعوهم الى الله عز وجل وقيل بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم، وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل، وقال مجاهد ومحمد ابن كعب وقتادة معناه أنهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم بافواههم. قال ابن جرير وتوجيهه أن في هنا بمعنى الباء قال وقد سمع من العرب أدخلك الله بالجنة يعنون في الجنة، وقال الشاعر

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست أرغب

يريد أرغب بها قلت ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب) فكأن هذا والله أعلم تفسير لمعنى (فردوا أيديهم في أفواههم) وقال سفيان الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عن عبدالله في قوله (فردوا أيديهم في أفواههم) قال عضوا عليها غيظاء وقال شعبة عن أبي اسحاق عن هبيرة بن مريم عن عبدالله أنه قال ذلك

من بعدهم لايعلمهم الا الله﴾ يعني من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود، روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال بعد ما قرأ هذه الآية كذب النسابون وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال بين ابراهيم وبين عدنان ثلاثون قرنا لايعلمهم الا الله تعالى وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الانسان نفسه أبا أبا الى آدم وكذلك في حق النبي ﷺ لانه لايعلم أولئك الآباء أحد الا الله عز وجل ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالدلالات الواضحات ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ قال ابن مسعود عضوا على أيديهم غيظا كما قال عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى أفواههم قال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبته وقال الكلبي يعني أن الامم ردوا أيديهم في أفواههم أي في أفواه

أيضا ، وقد اختاره عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ووجهه ابن جرير مختاراً له بقوله تعالى عن المنافقين (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) وقال العوفي عن ابن عباس لما سمعوا كلام الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به الآية يقولون لا نصدقكم فيما جئتم به فان عندنا فيه شكا قويا

قالت رسلهم أفي الله شك ؟ فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ، قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين (١٠) قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكنّ الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١) وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون (١٢)

يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لاشريك له قالت الرسل (أفي الله شك)وهذا يحتمل شيئين (أحدهما) أفي وجوده شك فان الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الاقرار به فان الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب فتحتاج الى النظر في الدليل الموصل الى وجوده ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم الى طريق معرفته بأنه (فاطر السموات والارض) الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق فان شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما فلا بد لهما من صانع وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء وآلهه ومليكه ، والمعنى الثاني في قولهم (أفي الله شك) أي أفي ألهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة الا هو وحده لاشريك له فان غالب الامم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى وقالت (لهم رسلهم يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) أي

أنفسهم أي وضعوا الايدي على الافواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا ، وقال مقاتل فردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الايدي بمعنى النعم معناه ردوا مالو قبلوا كانت أيادي ونعما في أفواههم أي بافواههم يعني بألسنتهم ﴿وقالوا﴾ يعني الامم للرسل ﴿انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب﴾ موجب للريبة موقع للتهمة ﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾ هذا استفهام بمعنى نفي مااعتقدوه ﴿فاطر السموات والارض﴾ خالقهما ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي ذنوبكم

في الدار الآخرة ويؤخركم الى أجل مسمى أي في الدنيا كما قال تعالى (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) الآية فقالت لهم الامم محاجين في مقام الرسالة بعد تقدير تسليمهم المقام الاول وحاصل ماقالوه (إن أنتم الا بشر مثلنا) أي كيف نتبعكم بمجرد قوالكم ولما نرمنكم معجزة (فأتونا بسلطان مبين) أي خارق نقترحه عليكم (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم) أي صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) أي بالرسالة والنبوة (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان) على وفق ماسألتم (إلا بإذن الله) أي بعد سؤالنا إياه وإذنه لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي في جميع أمورهم ثم قالت الرسل (ومالنا أن لا نتوكل على الله) أي وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها (ولنصبرن على ما آذيتمونا) أي من الكلام السيء والافعال السخيفة (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)

وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظلمين (١٣) ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (١٤) واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد (١٥) من ورائه جهنم ويُسقى من ماء صديد (١٦) يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ (١٧)

يخبر تعالى عما توعدت به الامم الكافرة رسلهم من الاخراج من ارضهم والنفي من بين أظهرهم كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) الآية. وكما قال قوم لوط (أخرجوا آل لوط من قريتكم) الآية، وقال تعالى إخباراً عن مشركي قريش (وإن

ومن صلة ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ إلى حين استيفاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب ﴿قالوا﴾ للرسل ﴿ان أنتم﴾ ما أنتم ﴿إلا بشر مثلنا﴾ في الصورة والجسم ولستم ملائكة وانما ﴿تريدون﴾ بقولكم ﴿أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين﴾ حجة بينة على صحة دعواكم ﴿قالت لهم رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ بالنبوة والحكمة ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * ومالنا ألا نتوكل على الله﴾ وقد عرفنا أن لا ننال شيئا إلا بقضائه وقدره ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ بين لنا الرشد وبصرنا طريق النجاة ﴿ولنصبرن﴾ اللام لام القسم مجازه والله لنصبرن ﴿على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون * وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودنّ في ملتنا﴾ يعنون إلا أن ترجعوا أو حتي ترجعوا إلى ديننا

كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذاً لايلبثون خلافك إلا قليلا) وقال تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وكان من صنعه تعالى أنه أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصاراً وأعوانا وجنداً يقاتلون في سبيل الله تعالى ولم يزل يرقيه تعالى من شيء الى شيء حتى فتح له مكة التي أخرجته ومكن له فيها وأرغم أنوف أعدائه منهم ومن سائر أهل الارض حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الاديان في مشارق الارض ومغاربها في أيسر زمان ولهذا قال تعالى (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم) كما قال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وقال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) الآية ، وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة المتقين، وقال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) وقوله (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) أي وعيدي هذا لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيامة وخشي من وعيدي وهو تخويفي وعذابي كما قال تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى) وقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان)وقوله (واستفتحوا) أي استنصرت الرسل ربها على قومها قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم استفتحت الامم على أنفسها كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، ويحتمل أن يكون هذا مراداً وهذا مراداً كما انهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر واستفتح رسول الله ﷺ واستنصر ، وقال الله تعالى للمشركين (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم) الآية والله أعلم (وخاب كل جبار عنيد) أي متجبر في نفسه عنيد معاند للحق كقوله تعالى (ألقيا في جهنم كل كفار

﴿فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم﴾ أي بعد هلاكهم ﴿ذلك لمن خاف مقامي﴾ أي قيامه بين يدي كما قال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فاضاف قيام العبد إلى نفسه كما تقول ندمت على ضربك أي على ضربي إياك ﴿وخاف وعيد﴾ أي عقابي

قوله ﴿ واستفتحوا ﴾ أي استنصروا قال ابن عباس ومقاتل يعني الامم وذلك أنهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا نظيره قوله تعالى (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء) وقال مجاهد وقتادة (واستفتحوا) يعني الرسل وذلك أنهم لما يئسوا من من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب كما قال نوح (رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً) وقال موسى (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) الآية ﴿ وخاب ﴾ خسر

عنيد * مناع للخير معتد مريب * الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد) وفي الحديث «انه يؤتى بجهنم يوم القيامة فتنادي الخلائق فتقول اني وكلت بكل جبار عنيد» الحديث . خاب وخسر حين اجتهد الانبياء في الابتهال الى ربها العزيز المقتدر وقوله (من ورائه جهنم) وراء هنا بمعنى أمام كقوله تعالى (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وكان ابن عباس يقرؤها وكان أمامهم ملك أي من وراء الجبار العنيد جهنم أي هي له بالمرصاد يسكنها مخلداً يوم المعاد ويعرض عليها غدواً وعشيا الى يوم التناد (ويسقى من ماء صديد) أي في النار ليس له شراب إلا من حميم وغساق فهذا حار في غاية الحرارة وهذا بارد في غاية البرد والنتن كما قال (هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج) وقال مجاهد وعكرمة الصديد من القيح والدم ، وقال قتادة هو مايسيل من لحمه وجلده وفي رواية عنه الصديد مايخرج من جوف الكافر قد خالط القيح والدم ، وفي حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت قلت يارسول الله ماطينة الخبال ؟ قال «صديد أهل النار» وفي رواية «عصارة أهل النار» وقال الامام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا عبد الله أنا صفوان بن عمرو عن عبيد الله ابن بشر عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال «يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره » يقول الله تعالى (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) ويقول (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) الآية ، وهكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن المبارك به ورواه هو وابن أبي حاتم من حديث بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو به ، وقوله (يتجرعه) أي يتغصصه ويتكرهه أي يشربه قهراً وقسرا لا يضعه في فمه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد كما قال تعالى (ولهم مقامع من حديد) (ولا يكاد يسيغه) أي يزدرده لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطاع (ويأتيه

وقيل هلك ﴿ كل جبار عنيد ﴾ والجبار الذي لا يرى فوقه أحداً والجبرية طلب العلو بما لا غاية وراءه وهذا الوصف لا يكون إلا لله عز وجل وقيل الجبار الذي يجبر الخلق على مراده والعنيد المعاند للحق ومجانبه قال مجاهد وعن ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر ، وقال قتادة العنيد الذي أبى أن يقول لا إله إلا الله ﴿ من ورائه جهنم ﴾ أي أمامه كقوله تعالى (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم قال أبوعبيدة هو من الاضداد ، وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يريد أنه سيأتيك وأنا من وراء فلان يعني أصل اليه ، وقال مقاتل (من ورائه جهنم) أي بعده ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ أي من ماء هو صديد وهو ما يسيل من أبدان الكفار من القيح والدم ، وقال محمد بن كعب ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر ﴿ يتجرعه ﴾ أي يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته ﴿ ولا يكاد يسيغه ﴾ يكاد صلة أي لا يسيغه كقوله تعالى (لم يكد يراها) أي لم يرها قال ابن عباس لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي في جوفه أخبرنا محمد بن عبدالله

الموت من كل مكان) أي يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه ، قال ميمون بن مهران من كل عظم وعصب وعرق ، وقال عكرمة حتى من أطراف شعره ، وقال ابراهيم التيمي من موضع كل شعرة أي من جسده حتى من أطراف شعره ، وقال ابن جرير (ويأتيه الموت من كل مكان) أي من أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحت أرجله ومن سائر أعضاء جسده ، وقال الضحاك عن ابن عباس (ويأتيه الموت من كل مكان) قال أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ولكن لا يموت لان الله تعالى قال (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)ومعنى كلام ابن عباس رضي الله عنه انه ما من نوع من هذه الانواع من العذاب إلا اذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال ولهذا قال تعالى(ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) وقوله (ومن ورائه عذاب غليظ) أي وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أي مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمر وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم* طلعها كأنه رؤوس الشياطين* فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون* ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم* ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) فأخبر انهم تارة يكونون في أكل زقوم وتارة في شرب حميم وتارة يردون الى جحيم عياذاً بالله من ذلك وهكذا قال تعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال تعالى (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم* كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم* خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم *ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق انك أنت العزيز الكريم* إن هذا ما كنتم به تمترون) وقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم) وقال تعالى (هذا وان للطاغين لشر مآب *جهنم يصلونها فبئس المهاد* هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج) الى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم وتكراره وأنواعه وأشكاله مما لا يحصيه الا الله عز وجل جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد

ابن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن صفوان بن عمرو عن عبدالله بن بشر عن أبي امامة عن النبي ﷺ في قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه)قال« يقرب إلى فيه فيكرهه فاذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شرب به قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره »يقول الله عز وجل (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) ويقول (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) ﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ يعني يجد هم الموت وألمه من كل مكان من أعضائه قال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله ﴿ وماهو بميت ﴾ فيستريح قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته ولا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة نظيرها لا يموت فيها ولا يحيي ﴿ ومن ورائه ﴾ أمامه ﴿عذاب غليظ﴾ شديد وقيل العذاب الغليظ الخلود

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد (١٨)

هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح فانهارت وعدموها أحوج ماكانوا اليها، فقال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم) أي مثل أعمالهم يوم القيامة اذا طلبوا ثوابها من الله تعالى لانهم كانوا يحسبون أنهم كانوا على شيء فلم يجدوا شيئا ولا ألفوا حاصلا إلا كما يتحصل من الرماد اذا اشتدت به الريح العاصفة (في يوم عاصف) أي ذي ريح شديدة عاصفة قوية فلم يقدروا على شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم كقوله تعالى [وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً] وقوله تعالى [مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله، ولكن أنفسهم يظلمون] وقوله تعالى [ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لايقدرون على شيء مما كسبوا، والله لايهدي القوم الكافرين] وقوله في هذه الآية (ذلك هو الضلال البعيد) أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ماكانوا اليه (ذلك هو الضلال البعيد)

ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩) وما ذلك على الله بعزيز (٢٠)

يقول تعالى مخبراً عن قدرته على معاد الابدان يوم القيامة بأنه خلق السموات والارض التي هي

في النار ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾ يعني مثل أعمال الذين كفروا بربهم كقوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) أي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة ﴿كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كما يقال يوم حار ويوم بارد لان الحر والبرد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لانها قد ذكرت من قبل وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار يريد أنهم لاينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا لانهم أشركوا فيها غير الله كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به فذلك قوله تعالى ﴿لايقدرون﴾ يعني الكفار ﴿مما كسبوا﴾ في الدنيا ﴿على شيء﴾ في الآخرة ﴿ذلك هو الضلال البعيد* ألم تر أن الله خلق السموات والارض﴾ قرأ حمزة والكسائي خالق السموات والارض وفي

أكبر من خلق الناس أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والحركات المختلفات والآيات الباهرات وهذه الارض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد وبراري وصحاري وقفار وبحار وأشجار ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ، بلى انه على كل شيء قدير) وقال تعالى [أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون * أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون] وقوله (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز) أي بعظيم ولا ممتنع بل هو سهل عليه اذا خالفتم أمره أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم كما قال (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد * ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز) وقال [وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم * ثم لا يكونوا أمثالكم] وقال [يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه] وقال [إن يشأ يذهبكم ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً]

وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاؤا للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (٢١)

يقول تعالى (وبرزوا) أي برزت الخلائق كلها برها وفاجرها لله الواحد القهار أي اجتمعوا له في براز من الارض وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً (فقال الضعفاء) وهم الاتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم (للذين استكبروا) عن عبادة الله وحده لاشريك له وعن موافقة الرسل قالوا لهم (انا كنا لكم تبعا) أي مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله

سورة النور خالق كل دابة مضافا ، وقرأ الآخرون خلق على الماضي والأرض وكل بالنصب ﴿ بالحق ﴾ أي لم يخلقهما باطلا وإنما خلقهما لامر عظيم ﴿ ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾ سواكم أطوع لله منكم ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ منيع شديد يعني أن الاشياء أسهل في القدرة لا يصعب على الله شيء وان جل وعظم

قوله تعالى ﴿ وبرزوا لله جميعا ﴾ أي خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعا ﴿ فقال الضعفاء ﴾ يعني الاتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ أي تكبروا على الناس وهم القادة والرؤساء ﴿ انا كنا لكم تبعا ﴾ جمع

من شيء) أي فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا فقالت القادة لهم (لو هدانا الله لهديناكم) ولكن حق علينا قول ربنا وسبق فينا وفيكم قدر الله وحقت كلمة العذاب على الكافرين (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) أي ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إن أهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا فانما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى الله عز وجل تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا فلما رأوا أنه لا ينفعهم قالوا انما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر تعالوا حتى نصبر فصبروا صبراً لم ير مثله فلم ينفعهم ذلك فعند ذلك قالوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) الآية ، قلت والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم اليها كما قال تعالى [وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ، قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد] وقال تعالى [قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون * وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما

تابع مثل حرس وحارس ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون ﴿عنا من عذاب الله من شيء؟ قالوا﴾ يعني القادة للمتبوعين ﴿لوهدانا الله لهديناكم﴾ أي لوهدانا الله لدعوناكم إلى الهدى فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص﴾ مهرب ولا منجى، قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع ثم يقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فحينئذ يقولون (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) قال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال الله تعالى (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) فردت الخزنة عليهم (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى) فردت الخزنة عليهم (ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يامالك ليقض علينا ربك، سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ستون وثلاثمائة يوم واليوم كألف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم بعد الثمانين (انكم ماكثون) فلما أيسوا من قبله قال بعضهم لبعض إنه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهلموا فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم فاجمعوا على الصبر فطال صبرهم ثم جزعوا فطال جزعهم فنادوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) أي من منجى فقام ابليس عند ذلك فخطبهم وذلك قوله تعالى (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق) الآية فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) قال فنادوا الثانية (فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) فرد عليهم (ولو شئنا لآتينا

«١» أي حكاية عن أهل النار

كنتم تكسبون] وقال تعالى(١) [ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً] وأما تخاصمهم في المحشر فقال تعالى [ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ماكانوا يعملون]

وقال الشيطٰن لما قُضيَ الامر ان الله وعدكم وعْدَ الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطٰن الا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمُصْرِخكم وما أنتم بمصرخيّ ، اني كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظٰلمين لهم عذاب أليم (٢٢) وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصٰلحٰت جنّٰت تجري من تحتها الانهٰر خٰلدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلٰم (٢٣)

يخبر تعالى عما خاطب به ابليس اتباعه بعد ماقضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات ، وأسكن الكافرين الدركات ، فقام فيهم إبليس لعنه الله يومئذ خطيبا ليزيدهم حزنا الى حزنهم وغبنا إلى غبنهم وحسرة إلى حسرتهم فقال (إن الله وعدكم وعد الحق) أي على ألسنة رسله وعدوكم في اتباعهم النجاة

كل نفس هداها) الآيات فنادوا الثالثة (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) فرد عليهم (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) الآيات ثم نادوا الرابعة (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) فرد عليهم (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) الآية قال فمكث عليهم ماشاء الله ثم ناداهم (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) فقال عند ذلك (اخسؤا فيها ولا تكلمون) فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء عنهم فأقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجوه بعض وأطبقت عليهم النار

قوله تعالى ﴿وقال الشيطان﴾ يعني ابليس ﴿لما قضي الامر﴾ أي فرغ منه فادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال مقاتل يوضع له منبر في النار فيرقاه فيجتمع عليه الكفار باللائمة فيقول لهم ﴿ إن

والسلامة وكان وعداً حقا وخبراً صدقا ، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم كما قال الله تعالى (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) ثم قال (وما كان لي عليكم من سلطان) أي ما كان لي عليكم فيما دعوتكم اليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به الا أن دعوتكم فاستجبتم لي بمجرد ذلك هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ماجاؤكم به فخالفتموهم فصرتم الى ما أنتم فيه فلا تلوموني اليوم ولوموا أنفسكم فان الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج واتبعتموني بمجرد مادعوتكم الى الباطل (ما أنا بمصرخكم) أي بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه (وما أنتم بمصرخي) أي بنافعي بانقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) قال قتادة أي بسبب ما أشركتمون من قبل ، وقال ابن جرير يقول إني جحدت أن أكون شريكا لله عز وجل وهذا الذي قاله هو الراجح كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) وقوله (ان الظالمين) أي في اعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب أليم ، والظاهر من سياق الآية أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدمنا ولكن قد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم وهذا لفظه وابن جرير من رواية عبدالرحمن بن زياد حدثني دخين الحجرى عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذا جمع الله الاولين والآخرين فقضى بينهم ففرغ من القضاء قال المؤمنون قد قضى بيننا ربنا فمن يشفع لنا؟ فيقولون انطلقوا بنا الى آدم وذكر نوحا وابراهيم وموسى وعيسى فيقول عيسى أدلكم على النبي الامي

الله وعدكم وعد الحق ﴾ فوفى لكم به ﴿ ووعدتكم فأخلفتكم ﴾ وقيل يقول لهم قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ ولاية وقيل لم آتكم بحجة فيما دعوتكم اليه ﴿ الا أن دعوتكم ﴾ هذا استثناء منقطع معناه ولكن دعوتكم ﴿ فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ﴾ باجابتي ومتابعتي من غير سلطان ولا برهان ﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ بمغيثكم ﴿ وما أنتم بمصرخي ﴾ بمغيثي قرأ الاعمش وحمزة بمصرخي بكسر الياء والآخرون بالنصب لاجل التضعيف ومن كسر فلالتقاء الساكنين حركت إلى الكسر لان الياء أخت الكسرة وأهل النحو لم يرضوه . وقيل انه لغة بني يربوع والاصل بمصرخيي فذهبت النون لاجل الاضافة وأدغمت ياء الجماعة في ياء الاضافة ﴿ إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴾ أي كفرت بجعلكم إياي شريكا في عبادته وتبرأت من ذلك ﴿ ان الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ لهم عذاب أليم ﴾ أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد الحارث أنبانا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبدالله بن محمود ثنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد أخبرني عبدالرحمن بن زياد عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة

فيأتو ني فيأذن الله لي أن أقوم اليه فيثور من مجلسي من أطيب ريح شمها أحد قط حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظهر قدمي ثم يقول الكافرون هذا قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ماهو إلا ابليس هو الذي أضلنا فيأتون إبليس فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه من أنتن ريح شمها أحد قط ثم يعظم لجهنم (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) » وهذا سياق ابن أبي حاتم ورواه المبارك عن رشدين بن سعد[1] عن عبدالرحمن بن زياد بن نعيم عن دخين عن عقبة به مرفوعا ، وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله لما قال أهل النار (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) قال لهم إبليس (إن الله وعدكم وعد الحق) الآية فلماسمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) وقال عامر الشعبي يقوم خطيبان يوم القيامة على رءوس الناس يقول الله تعالى لعيسى بن مريم (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟) – الى قوله – (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قال ويقوم إبليس لعنه الله فيقول (ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) الآية

ثم لما ذكر تعالى مآل الاشقياء وماصاروا اليه من الخزي والنكال ، وأن خطيبهم إبليس عطف بمآل السعداء فقال (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا (خالدين فيها) ما كثين أبداً لايحولون ولايزولون (باذن ربهم تحيتهم فيها سلام) كما قال تعالى (حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم) وقال تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) وقال تعالى (ويلقون فيها تحية وسلاما) وقال تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

[1] « ١ » رشدين بكسر الراء ضعيف تغلب عليه المناكير

ذكر الحديث « ثم يقول عيسى عليه السلام ذلكم النبي الامي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور من مجلسي أطيب ريح شمها أحد حتى آتي ربي عز وجل فيشفعني ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظهر قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟ فيقولون ماهو غير ابليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون له قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك (ان الله وعدكم وعد الحق) » الآية . قوله تعالى ﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾ يسلم بعضهم على بعض وتسلم الملائكة عليهم ، وقيل المحيي بالسلام هو الله عز وجل

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء؟ (٢٤)

تؤتي أُكُلها كلَّ حين باذن ربها. ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٥)

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار (٢٦)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (مثلا كلمة طيبة) شهادة أن لا إله إلا الله (كشجرة طيبة) وهو المؤمن (أصلها ثابت) يقول لا إله إلا الله في قلب المؤمن (وفرعها في السماء) يقول يرفع بها عمل المؤمن الى السماء وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد ان ذلك عبارة عن المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح وان المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء وهكذا رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود قال هي النخلة وشعبة عن معاوية بن قرة عن أنس هي النخلة، وحماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس ان رسول الله ﷺ أتي بقناع بسر فقرأ (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال هي النخلة، وروي من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفا و كذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وغيرهم، وقال البخاري حدثنا عبيد بن اسماعيل عن أبي اسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال « أخبروني عن شجرة تشبه - أو - كالرجل المسلم لا يتحات ورقها صيفا ولا شتاء وتؤتي أكلها كل حين باذن ربها » قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ « هي النخلة » فلما قمنا قلت لعمر : يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة . قال مامنعك أن تتكلم؟ قلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا ، قال عمر : لأن تكون قلتها أحب إليَّ من كذا وكذا . وقال أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صحبت ابن عمر الى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثا واحداً قال كنا عند رسول الله ﷺ فأتي بجمار فقال « من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم » فأردت أن أقول هي النخلة فنظرت فاذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله ﷺ « هي النخلة » أخرجاه . وقال مالك وعبد العزيز عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ يوما لاصحابه « ان من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن » قال فوقع الناس في شجر

قوله تعالى ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ؟ ﴾ ألم تعلم والمثل قول سائر لتشبيه شيء بشيء ﴿ كلمة طيبة ﴾ وهي قول لا إله إلا الله ﴿ كشجرة طيبة ﴾ وهي النخلة يريد كشجرة طيبة الثمرة . وقال أبو ظبيان عن ابن عباس هي شجرة في الجنة ﴿ أصلها ثابت ﴾ في الارض ﴿ وفرعها ﴾ أعلاها ﴿ في السماء ﴾ كذلك أصل هذه الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فاذا تكلم بها عرجت فلا تحجب

البوادي ووقع في قلبي انها النخلة فاستحييت حتى قال رسول الله ﷺ «هي النخلة» أخرجاه أيضاً، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبان يعني ابن زيد العطار حدثنا قتادة ان رجلا قال يارسول الله ذهب أهل الدثور بالاجور، فقال «أرأيت لو عمد الى متاع الدنيا فركب بعضه على بعض أكان يبلغ السماء؟ أفلا أخبرك بعمل أصله في الارض وفرعه في السماء» قال ماهو يارسول الله؟ قال «تقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر مرات في دبر كل صلاة فذاك أصله في الارض وفرعه في السماء» وعن ابن عباس كشجرة طيبة قال هي شجرة في الجنة وقوله (تؤتي أكلها كل حين) قيل غدوة وعشيا وقيل كل شهر وقيل كل شهرين وقيل كل ستة أشهر وقيل كل سبعة أشهر وقيل كل سنة، والظاهر من السياق ان المؤمن مثله كمثل شجرة لايزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كذلك المؤمن لايزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل

حتى تنتهي إلى الله عز وجل قال الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ﴿تؤتي أكلها﴾ تعطي ثمرها ﴿كل حين باذن ربها﴾ والحين في اللغة هو الوقت وقد اختلفوا في معناه ههنا فقال مجاهد وعكرمة الحين ههنا سنة كاملة لان النخلة تثمر كل سنة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر من وقت اطلاعها إلى صرامها وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل أربعة أشهر من حين ظهورها إلى ادراكها. وقال سعيد بن المسيب: شهران من حين تؤكل الى الصرام، وقال الربيع بن أنس (كل حين) أي كل غدوة وعشيا لان ثمر النخل يؤكل أبداً ليلا ونهاراً صيفاً وشتاء اما تمراً أو رطباً أو بسراً كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة ايمانه لا تنقطع أبداً بل تصل اليه في كل وقت

والحكمة في تمثيل الايمان بالشجرة هي أن الشجرة لاتكون شجرة الا بثلاثة أشياء: عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال، كذلك الايمان لايتم الا بثلاثة أشياء: تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنبأنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنبأنا عبدالله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر ثنا عبد الله بن دينار انه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ «ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ماهي؟» قال عبدالله فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال «هي النخلة» قال عبد الله فذكرت ذلك لعمر فقال لأن تكون قلت هي النخلة كان أحب الي من كذا وكذا، وقيل الحكمة في تشبيهها بالنخلة من بين سائر الاشجار أن النخلة أشبه الاشجار بالانسان من حيث انها اذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار تتشعب من جوانبها بعد قطع رؤسها ولانها تشبه الانسان في أنها لا تحمل الا بالتلقيح ولانها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام ولذلك قال النبي ﷺ «أكرموا عمتكم» قيل ومن عمتنا؟ قال «النخلة»

وقت وحين (باذن ربها) أي كاملا حسنا كثيراً طيبا مباركا (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) وقوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات مشبه بشجرة الحنظل ويقال لها الشريان رواه شعبة عن معاوية بن أبي قرة عن أنس بن مالك أنها شجرة الحنظل ، وقال أبو بكر البزار الحافظ حدثنا يحى بن محمد السكن حدثنا أبو يزيد سعيد بن الربيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس أحسبه رفعه قال (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال هي النخلة (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) قال هي الشريان ثم رواه عن محمد بن المثنى عن غندر عن شبعة عن معاوية عن أنس موقوفا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هي الحنظلة » فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : هكذا كنا نسمع ، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به ورواه أبو يعلى في مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا غسان عن حماد عن شعيب عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بقناع عليه بسر فقال (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) فقال « هي النخلة » (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار) قال « هي الحنظل » قال شعيب فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : كذلك كنا نسمع ، وقوله (اجتثت) أي استؤصلت (من فوق الارض مالها من قرار) أي لا أصل لها ولا ثبات ، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر عمل ولا يتقبل منه شيء

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوٰة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظٰلمين ويفعل الله ما يشاء (٢٧)

قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم اذا سئل في القبر شهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) » ورواه مسلم أيضا وبقية الجماعة كلهم من حديث شعبة به ، وقال الامام احمد حدثنا

﴿ ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة ﴾ وهي الشرك ﴿ كشجرة خبيثة ﴾ وهي الحنظل وقيل هي الثوم وقيل الكشوث وهي العشقة ﴿ اجتثت ﴾ يعني انقلعت ﴿ من فوق الارض مالها من قرار ﴾ ثبات معناه وليس لها أصل ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لاخير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح

قوله تعالى ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ يعني قبل الموت ﴿ وفي الآخرة ﴾ يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين ، وقيل في الحياة

أبو معاوية حدثنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال « استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثا ثم قال « ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة نزلت اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة الا قالوا ماهذه الروح الطيبة ؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله فيقولان له مادينك ؟ فيقول ديني الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي - قال - وان العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء سود الوجه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب - قال - فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه

الدنيا عند السؤال في القبر ، وفي الآخرة عند البعث والاول أصح . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو الوليد ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد قال : سمعت سعيد بن عبيدة عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال

التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له - ثم قرأ رسول الله ﷺ (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا - ثم قرأ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ماهذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول ومن أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة» ورواه أبو داود من حديث الاعمش والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال بن عمرو به

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى جنازة فذكر نحوه وفيه «فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء ليس من أهل باب الا وهم يدعون الله عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم» وفي آخره «ثم يقيض له أعمى أصم أبكم وفي يده مرزبة لو ضرب بها جبلا لكان ترابا فيضربه ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين» قال البراء ثم يفتح له باب الى النار ويمهد له من فرش النار، وقال سفيان الثوري عن أبيه عن خيثمة عن البراء في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال عذاب القبر، وقال المسعودي عن عبدالله بن مخارق عن أبيه عن عبدالله قال: ان المؤمن اذا مات أجلس في قبره فيقال له ما ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيثبته الله فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد ﷺ وقرأ عبدالله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقال الامام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبدالرحمن عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله قال فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة» قال النبي ﷺ «فيراهما جميعا» قال قتادة

«المسلم اذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» فذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبدالغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن

وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضراً الى يوم القيامة رواه مسلم عن عبد بن حميد به وأخرجه النسائي من حديث يونس بن محمد المؤدب به

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سأل جابر بن عبدالله عن فتاني القبر فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملك شديد الانتهار فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول انه رسول الله ﷺ وعبده فيقول له الملك انظر الى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما ، فيقول المؤمن دعوني أبشر أهلي فيقال له اسكن ، وأما المنافق فيقعد اذا تولى عنه أهله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري أقول كما يقول الناس فيقال له لادريت هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة أبدلت مكانه مقعدك من النار » قال جابر فسمعت النبي ﷺ يقول « يبعث كل عبد في القبر على مامات، المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه » اسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقعده فقال ماتقول في هذا الرجل ؟ فان كان مؤمناً قال أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له بابا الى النار فيقول كان هذا منزلك لو كفرت بربك فأما اذ آمنت فهذا منزلك فيفتح له بابا الى الجنة فيريد أن ينهض اليه فيقول له اسكن ويفسح له في قبره ، وان كان كافراً أو منافقا يقول له ماتقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فيقول لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا الى الجنة فيقول هذا منزلك لو آمنت بربك فأما اذ كفرت به فان الله عز وجل أبدلك به هذا فيفتح له بابا الى النار ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحة يسمعها خلق الله عز وجل كلهم غير الثقلين » فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق الا هيل عند ذلك فقال رسول الله ﷺ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) وهذا أيضا اسناد لا بأس به فان عباد بن راشد التميمي روى له البخاري مقرونا ولكن ضعفه بعضهم . وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان

بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة بهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال نزلت في عذاب القبر ، يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد » فذلك قوله تعالى (يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت) الآية

الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان . قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقولون مرحبا بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان - قال - فلايزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل . وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ماقيل في الحديث الاول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ماقيل له في الحديث الاول . ورواه النسائي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب بنحوه ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : اذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك - قال - ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قِبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به الى ربه عز وجل فيقول انطلقوا به الى آخر الاجل . وان الكافر اذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر مقتا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قِبل الارض فيقال انطلقوا به الى آخر الاجل - قال أبو هريرة - فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا

(١) وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا زيد بن أخرم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن قسام بن زهير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « ان المؤمن اذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي الى روح الله فتخرج كأطيب ريح مسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا يشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ماهذه الريح الطيبة التي جاءت من قبل الارض ولا يأتون سماء الا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أهل الغائب بغائبهم فيقولون مافعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فانه كان في غم فيقول قد مات أما أتاكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية ، وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي الى غضب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة فيذهب به الى باب الارض »

وقد روي أيضاً من طريق همام بن يحيى عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه

« ١ » من هنا الى قوله الاتي وقال الحافظ ابو عيسى الترمذي غير موجود في النسخه المكيه

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عياش بن الوليد ثنا عبد الاعلى ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال « ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه

قال « فيسئل مافعل فلان مافعل فلان مافعلت فلانة ، قال وأما الكافر فاذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الارض تقول خزنة الارض ماوجدنا ريحا أنتن من هذه فيبلغ بها الارض السفلى » قال قتادة وحدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال : أرواح المؤمنين تجتمع بالجابيين ، وأرواح الكفار تجتمع ببرهوت سبخة بحضرموت ثم يضيق عليه قبره .

وقال الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله حدثنا يحيى بن خلف حدثنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « اذا قبر الميت أوقال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير فيقولان ماكنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين وينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان نم نومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال « ذلك اذا قيل له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربي الله ، وديني الاسلام ، ونبيي محمد جاءنا بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت ، فيقال له صدقت ، على هذا عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث »

وقال ابن جرير حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « والذي نفسي بيده ان الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين ، فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان إلى الناس عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ماقبلي مدخل ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ماقبلي مدخل ، فيؤتى عن يساره فيقول الصيام ماقبلي مدخل ، فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات ماقبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال له أخبرنا عما نسألك فيقول دعني حتى أصلي ، فيقال له انك ستفعل فأخبرنا عما نسألك فيقول وعم تسألوني ، فيقال أرأيت هذا الرجل

فيقولان ماكنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً » قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال « وأما المنافق والكافر فيقال له ماكنت تقول في

الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول أمحمد ؟ فيقال له نعم ، فيقول أشهد أنه رسول الله ، وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك حييت ، وعلى ذلك مت ، وعليه تبعث إن شاء الله ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ويفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر الى ماأعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم تجعل نسمته في النسم الطيب وهي طير خضر يعلق بشجر الجنة ويعاد الجسد إلى مابدىء من التراب » وذلك قول الله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سلمان عن محمد بن عمرو وذكر جواب الكافر وعذابه

وقال البزار حدثنا سعيد بن بحر القراطيسي حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال « ان المؤمن ينزل به الموت ويعاين مايعاين فيود لو خرجت يعني نفسه والله يحب لقاءه ، وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الارض ، فاذا قال تركت فلانا في الارض أعجبهم ذلك ، واذا قال ان فلانا قد مات قالوا ماجيء به الينا ، وان المؤمن يجلس في قبره فيسئل من ربك فيقول ربي الله ، ويسئل من نبيك فيقول محمد نبيي ، فيقال ماذا دينك قال ديني الاسلام فيفتح له باب في قبره فيقول أو يقال انظر إلى مجلسك ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة ، واذا كان عدو الله نزل به الموت وعاين ماعاين فانه لايحب أن تخرج روحه أبداً والله يبغض لقاءه ، فاذا جلس في قبره أو أجلس فيقال له من ربك ؟ فيقول لاأدري ، فيقال لادريت فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين ثم يقال له نم كما ينام المنهوش » قلت لأبي هريرة ماالمنهوش ؟ قال الذي تنهشه الدواب والحيات ثم يضيق عليه قبره ثم قال لانعلم رواه الا الوليد بن مسلم[1]

وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال : كانت أسماء يعني بنت الصديق رضي الله عنها تحدث عن النبي ﷺ قالت قال « اذا دخل الانسان قبره فان كان مؤمنا أحف به عمله الصلاة والصيام قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده ومن نحو الصيام فيرده قال فيناديه اجلس فيجلس فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل يعني النبي ﷺ قال من ؟ قال محمد ، قال أشهد أنه رسول الله ، قال وما يدريك أدركته ، قال أشهد أنه رسول الله قال يقول على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال أي رجل ؟ قال محمد ، قال يقول والله ماأدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، قال له الملك على ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، قال ويسلط

هذا الرجل فيقول لاأدري كنت أقول مايقول الناس ، فيقال له لادريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين »

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمي ثنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد

[1] في المكية ابن القاسم

عليه دابة في قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ماشاء الله صما لا تسمع صوته فترحمه »

(١) وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: إن المؤمن اذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة، فاذا مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس، فاذا دفن أجلس في قبره فيقال له من ربك فيقول ربي الله، فيقال له من رسولك؟ فيقول محمد ﷺ فيقال له ماشهادتك؟ فيقول أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فيوسع له في قبره مد بصره، وأما الكافر فتنزل عليه الملائكة فيبسطون أيديهم والبسط هو الضرب(يضربون وجوههم وأدبارهم) عند الموت، فاذا أدخل قبره أقعد فقيل له من ربك؟ فلم يرجع اليهم شيئاوأنساه الله ذكر ذلك، واذا قيل من الرسول الذي بعث اليك؟ لم يهتد له ولم يرجع اليهم شيئا(كذلك يضل الله الظالمين)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الاودي حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا ابراهيم ابن يوسف عن أبيه عن أبى اسحاق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي قتادة الانصاري في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) الآية، قال إن المؤمن اذا مات أجلس في قبره فيقال له من ربك؟ فيقول الله، فيقال له من نبيك؟ فيقول له محمد بن عبد الله، فيقال له ذلك مرات ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك من النار لو زغت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له انظر إلى منزلك من الجنة اذا ثبت، واذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له من ربك؟ من نبيك؟ فيقول لا أدري كنت أسمع الناس يقولون فيقال له لا دريت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى منزلك لو ثبت، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك إذ زغت فذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) قال لا إله الا الله (وفي الآخرة) المسئلة في القبر، وقال قتادة أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح (وفي الآخرة) في القبر، وكذا روي عن غير واحد من السلف

وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الاصول حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال « إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاء ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم، ورأيت رجلا من أمتي قد

«١» في المكية ذكر هنا قول ابي عبد الله الحكيم الترمذي وذكر بعده قول العوفي وقول ابن أبي حاتم ثم بعد ذلك حديث الحافظ ابي يعلى

عبد الله بن عدي الحافظ ثنا عبد الله بن سعيد ثنا أسد بن موسى ثنا عنبسة بن سعد بن كثير حدثني جدي عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الميت يسمع خفق النعال اذا ولى عنه الناس مدبرين، ثم يجلس ويوضع كفنه في عنقه ثم يسئل » وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « اذا قبر الميت

احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتي يلتهب عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمتي والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده الى جنبي ، ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور ، ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعشر المؤمنين كلموه فكلموه ، ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت له ستراً على وجهه وظلاً على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل ، ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ، ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط كما ترعد السعفة فجاء حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته علي فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى باب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الابواب وأدخلته الجنة » قال القرطبي بعد إيراده هذا الحديث من هذا الوجه هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة أورده هكذا في كتابه التذكرة

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في هذا حديثا غريبا مطولا فقال: حدثنا أبو عبدالرحمن احمد بن ابراهيم البكري حدثنا محمد بن بكر البرساني أبو عثمان حدثنا أبو عاصم الحبطي وكان من أخيار أهل البصرة وكان من أصحاب حزم وسلام بن أبي مطيع حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال « يقول الله عز وجل لملك الموت انطلق الى وليي فأتني به فاني قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ، ائتني به فلأريحنه . فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان

أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ماكنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ، ثم يقولان له نم فيقول أرجع

أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الابيض فيه المسك الاذفر فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحف به الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الابيض والمسك الاذفر تحت ذقنه ويفتح له باب الى الجنة فان نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة تارة بأزواجها وتارة بكسوتها ومرة بثمارها كما يعلل الصبي أهله اذا بكى. قال وان أزواجه لتهش عند ذلك ابتهاشا قال وتبرز الروح قال البرساني يريد أن تخرج من العجل الى ماتحب قال ويقول ملك الموت اخرجي يا أيتها الروح الطيبة الى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب ، قال ولملك الموت أشد به لطفا من الوالدة بولدها يعرف أن ذلك الروح حبيب لربه فهو يلتمس بلطفه تحببا لديه رضاء للرب عنه فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين قال وقال الله عز وجل (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) وقال (فاما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) قال روح من جهة الموت وريحان يتلقى به وجنة نعيم تقابله قال فاذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد جزاك الله عني خيراً فقد كنت سريعابي الى طاعة الله بطيئابي عن معصية الله فقد نجيت وأنجيت قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكي عليه بقاع الارض التي كان يطيع الله فيها وكل باب من السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة قال فاذا قبض ملك الموت روحه أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده فلا يقلبه بنو آدم لشق الا قلبته الملائكة قبلهم وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بني آدم وحنوط قبل حنوط بني آدم ويقوم من باب بيته الى قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار فيصيح عند ذلك ابليس صيحة تتصدع منها عظام جسده قال ويقول لجنوده الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم ؟ فيقولون إن هذا كان عبداً معصوما قال فاذا صعد ملك الموت بروحه يستقبله جبريل في سبعين الفا من الملائكة كل يأتيه ببشارة من ربه سوى بشارة صاحبه قال فاذا انتهى ملك الموت بروحه الى العرش خر الروح ساجداً قال يقول الله عز وجل لملك الموت: انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب قال فاذا وضع في قبره جاءته الصلاة فكانت عن يمينه وجاءه الصيام فكان عن يساره وجاءه القرآن فكان عند رأسه وجاءه مشيه الى الصلاة فكان عند رجليه وجاءه الصبر فكان ناحية القبر قال فيبعث الله عز وجل عنقا من العذاب قال فيأتيه عن يمينه قال فتقول الصلاة وراءك والله مازال دائبا عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رأسه فيقول القرآن

إلى أهلي فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لايوقظه إلا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً أو كافراً قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلايزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وروي عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ ذكر

والذكر مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رجليه فيقول مشيه إلى الصلاة مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية يلتمس هل يجد اليه مساغا إلا وجد ولي الله قد أخذجنته قال فينقمع العذاب عند ذلك فيخرج قال ويقول الصبر لسائر الاعمال أما إنه لم يمنعني أن أباشر أنا بنفسي إلا أني نظرت ما عندكم فان عجزتم كنت أنا صاحبه فأما إذا أجزأتم عنه فانا له ذخر عند الصراط والميزان قال ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا وقد نزعت منهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحدمنهما مطرقة لواجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها قال فيقولان له اجلس قال فيجلس فيستوي جالسا قال وتقع أكفانه في حقويه قال فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ قال قالوا يارسول الله ومن يطيق الكلام عندذلك وأنت تصف من الملكين ماتصف ؟ قال فقال رسول الله ﷺ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) قال فيقول ربي الله وحده لاشريك له وديني الاسلام الذي دانت به الملائكة ونبيي محمد خاتم النبيين قال فيقولان له صدقت قال فيدفعان القبر فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعا وعن يمينه أربعين ذراعا وعن شماله أربعين ذراعا ومن خلفه أربعين ذراعا ومن عند رأسه أربعين ذراعا ومن عند رجليه أربعين ذراعا قال فيوسعان له مائتي ذراع قال البرساني فاحسبه وأربعين ذراعا تحاط به قال ثم يقولان له انظر فوقك فاذا باب مفتوح إلى الجنة قال فيقولان له: ولي الله هذا منزلك إذ أطعت الله فقال رسول الله ﷺ «والذي نفس محمد بيده انه يصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لاترتد أبداً ثم يقال له انظر تحتك قال فينظر تحته فاذا باب مفتوح إلى النار قال فيقولان : ولي الله نجوت آخر ما عليك قال فقال رسول الله ﷺ «إنه ليصل الى قلبه عند ذلك فرحة لاترتد أبداً» قال فقالت عائشة يفتح له سبع وسبعون بابا الى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله عز وجل

وبالاسناد المتقدم إلى النبي ﷺ قال «ويقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى عدوي فأتني به فاني قد بسطت له في رزقي، ويسرت له نعمتي، فأبى إلا معصيتي، فأتني به لأنتقم منه، قال فينطلق اليه ملك الموت في أكره صورة رآها أحد من الناس قط له اثنا عشر عينا ومعه سفود من النار كثير الشوك ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم ومعهم سياط من نار لينها لين

قبض روح المؤمن، وقال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينتهرانه ويقولان له الثانية من ربك وما دينك ومن نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فيثبته الله عز وجل فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد ﷺ فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي قال فذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي

السياط وهي نار تأجج قال فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود في اصل كل شعرة وعرق وظفر ، قال ثم تلويه ليًا شديداً قال فينزع روحه من أظفار قدميه ، قال فيلقيها في عقبيه . قال فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه ، قال وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال فيشده ملك الموت شدة فينزع روحه من عقبيه فيلقيها في ركبتيه ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال فيشده ملك الموت شدة فينزع روحه من ركبتيه فيلقها في حقويه فيسكر عدو الله عندذلك سكرة فيرفه ملك الموت عنه قال فتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط قال كذلك الى صدره ثم كذلك الى حلقه قال ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه قال ويقول ملك الموت اخرجي أيتها الروح اللعينة الى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم - قال - فاذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد : جزاك الله عني شراً فقد كنت سريعا بي الى معصية الله بطيئا بي عن طاعة الله فقد هلكت وأهلكت - قال - ويقول الجسد للروح مثل ذاك وتلعنه بقاع الارض التي كان يعصي الله عليها ، وتنطلق جنود ابليس اليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا عبداً من ولد آدم النار قال فاذا وضع في قبره ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه حتى تدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى قال ويبعث الله اليه أفاعي دهما كأعناق الابل يأخذن باذنيه وابهامي قدميه فيقرضنه حتى يلتقين في وسطه قال ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكبي كل واحدمنهما مسيرة كذا وكذا قد نزعت منهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها ، قال فيقولان له اجلس فيستوي جالساً وتقع أكفانه في حقويه ، قال فيقولان له من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك؟ فيقول لا أدري ، فيقولان له لادريت ولا تليت فيضربانه ضربة يتطاير شررها في قبره ثم يعودان ، قال فيقولان انظر فوقك فينظر فاذا باب مفتوح من الجنة فيقولان عدو الله هذا منزلك لو أطعت الله ، قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده انه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لاترتد أبداً قال ويقولان له انظر تحتك فينظر تحته فاذا باب مفتوح إلى النار فيقولان عدو

أنبأنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني أخبرنا أبو الحسن محمد بن احمد الترابي أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام أنبأنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي ثنا ابراهيم بن موسى الفراء أبو اسحاق ثنا هشام بن يوسف ثنا عبدالله بن يحيى عن هانيء، مولى عثمان قال كان النبي ﷺ اذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال «استغفروا لاخيكم واسألوا الله له التثبيت فانه الآن يسأل» وقال عمرو بن العاص في سياقة الموت وهو يبكي فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا على التراب شنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمه حتى أستأنس بكم وأنظر

الله هذا منزلك إذ عصيت الله» قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً» قال: وقالت عائشة ويفتح له سبعة وسبعون بابا إلى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله اليها. هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب ويزيد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الائمة والله أعلم ولهذا قال أبو داود حدثنا ابراهيم بن موسى الرازي حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبدالله بن بجير عن هاني، مولى عثمان عن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ اذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبت فانه الآن يسئل» تفرد به أبو داود، وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم) الآية حديثا مطولا جداً من طرق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا وفيه غرائب أيضاً

ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار (٢٨) جهنم يصلونها وبئس القرار (٢٩) وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله، قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار (٣٠)

قال البخاري قوله (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) ألم تعلم كقوله (ألم تر كيف * ألم تر إلى الذين خرجوا) البوار الهلاك بار يبور بوراً (قوما بوراً) هالكين. حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال هم كفار أهل مكة وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو جبلة بن الايهم والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الاول وإن كان المعنى يعم جميع الكفار فان الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة، ومن ردها وكفرها دخل النار، وقد روي عن علي نحو قول ابن عباس الاول. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل عليا عن الذين بدلوا نعمة الله وأحلوا قومهم دار البوار، قال هم كفار قريش يوم بدر حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى ابن عبيد حدثنا بسام هو الصيرفي عن أبي الطفيل قال: جاء رجل الى علي فقال يا أمير المؤمنين من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار قال منافقو قريش

ماذا أراجع به رسل ربي قوله تعالى ﴿ويضل الله الظالمين﴾ أي لا يهدي المشركين الى الجواب بالصواب في القبر ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من التوفيق والخذلان والتثبيت وترك التثبيت

قوله تعالى ﴿ألم تر الي الذين بدلوا نعمت الله كفراً﴾ الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال هم والله كفار قريش وقال عمر هم قريش ومحمد ﷺ نعمة الله ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ قال البوار يوم بدر قوله (بدلوا نعمت الله) أي غيروا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل قال قرأت على معقل عن ابن أبي حسين قال قام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقال : ألا أحد يسألني عن القرآن فوالله لو أعلم اليوم أحداً أعلم به مني وان كان من وراء البحار لأتيته فقام عبدالله بن الكواء فقال من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار قال مشركو قريش أتتهم نعمة الله الايمان فبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار

وقال السدي في قوله (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) الآية ذكر عن علي أنه قال هم الافجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر، وأما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد، وكان أبو جهل يوم بدر وأبو سفيان يوم أحد، وأما دار البوار فهي جهنم [1]

وقال ابن حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحارث أبو منصور عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن عمرو بن مرة قال سمعت علياً قرأ هذه الآية (وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم الافجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا الى حين ورواه أبو اسحاق عن عمرو بن مرة عن علي بنحوه وروي من غير وجه عنه .

وقال سفيان الثوري عن علي بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب في قوله (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) قال هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا الى حين . وكذا رواه حمزة الزيات عن عمرو بن مرة قال : قال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين هذه الآية (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار) قال هم الافجران من قريش أخوالي وأعمامك، فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأما أعمامك فأملى الله لهم الى حين . وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن زيد هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر، وكذا رواه مالك في تفسيره عن نافع عن ابن عمر

وقوله (وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله) أي جعلوا له شركاء عبدوهم معه ودعوا الناس إلى ذلك ثم قال تعالى متهدداً لهم ومتوعداً لهم على لسان نبيه ﷺ (قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار) أي مهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا فمهما يكن من شيء (فان مصيركم إلى النار) أي مرجعكم وموئلكم

نعمة الله عليهم في محمد ﷺ حيث ابتعثه الله منهم (كفراً) كفروا به (وأحلوا) أي أنزلوا (قومهم) ممن تابعهم على كفرهم (دار البوار) الهلاك ثم بين دار البوار فقال ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿وبئس القرار﴾ المستقر وعن علي كرم الله وجهه (الذين بدلوا نعمة الله كفراً) هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين ﴿ وجعلوا لله أنداداً﴾ أمثالا وليس لله تعالى ند ﴿ليضلوا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، وكذلك في الحج وسورة لقمان والزمر (ليضل) وقرأ الآخرون بضم الياء على

[1] في المكية ذكر قول السدي هذا بعد قول ابن ابي حاتم الآتي

اليها كما قال تعالى [نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ] وقال تعالى [متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون]

قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوٰة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال (٣١)

يقول تعالى آمراً عباده بطاعته والقيام بحقه والاحسان إلى خلقه بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لاشريك له وأن ينفقوا مما رزقهم الله باداء الزكوات، والنفقة على القرابات والاحسان إلى الاجانب والمراد باقامتها هو المحافظة على وقتها وحدودها وركوعها وخشوعها وسجودها وأمر تعالى بالانفاق مما رزق في السر أي في الخفية والعلانية وهي الجهر ، وليبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة (لا بيع فيه ولا خلال) أي ولا يقبل من أحد فدية أن تباع نفسه كما قال تعالى [فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا] وقوله (ولا خلال) قال ابن جرير يقول ليس هناك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته ، بل هناك العدل والقسط . والخلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فأنا أخاله مخالة وخلالا ومنه قول امريء القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلي الخلال ولا قالي

وقال قتادة إن الله قد علم أن في الدنيا بيوعا وخلالا يتخالون بها في الدنيا فينظر الرجل من يخالل وعلام يصاحب ، فان كان لله فليداوم ، وإن كان لغير الله فسيقطع عنه ، قلت والمراد من هذا أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحداً بيع ولا فدية ، ولو افتدى بملء الارض ذهبا لو وجده ، ولا تنفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد اذا لقي الله كافراً قال الله تعالى [واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون] وقال تعالى [يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون]

الله الذي خلق السمٰوات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار (٣٢) وسخر لكم

معنى ليضلوا الناس ﴿ عن سبيله قل تمتعوا ﴾ عيشوا في الدنيا ﴿ فان مصيركم إلى النار * قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة قال الفراء هذا جزم على الجزاء ﴿ وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ﴾ مخالة وصداقة ﴿ الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من

الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (٣٣) وآتكم من كل ماسألتموه ، وإن تعدوا نعمت الله لاتحصوها ، ان الانسن لظلوم كفار (٣٤)

يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفا محفوظا والارض فراشا (وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى) مابين ثمار وزروع مختلفة الالوان والاشكال والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من اقليم إلى اقليم آخر لجلب ماهنا الى هناك ، وما هناك الى هنا وسخر الانهار تشق الارض من قطر الى قطر رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أي يسيران لايفتران ليلا ولا نهاراً [لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * يغشي الليل النها يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر ، تبارك الله رب العالمين] فالشمس والقمر يتعاقبان ، والليل والنهار يتعارضان، فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر [يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار]

وقوله (وآتاكم من كل ماسألتموه) يقول هيأ لكم كل ماتحتاجون اليه في جميع أحوالكم مما تسألونه بحالكم وقالكم . وقال بعض السلف من كل ماسألتموه ومالم تسألوه ، وقرأ بعضهم (وأتاكم من كل ماسألتموه. ومالم تسألوه) وقوله (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) يخبر تعالى عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها كما قال طلق بن حبيب رحمه الله : ان حق الله أثقل من أن يقوم به العباد ، وان نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين . وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم لك الحمد غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا »

السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره﴾ باذنه ﴿وسخر لكم الانهار﴾ ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران . قال ابن عباس دأبهما في طاعة الله عزوجل ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ يعني آتاكم من كل شيء سألتموه شيئا فحذف الشيء الثاني اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير نحو قولك فلان يعلم كل شيء ، وأتاه كل الناس ، وأنت تريد بعضهم ، نظيره قوله تعالى (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) وقرأ الحسن (من كل) بالتنوين (ما) على النفي يعني من كل مالم تسألوه يعني أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها ﴿وان تعدوا نعمت الله﴾ أي نعم الله ﴿لاتحصوها﴾ أي لاتطيقوا عدها ولا القيام بشكرها

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا اسماعيل بن أبي الحارث حدثنا داود بن المحبر حدثنا صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي عن أنس عن النبي ﷺ انه قال « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله تعالى عليه ، فيقول الله تعالى لاصغر نعمه - أحسبه قال في ديوان النعم - خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح كله ثم تنحى وتقول : وعزتك مااستوفيت وتبقى الذنوب والنعم فاذا أراد الله أن يرحمه قال ياعبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت لك عن سيئاتك - أحسبه قال ووهبت لك نعمي » غريب وسنده ضعيف . وقد روي في الاثر أن داود عليه السلام قال يارب كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي ؟ فقال الله تعالى الآن شكرتني ياداود، أي حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم وقال الامام الشافعي رحمه الله : الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه الا بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها ، وقال القائل في ذلك

لو كل جارحة مني لها لغـة تثني عليك بما أوليت من حسن
لكان مازاد شكري اذ شكرت به اليك أبلغ في الاحسان والمنن

وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبَنيَّ أن نعبد الاصنام (٣٥) رب انهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم (٣٦)

يذكر تعالى في هذا المقام محتجا على مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة انما وضعت أول ماوضعت على عبادة الله وحده لاشريك له وان ابراهيم الذي كانت عامرة بسببه آهلة تبرأ ممن عبد غير الله وانه دعا لمكة بالامن فقال (رب اجعل هذا البلد آمنا) وقد استجاب الله له فقال تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا) الآية وقال تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وقال في هذه القصة (رب اجعل هذا البلد آمنا) فعرّفه لانه دعا به بعد بنائها ولهذا قال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل وإسحاق) ومعلوم ان اسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة فاما حين ذهب باسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة فانه دعا أيضاً فقال (رب اجعل هذا بلداً آمنا) كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطولا وقوله (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته ،

﴿إن الانسان لظلوم كفار﴾ أي ظالم لنفسه بالمعصية كافر بربه في نعمته وقيل الظلوم الذي يشكر غير من أنعم عليه والكافر من يجحد منعمه .

قوله تعالى ﴿ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد ﴾ يعني الحرم ﴿ آمنا ﴾ ذا أمن يؤمن فيه ﴿واجنبني﴾ ابعدني ﴿وبني أن نعبد الاصنام﴾ يقال جنبت الشيء جنبا وأجنبته اجنابا وجنبته تجنيبا واجتنبته

ثم ذكر انه افتتن بالاصنام خلائق من الناس وانه تبرأ ممن عبدها ورد أمرهم إلى الله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم كقول عيسى عليه السلام (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وليس فيه أكثر من الرد الى مشيئة الله تعالى لاتجويز وقوع ذلك. قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جرير عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ تلا قول ابراهيم عليه السلام (رب انهن أضللن كثيراً من الناس) الآية وقول عيسى عليه السلام (ان تعذبهم فانهم عبادك) الآية ثم رفع يديه ثم قال « اللهم أمتي اللهم أمتي » وبكى فقال الله اذهب ياجبريل الى محمد وربك أعلم وسله مايبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ ماقال فقال الله اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك

ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلوٰة

فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (٣٧)

وهذا يدل على ان هذا دعاء ثان بعد الدعاء الاول الذي دعا به عند ماولى عن هاجر وولدها وذلك قبل بناء البيت وهذا كان بعد بنائه تأكيداً ورغبة الى الله عز وجل ولهذا قال (عند بيتك المحرم)

اجتنابا بمعنى واحد فان قيل قد كان ابراهيم معصوما من عبادة الاصنام فكيف يستقيم السؤال وقد عبد كثير من بنيه الاصنام فاين الاجابة؟ قيل الدعاء في حق ابراهيم لزيادة العصمة والتثبيت وأما دعاؤه لبنيه فاراد بنيه من صلبه ولم يعبد منهم أحد الصنم وقيل ان دعاءه لمن كان مؤمنا من بنيه ﴿رب انهن أضللن كثيراً من الناس﴾ يعني ضل بهن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أي يخوفهم بأوليائه وقيل نسب الاضلال إلى الاصنام لانهن سبب فيه كما يقول القائل فتنتني الدنيا نسب الفتنة إلى الدنيا لانها سبب الفتنة ﴿فمن تبعني فانه مني﴾ أي من أهل ديني وملتي ﴿ومن عصاني فانك غفور رحيم﴾ قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب ، وقال مقاتل بن حيان ومن عصاني فيما دون الشرك وقيل قال ذلك قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك

قوله تعالى ﴿ربنا إني اسكنت من ذريتي﴾ أدخل من للتبعيض ومجاز الآية أسكنت من ذريتي ولداً ﴿بواد غير ذي زرع﴾ وهو مكة لان مكة واد بين جبلين ﴿عند بيتك المحرم﴾ سماه محرما لانه يحرم عنده مالا يحرم عند غيره أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن أبي كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس أول ما اتخذ النساء المناطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقة لتعفي أثرها

وقوله (ربنا ليقيموا الصلاة) قال ابن جرير هو متعلق بقوله (المحرم) أي انما جعلته محرما ليتمكن أهله من اقامة الصلاة عنده (فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير

على سارة ثم جاء بها ابراهيم عليه السلام وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت ياابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرار وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم قالت إذاً لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لايرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع - حتى بلغ - يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلبط أو قال يتلوى وانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي ﷺ « فلذلك سعى الناس بينهما » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي ﷺ « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم - أو قال - لو لم تغرف من الماء في سقائها لكانت زمزم عينا معينا » قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك : لاتخافوا الضيعة وان هناك بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لايضيع أهله . وكان موضع البيت مرتفعا عن الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء ولعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جرياً أو جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فأقبلوا وأم اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي ﷺ « فألفى ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وكان [1] أنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته . ذكرنا تلك القصة في سورة البقرة

قوله تعالى ﴿ ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس ﴾ الافئدة جمع الفؤاد ﴿ تهوي اليهم ﴾

١ » ليس في صحيح البخاري « وكان » هنا والمؤلف روى هذا الحديث عنه فهل هي روايته او زائدة من الناسخ

وغيره لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ولـكن قال (من الناس) فاختص به المسلمون

وقوله (وارزقهم من الثمرات) أي ليكون ذلك عونا لهم على طاعتك وكما انه واد غير ذي زرع فاجعل لهم ثماراً يأكلونها ، وقد استجاب الله ذلك كما قال (أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا) وهذا من لطفه تعالى ورحمته وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة وهي تجبى اليها ثمرات ما حولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام

ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء (٣٨)

الحمد لله الذي وهب لي على الـكبر اسمٰعيل وإسحق ، انّ ربي لسميعُ الدُّعاء (٣٩)

رب اجعلني مقيم الصلوٰة ومن ذريتي ، ربنا وتقبّل دعاء (٤٠) ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (٤١)

قال ابن جرير : يقول تعالى مخبراً عن ابراهيم خليله انه قال (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) أي أنت تعلم قصدي في دعائي وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد وانما هو القصد الى رضاك والاخلاص لك فانك تعلم الاشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شيء في الارض ولا في السماء ، ثم حمد ربه عز وجل على ما رزقه من الولد بعد الـكبر فقال (الحمد لله الذي وهب لي على الـكبر اسماعيل وإسحاق ان ربي لسميع الدعاء) أي انه يستجيب لمن دعاه ، وقد استجاب لي فيما سألته من الولد ثم قال (رب اجعلني

تشتاق وتحن اليهم قال السدي معناه أمل قلوبهم إلى هذا الموضع قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند ، وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس وهم المسلمون ﴿ وارزقهم من الثمرات ﴾ ما رزقت سكان القرى ذوات الماء ﴿ لعلهم يشكرون * ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن ﴾ من أمورنا ، وقال ابن عباس ومقاتل من الوجد باسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع ﴿ وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ﴾ قيل هذا كله قول ابراهيم متصل بما قبله وقال الاكثرون يقول الله عز وجل (وما يخفي على الله من شيء في الارض ولا في السماء) ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر ﴾ أعطاني على كبر السن ﴿ اسماعيل واسحاق إن ربي لسميع الدعاء ﴾ قال ابن عباس ولد اسماعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة ولد اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ﴾ يعني ممن يقيم الصلاة باركانها يحافظ عليها

مقيم الصلاة) أي محافظا عليها مقيما لحدودها ، (ومن ذريتي) أي واجعلهم كذلك مقيمين لها (ربنا وتقبل دعاء) أي فيما سألتك فيه كله (ربنا اغفرلي ولوالدي) قرأ بعضهم ولوالدي بالافراد وكان هذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل (وللمؤمنين) اي كلهم (يوم يقوم الحساب) أي يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر

ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (٤٢)

مهطعين مقنعي رءوسهم لايرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء (٤٣)

يقول تعالى ولا تحسبن الله يامحمد غافلا عما يعمل الظالمون أي لاتحسبنه اذا أنظرهم وأجلهم انه غافل عنهم مهمل لهم لايعاقبهم على صنعهم بل هو يحصي ذلك عليهم ويعده عليهم عداً (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) أي من شدة الاهوال يوم القيامة ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر فقال (مهطعين) أي مسرعين كما قال تعالى (مهطعين الى الداع) الآية وقال تعالى (يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له — الى قوله — وعنت الوجوه للحي القيوم) وقال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا) الآية وقوله (مقنعي رءوسهم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد رافعي رءوسهم (لايرتد اليهم طرفهم) أي أبصارهم ظاهرة شاخصة مديمون النظر لايطرفون لحظة لكثرة

﴿ومن ذريتي﴾ يعني اجعل من ذريتي من يقيمون الصلاة ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ أي عملي وعبادتي سمى العبادة دعاء وجاء في الحديث « الدعاء مخ العبادة » وقيل معناه استجب دعائي ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي ﴾ فان قيل كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين؟ قيل قد قيل إن أمه أسلمت وقيل أراد ان اسلما وتابا وقيل قال ذلك قبل أن يتبين له أمر ابيه وقد بين الله عذر خليله في استغفاره لابيه في سورة التوبة ﴿وللمؤمنين﴾ أي اغفر للمؤمنين كلهم ﴿يوم يقوم الحساب ﴾ أي يبدو ويظهر وقيل أراد يوم الحساب يوم يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما

قوله تعالى ﴿ ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقيقة الامور والآية لتسلية المظلوم وتهديد الظالم ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ أي لا تغمض من هول ماترى في ذلك اليوم وقيل ترتفع وتزول عن أماكنها ﴿مهطعين﴾ قال قتادة مسرعين قال سعيد بن جبير الاهطاع النسلان كعدو الذئب ، وقال مجاهد مديمي النظر ومعنى الاهطاع أنهم لايلتفتون يمينا ولا شمالا ولا يعرفون مواطن أقدامهم ﴿ مقنعي رءوسهم ﴾ أي رافعي رءوسهم قال القتيبي المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه ، وقال الحسن وجوه الناس يومئذ الى السماء لاينظر أحد إلى أحد ﴿لايرتد اليهم طرفهم﴾ لاترجع اليهم أبصارهم من شدة النظر وهي شاخصة

ماهم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم عياذاً بالله العظيم من ذلك ولهذا قال (وأفئدتهم هواء) أي وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف، ولهذا قال قتادة وجماعة ان أمكنة أفئدتهم خالية لان القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف وقال بعضهم هي خراب لا تعي شيئا لشدة ما أخبر به تعالى عنهم ثم قال تعالى لرسوله ﷺ

وأنذر الناس يوم يأتيهم العذابُ فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نُجبْ دعوتك ونتبع الرسل: أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال (٤٤) وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال (٤٥) وقد مكروا مكرَهم وعند الله مكرُهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال (٤٦)

يقول تعالى مخبراً عن قيل الذين ظلموا أنفسهم عند معاينة العذاب (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) كقوله (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) الآيتين وقال تعالى مخبراً عنهم في حال محشرهم (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم) الآية وقال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) الآية وقال تعالى [وهم يصطرخون فيها] الآية قال تعالى راداً عليهم في قولهم هذا (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) أي أولم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحالة انه لازوال لكم عما أنتم فيه وانه لا معاد ولا جزاء فذوقوا هذا بذلك قال مجاهد وغيره مالكم من زوال أي مالكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة كقوله [وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت]

قد شغلهم مابين أيهم ﴿وأفئدتهم هواء﴾ أي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود الى مكانها فأفئدتهم هواء لا شيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والارض هواء لخلوه وقيل خالية لاتعي شيئا ولا تعقل من الخوف، وقال الاخفش جوفاء لا عقول لها والعرب تسمي كل أجوف خلو هواء، وقال سعيد بن جبير (وأفئدتهم هواء) أي مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها والابصار شاخصة من هول ذلك اليوم ﴿وأنذر الناس﴾ خوفهم ﴿يوم﴾ أي بيوم ﴿يأتيهم العذاب﴾ وهو يوم القيامة ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿ربنا أخرنا﴾ أمهلنا ﴿إلى أجل قريب﴾ هذا سؤالهم الرد إلى الدنيا أي ارجعنا اليها ﴿نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ فيجابون ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل﴾ حلفتم في دار الدنيا ﴿مالكم من زوال﴾ عنها أي لاتبعثون وهو قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم

الآية (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال) أي قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالامم المكذبة قبلكم ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر (حكمة بالغة فما تغني النذر) وقد روى شعبة عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن رباب[1] أن عليا رضي الله عنه قال في هذه الآية (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) قال أخذ ذاك الذي حاج ابراهيم في ربه نسرين صغيرين فرباهما حتى استغلظا واستفحلا وشبا قال فأوثق رجل كل واحد منهما الى تابوت وجوعها وقعد هو ورجل آخر في التابوت قال ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم فطارا وجعل يقول لصاحبه أنظر ما ترى قال أرى كذا وكذا حتى قال أرى الدنيا كلها كأنها ذباب. قال فصوب العصا فصوبها فهبطا جميعا قال فهو قوله عز وجل (وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال) قال ابو اسحاق وكذلك هي في قراءة عبد الله وان (كاد مكرهم) قلت وكذا روي عن أبي بن كعب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قرأ (وان كاد) كما قرأ علي وكذا رواه سفيان الثوري واسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن رباب[2] عن علي فذكر نحوه وكذا روي عن عكرمة أن سياق هذه القصة لنمروذ ملك كنعان أنه رام أسباب السماء بهذه الحيلة والمكر كما رام ذلك بعده فرعون ملك القبط في بناء الصرح فعجزا وضعفا وهما أقل وأحقر وأصغر وأدحر ، وذكر مجاهد هذه القصة عن بختنصر

(١) كذا في الاميريه وفى المكيه ابن دابيل

(٢) كذا فيها أيضا وفى المكية ابن أباز، وهو الصواب فيهما كما فى تقريب التهذيب

لا يبعث الله من يموت) ﴿ وسكنتم ﴾ في الدنيا ﴿ في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والعصيان يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿ وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾ أي عرفتم عقوبتنا اياهم ﴿ وضربنا لكم الامثال ﴾ أي بينا أن مثلكم كمثلهم ﴿ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم ﴾ أي جزاء مكرهم ﴿ وإن كان مكرهم ﴾ قرأ علي وابن مسعود وإن كاد مكرهم بالدال ، وقرأ العامة بالنون ﴿ لتزول منه الجبال ﴾ قرأ العامة لتزول بكسر اللام الاولى ونصب الثانية معناه وما كان مكرهم لتزول ، قال الحسن ان كان مكرهم لأضعف من أن تزول منه الجبال ، وقيل معناه أن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال ، وقرأ ابن جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية معناه أن مكرهم وإن عظم حتى بلغ محلا يزيل الجبال لم يقدروا على ازالة أمر محمد ، وقال قتادة معناه وإن كان مكرهم شركهم لتزول منه الجبال وهو معنى قوله تعالى (وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً)

ويحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معنى الآية أنها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه وذلك أنه قال : ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهي حتى أصعد السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى أربعة أفرخ من النسور فرباها حتى شبت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل وقعد نمرود مع رجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت وجعل على رؤسها اللحم وربط التابوت بارجل النسور وخلاها فطرن وصعدن طمعاً في اللحم حتى مضى يوم وأبعدن في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح الباب ونظر فقال ان السماء

وانه لما انقطع بصره عن الارض وأهلها نودي أيها الطاغية أين تريد ؟ ففرق ثم سمع الصوت فوقه فصوب الرماح فصوبت النسور ففزعت الجبال من هدتها وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك فذلك قوله (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) ونقل ابن جريج عن مجاهد انه قرأها (لتزول منه الجبال) بفتح اللام الاولى وضم الثانية ، وروى العوفي عن ابن عباس في قوله (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يقول ما كان مكرهم لتزول منه الجبال وكذا قال الحسن البصري ووجهه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من شركهم بالله وكفرهم به ماضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها وانما عاد وبال ذلك عليهم قلت ويشبه هذا قول الله تعالى [ولا تمش في الارض مرحا إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال] والقول الثاني في تفسيرها مارواه علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) يقول شركهم كقوله [تكاد السموات يتفطرن منه] الآية وهكذا قال الضحاك وقتادة

فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام (٤٧) يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار (٤٨)

يقول تعالى مقرراً لوعده ومؤكداً (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) أي من نصرتهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ثم أخبر تعالى أنه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يغالب وذو انتقام ممن كفر به وجحده [فويل يومئذ للمكذبين] ولهذا قال [يوم تبدل الارض غير الارض والسموات] أي وعده هذا حاصل يوم تبدل الارض غير الارض وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة كما جاء

كهيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر إلى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغية أين تريد ؟ قال عكرمة كان معه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفيت شغل إله السماء قال ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه قد حدث حدث من السماء وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ بالنصر لاوليائه وهلاك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده ﴿إن الله عزيز ذو انتقام﴾

قوله تعالى ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ﴾ أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا

في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد » وقال الامام احمد حدثنا محمد ابن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) قالت قلت أين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال « على الصراط » رواه مسلم منفرداً به دون البخاري والترمذي وابن ماجه من حديث داود بن أبي هند به، وقال الترمذي حسن صحيح ورواه احمد أيضا عن عفان عن وهيب عن داود عن الشعبي عنها ولم يذكر مسروقا ، وقال قتادة عن حسان بن بلال المزني عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قول الله (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) قالت قلت يارسول الله فأين الناس يومئذ ؟ قال « لقد سألتني عن شيء ماسألني عنه أحد من أمتي ، ذاك إذ الناس على جسرهم » وروى الامام احمد من حديث حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد عن ابن عباس حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فأين الناس يومئذ يارسول الله قال « هم على متن جهنم » وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا علي بن الجعد أخبرنا القاسم سمعت الحسن قالت عائشة يارسول الله (يوم تبدل الارض غير الارض) فأين الناس يومئذ؟ قال « ان هذا شيء ماسألني عنه أحد (قال) على الصراط ياعائشة » ورواه احمد عن عفان عن القاسم بن الفضل عن الحسن به ، وقال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثني الحسن بن علي الحلواني حدثني ابو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد يعني أخاه أنه سمع أبا سلام حدثني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدثه قال : كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يامحمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني فقلت ألا تقول يارسول الله فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ « إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي » فقال اليهودي جئت أسألك فقال رسول الله ﷺ « أينفعك شيئا إن حدثتك » قال أسمع باذني فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال « سل » فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله ﷺ « هم في الظلمة دون

عبدالغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثني أبوحازم بن دينار عن سهل ابن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد » اخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن خالد هو ابن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : قال ﷺ « تكون الأرض يوم

الجسر » قال فمن أول الناس إجازة ؟ فقال « فقراء المهاجرين » فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال « زيادة كبد النون » قال فما غذاؤهم في أثرها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها » قال فما شرابهم عليه ؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيلا » قال صدقت قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الارض الا نبي أو رجل أو رجلان قال أينفعك إن حدثتك ؟ قال « أسمع بأذني » قال جئت أسألك عن الولد قال « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة اذكرا باذن الله تعالى واذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا باذن الله » قال اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فقال رسول الله ﷺ « لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به » وقال أبو جعفر بن جرير الطبري حدثنا ابن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا ابن أبي مريم حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الانصاري أن حبراً من اليهود سأل النبي ﷺ فقال أرأيت اذ يقول الله تعالى في كتابه (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) فأين الخلق عند ذلك ؟ فقال « أضياف الله فلن يعجزهم مالديه » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم به ، وقال شعبة أخبرنا ابو إسحاق سمعت عمرو ابن ميمون وربما قال قال عبدالله وربما لم يقل فقلت له عن عبدالله فقال سمعت عمرو بن ميمون يقول (يوم تبدل الارض غير الارض) قال أرض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي حفاة عراة كما خلقوا قال أراه قال قياما حتى يلجمهم العرق ، وروي من وجه آخر عن شعبة عن إسرائيل عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بنحوه وكذا رواه عاصم عن زر عن ابن مسعود به ، وقال سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون لم يخبر به ، أورد ذلك كله ابن جرير ، وقد قال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا محمد بن عبدالله بن عبيد بن عقيل حدثنا سهل بن حماد ابو غياث حدثنا جرير بن ايوب عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض) قال « أرض بيضاء لم يسقط عليها دم ، ولم يعمل عليها خطيئة » ثم قال لا نعلم رفعه الا جرير بن أيوب وليس بالقوي ثم قال ابن جرير حدثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سنان عن جابر الجعفي عن أبي جبيرة عن زيد.

القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة » وعن ابن مسعود في هذه الآية قال تبدل الارض بأرض كفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل فيها خطيئة ، وقال علي بن أبي طالب تبدل الارض من فضة والسماء من ذهب ، وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وقيل معنى التبديل جعل السموات جنانا وجعل الارض نيرانا وقيل تبديل الارض تغييرها من هيئة الى هيئة وهي تسيير جبالها وطم أنهارها وتسوية أو ديتها وقلع أشجارها وجعلها قاعا صفصفا وتبديل السموات تغييرها

قال أرسل رسول الله ﷺ الى اليهود فقال « هل تدرون لم أرسلت اليهم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فاني أرسلت اليهم أسألهم عن قول الله (يوم تبدل الارض غير الارض) انها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة » فلما جاءوا سألهم فقالوا تكون بيضاء مثل النقي ، وهكذا روي عن علي وابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر أنها تبدل يوم القيامة بارض من فضة ، وعن علي رضي الله عنه أنه قال تصير الارض فضة والسموات ذهبا ، وقال الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : تصير السموات جنانا

وقال أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن قيس في قوله (يوم تبدل الارض غير الارض) قال خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم وكذا روى وكيع عن عمر بن بشير الهمداني عن سعيد بن جبير في قوله (يوم تبدل الارض غير الارض) قال تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه ، وقال الاعمش عن خثيمة قال قال عبد الله بن مسعود : الارض يوم القيامة كلها نار والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها ويلجم الناس العرق ويبلغ منهم العرق ولم يبلغوا الحساب . وقال الاعمش أيضاً عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قال : قال عبد الله الارض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها والذي نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى ترشح في الارض قدمه ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب قالوا مم ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال مما يرى الناس ويلقون .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن كعب في قوله (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) قال تصير السموات جنانا ويصير مكان البحر ناراً وتبدل الارض غيرها ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود « لا يركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر فان تحت البحر ناراً - أو تحت النار بحراً » وفي حديث الصور المشهور المروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « يبدل الله الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لاترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم في هذه المبدلة » وقوله (وبرزوا لله) أي خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله (الواحد القهار) أي الذي قهر كل شيء وغلبه ودانت له الرقاب وخضعت له الالباب

عن حالها بتكوير شمسها وخسوف قمرها وانتثار نجومها و كونها مرة كالدهان ومرة كالمهل أخبرنا اسماعيل ابن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن داود وهو ابن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله ؟ فقال « على الصراط » وروي عن ثوبان أن حبرا من احبار اليهود سأل رسول الله ﷺ فقال أين يكون الناس حين تبدل الارض غير الارض؟ قال « هم في الظلمة دون الجسر » قوله تعالى ﴿وبرزوا﴾ خرجوا من قبورهم ﴿لله الواحد القهار﴾ الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

وترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الاصفاد (٤٩) سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار (٥٠) ليجزيَ الله كل نفس ماكسبت ، ان الله سريع الحساب (٥١)

يقول تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) وتبرز الخلائق لديانها ترى يا محمد يومئذ المجرمين وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم (مقرنين) أي بعضهم إلى بعض قد جمع بين النظراء أو الاشكال منهم كل صنف إلى صنف كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال (وإذا النفوس زوجت) وقال (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبوراً) وقال (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد) والاصفاد هي القيود قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والاعمش وعبد الرحمن بن زيد وهو مشهور في اللغة ، قال عمرو بن كلثوم

فآبوا بالثياب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

وقوله (سرابيلهم من قطران) أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهو الذي تهنأ به الابل أي تطلى قاله قتادة وهو ألصق شيء بالنار ، ويقال فيه قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبي النجم

كأن قطرانا إذا تلاها ترمي به الريح إلى مجراها

وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب وربما قرأها (سرابيلهم من قطران) أي من نحاس حار قد انتهى حره وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقوله (وتغشى وجوههم النار) كقوله (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن اسحاق أنبأنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا تتركهن : الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ، والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » انفرد باخراجه مسلم . وفي حديث

﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين﴾ مشدودين بعضهم ببعض ﴿في الاصفاد﴾ في القيود والاغلال واحدها صفد وكل من شددته شداً وثيقا فقد صفدته قال أبو عبيدة تقول العرب صفدت الرجل فهو مصفود وصفدته بالتشديد فهو مصفد وقيل يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسة بيانه قوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) يعني قرناءهم من الشياطين وقيل معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالاصفاد بالقيود ومنه قيل للحبل قرن ﴿سرابيلهم﴾ أي قمصهم واحدها سربال ﴿من قطران﴾ هو ما تهنأ به الابل وقرأ عكرمة ويعقوب من قطرآن على كلمتين منونتين والقطر النحاس والصفر المذاب والآن الذي انتهى حره قال الله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ أي

القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ رفعه « النائحة إذا لم تتب توقف في طريق بين الجنة والنار وسرابيلها من قطران وتغشى وجهها النار »

وقوله (ليجزي الله كل نفس ما كسبت) أي يوم القيامة (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا) الآية (ان الله سريع الحساب) يحتمل أن يكون كقوله تعالى (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) ويحتمل انه في حال محاسبته لعبده سريع النجاز لانه يعلم كل شيء ولا يخفى عليه خافية وان جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم كقوله تعالى (ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وهذا معنى قول مجاهد (سريع الحساب) احصاء ، ويحتمل أن يكون المعنيان مرادين والله أعلم

هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الالباب (٥٢)

يقول تعالى هـذا القرآن بلاغ للناس كقوله (لانذركم به ومن بلغ) أي هو بلاغ لجميع الخلق من انس وجن كما قال في أول السورة (الر * كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الآية (ولينذروا به) أي ليتعظوا به (وليعلموا أنما هو اله واحد) أي يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا اله إلا هو (وليذكر أولو الالباب) أي ذوي العقول

﴿ آخر تفسير سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴾

﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾

﴿ تم الجزء الرابع من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

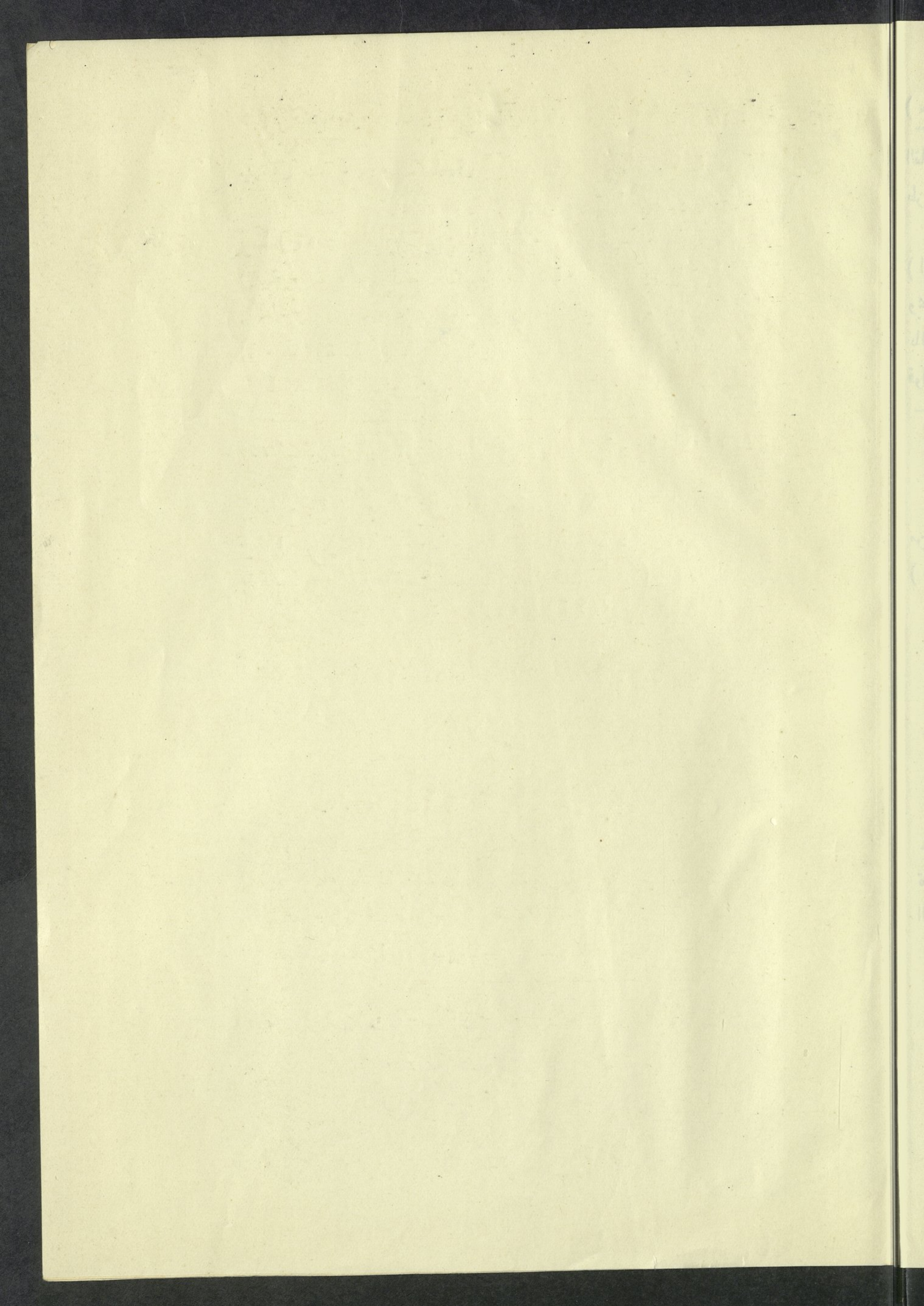
تعلو ﴿ ليجزي الله كل نفس ما كسبت ﴾ من خير أو شر ﴿ ان الله سريع الحساب هذا ﴾ أي هذا القرآن ﴿ بلاغ ﴾ أي تبليغ وعظة ﴿ للناس ولينذروا ﴾ وليخوفوا ﴿ به وليعلموا أنما هو إله واحد ﴾ أي ليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله ﴿ وليذكر أولو الالباب ﴾ أي ليتعظ أولو العقول

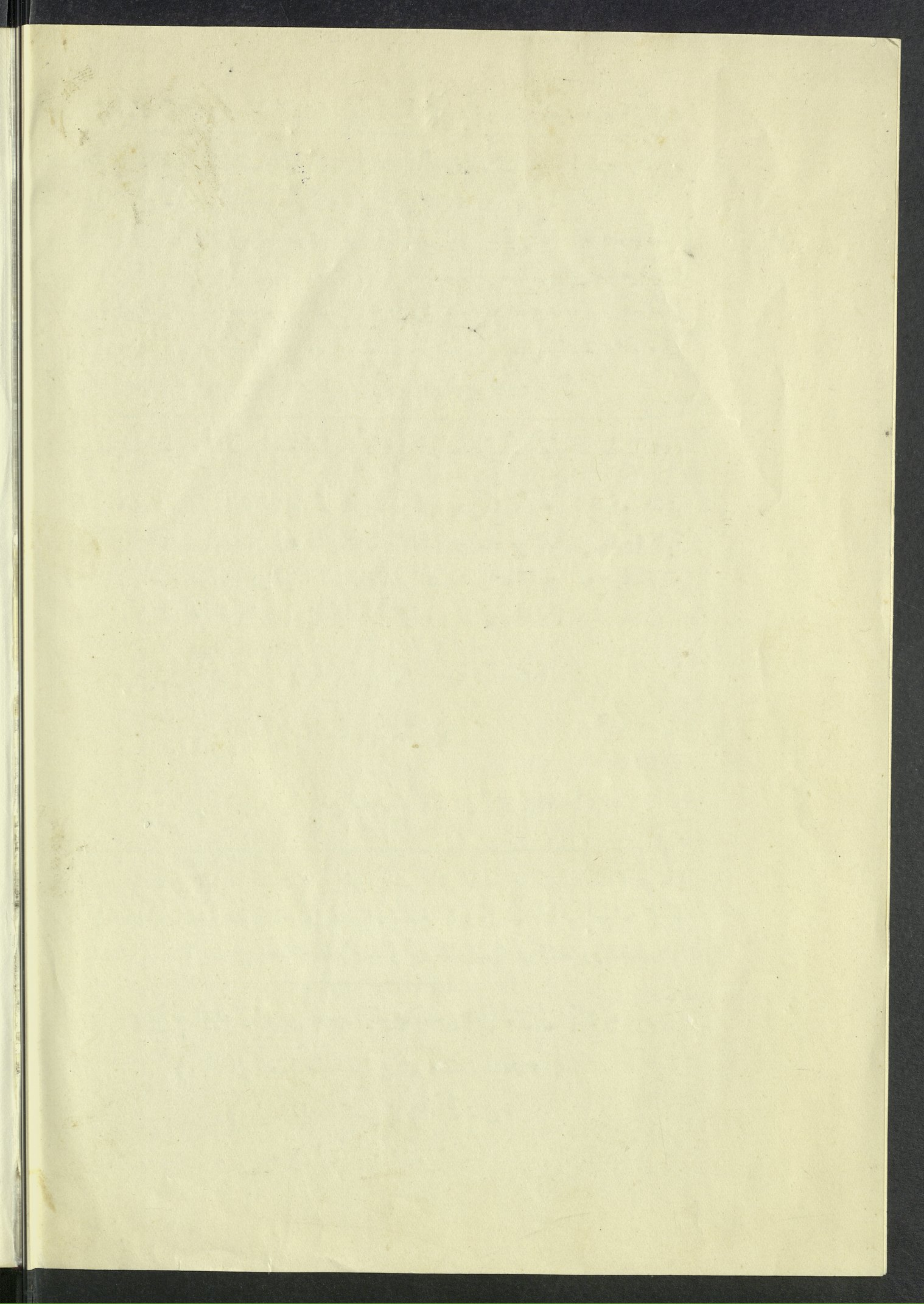
﴿ تم الجزء الرابع من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ﴾

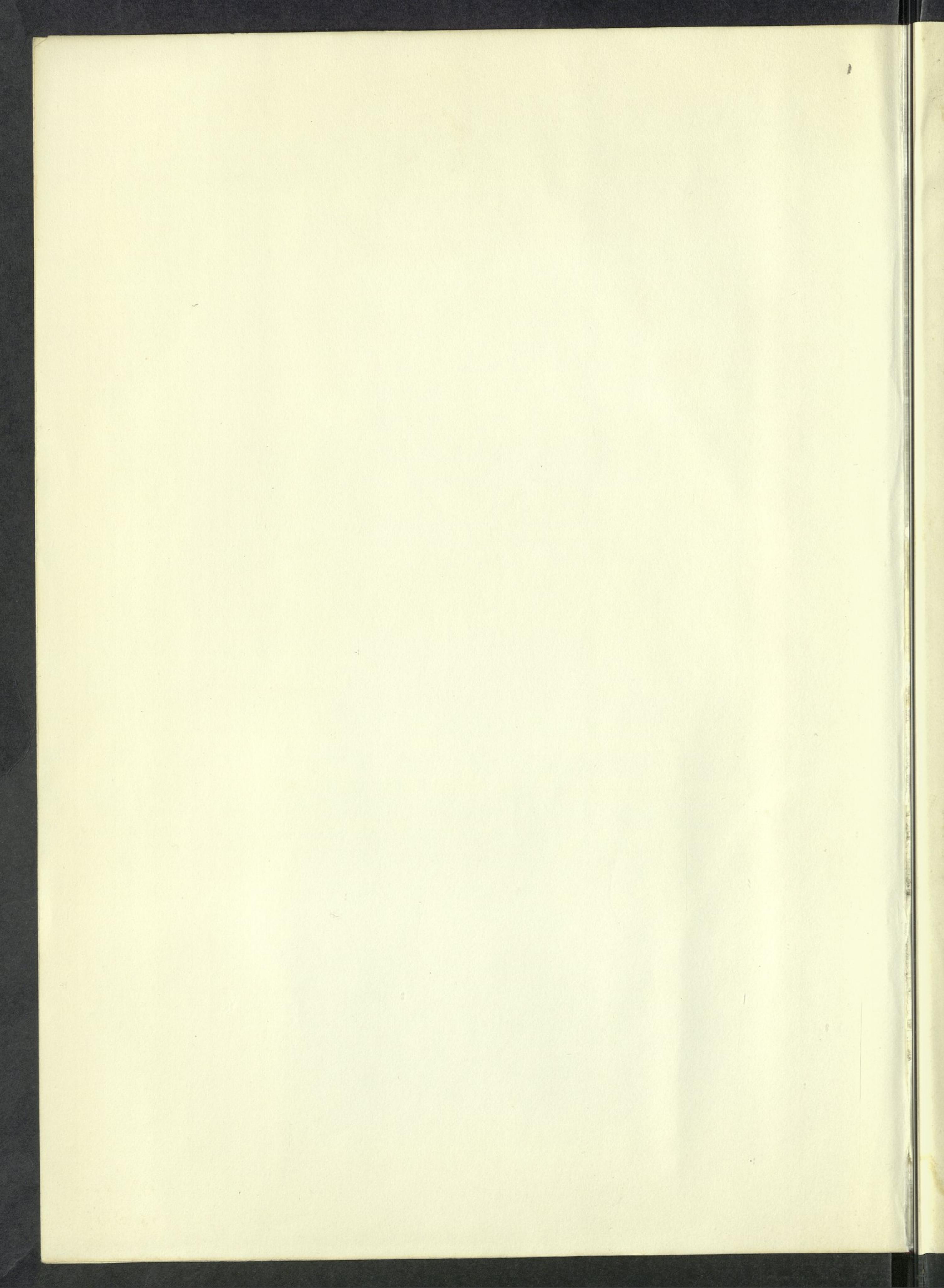
﴿ وكان تمام طبعهما بمطبعة المنار في شهر رمضان سنة ١٣٤٦ ﴾

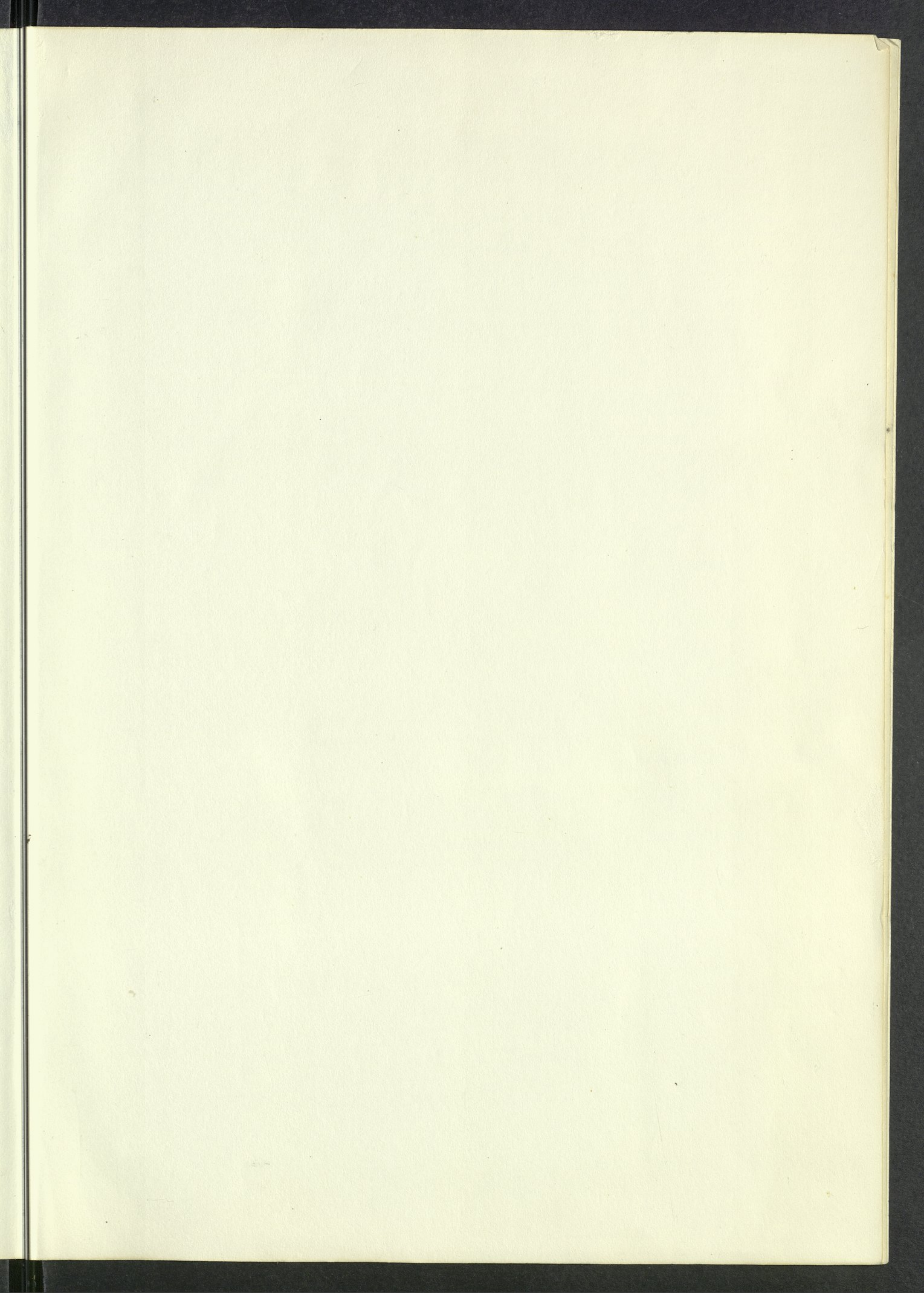
(ويليهما الجزء الخامس إن شاء الله تعالى)

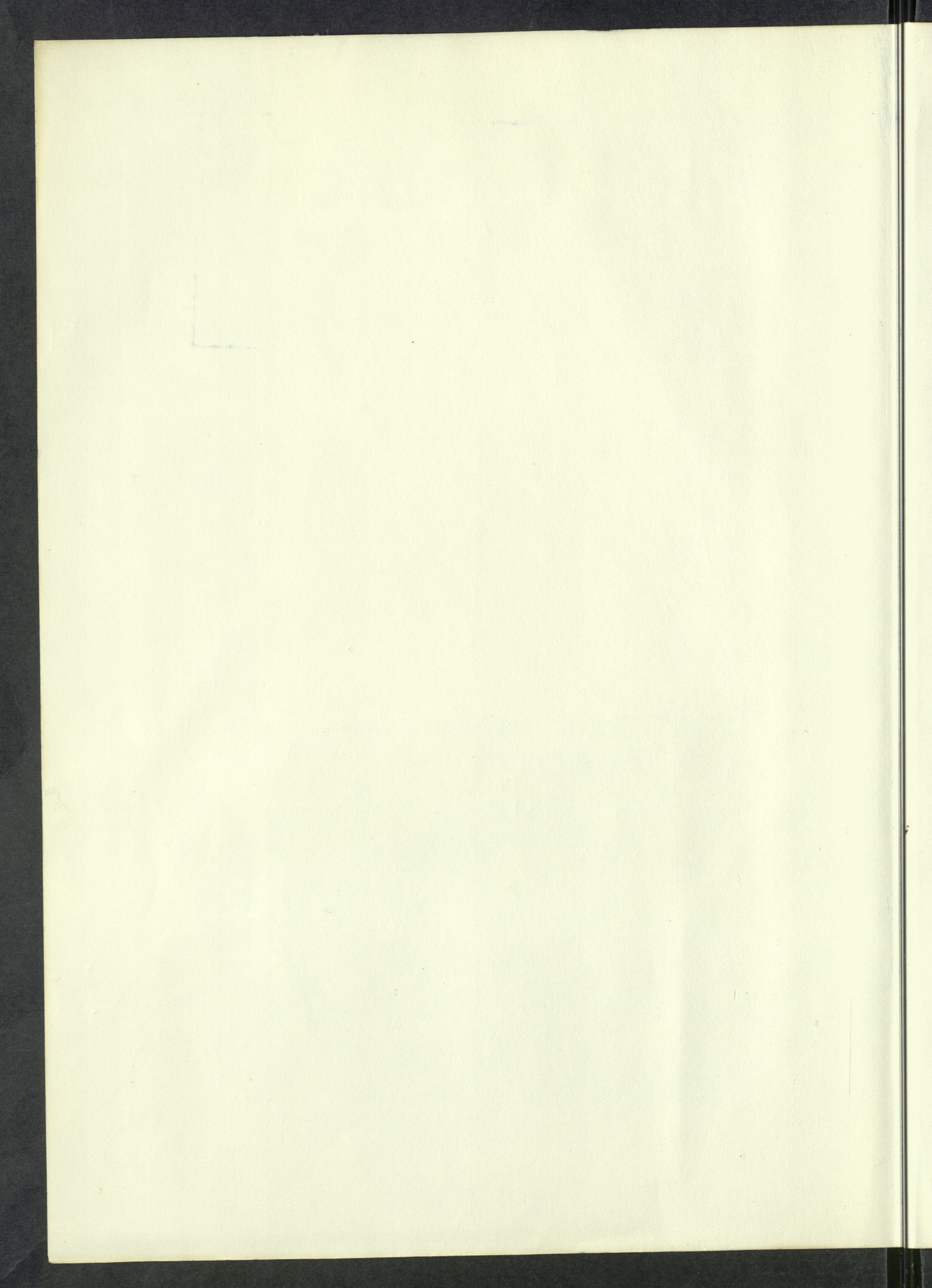
﴿ وأوله سورة الحجر ﴾

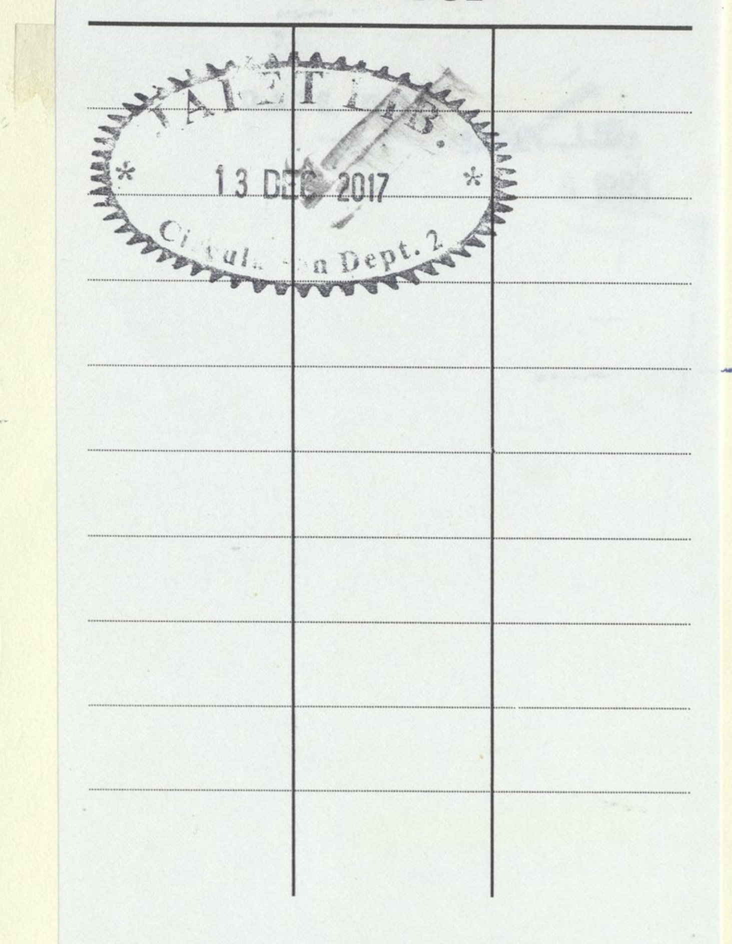


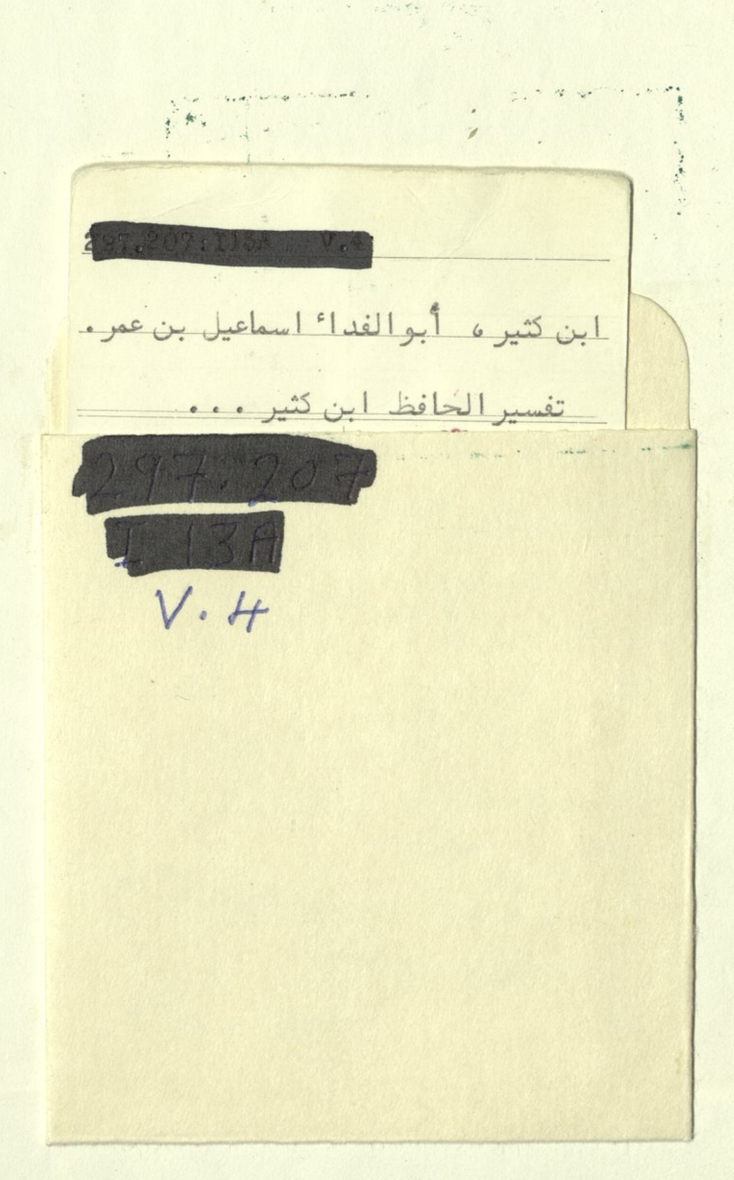











297.207:I13A V.4
ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر .
تفسير الحافظ ابن كثير . . .
297.207
I 13A
V.4

